Ministry of Higher Education and Scientific Research

Ziane Achour University of Djelfa

College of Social and Human Sciences

Department of Sociology and Demography

Thesis submitted for the Ph.D. of science in urban sociology
Entitled:

Tribalism in the Urban Society

A field study in Laghouat

Prepared by the researcher student:
Benmahia Abdelkader

Under supervision:
A.D.Sahouane Attallah

Admin Assistant:
A.D. Talha Messaoud

Undergraduate Year: 2020/2021

وزارة التّعليـــم العـــالـــي والبحـــث العـلمـــي

جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم علم الإجتماع والدّيموغرافيا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الإجتماع الحضري

بعنوان:

النزعة القبليــة في المجتمع الحضري

دراسة ميدانية بمدينة الأغــواط

من إعداد الطالب الباحث :

عبد القادر بن مهية

تحت إشراف:

أ. د سحوان عطاء الله

مساعد المشرف:

أ. د طلحة المسعود

السنة الجامعية: 2020 / 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــــداء

إلى من رحمته وسعت كل شئ جل جلاله ...ربي

إلى المبعوث رحمة للعالمين صل الله عليه و سلم ...رسولي محمد صلَّ الله عليه وسلم

إلى من أسأل الله جلَّ جلاله أن يُقِرَّ بهذا العمل عينه و أن يرفع مقامه عنده....أبي رحمه الله

إلى من أوصاني بها الرسول صلى الله عليه و سلم ثلاث....أمي حفظها الله

إلى حسنة و زهرة الحياة الدنيا..... زوجتي و ولدَّيَ سليم و عبد الله

إلى من في الفرح و القرح دوما معي .....إخوتي

إلى أصدقائي و أحبائي و كل أناس بلدتي ...قصر الحيران

عبد القادر بن مهية

شكر وعرفان

الحمد و الشكر لله صاحب النعمة و العطاء الذي وفقني لإتمام هذا العمل

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر و العرفان

إلى أستاذي المشرف "**سحوان عطاء الله**" الذي تكرم بقبول الإشراف متحملا أعباء هذه المهمة النبيلة والذي لم تمنعه أعماله و مشاغله العديدة من متابعة هذا العمل المتواضع بكل روح علمية وتواضع شديد و صبر كبير، بإرشاداته و توجيهاته السديدة، فأوصلني بها بعد الله سبحانه و تعالى إلى بر الأمان فله مني جزيل الشكر و كامل العرفان.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى أساتذتي الأفاضل :

والى كل من ساعدني في هذا البحث الأساتذة الكرام : حجاج أحمد، النوعي عطاء الله، دمانة عبد المجيد، وخاصة الزبير إبن عون ، وغزال محمد الأمين، و المهندس خالد بن حرز الله، جفال مصطفى . . .الذين بفضل توجيهاتهم و مساعداتهم البناءة و المتقنة من إتمام هذا البحث المتواضع

الفهرس

إهداء	
تشكرات	
مقدمة	
مقدمة	أ- هـ
الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة	
1- الإشكالية.....	07
2- الفرضيات	12
3- المفاهيم الإضافية	12
4- تحديد مفاهيم الدراسة.....	16
5- الدراسات السابقة.....	19
6- أسباب إختيار الموضوع	21
7- أهمية البحث والهدف منه	22
8- أهداف الدراسة	23
الفصل الثاني: القبيلة في منظور السوسيولوجيا	
تمهيد:	25
1- إشكالية القبيلة في الدراسات الإجتماعية.....	26
2- المقاربات السوسيولوجية لمفهوم القبيلة	27
2-1 المقاربة البيولوجية	27
2-2 المقاربة الانقسامية	28
2-3 المقاربات التطورية	29
2-4 المقاربة اليقظة.....	30
2-5 المقاربة الماركسية	32
2-6 المقاربة الخلدونية.....	33
3- ملامح الدراسات الإجتماعية حول القبيلة في الجزائر	34
4- المنهج التعددي لمقاربة موضوع الظاهرة القبلية	35
5- البنية التاريخية للمجتمعات البدوية القبلية	36
خلاصة الفصل	49

الفصل الثالث: الثقافة القبلية في ظل التغيرات التاريخية للمجتمع	
تمهيد:	51
أولا: القبيلة	52
1- تعريف ومفهوم القبيلة	52
2- خصائص القبيلة ومميزاتها	55
3- البناء القبلي	58
4- الضبط الإجتماعي للقبيلة وأدواته	62
ثانيا: العصبية القبلية	65
1- مفهوم التعصب والعصبية لغة ودلالة	65
2- العصبية القبلية عند إبن خلدون	67
3- حياة القبيلة العربية	68
4- الإستعمار الفرنسي والقبيلة في الجزائر	73
ثالثا: النظام القبلي.	80
1- النزعة القبلية	81
2- الإنتماء القبلي	83
3- التضامن القبلي (الجبرية القبلية)	88
خلاصة الفصل	88
الفصل الرابع: المقاربات المعرفية للتنظيم الحضري	
تمهيد:	90
أولاً : ماهية التحضر.....	91
1- المظاهر التاريخية للتحضر.....	91
2- تعريف التحضر	93
3- تعريف المدينة والحياة الحضرية:.....	95
4- مراحل نمو المدن.....	101
5- خصائص المدينة.....	105
6- تصنيفات المدينة.....	107
ثانيا: النظريات والتصورات المعرفية في دراسة التحضر.....	112
1- نظريات التحضر.....	112

2- التصورات المعرفية في دراسة التحضر.....	113
ثالثاً : ميكانزمات التحضر و نشأة المدن:	116
1- أسباب التحضر ونمو المدن.....	116
2- نشأة المدن وتطورها.....	117
3- العوامل المؤثرة في التحضر.....	120
رابعاً : واقع التحضر في الوطن العربي.	133
1- سمات التحضر في الوطن العربي.....	133
2- مقومات البناء الحضري في الجزائر.....	139
3- مراحل التحضر في الجزائر.....	142
4- إشكالية التحضر في الجزائر.....	147
5- مشاكل النمو الحضري.....	148
خلاصة الفصل	150
الفصل الخامس: واقع العمران الحضري بين الستاتيكا والديناميكا	
1- إشكالية البنى السوسيولوجية للمدينة في ضوء التغير التاريخي للعمران الجغرافي.....	152
2- دراسة تحليلية للفضاءات الحضرية في ضوء المنحنيات البيانية للتغير التاريخي للأنساق الإجتماعية	171
الفصل السادس: العمران الحضري لمدينة الأغواط	
تمهيد.....	191
أولاً : الدراسة المونوغرافية لمدينة الأغواط.....	192
1- الموقع الجغرافي والإداري.....	192
2- تاريخ مدينة الأغواط (النشأة والتطور)	192
3- الدراسة الديموغرافية لمدينة الأغواط.....	200
4- دراسة النسيج العمراني لمدينة الأغواط.....	201
5- البنية الإجتماعية.....	203
6- لمحة شاملة لمونوغرافية ضواحي (بلديات) مدينة الأغواط.....	206
خلاصة الفصل	224
الفصل السابع: الدراسة الميدانية	
تمهيد :	226

أولا: الإجراءات المنهجية للدراسة.....	227
ثانيا: تحليل البيانات الشخصية للمبحوثين.....	233
ثالثا : تحليل وتفسير بيانات الفرضية الأولى.....	239
رابعا: تحليل وتفسير بيانات الفرضية الثانية.....	253
خامسا: تحليل وتفسير بيانات الفرضية الثالثة.....	267
سادسا: تحليل وتفسير بيانات الفرضية الرابعة.....	281
سابعا: تحليل وتفسير بيانات الفرضية الخامسة.....	297
ثامنا: تحليل وتفسير بيانات الفرضية السادسة.....	311
تاسعا: تحليل وتفسير بيانات الفرضية السابعة.....	321
الخلاصة والإستنتاج العامـــــــــــة:.....	332
خاتمـــــــــــــة	342
قائمة المراجع	
الملاحق	

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	جدول يوضح نسب التحضر والنمو السكاني في المدن الحضرية	**136**
01	جدول يبين جنس المبحوثين	**227**
02	جدول يبين المستوى العمري للمبحوثين	**228**
03	جدول يبين المستوى التعليمي للمبحوثين	**229**
04	جدول يبين وطن نشأة وأصل المبحوثين	**230**
05	جدول يبين مدة الإقامة بالمدينة	**231**
06	جدول يبين الحالة المدنية للمبحوثين	**232**
07	جدول يوضح علاقة مكان إقامة المبحوثين وشعورهم بالأمان والسلام في الرابطة القرابية	**233**
08	جدول يوضح علاقة تفضيل الإقامة بالمدينة واستحباب الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية	**235**
09	جدول يبين نوع السكن الذي يقيم فيه	**237**
10	جدول يبين الوضعية القانونية لسكان المبحوثين	**238**
11	جدول يبين علاقة وجود أقارب قرب سكن المبحوثين و وجود روابط قوية مع أفراد جماعاتهم القرابية	**239**
12	جدول يوضح طبيعة العلاقات مع سكان الأحياء التي يقيم فيها المبحوثين	**240**
13	جدول يوضح علاقة وجود جيران من نفس صلة القرابة مع وجود تعاطف مع أفراد الجماعة القرابية	**241**
14	جدول يوضح أساس بناء العلاقات الإجتماعية في الحي الذي يقيم فيه المبحوثين	**242**
15	جدول يبين علاقة عدد عوائل المبحوثين من نفس صلة القرابة مقيمين في الأحياء السكنية التي يقيمون فيها، مع رؤية المبحوثين إن كانت القبيلة ذات قوة ونفوذ في المجتمع	**244**
16	جدول يوضح العلاقة بين تغيير مكان الإقامة من أجل مناصرة أفراد الجماعة القرابية والإجتماع إليهم	**246**
17	جدول يوضح وجود صلة قرابية بين الوالدين وشعور المبحوثين بأن هناك روابط قوية مع أفراد جماعاتهم القرابية	**247**
18	جدول يوضح حث الوالدين على زيارة الأقارب وعلاقته بذهاب المبحوثين إلى المناسبات والاحتفالات التي تقيمها القبائل المنتمون إليها.	**248**
19	جدول يوضح العلاقة بين إصطحاب أحد الوالدين إلى ولائم وعلاقته بوجود روابط قوية بين المبحوثين وأفراد جماعتهم القرابية.	**250**
20	جدول يوضح العلاقة بين حديث الوالدين عن الأجداد وعن العمومة و علاقته بقيام المبحوثين بالنعرة والدفاع عن حقوق الجماعة القرابية	**251**
21	جدول يوضح تشبث أولياء المبحوثين بولائهم بالقبيلة، وعلاقة بتودد المبحوثين والقرب من أفراد جماعتهم القرابية	**253**
22	جدول يبين علاقة مناقشة الوالدين لقضايا تخص القبيلة وعلاقته بانحياز المبحوثين إتجاه مواقف تخص أفراد جماعتهم القرابية	**254**

23	جدول يبين علاقة تعريف الوالدين لأبنائهم بأفراد القبيلة وعلاقته بالشعور بوجود روابط قوية بين المبحوثين وأفراد القبيلة	**255**
24	جدول يوضح نصح الوالدين لأبنائهم بالارتباط الزواجي وعلاقته بتودد المبحوثين والقرب من أفراد وعائلات جماعتهم القرابية	**257**
25	جدول يوضح تشبث أسر المبحوثين بولائهم القبلي	**258**
26	جدول يوضح دفع أحد الوالدين للمبحوثين للحضور للأفراح والأتراح التي يقيمها أفراد القبيلة التي ينتمون إليها	**259**
27	جدول يوضح إن كان الوالدين يشكلون قدوة بسبب الانتماء والولاء للقبيلة	**260**
28	جدول يوضح زيارة المبحوثين للأضرحة والزوايا التابعة للقبيلة	**261**
29	جدول يوضح حضور المبحوثين للوعدة والطعم وعلاقته بشعورهم بوجود روابط قوية بينهم وبين وأفراد جماعتهم القرابية أثناء الإجتماعات والمناسبات	**262**
30	جدول يوضح حضور المبحوثين لإحتفالات الفنطازيا التي تقوم بها القبيلة كل عام	**264**
31	جدول يوضح العلاقة بين التباهي بالأصل العرقي للقبيلة وبين رؤية المبحوثين أن القبائل التي ينتمون إليها ذات قوة وعدد وذات حظوة في المجتمع	**265**
32	جدول يوضح اعتقاد المبحوثين بصدق الأساطير والحكايات البطولية عن القبيلة	**266**
33	جدول يوضح العلاقة بين إعتقاد المبحوثين بأن لأجدادهم تاريخ حافل بالبطولات وبين أن تأخذهم الحمية في المواقف التي تكون فيها جماعاتهم القرابية في نزاعات وصراعات	**267**
34	جدول يوضح العلاقة بين قبيلة المبحوثين من القبائل التي بنيت عليها المدينة وبين قيامهم بالغيرة والدفاع عن حقوق الجماعة القرابية	**269**
35	جدول يوضح علاقة جمع أفراد الجماعة القرابية لأموال بقصد المساعدة وعلاقته بتعاطف المبحوثين مع المواقف التي تتطلب التعاطف مع أفراد الجماعة القرابية	**271**
36	جدول يوضح قيام المبحوثين وأفراد جماعتهم القرابية بإحياء المناسبات الدينية	**272**
37	جدول يوضح إحتفال المبحوثين مع جماعتهم القرابية بمناسبات تاريخية خاصة ببطولة الأجداد	**273**
38	جدول يوضح استمرارية القيام بمساعدة أفراد الجماعة القرابية عن طريق ما يسمى بالتويزة	**274**
39	جدول يوضح مشاركة المبحوثين في التصويت أثناء الانتخابات المحلية	**275**
40	جدول يوضح علاقة تقديم المساعدة لمترشح القبيلة وعلاقته بمناصرة المبحوثين لأفراد جماعتهم القرابية	**276**
41	جدول يوضح علاقة حضور الإجتماعات والولائم التابعة لمترشح القبيلة أثناء الحملات الانتخابية وعلاقته بإنحياز المبحوثين إتجاه المواقف التي تخص الجماعة القرابية	**277**
42	جدول يوضح الاهتمام بالحملات الانتخابية لمترشح القبيلة وعلاقته بمناصرة أفراد الجماعة القرابية التي تتطلب المناصرة والإجتماع	**278**
43	جدول يوضح أساس إختيار المترشح المناسب في الانتخابات	**280**
44	جدول يوضح إنخراط المبحوثين في أحزاب سياسية	**281**

45	جدول يوضح حدوث صراعات كلامية بين أعضاء مترشح من القبيلة ومترشحين آخرين وعلاقته بظهور حَمِيّة المبحوثين أثناء الصراعات والنزاعات تتدخل فيها الجماعة القرابية	**282**
46	جدول يوضح الأمور التي تحكم الأحزاب السياسية	**284**
47	جدول يوضح رؤية المبحوثين حول مشاركتهم في الانتخابات المحلية وهدفهم في المشاركة	**285**
48	جدول يوضح حالة المبحوثين إزاء فوز المترشح الذي يساندوه من أصل القبيلة التي ينتمون إليها	**286**
49	جدول يوضح وجود أشخاص من ذوي قرابة المبحوثين في السلطات المحلية وعلاقته بمناصرة أفراد الجماعة القرابية في المواقف التي تتطلب المناصرة والانحياز	**288**
50	جدول يوضح أي من المبحوثين يتدخلون لحل العلاقات والنزاعات مع أناس آخرين في قضايا تهم القبيلة وأفراد جماعتهم القرابية	**289**
51	جدول يوضح إعتقاد المبحوثين حول العوامل الأكثر تأثيراً في زيادة النزعة القبلية	**290**
52	جدول يوضح الحالات التي تستدعي إشراك كبار القبيلة في إطار المعاملات التجارية	**291**
53	جدول يوضح إشراك كبار القبيلة في منح ديون لأحد أفراد المجتمع .	**292**
54	جدول يوضح تسديد الديون لأصحابها في الآجال المحددة .	**294**
55	جدول يوضح الأمور التي تلزم صاحبها التقيد بشروط ومواعيد المعاملات في إطار القبيلة .	**296**
56	جدول يوضح الالتزام بتأدية عباد الصلاة في إطار الجماعة .	**297**
57	يوضح المحافظة على حلقات العلم وتدارس القران الكريم .	**298**
58	جدول يوضح أسس التعامل مع الآخرين .	**300**
59	جدول يوضح سبب التحلي بالأخلاق الحميدة في المجتمع الحضري ومع أفراد القبيلة .	**301**
60	جدول يوضح التنشئة للأبناء والإخوة على الأخلاق الجماعية وإملاءات القبلية .	**302**
61	جدول يوضح سبب الإمتثال الإملاءات كبار القبيلة وجماعة الحي .	**303**
62	يوضح تجنب إثارة الفوضى والخصام مع أفراد القبيلة .	**305**
63	جدول يوضح كيفية التصرف مع شخص من أفراد القبيلة بدرت منه إساءة	**307**
64	جدول يوضح التخاصم مع أحد أفراد القبيلة بسبب عدم تسديد ما عليه من دين	**308**
65	جدول يوضح كيفية التصرف اتجاه من لم يقم بتسديد الديون .	**309**
66	جدول يوضح تمديد آجال الدين للمدين قصد تفادي الصراع داخل القبيلة .	**310**
67	جدول يوضح في الجماعات الصلح لفك الصراع بين المتخاصمين داخل القبيلة مع المبادرة بعقدة جلسات صلح .	**311**
68	جدول يوضح استخدام العنف الجسدي الاسترداد قطعة ارض أو عقاريا تم الاستيلاء عليه بدون وجه حق .	**313**
69	جدول يوضح ادارك الشباب لأهميتهم في بناء المجتمع	**315**
70	جدول يوضح التزام الشباب بواجباتهم اتجاه مجتمعهم وأفراد قبيلتهم	**316**
71	جدول يوضح الأدوار التي يستوعبها الشباب في مجتمعهم وغيرها من أفراد القبيلة محل الدراسة الميدانية .	**318**

72	جدول يوضح مدى الإيمان بالتغييرات الايجابية في المجتمع الحضري خلال أفراد القبيلة .	**319**
73	جدول يوضح مصدر إكتساب ثقافة التغيير في المجتمع في المجتمع الحضري لدى أفراد القبيلة الواحدة .	**320**
74	جدول يوضح أهمية العمل الجماعي في التمسك أفراد المجتمع .	**322**
75	جدول يوضح جذور العمل الجماعي في المجتمع الحضري بين أفراد القبيلة	**323**
76	جدول يوضح المشاركة في العمل الجماعي في المجتمع الحضري من طرف أفراد القبيلة	**324**
77	جدول يوضح مدى مساهمة الثبات اليوم في التغيير الإيجابي في الإطار ثقافة القبيلة .	**325**

فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
01	الشكل(1): التنظيم الإجتماعي	157
02	الشكل(2): الثنائية الخلدونية في المقابلة بين الريف والحضر	175

مقدمـــــة

التاريخ البشري على كوكب الأرض قديم، يعود إلى 14000000سنة حيث عاش الإنسان وهو يتفاعل مع الطبيعة من أجل الحفاظ على البقاء وتلبية الحاجات الفيزيولوجية الضرورية، ولكنه كان يستعمل موهبة الفكر من أجل تحسين معيشته وأحواله، وكان استيطانه بادئ ذي بدء في الأرياف ومع مرور الوقت بدأ يفكر في مشروع إنشاء المدن بجانب المجاري المائية كالأنهار والبحار. والتاريخ البشري الحضاري مر بأربع أنواع من الحضارات: حضارة الصيد، ثم حضارة الزراعة ثم حضارة الصناعة ثم حضارة المعلومات، ومن أوائل العلماء الذين درسوا العلاقة التاريخية بين البدو والحضر العلامة عبد الرحمن إبن خلدون حيث يقول :"قد ذكرنا أن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه، لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليها لأن أول مطالب الإنسان الضروري، ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلاّ إذا كان الضروري حاصلا. فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة، ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجرى إليها، وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها، ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائدهم عاج إلى الدعّة، وأمكن نفسه إلى قيادة المدينة. وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم، والحضري لا يتشوق إلى أحوال البادية إلا لضرورة تدعوه إليها أو لتقصير على أحوال أهل مدينته. ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه، أَنَّا إذا فتشنا أهل مصر من الأمصار وجدنا أوّلية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قراه، وأنهم أيسروا فسكنوا المصر وعدلوا إلى الدعَّة والترف الذي في الحضر وذلك يدل على أنّ أحوال الحضارة ناشئة على أحوال البداوة، وأنها أصل لها، فتفهمه. ثم أن كل واحد من البدو والحضر متفاوت الأحوال من جنسية : فربّ حي أعظم من حيّ، وقبيلة أعظم من قبيلة، ومصر أوسع من مصر، ومدينة أكثر عمرانا من مدينة. فقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والأمصار وأصل لها، بما أن وجود المدن والأمصار من عوائد الترف والدعَّة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورية المعايشة والله أعلم[1].

وفي ثقافة البدو تترسّخ القيم الإجتماعية القبلية القائمة على الانتماء القبلي والتضامن والتلاحم والتعاون والتفاني والتشارك والتعاون والتدافع القبلي ضد المعاطب والمهالك وترسُّخ العصبية في الفرد والجماعة وتصبح القاعدة العامة التي تتحكم في كل التفاعلات الإجتماعية للقبيلة هي الفرد من أجل القبيلة والقبيلة من أجل الفرد، وهكذا قد تقوم حروب ضروس وتُجَيَش الجيوش وتسفك الدماء أنهار من أجل عرض فرد واحد من

1- إبن خلدون، **المقدمة**، 2009، ص15.

القبيلة، إنها العصبية القبيلة الراسخة في المجتمعات العربية القديمة، وبقيت بعض من آثارها وملامحها في المجتمعات العربية المعاصرة ولكن بدرجات متفاوتة، وقد أشار إليها العلامة عبد الرحمان إبن خلدون في الكثير من نصوص المقدمة أثناء معالجته للعمران البشري والإجتماع الإنساني، والعصبية أنواع وأشكال كما جاء في الأطروحات المعرفية السوسيولوجية العالم الإجتماع إبن خلدون « ويقدم لنا إبن خلدون، بادي ذي بدء وهذه العصبية في حالها الأصلية التي تكاد تكون وحشية، فالبادية أساس وقوام هذه العصبية، ولا يمكن في هذا المستوى، ترجمتها إلى اللغة الفرنسية بالقرابة بالعصب فقط، كما فعل ذلك كثير من المؤلفين الذين أضفوا عليها معنى إجماليا، بل ينبغي ترجمتها بالقرابة بالعصب، قرابة الرحم، والواقع أن الضعالة، أعني الزواج بين أفراد الجماعة الأصلية، أمر يبدو و كأنه ضروري في المجتمع البدوي المغربي، فالضعالة تعتبر ضرورة في الواقع، لا مسألة موصى عليها فقط، فالأمر في هذه الحالة يتعلق بقرابة العصب الثنائية : قرابة من جانب الأم وقرابة من جانب الأب الذي ليس هو سوى ابن العم الشقيق لزوجته وهذا ما دفع إبن خلدون إلى أن يقول : أن صلة الرحم طبيعي في البشر ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام.

و واضح أن شكل العصبية في المستوى الثاني يختلف عن الشكل السابق إذ أنه من الإحيائي (بحصر المعنى) ينتقل إلى الإجتماعي (بالمعني الحصري كذلك)، وإنه من الضروري، كي نرى هذا التطور علي حقيقة، أن نميز بين نوعين من التحالف: فهناك التحالف الفردي الذي يتعهّد به الفرد وحده، وهناك الحلف الجماعي الذي يعقد بين قبيلتين أو أكثر من ذلك في آن واحد، أما في الحالة الأولى، فإن الفرد الذي يَنْظَم إلى جماعة أجنبية لسبب من الأسباب ينتهي به الأمر على الرغم من أنه ينظر إليه كما ينظر إلى الدخيل، في البداية، إلى أن يمتصه المجتمع الذي تبناه وذلك بفضل خلاله أو بفضل ذريته بعد وفاته، فقد لاحظ إبن خلدون أنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان ويذهب أهل العلم به فيخفى على الأكثر...

فالعصبية في هذا المستوى الثالث أي المستوى الاقتصادي والسياسي، تستلزم بادئ ذي بدء إنكار مذهب المساواة الخاص بأفراد القبيلة وإخضاع أفراد الجماعة لنظام تسلسلي قوي، ضروري لبروز هذه العصبية، وبفعل الواقع، يفترض هذا النظام التسلسلي وجود زعيم لا يكون محترما فحسب، بل أنه ينظر إليه كذلك نظرة إعجاب ويخشاه سكان القبيلة كلهم، وسيعتمد هذا الزعيم بالضرورة، على أسرته الشخصية، وعلى مواليه، وفي هذا الإطار، فإن العصبية ما زالت غير قادرة على أن تشكل العمود الفقري للدولة، ولكنها تعتبر الوسيلة التي لا بد منها لبناء الدولة، وأنه كي يكون لهذه العصبية وجود حقيقي، من اللازم أن نظم إليها مفاهيم أخرى كالرياسة والحسب والولاء...

وهناك شكل رابع للعصبية، وهو شكل خاص بالمدينة، لذا يمكن لنا أن نسمي هذا النوع الرابع (العصبية داخل الأسوار)، وهذا الشكل الأخير للألفة الذي وصفه عالمنا الإجتماعي، يمكن لنا أن نعبر عنه بالحزب السياسي بالمفهوم الدقيق المحدد وأوضح إبن خلدون تحت عنوان (في وجود العصبية في الأمصار وتغلب بعضهم علي بعض): أنه إذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن القاصية احتاج أهل أمصارها إلي القيام على أمرهم والنظر في حماية بلدهم، ورجعوا إلى الشورى وتميز العلية عن السفلة، والنفوس بطابعها متطاولة إلى الغلبة والرياسة فتطمح المشيخة لخلاء الجو من السلطان والدولة القاهرة إلى الاستبداد وينازع كل صاحبه و يستوصلون بالأتباع من الموالي والشيع والأحلاف ويبذلون ما في أيديهم للأوغاد و الأوباش فيعصوصب كل لصاحبه[1].."

وعلى هذا الأساس نجد أن العصبية أربعة أنواع:

العصبية الدموية القائمة على القيم والمعايير الدموية و القرابية، ثم العصبية الإجتماعية القائمة على التحالفات الإجتماعية بين قبيلتين فأكثر، ثم العصبية السياسية-الاقتصادية حيث تكون الدولة قائمة على القائد الزعيم وأسرته، وهناك نوع رابع من العصبية نستطيع أن نسميه العصبية الحضرية والتي تكون موجودة فقط في المدن، وفي دراستنا هذه اعتمدنا علي العصبية القرابية الدموية، والعصبية الحضرية دون غيرها من الأنواع .

إن الثقافة القبلية السائدة في المدن بما تحمله من شبكات معقدة من القيم والمعايير تحتاج إلى دراسات سوسيولوجية وتاريخية بهدف التحليل والمقارنة والتمييز والاستنتاج والتشخيص الدقيق للمعضلات والأمراض الإجتماعية ومعالجة الأفكار وتحديد السلبيات والإيجابيات الظاهرة في العمران الحضري وانطلاقا من كل ذلك فقد ركزنا في دراستنا هذه علي سوسيولوجيا المدينة و السوسيولوجيا الحضرية وتطبيقاتها على مدينة الأغواط.

وبالاستناد إلى ما سبق يبدو جليا أن جزم الباحثين بأن المدينة ظاهرة اجتماعية، يرجع إلى طبيعة ارتباط المدينة بالتنظيم الإجتماعي الوظيفي– المتعدّد الذي يأخذ أشكالا مختلفة من الأنماط المعيشية، تتراوح بين الأنماط التقليدية والمعاصرة، وتتجلى أساسا في طبيعة ممارسته وتوزيع الأفراد ونشاطاتهم على امتداد المكان الذي يشغلونه. فلا يمكن أن نجرّد المدينة من مفهومها السوسيولوجي ولا من عناصرها الإجتماعية، لأنها في الحقيقة هي إمتداد للحياة الإجتماعية في مختلف مظاهرها سواء الديمغرافية أو الجغرافية أو الاقتصادية أو السياسية ...إلخ .

[1]– عبد الغني مغربي، **الفكر السوسيولوجي عند إبن خلدون**، دار القصبة للنشر ، ب ط ، الجزائر 2006، ص 146، 162.

كما تعتبر الحضرية نمط من أنماط السلوك والممارسات اليومية في المدينة التي تخضع لضوابط النظم الإجتماعية والاقتصادية، ومستمدة من المعايير والقوانين التي تحكم الأنساق الإجتماعية، والتي تشكل التنظيم الحضري العام، كما أنها ترتبط بمجموعة من السّمات والخصائص والتي يمكن إجمالها في ما يلي: الاعتماد والتساند الوظيفي المتبادل بين الأفراد، الحضرية تتناسب طرديا مع عدد السكان، ترتبط الحضرية بالحياة الإجتماعية والصناعية والتكنولوجية التي تساعد في خلق مدن حضرية نوعية، تتميز الحضرية بمرونة الحركة واتساع شبكة التنقلات وظهور مختلف وسائل النقل والمواصلات، ترتبط الحضرية بتنوع الوظائف والمهن والأنشطة، ترتبط الحضرية بتنوع خدمات التعليم والصحة، ترتبط الحضرية بسيادة الثقافة الترويحية، والمراكز الثقافية والرياضية[1] .

العمران السياسي و الاقتصادي للمدينة الذي ينبثق عادة من الانبساط الجغرافي للمدينة بعد أن تكثر فيها المنشآت المختلفة: الجامعات، الملاعب الرياضة، المكتبات العمومية، المجالس البلدية، الولاية، المستشفيات، المسرح..الخ. كلها تؤثر في النهاية في الكم الهائل للتفاعلات الإجتماعية المختلفة بين الفرد والجماعة والتفاعل المستمر بين المؤسسات الميكروسوسيولوجية والمؤسسات الماكروسوسيولوجية داخل المدينة وهذا ما يولّد لدينا في النهاية بنية تاريخية لشبكة العلاقات الإجتماعية نستطيع أن نسمّيها سوسيولوجيا المدينة، والطفل الذي ينشأ في المدينة وتربى فيها يكون عادة نتيجة لإنتشار الصنائع والحرف وتفاعله الدائم مع هذه البيئة التاريخية المستمرة يكون الطفل عادة أكثر كيسًا وفطانة، ونؤكد من خلال ذلك على أن المدينة توفر عادة حظوظا أكثر للناشئة والأطفال والشباب وتدعم نجاحاتهم، وتنمي قدراتهم العقلية، وهذا ما أشار إليه العلامة عبد الرحمن إبن خلدون وأكد أن السوسيولوجيا الحضرية بتفاعلاتها المستمرة تؤثر في نمّو القدرات العقلية لساكني المدن وهي لفتة تاريخية رائعة حيث يقول :" أَلا ترى إلى أهل الحضر مع أهل البدو، كيف تجد الحضري متحليا بالذكاء ممتلئًا بالكيس، حتّى أن البدوّيُ ليظنّه أنه قد فاته في حقيقة إنسانيته وعقله، وليس كذلك. وما ذاك إلاّ لإجادته من ملكات الضائع و الآداب، في العوائد الحضرية، ما لا يعرفه البدوّيُ: فلما امتلأ الحضري من الضائع وملكاتها وحسن تعليمها، ظَنَّ كل من قَصَّرَ عن تلك الملكات أنها لكمالٍ في عقله، وأَنَّ نفوس أهل البدو قاصرة بفطرتها وجبلّتها من فطرته، وليس كذلك، فإنّا نجد من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته وإنما الذي ظهر على أهل الحضر من ذلك فهو رونق الضائع والتعليم، فإن لها آثارًا ترجع إلى النفس كما قدّمناه[2] "

[1] – هادفي سمية، **سوسيولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الإجتماعي الحضري**، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية ، العدد 17، ص 175.

[2] – إبن خلدون ، **المقدمة**، 2009، ص 472.

لكن الخريطة التاريخية للمدينة تقوم على القيم التاريخية المتحركة مثل: قيم الإرادة الإنسانية الحرة، القيم المستقبلية، وقيم الإبداع، وقيم العقل، والقيم الفردية، قيم الانفتاح، قيم التمرد، كما تقوم في الوقت ذاته على القيم التاريخية الساكنة مثل القيم القدرية، القيم السلفية، قيم الإتباع، قيم القلب، القيم الجماعية والقبلية، قيم الانغلاق، قيم الطاعة وهذا ما تؤكده دراستنا السوسيولوجية التي تمت في مدينة في الأغواط كمدينة عريقة في الحضرية.

وتتكون هذه الدراسة من الفصول الآتية :

الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة

الفصل الثاني: القبيلة في منظور السوسيولوجيا

الفصل الثالث: الثقافة القبلية في ظل التغيرات التاريخية للمجتمع

الفصل الرابع: المقاربات المعرفية للتنظيم الحضري

الفصل الخامس: واقع العمران الحضري بين الستاتيكا والديناميكا

الفصل السادس: العمران الحضري لمدينة الأغواط

الفصل السابع: الدراسة الميدانية

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي للدراسة

1- الإشكالية :

البنيـة السوسـيوتاريخية للمجتمـع تقـوم أساسـاً علـى شـبكة العلاقـات الإجتماعيـة في كـل المؤسسـات الماكروسوسيولوجية والميكروسوسيولوجية حيث تتفاعل الوحدات الإجتماعية في مختلف تموقعاتها التراتيبية في البناء الإجتماعي العام إنطلاقا من حالة الفيزيولوجيا التاريخية لشبكة القيم الثقافية السائدة في الجسم التاريخي للمجتمع والدولة، وانطلاقا من التغيرات التاريخية لمنحنيات القيم والمعايير الثقافية المستمرة الذي ينعكس سلباً وإيجابا على البناء التاريخي للحضارة تخلفا وتقدما، وأهم القيم الثقافية الأكثر انتشاراً في المجتمعات المتخلفة هي القيم القبلية حيث أن العروق التاريخية تمثل الأساس في السنن النفسية لتطور الأمم.

"والصفات الخلقية والذهنية التي يتألف من إقترانها روح الشعب هي عنوان لخلاصة ماضيه وتراث أجداده وعوامل سيره، وفي بعض الأحيان تلوح تلك الصفات أول وهلة كثيرة التقلب لدى أفراد العرق الواحد، غير أن البحث الدقيق يدل على اتصاف معظم أفراد هذا العرق في كل وقت بصفات نفسية مشتركة ثابتة ثبات الصفات التشريحية التي تُتَّخَذْ في تقسيم الأنواع، والصفات النفسية كالصفات التشريحية تنتقل بالوارثة إنتقالا منتظمًا مُسْتَمرًا. ويتألف من إجتماع تلك العناصر النفسية التي تُشاهَد لدى جميع أفراد العرق ما نرى من الصواب تسميته بالخلق القومي، ومن مجموع تلك العناصر يتكون المثال المتوسط الذي نتمكن به من تعريف الشعب، ونحن إذا ما أخذنا، اتفاقًا، ألف فرنسي أو ألف انجليزي أو ألف صيني، فإننا نجد بينهم اختلافا كبيرا ومع ذلك نراهم حائزين، بما ورثوه عن عرقهم، صفات مشتركة يمكن أن يستعان بها لتكوين مثال فرنسي أو انجليزي أوصيني مماثل للمثال الخيالي الذي يعرضه العالم الطبيعي عندما يصف الكلب أو الفرس وصفا عاما، وإذا ما طبق مثل هذا الوصف على أجناس الكلب أو الفرس فإنه لا يشمل على غير الصفات المشتركة بين هذه الأجناس، لا على الصفات التي يتميز بها كل جنس من هذه الأجناس[1]".

وعلى هذا الأساس نجد أن الصفات التاريخية للفرد والجماعة تنتقل عبر آليات وراثية تشبه الميكانيزمات البيولوجية الحادثة على مستوى المورثات المركبة لشريط ADN في كل خلية، إنها حالة الوراثة الثقافية الحادثة في المنظمات الإجتماعية والتي أشار إليها عالم الإجتماع الفرنسي "بيار بورديو" في كتابه الورثة، وترسخها عادة التنشئة الثقافية والسياسية للفرد والجماعة عبر مراحل متتالية ابتداء من الأسرة وانتهاء بالدولة، وهذا ما أكد عليه المؤرخ وعالم الإجتماع العربي العلامة عبد الرحمان إبن خلدون لما درس قوانين التاريخ المتأصلة في الجماعة البربرية والعربية والعجمية، حيث لاحظ أن الثقافة القبلية تنتشر بشكل واضح في المجتمعات العربية عبر تاريخ

[1]- غوستاف لوبون، **السنن النفسية لتطور الأمم**، مؤسسة اقرا ، ط1، القاهرة ، 2015، ص 16.

طويل وتتمظهر في أحوال الحرب والسلم والصراع والتعاون " وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النعرة علي ذوي القربى وأهل والأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويَوَدُّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك، نزعة طبيعة في البشر مذ كانوا. فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الإتحاد والإلتحام كانت الوصلة ظاهرة، فاستدعت ذلك بمجردها و وضوحها، وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما تُنُوْسِيَ بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبة بالأمر المشهور منه، فراراً من الفضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه، ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نعرة كل أحد علي أهل ولائه وحلفه للأنفة التي تلحق النفس من اهتمام جارها أو قريبها أو نسبها بوجه من وجوه النسب، وذلك لأجل اللُّحْمَةِ الحاصلة من الولاء مثل لُحْمَة النسب أو قريبا منها، ومن هنا نفهم معني قول (صل الله عليه والسلام) : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ». بمعني أن النسب إنما فائدة هذا الإلتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغني عنه، إذا النسب أمر وهميٌّ لا حقيقة له، ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والإلتحام، فإذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعرة كما قلنا[1].

انطلاقا مما سبق ذكره نجد أن الثقافة القبيلة السائدة في المجتمعات الحضرية تتولد منها مجموعة من القيم الثقافية المتمثلة في: النعرة، الاتحاد والإلتحام والتحالفات والولاء والتلاحم والتضامن وهذه القيم الثقافية القبلية تهدف أساسا إلى حماية الفرد والجماعة من المعاطب والمهالك التي يتعرض إليها من القبائل الأخرى خاصة أثناء الصراعات والحروب والتهارشات الإجتماعية كقوانين في تاريخ الديناميكا والستاتيكا الإجتماعية، ومنه فإن القيم الثقافية القبلية تمثل في النظرية الخلدونية حالة من التضامن الإجتماعي بين الفرد والجماعة (القبيلة) تبرز بقوة في أحوال الصراعات السياسية والأزمات الاقتصادية ويخف أدوارها وخرامها في حاله السلم والإستقرار الإجتماعي، إلاّ أن هذه القيم تبقى مغروسة في الضمير والخيال والشعور للفرد والجماعة تظهر في شكل معايير ثقافية (سلوكات) حسب التغيرات الحادثة في عالم الأحوال والعلاقات الإجتماعية. وهذا ما تشير كثير من الدراسات السيوسيولوجية الحديثة للمجتمعات العربية والتي تدور في فلك العلاقات القرابية في المجتمع العربي المعاصر وما ينتج عن ذلك من مشتقات سوسيولوجية تتماثل في التراتبية التاريخية للقيم المستمدة مباشرة من أنماط المعيشة والوضع الطبقي والعائلة والدين والنظام العام الإجتماعي.

[1] ـ إبن خلدون، **المقدمة**، 2009، ص 157.

"إنَّ العائلة هي من أهم مصادر القيم السائدة في المجتمع العربي خاصة أنها تشكل وحدة إنتاجية تقتضي التشديد على العضوية والعصبية والتعاون والالتزام الشامل بين أعضائها، والذي يتمظهر في النزوع نحو التشديد على العضوية لا على الاستقلال الفردي، فيرتبط الإنسان بالعائلة فيتصرف ويعامل فيها من قبل الآخرين على أنه عضو أكثر منه فردا مستقلا، بذلك تتوحد هويته بهويتها ويشاركها أفراحها وأتراحها، انتصاراتها وإخفاقاتها، عارها وشرفها فقرها وغناها، ويكون مسؤولا بالتالي عن تصرفاته كما يكون مسؤولا عن تصرفات بقية أفراد عائلته، كما يتجلى في حالة حادة وشاذة خاصة بعادات الثأر وجرائم الشرف، ومن هنا إنَّ الزواج تقليديا، كان شأناً عائليا قبل أن يكون شأناً فردياً، ثم إن كل قرار مستقل من قبل الأفراد كان ولا يزال في بعض الأوساط يعتبر خروجا على العائلة وينم عن عدم الاعتراف بجميلها... ويجدر بنا أن نوضح كذلك أن القيم التي تتحكم بالعلاقات ضمن العائلة قد تتحكم إلى حد بعيد بالعلاقات ضمن المؤسسات الأخرى والمجتمع ككل، تَتَعَمّمْ قيم الأخوة والأبوة والرحمة والطاعة، مثلا، إلى مؤسسات الدين والسياسة والتربية والعمل، على صعيد الدين، يسمى المؤمنون أخوة في الدين، ويُلَقَّبْ رجل الدين بالأب أو الشيخ فيتعامل مع المؤمنين على أنهم أبناء وبنات في العائلة الدينية الواحدة، وينتظر منهم الطاعة والاحترام والإكرام التي يتوقعها الأب من أولاده، وفي السياسة يتصرف الحاكم كأب فيشير أيضا إلى المواطنين بأبنائي وبناتي (بمن فيهم الأكبر عمرا) ويتعامل مع المجتمع على أنه عائلة وعلى أنه الراعي والشعب هو الرعية، وكما يتصرف رجل الدين والحاكم، يتصرف الأستاذ تجاه طلابه في المدرسة وصاحب العمل تجاه العمال[1] ".

من جهة أخرى نجد أن ظاهرة راسخة في المجتمعات العربية المعاصرة وهي رَيْفَنَةْ المدن وحَضرنة القرية الذي يرجع أصلا إلي الهجرة من الريف إلي المدينة، وهذا يفسر هيمنة القيم الثقافية الريفية في المدن الحضرية والعربية وقد شكلت هذا الهجرة الداخلية موضوعا دَسِمًا للدراسات الإجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية بمالها من آثار علي الفرد والجماعة في بنية الخرائط الثقافية لمجتمع المدينة. "يشهد العالم في مختلف أقطاره، ومن ضمنها البلدان العربية، هجرة واسعة ومتزايدة من القرى إلى المدن، وبخاصة إلى العواصم التي تنمو، مثل ورم السرطان في جسد الطبيعية والمجتمع... وتجدر الإشارة أخيرا إلى ايجابيات الهجرة وسلبياتها بالنسبة للقرى والمدن والبلدان العربية، كما يبدو من الدراسات العديدة في هذا المجال، بين أهم النتائج التي تجدر الإشارة إليها هنا رَيْفَنَةْ المدينة وحضرنة أو مَدْنَنَةْ القرية، مما قد يعني ردم الفجوات بينها من ناحية، وخلق فجوات أخرى على صعيد التفاوت في مجالات التنمية ومستويات المعيشة والإحساس بالحرمات النسبي والظلم الإجتماعي من ناحية أخرى،

[1]- حليم بركات، **المجتمع العربي المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط2 ، بيروت ، 1985، ص 327.

بسبب قيام علاقات المواجهة وجها لوجه. لقد اختلطت أنماط المعيشة التي كانت سابقا شبه منعزلة ومنكفئة على ذاتها وراضية بتوزيع العمل الذي نشأت عليه، طبعا لمثل هذه التطورات نتائجها السلبية والإيجابية بحسب المنظور الذي نعتمد في تقويمنا للأمور[1] "

إنَّ هذه الهجرات من الأرياف والقرى إلى المدن أدت إلى المحافظة على القيم الثقافية الريفية وهو ما نسميه بالستاتيكا الثقافية فتبقى المدينة العربية خاصة إجتماعية لكثير من القيم الثقافية فتبقى المدينة العربية حاضنة إجتماعية لكثير من القيم الثقافية البدوية، بل إن الفرد العربي حينما ينتقل من الريف إلى بعض المدن العربية يجد أن الخريطة الثقافية لم تتغير بل الخريطة الجغرافية فقط هي التي تغيرت، فنفس القيم والرموز والأخلاق والسجايا والمعقدات والمفاهيم والأمثال والمعايير والتقاليد والأعراف والعادات. تسود في العائلات المدينية.

" وفي ما يتعلق بالقيم العائلية لدى الطبقات التجارية والسياسية والكبرى، نجد أن فكرة العصبية الأسرية والتعاون في ما بين أفرادها، بالتحالف أو التنافس مع الأسر المتشابهة بحسب مقتضى الأمور، ما تزال قائمة، لأن النشاط الاقتصادي لا يزال في أساسه شأناً عائليا ويتمّ بالتوارث من جيل إلى آخر...

كما أن قيمة القيم عند طبقات المدن الفقيرة هي تلاحم العائلة والتضحية في سبيلها والتنعم بدفء الحميمة فيها، منها يستمدون عزاء ومناعة وإحساسا بالسعادة ينبثق من العلاقات الشخصية الوثيقة في دوائر القرابات والصداقات. ولذلك تسود في أوساطهم قيم الأخوة والتعاون والمحبة التي لا يكون من الغريب أن تنقلب بُغْضاً في حالات خيبة الأمل، حين لا يعمل الأقرباء والأصدقاء بموجب ما هو متوقع منهم في الظروف العصيبة وتستمد هذه الطبقات الكادحة الفقيرة من الدين عزاءًا خاصا، فتتمسك بما يقدم لها من قيم الصبر والإيمان والطاعة والامتثال، مما يساعدها على التعايش مع القوى التي تهدّدها باستمرار فتصبح حياتها انشغالا دائما ومرهقا بتأمين حاجاتها اليومية الأولية[2].

ولعل التشابهات الإجتماعية بين الريف والمدينة في المجتمع العربي يرجع إلي الجغرافيا الثقافية المتصلة بين الريف والمدينة إذ الوحدة الأساسية المحركة لكل العلاقات الإجتماعية هي الأسرة والعائلة المواريث الثقافية القبلية.

" مقابل هذا الموقف هناك، موقف آخر نأخذ به، وهو الذي يشدّد على مبدأ الانبثاق الذي يؤكد على التفاعل والتأثر المتبادل، ولكنه يبحث أيضا في علاقة القيم بالأوضاع والبنى السائدة فلا يراها مجرد مسألة اقتباس، إن وجود قيم متشابهة في البادية والقرية والمدينة لا يعني بالضرورة أن هذه القيم مستوردة من إحداهما

[1]- حليم بركات، **المجتمع العربي في القرن العشرين**، مركز دراسات الوحدة العربية ،ب ط ،بيروت، 2000، ص 233.

[2]- حليم بركات، **المجتمع العربي المعاصر**، مرجع سابق، ص 261.

دون غيرها، بل قد يكون التشابه في القيم عائدا إلى التشابه في الأوضاع والظروف والبنى والتنظيم الإجتماعي، هناك في القرية والمدينة أيضا أوضاع تشجع على نشوء قيم العصبية والثأر والمفاخرة والضيافة والعار، ثم إن القيم المستمدة من الخارج لا تقتبس وتنتشر وتستمر في بيئة جديدة ما لم تتوفر في هذه البيئة المقومات التي تشجع علي اقتباسها وانتشارها واستمرارها. إن القيم لا تفرض فرضا، بل تقتبس أو تنبثق عفويا تجاوبا مع متطلبات وحاجات ووظائف وأوضاع وظروف داخلية أصلية، لذلك نجد أن انتقال الجماعات من بيئة إلي بيئة مختلفة سيؤدي إلي حصول تحول في قيم هذه الجماعات وعاداتها... إن رسوخ القيم العائلية في البادية والقرية والمدينة لا يعود لمجرد الاقتباس، بل لكون العائلة هي الوحدة الإنتاجية الإجتماعية الاقتصادية في كل منها، إن هناك أوضاعا عامة في البادية والقرية والمدينة أدت ولا تزال تؤدي إلى التشديد على التنظيم العائلي في تأمين المعيشة والدفاع عن أعضائها، وخاصة حيث تغيب وتضعف سلطة الحكومة المركزية، إن أنماط المعيشة المختلفة في البادية والقرية والمدينة لا تشكل عوالم قائمة بذاتها، بل هي متداخلة فاعلة منفعلة في آن معا"[1].

إنطلاقا مما سبق نجد أن سوسيولوجيا المدينة تمثل أنماط متعددة من أشكال التنظيم الحضري نظرا لتشابك العلاقات الإجتماعية في المدينة وكثرة المؤسسات الموجودة بالمدينة: المدارس، الجامعات، المستشفيات، الملاعب، الرياضية، الأسواق المتعددة، الإدارة المحلية بكل فروعها العمومية، المسرح، الإذاعة...

وعلى هذا أساس نلاحظ أن العمران الحضري يختلف عن العمران الريفي في كثير من النقاط منها: الإختلاف الديموغرافي، الإختلاف في تقسيم العمل بين المدينة والريف والإختلاف في كثير من القيم والمعايير الحديثة لأن هناك تشابها في القيم التقليدية كقيم القبلية بكل عناصرها من جهة أخرى نجد أن الثقافة الحضرية في المدينة تتصف ببعض الخصائص منها: الفضاءات الصناعية والتكنولوجية، تَعقُّد شبكة النقل والمواصلات، كثرة المؤسسات التعليمية، إرتفاع مستوى الوعي والذكاء الإجتماعي، الثقافة التنظيمية المعقدة.

ومدينة الأغواط كمدينة تحتوى علي مختلف أنماط التنظيم الحضري أجريت فيها دراستنا السوسيولوجية التي تهدف إلى البحث في ظاهرة النزعة القبيلة في المجتمع الحضري الأغواطي.

وكان السؤال الرئيسي للإشكالية هو:

هل توجد نزعة قبلية (ثقافة قبيلة) في المجتمع الحضري الأغواطي ؟ لماذا ؟ وكيف ؟

[1]- حليم بركات، **المجتمع العربي المعاصر**، نفس المرجع ، ص 109.

وتفرع عن هذا السؤال مجموعة من الأسئلة:

1- كيف تعمل التنشئة الأسرية على تعزيز الثقافة القبلية في المجتمع الحضري الأغواطي؟

2- هل تعكس وضعية الإقامة في المجتمع الحضري مع الجماعة القرابية مدى تمسك الفرد الأغواطي بانتمائه القبلي ؟

3- هل يساهم الموروث الثقافي في تقوية الانتماء القبلي وزيادة الولاء لدى الأفراد ؟ لماذا ؟وكيف ؟

4- هل تظهر المشاركة السياسية مستوى عالي من التضامن القبلي لدى الأفراد في المجتمع الحضري لمدينة الأغواط ؟ لماذا ؟ وكيف ؟

5- هل يشكل عامل الولاء القبلي دور مهم في الضبط الإجتماعي للأفراد في المجتمع الحضري الأغواطي؟

6- هل تحافظ الثقافة القبيلة على الوعي الشباني كأداة للتغيير الايجابي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط؟

7- هل يسمح الانتماء القبلي بتجاوز مختلف أشكال الصراع بين الأفراد في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط؟

2- الفرضيات :

1- تعكس وضعية الإقامة في المجتمع الحضري مع الجماعة القرابية مدى تمسك الفرد الأغواطي بانتمائه القبلي.

2- تعمل التنشئة الأسرية على تعزيز الثقافة القبلية في المجتمع الحضري الأغواطي.

3- يساهم الموروث الثقافي في تقوية الانتماء القبلي وزيادة الولاء لدى الأفراد.

4- تظهر المشاركة السياسية مستوى عالي من التضامن القبلي لدى الأفراد في المجتمع الحضري مدينة الأغواط.

5- يشكل عامل الولاء القبلي دور مهم في الضبط الإجتماعي للأفراد في المجتمع الحضري الأغواطي.

6- تحافظ الثقافة القبلية على الوعي الإجتماعي كأداة للتغيير الايجابي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط.

7- يسمح الانتماء القبلي بتجاوز مختلف أشكال الصراع بين الأفراد في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط.

3- المفاهيم الإضافية:

3-1 الإنتماء :

***تعريف لغوي:** انتمى انتماء فلان إلى أبيه : أنتسب واعتزى.

وإنتمى البازي: ارتفع من موضعه إلى موضع آخر.

وانتمى فلان فوق الوسادة : ارتفع[1].

[1]- ميشال مراد ،**المنجد في اللغة والإعلام**، دار المشرق، 2008، ص 840.

***تعريف اصطلاحي:**

الإنتماء: حاجة المرء إلى العشرة، إلى الإلتماس العاطفي مع الآخرين، ويتجلى في ميله لأن يكون عضوا في هذه الجماعة أو تلك، وفي التفاعل مع الناس من حوله، وتقديم العون لأعضاء المجتمع وتقبل المساعدة منهم[1].

3-2 القبيلة:

*تعريف لغة: القبيلة : جمع قبائل : بنو أب واحد.

القبيلة :صخرة على رأس البئر.

القبيلة : كل قطعة من الجلد.

قبائل الرأس : قِطَعُهُ المشعوب بعضها إلى بعض.

قبائل الطير : أصنافه.

قبائل الشجرة : أعضائها.

قبائل الثوب : رقاعة[2].

***تعريف اصطلاحا:**

القبيلة: شكل للوحدة الإثنية-الإجتماعية، مميز للمجتمعات البدائية، ما قبل الطبقية، وتتوزع عادة إلى عشائر وبطون واتحادات عشائر، وتقوم على علاقات القرابة، ووحدة الأرض والحياة الاقتصادية واللغة أو اللهجة، ووحدة الانتماء القبلي، والزواج الداخلي[3].

- تعريف اصطلاحي استنتاجي:

الانتماء القبلي: وهو حاجة المرء إلى قبيلته، وإلى التماس التعاطف من أبنائها، وميله إلى الانخراط فيها، والتفاعل مع أفرادها، والتبادل التعاوني مع أعضائها.

3-3 الولاء :

***تعريف لغوى:**

الولاء : المحبة والصداقة.

الولاء : القرب والقرابة.

الولاء : النصرة.

---

[1]- ناتاليا يفريموفا، توفيق سلوم، **معجم العلوم الإجتماعية**، دار التقدم، موسكو، 1992، ص113.

[2]- ميشال مراد ، **المنجد في اللغة والإعلام**، نفس المرجع، ص 607.

[3]- ميشال مراد، نفس المرجع، ص 344.

الولاء : الملك.

الولاء : ميراث يستحقه المرء بسبب عتق شخص في ملكه أو بسبب عقد الموالاة، يقال جاءوا وَلاَءٍ أي جاءوا متابعين[1].

***تعريف إصطلاحي:**

الولاء : الإستعمال العام لهذا اللفظ تعني الروابط والعواطف الروحية والقانونية التي تربط الفرد بالجماعة[2].

– تعريف استنتاجي إصطلاحي:

الولاء القبلي: وهو العواطف والروابط الروحية والقانونية التي ترتبط الفرد بقبيلته.

3–4 تعريف الصراع :

تعريف لغوي : صَرَعَ صَرْعًا وصِرْعًا ومَصْرَعًا: طرحه على الأرض.

صُرِعَ الشَّجَرُ: قُطِعَ وطُرِحَ.

صَرَّعَهُ: صَرَعَهُ شَدِيْدًا.

صَارَعَ صِرَاعاً ومُصَارَعَةً: حَاوَلَ صَرْعَهُ[3].

***تعريف إصطلاحي (الصراع الإجتماعي):**

منذ "أوغست كونت" وحتى الآن يهتم علماء الإجتماع بمحاولة توضيح النظم التي تعدّ ضرورية لتحقيق التكامل والانسجام الإجتماعي، ولقد ظهرت في هذا الصدد نظريتان تنهض كل منها على أساس تطور مختلف، فقد وضعت نظرية "هوبز" حالة أولية إجتماعية للحرب التي يقاتل فيها الإنسان، وتدعمت هذه النظرية نتيجة آراء "داروين" حول الصراع من أجل البقاء، كما ذهب الماركسية إلى أن هناك صراعا أساسيا حول المصالح في المجتمع، ينشأ من العلاقات المختلفة والمتمايزة للأفراد بوسائل الإنتاج، الأمر الذي يترتب عليه صراع طبقي، وقد استمر الخلاف حول دور الصراع في الأنساق الإجتماعية في علم الإجتماع المعاصر سواء في علم الإجتماع الوحدات الصغرى الذي يدرس الأدوار، والعلاقات الإجتماعية أو علم اجتماع الوحدات الكبرى الذي يدرس الأنساق الإجتماعية الثقافية[4].

[1]– ميشال مراد، **المنجد اللغة والإعلام**، نفس المرجع، ص 919.

[2]– فاروق مداس، **قاموس مصطلحات علم اجتماع**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، ب ط، 2003، ص 18.

[3]– ميشال مراد ، نفس المرجع، ص 422.

[4]– فاروق مداس، **قاموس مصطلحات علم إجتماع**، نفس المرجع، ص 297.

التعريف الثاني: الصراع، النزاع : تصادم جوانب وآراء وقوى متعارضة، فيقال الصراع الإجتماعي (بين الأفراد أو جماعات متضاربة المصالح).

والصراع النفسي (بين رغبات متضادة) والصراع الفني (بين الشخصيات التي يطورها العمل الفني) [1].

3-5 الوعي الإجتماعي:

تعريف لغوي:

أ- وَعِيَ وَعَى يَعِيْ وَعْياً الشيء: جمعه و حواه.

وعى الحديث : قبله وتدبره وحفظه.

وعت الأذن : سمعت. والعامة تقول: وعي فلان أي انتبه فلان من نومه أو غفلته.

ب- اجتمع الشيء المتفرق: انظمَّ وتألّف .

واجتمع القوم والشيء المتفرق: تجمّع

واجتمع الغلام: بلغ أَشُدَّه لأنه وقت اجتماع القوى.

إنجمع الشيء: انضمت أجزاءها وتقاربت أفراده.

تعريف إصطلاحي:

الوعي الإجتماعي: مقولة في الماركسية، تقابل الوجود الإجتماعي، وتدل على حياة المجتمع الروحية، الإيديولوجية، آراء الناس وتطوراتهم السياسية والحقوقية والأخلاقية والجمالية[2].

3-6 الضبط الإجتماعي :

تعريف لغوي:

ضَبَطَ ضَبْطًا وضَبَاطَةً: لَزِمَهُ.

ضبطه: قَهَرَهُ وقَوِيَ عَلَيْهِ.

ضَبَطَ عَلَيْهِ: لَزِمَهُ وحبسه.

ضُبِطَتْ اَلْأَرْضُ: عَمَّهَا اَلْمَطَرُ.

تَضَبَّطَهُ: أَخَذَهُ عَلَى قَهْرٍ وَحَبِسَهُ[3].

---

[1]- ناتاليا يفريموف، توفيق سلوم، **معجم العلوم الإجتماعية**، التقدم، ط1، موسكو، 1992، ص 249.

[2]- ناتاليا يفريموفا، نفس المرجع، ص 319.

[3]- ميشال مراد، **المنجد في اللغة الإعلام**، مرجع السابق، ص 445.

الضبط الإجتماعي: الآلية التي بواسطتها يقوم المجتمع أو جزء منه (جماعة، منظمة) بتأمين مراعاة المعايير والقيم والشروط، التي من شأنها الإخلال بها أن يضر بعمل النسق الإجتماعي، ويتم عادة بفرض الجزاءات الإجتماعية على المخالفين، وتتولاه الدولة (عن طريق القوانين) أو المجتمع (عبر الرأي العام وما يتصل به من معايير أخلاقية)[1].

4- تحديد مفاهيم الدراسة :

4-1 المدينة :

عرفها "غراف ماير"بأنها رقعة جغرافية وسكان، داخل إطار مادي ووحدة حياة إجتماعية، تجسد الأشياء المادية وروابط من العلاقات بين الكائنات الإجتماعية. فهي المكان الذي يضم مجموعات سكانية وفق تفاعلات إجتماعية مختلفة فيها بينهما عن طريق ضوابط وقوانين رسمية[2].

وعرفها "لماينر" بأنها مجتمع كامل يحدد أساسه الجغرافي حجم سكانه أو يمكن أن يقارن فيه عنصر المنطقة بالعنصر البشرى .

4-2 التحضر :

هو إنتقال السكان من المناطق الريفية إلى الحضرية وبعد انتقالهم يتكيفون مع المدينة بالتدرج مع طرق الحياة وأنماط المعيشة . وعرفه " ألبرت ريس" أن التحضر يشير إلى انتشار المراكز الحضرية المنطقة الريف المحيط أو القريب والتأثير المنتشر عادة يشير للعادة والسمات المرتبطة بالمراكز الحضرية.

4-3 القبيلة :

هي الفئات سكانية تحكمها مجموعة من القوانين والضوابط من خلال العادات والتقاليد، يسودها التلاحم والتضامن الآلي والعلاقات الغير رسمية وسيادة الضابط الإجتماعي .

أما معجم علم اجتماع يعرفها أنها : وحدة إجتماعية متماسكة تتكون من مجموعة من أفراد تقطن على بقعة جغرافية معينة، تتمتع بدرجة من الاستقلال السياسي، وتتكلم أفراد القبيلة لغة واحدة لها لهجة معينة تختلف عن لهجات القبائل الأخرى التي تتكلم اللغة نفسها[3].

[1]- ناتاليا يفريموفا، توفيق سلوم، **معجم العلوم الإجتماعية** ، نفس المرجع، ص 408.

[2]- مُحَمَّد بومخلوف، **التحضر**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، ط1، ماي 2001، ص36.

[3]- ميشيل دينكن، **معجم علم الإجتماع**، ترجمة : مُحَمَّد إحسان، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، 1986، ص247

4-4 النزعة القبيلة :

ونقصد بالنزعة القبيلة في دراستها الأفكار والانتماءات والولاءات التي يتبنها الأفراد الذين ينضوون تحت قبيلة أو عشيرة من العشائر المتواجدة في تراب الولاية، حيث تظهر النزعة القبيلة في موقف وأحداث ومناسبات معينة، حيث أن الفرد بيدي انتماءا وولاء شديدين لجماعته القرابية ويتعصب لها.كما أن هناك مؤشراتها واقعية للنزعة القبلية وهي : الانتماء القبلي، التضامن القبلي، الولاء القبلي.

4-5 التنشئة الأسرية :

هي عملية يتم بمقتضاها صهر الفرد أو إذا بته في الجماعة بحيث يؤهل للتفاعل الإيجابي والانسجام معها، فهي تلك العملية التي تنتقل من خلالها أنماط التفكير والإحساس والسلوك إلي النشء للتكليف والتفاعل مع المحيط الخارجي .

كما يعرفها البعض على أنها تدريب على أداء الأدوار للحفاظ على بقاء واستمرار البنية الإجتماعية يتطلب تجسيد الأداء أدوار المؤسسة التي تكون النظام الإجتماعي، بتدريب وتهيئة الأفراد[1].

4-6 الوسط الحضري :

ونقصد بالوسط الحضري في دراستنا المجال الذي يحي فيه الفرد في المجتمع الحضري، والذي لا ينفيك عن جماعته سواء أن كانت قرابية أو جوار أو زمالة أو مهنية وما إلى ذلك، حيث أن الفرد يعيش في وسط المدينة كمجال عام وفي وسط حي كمجال خاص، كما نعرف بأن الفرد بات متعدد المجالات في الوقت الحاضر بحيث أصبح متعدد الهويات والمجالات الإجتماعية والعمرانية .

4-7 وضعية الإقامة :

ونقصد بها في دراستنا وضعية الفرد أثناء عيشة بالمدينة الحضرية، حيث نعني بها وضعية إزاء الحي السكني، أو نمط ونوع وطبيعة السكن الذي يقيم فيه، كما نقصد بها حالة الفرد المعيشة من كل النواحي السكنية والإجتماعية والاقتصادية ومستوياتها .

4-8 الإندماج الإجتماعي :

الإندماج الإجتماعي العملية التي تندمج بمقتضاها الجماعات الإجتماعية، والطبقات والأفراد داخل كان اجتماعي أوسع .ويمكن تحقيق ذلك من خلال توسع الحقوق وما يترتب عليها من التزامات، ويظهر ذلك جليا

[1] – أحمد عبد الباسط، **حول العلاقة بين التنشئة السياسية والتربية من خلال تطور التنمية الشاملة**، مجلة العلوم الإجتماعية، جامعة الكويت، عدد4، 1979، ص31.

إما في المجتمعات المواطنة، أومن خلال آليات إجتماعية معينة كالحراك الإجتماعي، والزواج الداخلي والإندماج الحضري. ويعني الاندماج الإجتماعي مثله مثل الانغلاق الإجتماعي والإقصاء الإجتماعي، وجود جماعات مهمشة، وعلاقات الصفوة بالجماهير والتعاون .وقد استخدم هذا المصطلح بشكل موسع في المناقشات الخاصة بالدور الثوري المحتمل للطبقة العاملة (البروليتاريا)، ذلك الدور (الذي يعتقد البعض) أنه أحبط من خلال عمليات إندماج هذه الطبقة، عبر آليات دولة الرفاهية، والتمثل السياسي، وملكية المنزل، وملكية مشروعات الاقتصادية التي ظهرت مؤخرا[1].

أما إستخدامه في دراستنا فيمكن إستخدامه في المجال العمراني والإجتماعي والثقافي والحضري، بحيث أن المهاجرين الوافدين على هذا المجال يصطدمون بأسلوب حياة مغاير لأسلوب الحياة الذي نشأت عليه، سواء وافدة من بوادي أو أرياف أو قرى أو مراكز حضرية أو حتى مدن كبرى. وفي هذا تبدأ إما عملية الاندماج أو التهميش والإقصاء الإجتماعي، كما أننا نقصد الإندماج الإجتماع أنه عبارة عن عملية تكيف الفرد وتأقلمه مع أفراد جماعته القبلية وغير القبيلة بحيث يشكل معهم مجالا رمزيا وإجتماعيا وثقافيا .

4-9 الحراك السياسي :

ونقصد به في دراستنا مأخذين إثنين، الأول منه هو المجال السياسي الذي يحي فيه الفرد في الوسط الحضري وذلك من خلال مشاركته في الحياة السياسية ذلك من خلال الانخراط في الأحزاب السياسية والاهتمام بالشأن السياسي الوطني والمحلي، فضلا عن مشاركته في التصويت ولانتخابات المحلية والوطنية والتشريعية، أما الثاني به فنعني به حراك الأفراد والجماعات القبيلة من الناحية السياسية والذي يظهر في المناسبات السياسية كالاستحقاقات والترشحات وما إلى ذلك. بحيث تظهر الجماعات القبلية بقوة أثناء الإنتخابات الوطنية وبالأخص منها المحلية وذلك من خلال المشاركة في العمل السياسي ليس كانتماء للحزب أو ولاء له وإنما تدعيما لمترشح من العشيرة أو القبيلة .

4-10 الموروث الثقافي التاريخي :

ونقصد به في دراستنا ذلك الموروث الذي يرثه الفرد أثناء عيشة في كنف العشيرة أو القبيلة والذي يكون في شكل سيرورة للأجيال، من الأجداد إلى الأبناء، والمتمثلة في العادات والتقاليد والقيم والأعراف وأصول السكان وصلات الدم والقرابة والتنقلات وكذا البطولات والملاحم والمشاركات البطولية للأجداد وما إلى ذلك من مؤشرات دالة على ذلك.

[1]- جوردون مارشال، **موسوعة علم الإجتماع**، ج1، ترجمة محمد الجواهري وآخرون، ط2، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ص 215.

5- الدراسات السابقة :

تظهر الدراسات السابقة في مساعدة الباحث علي التحكم في الموضوع البحث وفق تجربة سابقة وانطلاقا من هذا استعنا بدراستين سابقتين تقتربان من موضوع بحثنا.

الدراسة الأولى :

تحت عنوان " البنى التقليدية وعلاقتها بالتقسيم الإجتماعي" لـ " طلحة بشير " دراسة ميدانية تحليلية لمدينة الأغواط، لنيل شهادة الماجستير[1].

بحيث أراد إبراز ما يقوم به مجتمعنا على البنى التقليدية وعلى المعطي القبلي كأحد أهم مكوناته الإجتماعية.

وتحتوى إشكالية الدراسة عن مجموعة من التساؤلات نذكر من بينها :

- ما هي طبيعة البنى الإجتماعية السائدة من مدينة الأغواط .
- هل هناك تأثير للبنى الإجتماعية التقليدية على التقسيم الإجتماعي للمجال الحضري للمدينة .
- أين يظهر هذا التقسيم أكثر داخل المجال الحضري في الأحياء السكينة القديمة أم في الأحياء السكينة الجديدة .

من خلال هذه التساؤلات صاغ الباحث فرضيات محورية هي :

- لم تقضي المدن على البنى التقليدية بل استمرت في أداء وظائفها وإنتاج وظائفها وإنتاج العلاقات والروابط الإجتماعية التقليدية داخل المجال الحضري وأثرت فيه .

يتحلى التقسيم الإجتماعي للمجال الحضري للمدينة حسب الروابط الإجتماعية التقليدية في الأحياء والسكينة القديمة أكثر مقارنة منه بالأحياء السكينة الجديدة .

واستخلص النتائج التالية :

- سيادة الإزدواجية في العلاقات والممارسات بالنسبة لسكان التجمعات الحضرية .
- يوجد نزوع نحو اضمحلال وتراجع للبنى التقليدية لصالح العلاقات الحديثة .
- تجلى دور المدينة بخصائصها المجالية والإجتماعية والثقافية والتحديثية في إحداث التغير الإجتماعي نحو التضامن والاندماج الإجتماعي .

[1]- طلحة بشير، **البنى التقليدية وعلاقتها بتقسيم المجال الحضري بالمجال الحضري (دراسة ميدانية بمدينة الأغواط)**، مذكرة ماجستير في علم الإجتماع الحضري، قسم علم الإجتماع، جامعة الجزائر، 02، السنة الجامعية، 2005، 2006.

– بعض الممارسات نجدها في الإحياء الجديدة أكثر منها في الإحياء القديمة مثل الزواج القرابي والطعم وزيارة الأضرحة والسبب في ذلك ربما يعود إلى سكان الأحياء الجديدة منهم حديثي العهد بالمدينة ولا زالت روابطهم قوية بالممارسات التقليدية .

–بينما نلاحظ أن البناء القرابي في الأحياء القديمة أكثر منه انتشارا في الأحياء الجديدة والسبب يعود إلى تاريخ نشوء الحي، حيث كانت البني التقليدية أقوى منه عند نشوء الأحياء الجديدة كما يعود إلى الكيفية التي نشأ بها الحي .

الدراسة الثانية :

تحت عنوان "القيم البدوية بين الثبات والتغير "ل" عطاء الله نوعي "دراسة ميدانية على عينة من شباب مدينة قصر الحيران[1]. فكان التساؤل الرئيسي :

هل التغير السريع للجانب المادي في الحياة الإجتماعية واكبه تغير في القيم .

ومنها طرح عدة تساؤلات منها :

– ما مدى تأثير التحضر على القيم البدوية لدى الشباب .

– ما هو دور التعليم في تغير القيم البدوية لدى الشباب.

– ما مدى تأثير الانخراط في سوق العمل الحديث على القيم البدوية.

– ما هو تأثير عامل الزمن (مدة الإقامة الحضرية) على القيم البدوية لدى الشباب

ومنه إعتمد على فروض مقترحه لبحثها هي:

– كلما ارتفع المستوى التعليمي لدى الشباب كلما أدى ذلك إلى التغير في مواقفهم من القيم البدوية.

– تمكن الشباب في المدينة من الانخراط في سوق العمل الحديث يؤدي إلى تغير موقفهم من القيم البدوية.

– يتغير موقف الشباب من القيم البدوية كلما طالت مدة إقامتهم الحضرية.

– هناك بعض القيم تبقى ثابتة عند الشباب لم تتغير على الرغم من عملية التحضر والتغير.

ومنه استخلص النتائج التالية:

– ما يزال الشباب في الوسط الحضري يقبل أكثر الزواج من المرأة الماكثة في البيت ويفضلها على المرأة العاملة.

[1]– النوعي عطاء الله، **القيم البدوية بين الثبات والتغير**، مذكرة ماجستير، في علم الإجتماع الحضري، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم الإجتماع جامعة، الجزائر 02. العام الجامعي 2007/2008.

– ما يزال الشباب المتزوج في الوسط الحضري يمنع زوجته من الخروج إلى السوق ويرى فيه أمرا معيبا لأن يرى أن عملية التسوق مقتصر على الذكور فقط.

– ما تزال المرأة تعزف عن المشاركة في المنظمات السياسية وهذا لرفض الرجال سواء الآباء أو الأزواج انخراطها في هذه التنظيمات.

6– أسباب إختيار الموضوع :

لا يمكن أن يتم أي بحث بدون أن تكون هناك رغبة وفضول علميا الذي من شأنه أن ينشط ويفعل من نشاطها، وهذه الرغبة تكون من جملة من الأسباب والدوافع التي تجعل الباحث يسعى لإجراء بحثه، فنحن هنا بصدد معرفة دور المدن والتطورات الحاصلة التي مسحت جميع جوانبها فأعطت نمطا جديد هو تغيرات طرأت على حياة الشعوب والأمم، ومعرفتة ما مدى التمسك بالأنظمة التقليدية التي تراها أنها نسق من الحياة .وتقسيم هذه الأسباب إلى قسمين هما:

6–1 الذاتية :

– الرغبة في علمية سوسيولوجية تتناول معالم النزعة القبلية في الوسط الحضري في ظل التطورات الفكرية والعقلانية في المنطقة .

–انعدام الدراسات بهذا الصدد، والذي هو موضوع حساس قد يمس مختلف الجوانب الإجتماعية الأخرى.

–تواجد الباحث بالمدينة التي قد نقول أنها مازالت تتخللها بعض عشائر القبيلة، وعلى سبيل المثال الصراعات القديمة بخصوص الأراضي الزراعية والعقارية الموروثة أبا عن جد وترسيم حدودها بين العشائر، وهذا منذ زمن بعيد، وخير دليل أنبوب الغاز لشركة (سونطراك) العابر إلى ايطاليا، وما ترتب عنه من نشوب خلاف تحول لأحقية بكراء الأرض والتي تجاوزت حدودها، إلى نزاعات أخرى .

6–2 الموضوعات :

– شيوع ظاهرة الولاء والانتماء إلى القبيلة بين الأفراد المجتمع الحضري لمدينة الأغواط.

– ظهور حدة وشدة انتماء الأفراد لجماعتهم القبلية في مناسبات ذات طابع اجتماعي، ديني، ثقافي وسياسي.

– الرغبة في دراسة هذا النسق الإجتماعي دراسة سوسيولوجية ومعرفة مدى فعاليته في المجتمع كذلك معرفة خصائصه وتركيبته الإجتماعية ودورها في المجال الحضري.

–كما أن الموضوع يندرج في سياق علم اجتماع الحضري لأننا نجده يدرس عنصر بارزا من عناصر قيام المدن وتحضرها.

-كما أن هناك رغبة في كشف أو معرفة الحياة الحضرية وعلمية التحضر التي تأتي عن طريق قيام المدن وتطورها.

- تقدم وتوفير دراسة سوسيولوجية حول أدور وثقل القبيلة داخل الوسط الحضري.

7- أهمية البحث والهدف منه :

يعتبر موضوع الحضرية مدى تأثيره على الأنساق الإجتماعية من أهم المواضيع الجديرة بالدراسة، خاصة في ظل التطور الهائل للحياة الإجتماعية التي تواكبها التكنولوجيا الحديثة، بحيث نجد علي سبيل المثال في مناطق الجنوب التي الجنوب التي مازلت تشهد بعض معالم التمسك الإجتماعي التي بدورها تترك آثارا قد تورثها للأجيال القادمة، فمن هذا المنطلق تكمن أهمية الدراسة في أن هناك أهمية عملية ومجتماعاتية.

7-1 العلمية :

- نجدها تساعدنا علي معرفة الأثر أو الدور الإجتماعي للقبيلة من خلال مبادئها وعناصرها الإجتماعية.

- تمكن الساسة والمخططين من معرفة المجتمع التي تتواجد به هذه العلاقات الغير رسمية لجعل استراتيجيات مستقبلية لفك النزاعات والصراعات التي قد تحدث بين القبائل .

- التعرف على الأدوار القيمية للقبيلة للمجتمع وإزاء الحكومات. وكيفية مجاراة السلطات لهذا النسق الإجتماعي برغم أنه غير رسمي إلا أنه يؤثر على التنظيم العام ويفعل من سيرورته.

- معرفة سمات المدن ومدى استيعابها للنظم الإجتماعية التقليدية، من بلورة القيم وعادات الأفراد التي قد تتأثر بخصائص المدينة ومميزاتها.

7-2 المجتماعاتية :

- نجد أن القبيلة عنصر هام من عناصر المجتمع وخاصة في الشعوب العربية فهي نتيجة لامتداد تاريخ أسري فدراستها داخل الوسط الحضري تكمن في أنها :

- تساعدنا في الكشف عن أثرها في تماسك الأفراد والمجتمع ومدى تأثيرها على سلوكات الشباب وأنماطهم الإجتماعية في مدينة الأغواط.

- تمكننا من معرف والضوابط التي تحدثها في المجتمع والامتزاج الذي يحدث بينها وبين الوسط الحضري وكذا الآلية التي تسير عليها مع الضوابط الرسمية (الحكومات).

-كما تساعدنا هذه الدراسة على خصوص في مدينة الأغواط في معرفة دور التحضر وتأثيره على هذا النسق الإجتماعي (القبيلة) والتغيرات التي تحدثها الحضرية في مبادئ ومعالم القبيلة وكيفية التناسق والانسجام.

8- أهداف الدراسة :

تعد ظاهرة التحضر ظاهرة إجتماعيةوعالمية تعاني منها المجتمعات النامية والمتقدمة على حد سواء، وتأتي أهمية هذه الدراسة كونها من الدراسات القليلة في مثل هكذا مواضيع، وأيضا للكشف عن أبعادها هذه الظاهرة، من حيث دراسة أهم النتائج التي تؤدي إليها علمية التحضر، وخاصة النتائج الاقتصادية لما لها من تأثير على حياة المواطن اليومية، وتأتي الأهمية الثانية للدراسة من محاولتها الكشف عن مقومات النظام القبلي وحيثياته الفعالة في المدينة العصرية، ومدى تأثير التحضر في نظام القبيلة من تماسك أو تلاشي للعادات والتقاليد التي هي من مقومات القبيلة، حيث يوجد للزيادة السكانية دور رئيسي في نمو المدينة عمرانيا واقتصاديا، تلك الزيادة التي لم تنتج فقط عن الزيادة الطبيعة وإنما ناتجة عن الهجرات المتتالية إلى المدينة ووفود أعداد كبيرة من السكان التي من شأنها تؤثر على العلاقات والقيم الإجتماعية.

من خلال كل دراسة إجتماعية للظواهر الإجتماعية ووجود أهداف موجودة هي :

- محاولة التعرف عن العوامل الرئيسة المؤثرة في زيادة تمسك أفراد المجتمع الحضري بجماعاتهم القبيلة وانتمائهم وولائهم لها.

- التعرف إلي ميزات وخصائص القبيلة وفعاليتها في مدينة الأغواط.

- دراسة مشكلة التحضر، وتحليل عناصرها، والآثار الناجمة عنها، وما يميز هذه الدراسة هو محاولة تحليل السياسات الحكومية المتعلقة بالتحضر.

- معرفة أنماط ومظاهر نظام القبيلة بمدينة الأغواط، وتأثيرها على الأفراد المقيمين بها والوافدين إليها.

-الكشف عن التأثيرات التي تخلفها القبيلة في حياة الأفراد والمجتمعات.

- إبداء صورة مقربة وواضحة عملية عن مدينة من مدن الجنوب الجزائري (الأغواط) والتغيرات التي طرأت عليها من تحضر وتطور في شتي الميادين.

- مثل هذا النوع من الدراسات قد يساعد في فهم طبيعة المشاكل الناجمة عن التغير السريع وغير المدروس للمدينة، وخصائصها ومشكلاتها والمساعدة في البحث عن الحلول التي قد تحد من تفاهم المشكلة، والتعامل مع الآثار السلبية الناجمة عنها.

- تقديم دراسة سوسيولوجية لنظام القبيلة في الجنوب الجزائري (مدينة الأغواط) من مميزات وخصائص وسمات يمكننا أن تفيد العامة والخاصة.

الفصل الثاني
القبيلة في منظور السوسيولوجيا

تمهيد:

تعتبر القبيلة من بين أبرز المواضيع التي لاقت رواجا منقطع النظير بالبحث والتحليل والتنظيم وأخذت القبيلة المغاربية القسط الأوفر من الدراسات والبحوث سواء الغربية أو العربية وشكلت المناهج بمختلف مراحلها قاعدة فذة للخوض في حيثيات هاته الظاهرة المتأصلة والمتخذة في المنطقة العربية المتوسطية ولاسيما الجزائر: لهذا سوف نستعرض خلال هذا الفصل إشكالية القبيلة في الدراسات الإجتماعية تتوج بعرض لأهم المقاربات السوسيولوجية لمفهوم القبيلة مع عرض ملامح الدراسات الإجتماعية حول القبيلة في الجزائر ودور المنهج التعددي في مقاربة موضوع الظاهرة القبيلة.

1- إشكالية القبيلة في الدراسات الإجتماعية:

يعتبر الموروث المعرفي على اختلاف أشكاله ومداخله من بين أهم الركائز النظرية لدراسة الواقع الإجتماعي بمختلف مؤشراته وأبعاده بل وأن هاته الدراسة نشرت في كل الميادين ومزجت بين السوسيولوجيا والآنثربولوجيا لفهم واسع ودقيق لعناصر القبيلة وما لازمها وما البحث الكولونيالي إلا وجها بارزا في أوجه النظرية لاسيما وأنه قدم من المفاهيم والتصورات ما يفسر إلى حد كبير حياة الريف ونسق القبيلة وبالضبط في المغرب العربي. ليس خفيا على الباحثين والناقدين وأهل الاختصاص تركيز البحث الكولونيالي على القبائل "البربرية " في شمال إفريقيا ولاسيما الجزائر كونها أحد المجموعات القبلية المستقرة من الناحية الجغرافية ولعل الدراسات قد تعددت في هذا الجانب وخاصة التقييم الذي بدأه "بيرك" (1850-1950) في مقالته الشهيرة بحوليات 1956 والتي جاءت بعنوان مائة وخمسة وعشرين سنة في علم الإجتماع الشمال الإفريقي[1].

وبغض النظر عن ما تناولته هذه البحوث والدراسات حول القبائل المغربية(المغرب العربي) ولاسيما قبائل البربر فإن البحث في ثنائية ريف مدينة أصبح ضرورة ملحة بعد أن تجاوزنا مرحلة الاستعمار وكانت الموجة الجديدة آنذاك تتناول التحولات في أرياف المحلية وعلاقتها بالإنجازات التي أحدثتها المؤسسات الحكومية أو تلك التي ترجمت لاحقا في شكل سياسات التمليك العقارية وكذا الفلاحية كتحصيل حاصل لما أحدثتة المؤسسات الاستعمارية سابقا.

وعموما فقد إستبدل التركيز على البناء الإجتماعي في الريف بالتركيز على البناء الإجتماعي في المدينة لاسيما توطد أقدام الاستعمار في المنطقة وتهدئة الأرياف مما افرز حالة من النقلة النوعية بين الشكل الأول القبيلة والشكل الثاني المدينة أو الحضر ولدت مجال من الصراع الضمني حول مناطق تركيز السلطة فتحولت نوعية الصراع من الانتفاضة القبلية إلى المعارضة السياسية الحضرية (الحركة الوطنية) وهكذا سينتقل الصراع من البادية إلى المدينة ومعه البحث السوسيولوجي، ويمكن تفسير ذلك بالقول أن أي حديث عن القبائل أو المجموعات التقليدية موقفا مناهضا لمشروع التحديث والإصلاح الوطني الذي يترجم الحياة الإجتماعية في المدينة وكأن من إستراتيجيات هذا المشروع إحداث قطيعة مع الطبوع التقليدية على غرار القبائل والزوايا وغيرها. ولعل هاته الإستراتيجيات تأخذ بعدا استعماريا في جذورها كونها مؤسسة على خلفية التفكيك من مُسَلَّمَةْ فرق تسود

[1] – محمد نجيب بوطالب: **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب** ،سلسلة أطروحات الدكتوراه ،41 مركز دراسات الوحدة العربية ،ط2، بيروت، لبنان، 2009، ص67.

الذي مارسه المستدمر لسنوات طويلة في دول المغرب العربي على غرار الجزائر وهوا ما يحلينا إلى البحث في لامح الدراسات الإجتماعية حول القبيلة في الجزائر[1].

2- المقاربات السوسيولوجية لمفهوم القبيلة:

2-1 المقاربة البيولوجيــة:

مما لاشك فيه أنا البعد البيولوجي أحد الركائز الهامة في الدراسات الهامة في الدراسات العلمية ولاسيما السوسيولوجيا والأنثرولوجية أين يتم البحث في تركيبة السكان وأصل السلالة للتوصل في قراءات معمقة ذات الصلة الوثيقة بجوانب الحياة الإجتماعية ولقد ركزت هاته المقاربة بدراسة الجانب السلالي من مدخل جينالوجيا القبائل كمنطلق لفهم عناصره (القبيلة) التي تكاد لا تغدوا جملة فرق تستمد كل منها تسميتها من أصلها ثم من العائلات الوجيهة التي كانت تشكل عناصرا لها وعلى هذا الأساس فإن القبيلة تستمد أصلها من وحدتها وتقوم على أساس التعايش ضمن إطار جغرافي مشترك وعلى حد قول "ميشوبيلر" فإنها كيان قائم على وحدات مشتركة في أصلها أو بالمعنى المجرد إنما هي اتحاد بين أسر كبيرة على اعتبار أن الأسرة الكبيرة كانت هي أساس التشكيلة الإجتماعية وليست القبيلة[2].

بيد أنه سرعان ما تم إمتصاص الأسرة من حيث البنى مع تشكيل القبيلة كوحدة متينة ذات أسس مختلفة قرابية وجوارية وكرونولوجية وغيرها أو بالأحرى البحث في ثنائية الوحدة والانتماء إلى نفس الأصل المشترك ما يُحيل القبيلة إلى أن تكون اقرب ما يقال عنها أنها عصبة غالبة وجامعة لعصبيات أقل حد منها ممثلة في الأسر ما يكسب القبيلة عصبية أقوى من جميعها.

مما لاشك فيه أن عنصر العصبية من بين المواضيع البارزة في السوسيولوجيا لكنها في مجملها تُحِيلُنَا إلى تصور إبن خلدون للقبيلة كمجمع للعصبيات وان كان مفهوم العصبية عند إبن خلدون لا يقتصر على رابطة النسب وحدها بل يضاف إلى مفهوم الجاه أو الحسب وفي المفهوم الخلدوني يوازي "الشرف" ويقول في هذا إبن خلدون أن بتلك العصبية والنسب الواحد تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم إذ نعرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم ...[3].

---

[1] – عبد الفتاح الزين ، **السوسيولوجيا في المغرب** ، من إعلان الحماية الفرنسية إلي المرحلة الراهنة المستقبل العربي ، 146ع ، بدون س ن ، ص 123

[2] –Andre Adam bibliograhie critique de soiologie d'ethnologie et de geographie humaine . du maroc .parual universite Rene Descartes – pasissir donne .1968. p 41

[3] – عبد الرحمن إبن خلدون ، **المقدمة** ، دار الكتاب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ب ط ، ص 244.

والمقصود من هذا كله أن العصبية تعني التمسك الإجتماعي أو روح التضامن إذ أن الجماعات البدوية تبدي رغبتها في ألفة قوية تجمع بين أعضاء المجموعة سواء على طواعية أو إجبارية كونهم يندمجون جميعا اندماجا كليا في الجماعة ما يفسر لنا حالة من الإلتحام القبلي أو القرابة بالعصب كما يحلو لعلماء الإجتماع تسميته.

وعموما فإن أصل الكلمة (عصب) أي إحكام الرأس أو محيط الرأس بوشاح والكلمة لازالت متداولة في الولايات الجنوبية من الجزائر على غرار الجلفة والأغواط إلى حد الساعة ما يحلينا إلى القول بأن العصبية تعني الترابط والاتحاد والجماعة ذات القول وقوفا على قوله تعالى: **(قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ)**[1] وفي نفس السياق يقول النبي ﷺ: **(العصبية أن يحب الرجل قومه. كلا)** إنما العصبية أن يعين الرجل قومه على إرتكاب المظالم".

فالنبي ﷺ حين أشار إلى العصبية القبلية خروج عن القانون إنما أراد في الواقع أن يسحق العنصرية في مهدها ويستهدف الإسلام جميع مجتمعات الأرض لا مجتمعات شبه الجزيرة العربية فحسب، فمن الوحدة المبنية على العلاقات العضوية والخاصة بالجاهلية تنتقل إلى الوحدة الروحية التي تؤلف بين قلوب جميع الناس"[2]، وهذا ما يحيلنا في مرحلة متقدمة إلى مفهوم النسب كأحد الروابط القبلية والعصبية والتي تفسر إلى حد بعيد لحمة الولاء وفي هذا يستشهد "عبد الرحمن إبن خلدون" بقول النبي ﷺ تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم.

2-2 المقاربة الإنقسامية:

يعتبر "ميشوبلير" من بين الذين تزعموا هذا الإتجاه والذي يرى القبيلة من منظور الشجرة المتأصلة في الأرض بأصل أو جذر واحد بالرغم من تفرعاته المتشعبة والمتطورة على شاكلة توالد مستمر يؤدي إلى خلق آلية أو ميكانزيما إنشطارية ترافقها ميكانزيما مضادة إنصهارية أو أن كلا الآليتين متداخلتين ففي الوقت التي تظهر فيه بعض الأغصان الفرعية فإن أخرى تعمل على الإندماج والانصهار ما يشكل حالة من الحلقة المغلقة في التفرعات التي هي نتاج تطور الأصل. ومن ثمة فان المقاربة الإنقسامية ترى للقبيلة على أنها بنية عليا تشكلت عن الوحدة العائلية كأصل وكبداية لتشكل القبيلة أو كما يقول "دوركهايم" عنها بأنها تكدسات بشرية مماثلة فيما بينها[3]، وهاته المماثلة والتي شبهة بالأغصان المتفرعة من الشجرة إنما تستدعي ضرورة المساواة مضافا إليها عامل الانتماء إلى نفس الأصل (جذر الشجرة) ما يلغي ظهور التراتبية الإجتماعية.

---

[1]- القرآن الكريم ، **سورة يوسف** ، الآية 14.

[2]- عبد الغني مغربي ، **الفكر السوسيولوجي عند إبن خلدون** ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006، ص ص 150،151.

[3] - E. Durkheim . Division du tsauai(Soial .P.U.S .1967. 8 eme es R P 12 -15

لا ننفي أن هذا الطرح تعرض لانتقادات لاذعة يقف في قمتها أن فكرة المساواة ماهي الايديولوجيا تفرزها القبيلة لإخفاء مظاهر اللامساوات بين أفرادها لاسيما وأن القبيلة لم تكن قط متجانسة بقدر ما كانت الطبقية ظاهرة للعيان ما يفتح المجال على مصرعيه أمام الصراعات والنزاعات الداخلية منها وكذا الخارجية بين القبيلة والقبائل المجاورة لها "إن انعدام وجود تفاوت اجتماعي حسب الانقسامين يصبح معه وجود سلطة سياسية شيء زائدا. فمادام التفاوت الإجتماعي غائبا فان السلطة السياسية بدورها ستكون غائبة ذلك أن ولادة السلطة السياسية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا استطاع شخص من بيم أفراد القبيلة التميز عن الآخرين وتركيم وسائل العنف والقهر"[1].

2-3- المقاربة التطورية:

يتزعم هذا المذهب "روبير مونطافي" من خلال ما قدمه و إضافة حول النظريات التي فسرت القبيلة على اعتبارها استجابة لمطلب معين لا تظهر إلا في ظروف خاصة تأخذ أبعادا سياسية تستدعي الوحدة خصوصا إذا ما تعلق الأمر بالتهديد الخارجي لأمن واستقرار القبيلة، وفي هذا المستوى من التنظيم الإجتماعي والسياسي تبقى المساواة نسبية طالما أن ممثلي القبائل في الغالب مايكونون سليلي أسر قوية وغنية. وكل قبيلة تمتلك في الواقع مجموعة من الأسر ومن يتزعمون هاته الأسر من الرجال الشداد وأصحاب النفوذ والمال هم الذين يؤطرون قرارات القبيلة .

على غرار ذلك فإن هاته المقاربة قدمت تعريفا لمفهوم القبيلة إنطلاقا من معاينة جملة التحولات التي عرفتها بنيتها على مر التاريخ خاصة من الناحية السياسية وعليه تقترب القبيلة من التطورات والتقلبات التي عرفها النظام السياسي وفي هذا فقد ميز "روبير مونطافي" في ظل هاته المقاربة التطورية أربع مراحل لأنظمة الحكم القبلي[2].

- المرحلة الأولى: الحكم الجمهوري الديمقراطي

خلال هاته المرحلة تكون القبيلة مُشَّكَلَة من المداشر (وحدة مبنية على عامل النسب أساسا) والفخذة (تضم قرابة أربع مداشر مجتمعة) وكذا الفرقة (تتأرجح من ثلاث إلى خمس فخذات تكون سياسية أكثر) هاته الفرق في مرحلة لاحقة تشكل قبيلة.

[1]- ظريف محمد، **تاريخ الفكر السياسي في المغرب** ، دار إفريقيا للنشر،المغرب، 1989، ص 86 .

[2]- حليم عبد جليل، **البحث السيسيولوجي في المغرب** ، مجلة كلية الأداب بفاس ،المغرب ، عدد 6، 1982، ص 25 .

– المرحلة الثانية: حكم الشيوخ (الأمغارات):

تبدأ هاته المرحلة بظهور زعامة سياسية والمتمثلة في ظهور الأمغار الذي يلجأ في الغالب إلى وسائل العنف والقهر حتى يتاح له الاستبداد بالسلطة وفي هذا يقول "مونطافي" مهما كانت يقظة مجالس الأعيان فأننا نلاحظ دائما بروز رجال بالنسبة لهم حُب الشرف والمال أو الزعامة لا يتماشى والإطار الضيق الذي أغلقهم فيه التقاليد[1].

وهكذا ففي كل القبائل حتى في تلك التي تختلف في نظم حكمها تتعالى فيها الزعامة المتسلطة المحتكرة للسلطة التي يمارسون سلطة استبدادية تظهر في شخص أمغار وتبحث عن السلطة الشخصية .

– المرحلة الثالثة: كبار القواد:

هاته المرحلة إنما هي تحصيل حاصل للمرحلة التي سبقتها لاسيما وأن حكم الأمغارات تحمل في داخلها إرهاصات وبوادر حكم جديد يحتكم إلى اختيار خيرة أولئك الأمغارات ما يستدعي ظهور كبار القواد ويمارس سياسة عليا ويساير مرحلة المواطنة والمدنية مما يجعل هاته المرحلة بمثابة القطيعة مع سلطة القبيلة وشيوخها ليبدأ التوجه نحو مرحلة جديدة من التكتل الإجتماعي والسياسي.

2–4– المقاربة اليقظة (جاك بيرك):

شكلت هاته المقاربة أو المفارقة بالنسبة لسابقتها منذ نشأتها مركزا حياديا يرفض كل تعميم، إنطلاقا من حالة مزدوجة التحديد ما جعل كبار هاته المقاربة يطلقون عنها باليقظة أي الواعية بحدودها النظرية حيال دراسة القبيلة .وقد شكل البحث في الاختلافات والفوارق اللبنة الأولى لدراسة البنيات الإجتماعية مع الاهتمام بالتعددية الأشكال التنظيمية ولقد اهتم "جاك بيرك" في دراسته بسكان الأطلس الكبير مع دراسة القبيلة ضمن سيرورتها التاريخية (الكرونولوجية) ومن بين ابرز المفاهيم التي عرضها بيرك كل من علاقة القبيلة بالدول وصراع السلطة وعلاقتها بالموطن .

انطلق بيرك في دراسته للقبيلة في دراسة المجتمع القروي وبشكل أدق المجتمع الزراعي الذي يحتكم إلى الأرض في علاقاته وتعاملاته وما سيفرزه هذا النمط من عناصر نتاج العلاقة مع الوسط الطبيعي أو ما يسميه بالأساس أو الجوهر الطبيعي "هذا التداخل بين الإنسان ووسطه القروي أو الزراعي هو الذي سيحدد في نظره الشكل المجتمعي لقبيلة معينة أو مايطلق عليه "سكساوة" بالنسب إليه"[2].

[1]– حليم عبد الجليل ، **البحث السيسيولوجيا في المغرب** ، نفس المرجع ، ص 26.

2- J. Berpue: **Seksawa- recherche sniles structures sociales du haut atlasoccidental** .paris 1954. p174.

وقصد الإلمام بجوهر القبيلة والبحث في حيثياتها رواسبها ومآلاتها فقد قدم "بيرك" إشكال نظري آخر لا يقل أهمية، يتمحور حول محاولة قراءة أو إعادة كتابة التاريخ الإجتماعي لشمال إفريقيا من منطلق دراسة العلامات وما يمكن أن توفره من إمكانيات في فهم الكرونولوجيا السوسيوثقافية لهاته المنطقة أو المجتمع المغاربي، وفي هذا يقول "جاك بيرك":"لقد سعينا فقط إلى تأكيد أهمية العلامات في فهم جانب من الظواهر الإجتماعية في شمال إفريقيا لأن هذه المنطقة ظلت باستمرار أرض البحث عن هوية الذات بالاستناد إلى التأويل أو التأكيد أو الخداع أو بواسطة الاندماج أو الانشطار ففي حياة الكلمات يكمن قسط من التاريخ ومورفولوجية المجموعات"[1].

وبالنظر إلى المبدأ الذي أنطلق منه"جاك بيرك" والمتمثل في البعد التاريخي لدراسة القبيلة التي يشبهها بالفسيفساء المتداخلة المترابطة فرغم تعدد ألوانها وتمايز جزئياتها إلا أنها تشكل وحدة واحدة تجتمع في نسق واحد ومن ثم فإن هذا التباعد الضمني سيشكل فقط إحدى اتجاهات القبيلة الممكنة نتاج التقلبات التي فرضتها بالسيرورة التاريخية وفي ذات السياق فإن تقارب جزئياتها الممثلة في الأسر والأفراد تسمح بتطورها ونموها بالاحتكام إلى الاندماج والتجميع في وجود فاعل والعوامل ساهمت في تبني هاته التكتلات.

وعلى النقيض من ذلك يُنَوِه "جاك بيرك" أن طغيان عامل الكسب والمعاش مع ما يترتب عن ذلك من حروب وصراعات يساهم في فهم الضعف الذي يقترن بالتشتت في التنظيم القروي خصوصاً والتنظيم القبلي عموما وهذا التصور يحيلنا إلى الحديث عن تكتل بشري معين يتخلله صراع مع الطبيعة والتاريخ أو بالأحرى مع الحياة وأن هذا الصراع يستدعي الديناميكية والتحرك فإن ذلك ساهم بقدر كبير إلى عدم التوصل لمفهوم واضح ودقيق عن القبيلة، بيد أنها في ظل المقاربة التي قدمها "جاك بيرك"هي عبارة عن جمعية سياسية مبنية على عدة عوامل تتمثل في علاقة الإنسان بمحيطه وأفراد بيئته والتكنولوجيا المحيطة به ومن ثم فهي نتاج غلبة الإنسان الاقتصادي[2].

وختاما فإن المقاربة اليقظة والتي يتزعمها "جاك بيرك" من خلال دراسته لقبائل سكساوة، ومن خلال الإستنطاقات خصوصا الوثائق وأسماء والأماكن و الأعلام و اللجوء إلى المصادر الشفوية استطاع إبطال التصور الاستعماري السابق خصوصا إفريقيا الشمالية من خلال فرضيته القائمة على العلاقة الجدلية بين التنظيمات القبلية والمحيط الجغرافي.

[1]– عبد الله الحمودي، **الانقسامية والتراتب الإجتماعي والسلطة السياسية القداسة** ، ملاحظات حول الاطروحة كيلز، الآنثربولوجيا والتاريخ، م س، ب ط، ص129.

[2]– J. Berpue: Seksawa, op, cit, p367.

2-5 المقاربة الماركسية:

يعد "كارل ماركس" أب هذا التوجه النظري والمؤسس الأول له حيث ذاعت إسهاماته في علم الإجتماع خصوصا لتشمل كافة عناصر الحياة الإجتماعية وإن كان قد ركز على مفهوم الصراع في إطار الطبقات الإجتماعية إلا أنه وفي الوقت ذاته لم يهمل ظاهرة الملكية ولاسيما الملكية الجماعية للأرض وكيف يمكن لهاته الأخيرة أن تشكل مخبر الصراع، صراع من أجل إحكام السيطرة والنفوذ من خلال منفذ الملكية ولعل "ماركس" من بين العلماء الذين ركزوا في دراساتهم على منطقة العربية المتوسطية ولاسيما الجزائر عندما يتحدث عن الملكية إذا يقول:« الجزائر التي تحتفظ -بعد الهند- بأهم آثار الشكل القديم للملكية العقارية، فقد كانت الملكية القبيلة والعائلية المشتركة الشكل الأكثر شيوعا فيها ...[1] وفي هذا الشأن يعتبر "ماركس" أن الملكية الجماعية للأرض ظاهرة استحدثها العرب كونها إلى حد بعيد بنية المجتمع القبلي وتتيح له سلطة الاحتواء والإنتماء أكثر.

ولقد صاحبت تحليلات المقاربة الماركسية للمجتمع التقليدي الجزائري على غرار "إنجلز"و"روزا لكسمبورغ " موجه الحركات الإستعمارية الفرنسية وكانت في كل مرة لا تخرج عن نطاق نظرة المستعمر الفرنسي لهاته المناطق العربية على غرار الجزائر بحكم أنها كانت مستعمرة فرنسية ما جعل سلطة القبائل والعشائر تذوب أمام السلطة الإستعمارية.

ثم مع تحليلات الماركسية الجديدة وما لازمها من نظرة شيوعية في الطرح فقد ربطت التحرير الوطني داخل المستعمرات بالتحرير الإجتماعي للطبقات العالمية في بلدان المغرب العربي.

ولعل الإعجاب بالنظرة الماركسية الجديدة بدأ يتعاظم شيئا فشيئا مع تراجع الهيمنة الاستعمارية فانتشرت أفكار " غرامشي "و"ألتوسير" وغيرها من المفكرين ولقيت مفاهيم: نمط الإنتاج الآسيوي، الديمقراطية الطبقية والتشكيلة الإجتماعية والصراع الطبقي..مجالا لإستخدامات متنوعة تأرجحه بين اللين تارة وبين التشدد تارة أخرى بحسب أهداف الدارسين وإسهاماتهم على غرار "عبد القادر جغلول" و"لاكوست" و"كويني" ..وغيرهم .

ويبرز اختلاف التحليل الماركسي أو المقاربة الماركسية عن المقاربة الانقسامية من خلال وجود أرستقراطية قبلية عسكرية تتكون من رؤساء القبائل والأسرة الكبيرة تقوم على إحتكار الجاه والسلطة والثورة داخل المجموعات

[1]- محمد نجيب طالب: **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، المرجع سابق، ص 49 .

"فلاكوست" مثلا يبرز أهمية المنظومات القبيلية والعشائرية التي تتساوى في الظاهرة ولكنها تخضع من الواقع إلى أرستقراطية متميزة على شكل تراتبي و هو ما تتجاهله الانقسامية[1].

2-6 المقاربة الخلدونية:

مما لا شك فيه أن مقدمة إبن خلدون تعتبر إحدى الروافد والمصادر السوسيولوجية المهمة التي لم تترك شاردة ولا واردة إلا وتكلمت بخصوصها في ما تعلق بالعمران الحضري والعمران البدوي ومدى التداخل الكبير بينهما فكان بحق المؤرخ والمفكر الذي سبق زمانه ولم يصل أقرانه ومعاصريه إلى ما توصل إليه "عبد الرحمن إبن خلدون" وكتاباته خير شاهد إلى يومنا هذا؟ ولعل من بين الفصول النظرية التي تخللت مؤلفه الضخم والموسوم بعنوان"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" الفصل الثاني منه خصص لدراسة مقارنة بين طريقتي الحياة المتمثلتين في: العمران البدوي والعمران الحضري غير أن المؤلف ينوه بالعمران البدوي، أما العمران الحضري فلا يرد ذكره إلا لإلقاء ضوء على العمران البدوي. وهنا يرى "إبن خلدون" البادية على أنها الميدان الجغرافي والاقتصادي والإجتماعي والديموغرافي والنفساني. فهي إذن الميدان الذي يسمح بأن يدرس فيه العمران من كل جوانبه وفي شكله البدائي الأول[2].

إن الحديث عن العمران البدوي يحلينا إلى الحديث عن المجتمع التقليدي وما يوازيه من جماعة متفرعة أقل ما يقال عنها أنها تحدد وفق رابطة النسب والدم على حد تعبير إبن خلدون إلا وهي القبيلة.

إن النسب في معناه الضيق لا يعد أن يكون معطى وهميا لا يصمد أمام واقع الاختلاط وعلاقات الجوار والتعايش في المكان "أما الإطار الحقيقي للقبيلة عند إبن خلدون فهو النسب في معناه الواسع والرمزي وما يمثله من أشكال التحالف والولاء والانتماء"[3].

ومن ثم فإن للأرض مكانة ودلالة قوية في ما تعلق بالقبيلة كونها أساس التحام الجماعة ومبعث الانتماء ومصدر الولاء ضمن الجماعة القبلية ما يعزز التلاحم الداخلي ويقويها خارجيا مع باقي القبائل المجاورة ويدفع عن القبيلة أي خطر خارجي قد يهدد استقرارها نتاج عصبية مفرطة زاحفة لداخلها مبنية على الصراع والتنافس بغرض الاستحواذ عل الموارد ومصادر العيش ولعل هاته الأخيرة من بين الأسباب التي تبقي على الصراع شكل دائم ومستمر على المجتمع القبلي .

---

[1]- محمد تجيب بوطالب ، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** ، مرجع سابق .ص51.

[2]- عبد الغني مغربي ، **الفكر السوسيولوجي ، عند إبن خلدون** ، مرجع سابق .ص 38.

[3]- محمد تجيب بوطالب ، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** ، مرجع سابق .ص 58.

3- ملامح الدراسات الإجتماعية حول القبيلة في الجزائر:

إن البحث في ملامح الدراسات الإجتماعية حول القبيلة في الجزائر يحيلنا إلى الحديث عن الدراسات السوسيولوجية التي تلت ستينيات القرن الماضي لاسيما وأن الدراسات التي سايرت الحقبة الإستعمارية لا يمكن الخوض فيها ما دامت تستند إلى أساس باطل فلسفته التمييز بين طبقات المجتمع من منطلق التفرقة قصد إحكام السيطرة الإستدمارية، بيدا أنه بالرجوع إلى العقود الأولى من الإستقلال بدت بوادر التنصل النظري في ميدان السوسيولوجيا من دراسة القبيلة لتستبدل بمفهوم الريف أو علم الإجتماع الريفي لدرجة أنه كادت للأنثربولوجيا أن تغيب في نشاط الدراسات السوسيولوجية حول الجزائر لاسيما وأن أهم ما طبع الحياة السياسية والفكرية في تلك الآونة موضوع التنمية الاقتصادية والإجتماعية وتحديداً مشروع الإصلاح الزراعي وكان ذلك يندرج في تصور عام ساد خلال تلك المرحلة، وهو تصور علم الإجتماع كعلم تحرري يعمل من أجل كسر قيود التبعية والهيمنة ومن أجل تحقيق النمو والتقدم. فالعلم الإجتماعي حسب هذا التصور السائد في الجزائر، بل في بعض الأقطار الأخرى، هو ممارسة علمية ملتزمة بقضايا التنمية والتغير"[1].

لقد تركز البحث السوسيولوجي في الجزائر مطلع الاستقلال حول الأرض والفلاحة والنسيج والتصنيع وتوسع المدن في إطار ثنائية الزراعة والصناعية أي الاهتمام بالجانب الفلاحي والخيرات الطبيعية من خلال إطلاق مبادرة الأرض لمن يخدمها لتعزيز النشاط الفلاحي ومساهمته في الاقتصاد الوطني وتوزيع الكثافة السكانية والتجمعات السكانية بين حياة الريف والحياة المدنية ما يبقي على فاعلية القبيلة.

في المجتمع الجزائري ومن جهة أخرى التوجه نحو الصناعة والتصنيع، وما مصنع الحجار والصناعات الثقيلة إلى دليل قاطع على التواجد الصريح للحوكمة آنذاك وموازنة البنى بين الريف والمدينة.

عدا ذلك فإن البحوث والدراسات السوسيولوجية التي عالجت موضوع المجموعات الإثنية والقبلية في الجزائر فلم تعزُّو وأن تتوسع ما ميزها الضعف الكمي، وعموماً فقد انقسمت إلى قسمين أولها يمثل إمتداد للطرح الغربي من خلال الدراسات التي قدمها المستعمر في إطار الإينوغرافيا والأنثرويولوجيا وما تعلق بهما من محددات تقليدية والتي تصبو في مجملها إلى تعزيز التفرقة قصد إحكام السيطرة الاستعمارية. في حين نلمس دراسات أخرى ذات بعد وطني ومصداقية علمية أكثر التي تنطلق من البحث في ثنائية القطيعة-الإستمرار في النسقين الإجتماعي والثقافي ولعل من أبرز الدراسات في هذا الشأن ما قدمه "بن نعوم" حول " أولاد سيدي الشيخ" التي تناولت التركيب الإجتماعي في الريف ودراسة الأسرة الجزائرية وما مسها من تطورات وتغيرات ومدى تداخل التركيبة القرابية في مفاهيم التضامن وتقسيم العمل في مناطق الجنوب وعززت هاته الدراسة في ما بعد

[1]- محمد تجيب بوطالب ، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** ، مرجع سابق .ص 73.

بدراسة "آلان رومي" (Alain Romey) حول إستمرارية النمط الرعوي في الجنوب الجزائري من خلال التخصص في قبيلة أولاد سعيد[1]، إتباع نموذجا للبحث والتمحيص السوسيولوجي.

4- المنهج التعددي لمقاربة موضوع الظاهرة القبلية:

مما لا شك فيه أن الظاهرة الإجتماعية ظاهرة متعددة ومتشبعة ومتشابكة يصعب التعامل معها من زاوية واحدة فقط كما قد يلجأ الباحث ضمنها إلى عدة مقاربات منهجية للإلمام بالظاهرة المستهدفة ولتكن الظاهرة القبيلة ما يستوجب تبني منهجا تعدديا ينهل في مختلف المناهج في إطار وظيفي محكم وهنا فأن الخيار التعددي ليس نوعا من الأمعية والانتقاء المجاني، فإن المنهج التاريخي المقارن كمدخل لهذا الخيار يعتبر الحبل الناظم الذي يجتمع حوله مختلف المنهجيات الأخرى المدعمة[2].

مما لا يدع مجالا للشك يمكن القول أن المنهج التاريخي المقارن من بين المناهج السوسيولوجية التي كان لها الفضل الكبير في دراسة الظاهرة القبيلة وفهم حيثياتها والإلمام بعناصرها من خلال وضعها في سياقها التاريخي وأبعادها الإجتماعية وبين المستويين نجد مداخل منهجية أخرى لاتقل أهمية على غرار المنهج الجدلي ومنهج نظرية الصراع الإجتماعي خصوصا ما تعلق بين البناء الفوقي والبناء التحتي إضافة إلى المنهج الإثني (Ethnomethhodolgie) الذي يلجأ في دراسة الوصفيات الإجتماعية للفاعلين الإجتماعيين ضمن ممارساتهم اليومية.

إن الحديث عن منهج تعددي يفسر ويبحث في ظاهرة القبيلة وما ينوط بها في إطار المجتمع التقليدي فإن الأمر يحلينا إلى ضرورة تداخل عدد من المناهج ما يدفعنا إلى تدقيق المنهج التعددي بما يتماشى ودراسة الظاهرة القبلية في أطرها التاريخية والإجتماعية لاسيما وأن اغلب المقاربات التي تناولت مسألة القبيلة من قريب أو بعيد ظلت تتحرك في نسقين معرفيين هما التاريخ والأنثربولوجيا وعموما فان علم الإجتماع الحديث بتطوراته المعرفية والمنهجية والتقنية حد إلى عدم إغفال الظواهر والعلاقات والبنى والهياكل التي تحرك الفاعلين والإجتماعية داخل نسق القبيلة وينتج مشروعية للمنهج التعددي لفهم العلاقة التواصلية والتراكمية للمعرفة الإجتماعيةحول المجتمعات التقليدية. إن هذه المنهجية بأبعادها المختلفة تبدو لنا الأداة الأكثر ملائمة لدراسة أثر التحولات في التكوين الإجتماعي المحلي وبالتالي للبحث في علاقة تلك العمليات وتأثيرها في خلخلة النظام القبلي و إمتدادته الراهنة مع متابعة خاصة لعمليات الإدماج وتبديل الهوية الإجتماعية للمجتمع المحلي[3].

---

[1]- Alain Romey .**les saidatda de n goussa .Histoiseetetatactuei de leusnomadismc** .pasis .lHasmahan .1983.p43

[2]- محمد نجيب بوطالب ، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** ، مرجع سابق .ص29.

[3]- محمد نجيب بوطالب ، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** ، مرجع سابق .ص 23، 32.

5- البنية التاريخية للمجتمعات البدوية القبلية:

الصراع التاريخي طبيعة إجتماعية راسخة في البنية التاريخية للجماعة. ذلك أن الإنسان بطبعه ظلوم جهول يطمع في مكاسب الغير ويستعمل القوة من أجل السيطرة على الآخرين ماديا ومعنويا وهذا يمثل الجذور للحروب في المدن والحواضر .

إعلم أن الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر، كما قال تعالى: "وهديناه النجدين" (البلد 10)، وقال " فألهمها فجورها وتقواها"(الشمس 8). والشر أقرب الخلال إليه إذا أهمل في مرعى عوائده ولم يهذبه الإقتداء بالدين. وعلى ذلك الجَمُّ الغفير، إلا من وفقه الله. ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض .فمن إمتدت عينه إلى متاع أخيه إمتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع كما قال:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يظلم

فأما المدن والأمصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتهم من الكافة أن تمتد بعضهم على بعض، أو يعدوا عليه فأنهم مكبوحون بحكمة[1].

القهر والسلطان عن التظالم، إلا إذا كان من الحاكم بنفسه. وأما العدوان من الذي خارج المدينة فيدفعه سياج الأسوار عند الغفلة أو الغرة ليلا أو العجز عن المقاومة نهارا، أو يدفعه ذياد الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة.

وأما أحياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبراؤهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة.

وأما حللهم فإنما يذود عنها من خارج حامية الحي من أنجادهم[2].

وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم. ولا يصدق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب الواحد، ولأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم، إذا نعرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم ، وما جعل الله في قلوب عبادة من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم وقُربائهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبة العدو لهم، واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن إخوة يوسف عليه السلام ،حين قالوا لأبيه:" قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ " يوسف 41 والمعنى أنه لا يتوهم العدوان على أحد مع وجود العصبية له.

[1]- الحكمة ما أحاط بنحكى الفرس من لجامه ، من الحكم ، وسميت بذلك لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح وغيره (القاموس) .

[2]- نجد الرجل نجاة ونجده إذا كان اذ نجد وهي اليأس والشدة ، فهو نجد ونجيد أي شجاع وجمعة أنجاد (القاموس والمصباح).

وأما المتفردون في أنسابهم فقل أن تصيب أحد منهم نعرة على صاحبه، فإذا اظلم الجو بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة لنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل. فلا يقدرون من أجل ذلك على سكنى القَفرِ لما أنهم حينئذ طُعْمَة لمن يلتهمهم من الأمم سواهم.

وإذا تبين ذلك في السكنى التي تحتاج للمدافعة والحماية فبمثله يتبين لك في كل أمر يُحْمَلُ الناس عليه من نبوة أو إقامة ملك أو دعوة، إذا بلوغ الغرض من ذلك كله إنما يتم بالقتال عليه، لما في طبائع البشر من الاستعصاء، ولابد في القتال من العصبية كما ذكرناه آنفا ، فاتخذه إماما تقتدي به فيما نورده عليك بعد .والله الموفق للصواب[1].

إن أخلاق الظلم والتعدي على الآخرين صفة راسخة في أهل البدو والحواضر كلما سنحت الفرص بذلك وحدث ضعف في الجهاز المناعي الإجتماعي للجماعة في البدو والحواضر، أما في المدن فإن الذي ينظم العلاقات الإجتماعية هو السلطة القانونية من محاكم وشرطة ودرك. وكذا السلطة الأخلاقية المتمثلة في التربية التي يتلقاها الفرد في مؤسسات التنشئة الإجتماعية أما عند أهل البادية فإن السلطة السياسية والإجتماعية التي يمتلكها شيوخ القبائل تساهم في غرس ثقافة التعاون ونبذ الخصام والتصارع وهذا ما أشار إليه العلامة إبن خلدون في المقدمة .

إن الفكر الإنساني وباختلاف أنماطه الإجتماعية نجده يتمحور حول العلاقات الإنسانية، كصلات القرابة والصلات التقليدية التي باتت تنحصر في القبيلة والتي من شأنها تتصل مع الإيديولوجيات القومية والوطنية ،بحكم جماعاتها المتضامنة آليا للإبقاء على سيرورة النظام القبلي بين فترات زمنية تبعا للأنساق والإجتماعية.

كثير ما يقع الحديث اليوم عن القبيلة "Tribialisme" وعن النزعة القبلية "Tribialisme".وهي نزعة يعبر عنها سلوك الفاعلين المرتبط بتغليب الولاء للمجموعة القبلية وللهوية القبلية. لكن هذه النزعة تبدو متفاوتة الحضور لدي المجتمعات والجهات. إن هذه النزعة كانت مجال نقد سلطته النخب السياسية منذ بدايات هذا القرن على الإيديولوجيا القبيلة باعتبارها طرفا ينازع الإيديولوجيا الوطنية والقومية[2] .

كما يرى ريكاردو بوكو (Ricardo Bocco) أن إحدى خصوصيات التنظيمات القبلية في المشرق العربي وفي إفريقيا تتمثل في حضور القرابة وتوحدها مع التعبير السياسية. وهذا ما دفع بالباحثين في العلوم الإجتماعية،

[1]- إبن خلدون ، **مقدمة إبن خلدون** ،دار الهدى ، ب ،ط ، الجزائر ،2009، ص ص 157- 156 .

[2] -Mohamed jabir al ansari, Du concept de l'etat dans le monde arabe, traduit de l'arabe par rudolf el kareh, revue d'etudes palestiniennes, no 53 (automne 1994), pp. 67-79.

وخاصة علماء السياسة، إلى بحث مفهوم " القبلية " لتفسير الكيفية التي تنتقل بواسطتها أشكال التضامن القرابي وتتحول إلى ميادين للعمل السياسي للتنافس حول السلطة .

لقد تسرب إستخدام هذا المفهوم إلى بعض علماء الإجتماع المعاصرين الغربيين مثل مافيزولي (Maffesoli) الذي يستخدم مصطلاحا (Tribu) للإشارة إلى الجماعة المتضامنة. إن إطار هذا الاستخدام هو التعبير عن إحدى إشكاليات المجتمع المابعد حداثي، فهذا المفهوم المافوق – فردي (Supra-individualisme) يطرح مقابل النزعة الفردانية والمفاهيم المنبثقة عنها، وهي مفاهيم مرتبطة بمجال علم النفس أكثر من ارتباطها بمجال علم الإجتماع .

لقد تحدث ما فيزولي عن "زمن القبائل" وعن "التجميل السياسي" معبرا عن واقع الصراع بين المجموعات المتبلورة في المجتمع، بما في ذلك مجتمع الجامعة الفرنسية.

والمهم هنا هو أن بعض علماء الإجتماع الغربيين يطلقون مفهوم القبيلة على المجموعات المتقابلة، والتي تكون دوائر شبه مغلقة، لها مصالحها المتناقضة. على أن هذا الاستخدام يحول القرابة المستعارة من القبيلة التقليدية من القرابة دموية إلى قرابة تخصصية أو مصلحية، كما أنهم يستخدمون هذا المفهوم للدلالة على الجماعات والجمعيات والتنظيمات الرياضية والدينية والفنية .

إن مافيزولي لم يبق مثل غيره أسير مقولات المدرسة الدوركهايمية وغيرها، بل حاول شأن القليلين، أن يقدم تبريرا علميا لعودة "القبيلة "فهو يعتبر أنه "من الوهم القول بأن المجتمعات المتطورة قد فقدت علاماتها التقليدية وطرحت أيديولوجياتها وتخلصت من قيم أسلافها. لكن يجب الاقتراب أكثر من الظواهر التي تغري يوميا بمنطق سحق الجسم الإجتماعي، يجب العمل لتقديم تفسير صحيح لحركات الاحتجاج الإثني والانبعاث العنيف للأصولية الدينية والإعلان الراديكالي للخصوصيات الثقافية، مثل تجمع الأفراد في أطر ميكرو إجتماعية تهيمن عليها الروابط العاطفية.

إن النزعة القبلية يبلورها مفهوم يسود في الفترات التي يتأزم فيها وجود القبيلة كبنية اجتماعية، خصوصا حينما تحاصر تلك البنية ويصبح وجودها غير مرغوب فيه باعتبارها علامة من علامات المجتمع التقليدي، لذلك تتحرك النزعات القبيلة باعتبارها تعبيرات عن الهويات المحاصرة، خصوصا حينما لا تكون البنى والهياكل البديلة قادرة على استيعاب الأفراد، ولا تنجح في تعبئتهم لصالحها، وتجد مخلفات النزعة القبلية إستمراريتها أيضا في النزعات الجهوية[1].

[1]– محمد نجيب بوطالب ، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 2 ، بيروت، 2009، ص 66.

هناك إعتبارات قوية للقبيلة أو الجماعات القبلية لدى مجموعة من المفكرين الغربيين لما لها دافع بالغ الأهمية في الحراك الإجتماعي من خلال توغل شبكات الجماعة القبلية داخل النسق الإجتماعي وخاصة العمل السياسي. فالقبيلة لها هيكل تنظيمي عشائري يحافظ على السيرورة القبيلة وإستمراريتها.حيث نجدها تشارك في العمل السياسي للمجتمع. بإدراج بعض أفرادها داخل السلطة، من خلال عملية التضامن القرابي الذي بدورة يشبه التنظيمات السياسية التي تتشكل على حسب التحالفات الفردية داخل الجماعات المتعددة التوجهات، فعلى الرغم من قدم النظام القبلي ومع حداثة المجتمعات وتطورها إلا أنه من غير الممكن إلغاء الطابع الإثني من البنية الإجتماعية باعتبارها آلية من آليات المجتمع.

العصبية كمصطلح سيسيولوجيا جديد عند عالم الإجتماع إبن خلدون يمثل مفهوما إجرائيا جديدا يدل في عمومة على التمساك التاريخي بين الجماعة القبلية التي يكون مآلها في الغالب السيطرة على السلطة السياسية للجماعة.

العصبيـــــة:

إن مفهوم العصبية يشكل بحق عصبا من الأعصاب الرئيسية التي تتضمنها المقدمة، والعلة في ذلك أن إبن خلدون جعل منه مفتاح الديناميكا الإجتماعية فضلا عن أنه أكثر من استخدامه (استعمله أكثر من خمسة مئة مرة) في عرضه، وبعبارة أخرى، فإنه لا يتسنى لقبيلة ما أن تستولي على الحكم، ولا يمكن لها أن تتحضر إلا إذا زودت بالعصبية. ويقول إبن خلدون بهذا الصدد:

"فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية"[1].

فالعصبية تصور يقع بين البداوة والحضارة وهو عقد إشكالية إبن خلدون الخاصة بالانتقال من طريقة إنتاج إلى أخرى. ولكننا قد نجد كذلك هذا التصور منفصلا عن الديناميكا الإجتماعية سواء في العمران الحضري أو العمران البدوي ويتسنى لنا أن نسمي مؤقتا هذا المستوي الثاني من العصبية، مستوى توازنيا. وإنه يدل دلالة قاطعة على أن عالمنا الإجتماعي استعمل في الواقع مفهومه تحت معان الكثير وبصمة باتجاهات عديدة. وقصاري القول، أننا نجد أنفسنا هناك كذلك أمام مفهوم عملاني إذ الأمر، إذا صح القول، يتعلق بظاهرة لها نفس المظهر، ولكن ليس لها نفس الجواهر ونفس النتائج.

فهذه الملاحظة في نظرنا جد هامة لأنها ستسمح لنا بأن نرفض المعاني المختلفة ذات الإتجاه الوحيد والتي يقترحها مختلفو شُرَاح إبن خلدون ليترجموا كلمة " العصبية " .

[1]-إبن خلدون، **المقدمة**، ص 246 .

الواقع أن جميع شراح المقدمة يؤكدن، دون أن يعطوا لذلك إيضاحات جدية ، أن العصبية تعني "التماسك الإجتماعي" أو "روح التضامن" ولقد بينا في الجزء السابق من تحليلنا، أن الجماعات البدوية تبدي رغبتها في ألفة قوية تجمع بين أعضاء المجموعة، سواء شاؤوا أم أبوا، وذلك بحيث يندمجون جميعا إندماجا كليا في الجماعة التي تصبح بالتالي مؤلهة. لكن هل يشكل حقيقة، مثل هذا الشكل الذي يأخذه "التماسك الإجتماعي"،" أو روح التضامن"، ما يعرف العصبية ؟ نجيب بالإيجاب والرفض في آن واحد: فحين نستند إلى نص واحد نجيب بالإيجاب وحين نأخذ بعين الاعتبار كل النصوص التي ورد فيها هذا المفهوم ، نجيب بالرفض ، إذا توجد في نظر إبن خلدون جماعات بدوية نصف متوحشة أعني جماعات تعيش باستمرار في الصحراء ولا تستطيع أن تستولي على الحكم. وقد يتوهم البعض أننا أمام تناقض في هذه الحالة، غير أن هذا خطأ. وستبين تتمة عرضنا ذلك بكل وضوح وأنه ليجدر بنا أن نستدعي الإنتباه، منذ الآن إلى أن مفهوم العصبية يستهدف معنى سياسيا أكثر مما يستهدف معنى اجتماعيا (بالمعني الحصري) . وقبل أن نقوم أن نقوم بتحليل مفصل خاص بالظاهرة الإجتماعية بمعناها الحصري، ومعناها السياسي، علينا، بادئ ذي بدء، أن نحاول ذكر المعاني المختلفة التي أعطاها شراح إبن خلدون لكلمة "العصبية" حين ترجموها إلى لغاتهم. ومهما يكن من أمر، فإن كل المعاني التي أعطيت للعصبية بقيت إلى الآن، تدل على معان إما جد غامضة أوجد ضيقة. ويمكن لنا أن نضيف إلى ما سبق أن عدد شراح إبن خلدون يكاد يكون مماثلا لعدد تأويلات العصبية فيعرف بعض المؤلفين هذا التصور الأساسي بنتائجه: " القوى الحيوية لشعب ما " . " حيوية الدولة " الخ .. غير أن إبن خلدون يوضح لنا أن العصبية تسبق الدولة في الوجود وتأخذ في الإنهيار بعد الاستيلاء على الحكم . ويترجم البعض الآخر العصبية " بالقومية "و"الوعي القومي " و"الوطنية " الخ... غير أن العشائرية، أعني المجتمعات العشائرية في القرون الوسطى كانت رفيعة الشأن ومسيطرة في جميع الميادين. وعلاوة على ذلك، فإن مفهوم " الدولة " (المجموعة الإسلامية) وهو مفهوم الذي كان بلا نزاع، سائدا في المدن والحواضر. وكان الإسلامي لا يعتبر نفسه مواطنا ينتمي إلى أمة لها حدودية المعينة ولكنه كان يرى نفسه قبل كل شيء جزءا لا ينفصل عن دار الإسلام التي كانت مقابلة لدار الحرب أي لكل المجال الخارج عن الكوزمولوجيا الإسلامية. وبالإضافة إلى هذا فإن موقف إبن خلدون السياسي إزاء مختلف الأمراء المغاربة والأمراء غير المسلمين (بيدرو القاسي، تيمورلنك) يبين لنا بكل وضوح أنه ما كان يوجد للمسلم سوى منطقتي نفوذ هما: المنطقة العربية الإسلامية وما عداها"[1].

[1]– عبد الغني مغربي ، **الفكر السوسيولوجي عند إبن خلدون** ،دار القصبة للنشر ، ب ط ، الجزائر ، ص 144.

إن التضامن والتماسك والإجتماعي الذي يظهر في الجماعة الحضرية كله يعود حسب المطارحات الخلدونية إلى العصبية أو النزعة القبلية ولكن هناك تشابه في المظهر واختلاف في الجواهر حيث تعود العصبية البدوية إلى الانتماء العائلي العرقي الدموي، بينما تعود العصبية الحضرية إلى الانتماءات السياسية والولاءات بين الأفراد والجماعات التي تهدف إلى تحقيق المصالح ودرء المفاسد حسب تغير الأحوال والعلاقات الإجتماعية الحضرية.

الجذور التاريخية للتعاون والتعاضد والتضامن الذي يقع بين البشر وكذا الحروب والصراعات والعدوان كل ذلك يعود إلى طبيعية الخير والشر التي يحملها الإنسان في طبيعته ولكن الذي ينظم شبكة العلاقات الإجتماعية على وجه العموم هو سلطة الضبط الإجتماعي.

ينطلق إبن خلدون في دراسته للعصبية وبيان الأساس الذي تقوم عليه، والدور، الذي تلعبه في الحياة الإجتماعية عموما وحركة التاريخ خصوصا، من فكرته في " الوازع " الذي جعله ضرورة من ضرورات الإجتماع والتعاون.

إن فكرة "الوازع" عند إبن خلدون يمكن اعتبارها بمثابة حل- ولنقل مع قليل من التجاوز، بمثابة تركيب للتناقض التالي:

أ- هناك من جهة ما يمكن التعبير عنه بـ " إجتماعية الإنسان". فلإنسان مدني بالطبع، لا يصح وجوده، ولا تستقيم أحواله إلا بالعيش مع غيره من بني جنسية. إن إجتماعية الإنسان تفرضها ضرورة التعاون من أجل تحصيل الغذاء الذي به قوام وجوده.

ب- وهناك من جهة ثانية "الطبع العدواني الذي في البشر" وهو من آثار "القوى الحيوانية"، فمن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه، امتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع "

إن الحاجة إلى "الوازع" إذن، تفرضها طبيعة الإنسان نفسه، باعتبارها كائنا مجبولا على الخير والشر معا: على التعاون والعدوان. إن قيام الحياة الإجتماعية، وبالتالي بقاء الإنسان يتطلب وجود نوع من السلطة تحفظ للمجتمع تماسكه وتعمل على تقوية التعاون بين أفراده، وكبح عدوان بعضهم على بعض سواء كأفراد أو جماعات.

ولكن ماذا يقصد إبن خلدون ، ب "الوازع " هنا ؟ هل يعني به السلطة المادية التي تتجسم في الدولة وأجهزتها؟ أم أنه يعني به فقط السلطة المعنوية التي تمارسها بعض الأفراد على بعض في أحوال خاصة؟ الواقع أن فكرة الوازع عنده تنطبق على هذا وذاك معا. فهي تتدرج عنده من مجرد السلطة المعنوية التي لشيوخ البدو

وكبرائهم، إلى السلطة المادية التي تقوم على " الغلبة والسلطان واليد القاهرة " وبكلمة واحدة " الملك ". ويمكن القول بصفة عامة أن الوازع الذي يتحدث عنه إبن خلدون هو وازع اجتماعي، بمعنى أنه سلطة إجتماعية تستمد خصائصها من نوع الحياة الإجتماعية السائدة. إن إبن خلدون هنا لا يهتم بالوازع "الذاتي" النابع من ضمير الفرد كالوازع الأخلاقي أو الديني- وإن كن يبرز دور هذا الأخير في تقوية الروابط الإجتماعية في ظروف خاصة، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق- ولكنه يهتم بالدرجة الأولى بالوازع الخارجي أو"الأجنبي" الذي تجسمه وتؤكده القوة، سواء كانت قوة الفرد أو قوة الجماعة.وهذا شيء طبيعي ومعقول، فما دامت الحاجة إلى الوازع إنما تفرضها الطبيعة العدوانية التي في البشر، والعدوان يعتمد دوما على قوة الغلبة فإن الوازع الذي يراد به دفع هذا العدوان لابد أن يكون هو الآخر قوة غالبة ويداً قاهرة.

هذا بخصوص فكرة الوازع على العموم. ولكن لّما كان هذا الوازع، تفرضه كم قلنا ضرورة الإجتماع والتعاون لتحصيل الغذاء. ولّما كانت طرق كسب العيش وبالتالي أسلوب المعاش، يختلف في البادية عنه في المدينة كما شرحنا ذلك قبل، فإنه من المنتظر أن يختلف الوازع هنا عن الوازع هناك. إن الحياة في البادية قائمة على البساطة والفطرة. لأن الفلاحة وهي النحلة المعاشية السائدة هناك " بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج إلى نظر وعلم". أما في المدن فأن الحياة جد معقدة ، إذا هي تقوم أساسا على الصنائع وهي "مركبة وعلمية تتصرف فيها الأفكار والأنظار بمختلف التصرفات والحيل ". وكما ينعكس هذا الاختلاف في أسلوب المعاش بين البادية والمدينة، على طباع الناس وأخلاقهم وعاداتهم ومختلف أنماط سلوكهم، كما بينا ذلك من قبل، فهو ينعكس أيضا على الروابط الإجتماعية التي تشد الأفراد بعضهم إلى بعض للتعاون على أمور العيش، بل على شؤون الحياة عموما، ومن ضمنها مسألة الوازع هذه. هكذا فإن بساطة الحياة في البادية لابد أن تجعل من الوازع فيها وزاعا طبيعيا فطريا، مثلما أن تعقُّد الحياة الحضرية سيضفي نوعا من التعقيد والتركيب على الوازع السائدة فيها.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإنه لّما كانت الحاجة إلى الوازع إنما تفرضها الطبيعة العدوانية التي في البشر، فإن الوازع سيختلف سواء في البادية أو في المدينة، باختلاف نوع العدوان: عدوان الأفراد بعضهم على بعض داخل المدن أو أحياء البدو، أو عدوان جماعات على أخرى. وهذا ما يقرره إبن خلدون إذا يقول:"... فأما المدن والأمصار فعدوان (الناس) بعضهم بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتهم من الكافة أن يمتد بعضهم بعض، أو يعدوا عليه، فإنهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم، إلا إذا كان ذلك عن الحاكم نفسه. وأما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الأسوار عند الغفلة أو الغرة ليلا، أو

العجز عن المقاومة نهارا، أو يدفعه ذياد الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة. هذا فيما يتعلق بالوازع في العمران الحضري وأما أحياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبراؤهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلّة. وأما حللهم فإنه يذود عنها من خارج حامية الحي من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم، ولايصدق دفاعهم وذيادهم لا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشي جانبهم، إذ نصرة كل واحد نسبه وعصبيته أهم[1].

الضبط الإجتماعي بكل مؤسساته الإجتماعية التي تغرس المعايير والقيم والتي تسمي في الغالب مؤسسات التنشئة الإجتماعية في أحوالها الصحية تغرس عادة القيم الثقافية الإيجابية التي تؤدي إلى إضافة التعاون والتعاضد والتضامن أما في حالة المرض فإن مؤسسة التنشئة الإجتماعية تغرس القيم الثقافية السلبية التى تؤدي إلى الصراعات والتطاحن الإجتماعي وهذا ما يشير إليه العلامة "عبد الرحمن إبن خلدون" تحت مسمى الوازع الإجتماعي ولكن كل ذلك له علاقة من ناحية التوزع النسبي بين العمران الحضري والعمران البدوي.

إن العائلة القرابية بتركيبها الإجتماعي المعقد تمثل نواة التنظيم الإجتماعي العربي فهي التي تنقل الثقافية بما تحمله من قيم ومعايير من جيل إلى جيل وهي مؤسسة التنشئة الإجتماعية الأساسية التي تمثل العمود الفقري في زرع الأخلاق والقيم والمعايير والعادات والطبائع الإجتماعية في البادية والحواضر (المدن).

تشكل العائلة نواة التنظيم الإجتماعي ومركز النشاطات الاقتصادية في المجتمع العربي القديم والحديث، فتتمحور بها وحولها حياة الناس، بصرف النظر عن أنماط معيشتهم (البداوة والفلاحة والحضارة) وانتماءاتهم الطائفية والأثنية والإقليمية والقبلية. وهي أيضا الوسيط بين الفرد والمجتمع، والمؤسسة التي يتوارث فيها الأفراد والجماعات انتماءاتهم الدينية والطبقية، وحتى الثقافية والسياسية إلى حد بعيد.

وفي اتصالها الوثيق بالمجتمع والمؤسسات الأخرى كالطبقة الإجتماعية والدين والسياسة والتربية، وتتصف علاقة العائلة بكل منها بالتكامل أو التناقص. ومهما كانت نوعية هذه العلاقات، فإنها تقوم باستمرار وكثافة على التفاعل والتأثير المتبادل. وفي الوقت الذي تنقل العائلة لأفرادها ثقافة المجتمع و تنشئهم للإسهام فيه فتشكل وسيطا بينهم وبينه، قد يتناقض الولاء العائلي مع الولاء المجتمعي أو الولاء القومي. وفي الوقت الذي يحض الدين على تمجيد الأسرة وطاعة الوالدين، نجد أنه من ناحية أخرى قد يتعارض مع القبلية، يقول "الشيخ مُحَمَّد

[1]- مُحَمَّد عابد الجابري ، **فكر إبن خلدون القصبة والدولة** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 11، بيروت ، 2018، ص ص 163-165 .

مهدي شمس الدين": أن الإسلام حاول "بطرق كثيرة أن يحطم الوحدة العشائرية في سبيل بناء الأمة القائمة على وحدة المعتقد، وذلك لأن نمو القبيلة إنما يكون على حساب الأمة "[1].

كذلك، في الوقت الذي يؤكد الحركات القومية على فضائل الأسرة وكونها نواه المجتمع، نجد الفكر القومي يشير أحيانا– كما أشار "هشام شرابي" ،مثلا– إلى أن " الولاء العائلي...لا يتوافق مع الولاء الإجتماعي بل يرفضه ويناقضه[2] ".

وتتصف العلاقات داخل الأسرة بالتماسك والتواكل والعصبية القائمة على أواصر الدم أو اللحمة النسبية، والتوحد في مصير مشترك، حتى يصبح الفرد في الأسرة عضوا يقاسم الأعضاء الآخرين فرحهم وحزنهم ومكاسبهم وخسائرهم. على الرغم من ذلك، أو ربما بسبب ذلك، تختبر الأسرة العربية توترا مستترا على الأغلب، حتى تكاد تقع معظم الخلافات بين الأقارب، وحين تقع مثل هذه الخلافات ترافقها عواطف حادة وعميقة مما يفسر لماذا كان العربي، وما زال، يعتبر أن "ظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند".

وإذا ما نظرنا إلى العائلة من منظور تاريخي، يتوصل بعض الدراسات إلى أن المجتمع العربي عرف مختلف أشكال التجمع العائلي. وربما يكون تطور الأسرة العربية مرّ في المراحل التاريخية الثلاث التي وصفها "فردريك أنجلز" Engels Frederick في كتابة المشهور أصل العائلة، والملكية الخاصة، والدولة مستعينا بالنتائج التي توصل إليها عالم الآنثروبولوجيا الأمريكي "لويس مورغان" Lewis Morgan: ففي المرحلة الأولى كان الاقتصاد يقوم على التقاط الثمار والصيد وكانت الملكية جماعية والعلاقات تعاونية تتصف بالمساواة (بما فيها المساواة بين الرجل والمراء). في مثل هذا المجتمع الصغير سيطر نظام الزواج الجماعي فكان الجميع يتشاركون الأبوة والأمومة والبنوة دون تبعية، فكان كل زوج زوجا لكل إمرأة وكانت كل إمراة زوجة لكل رجل، وكان كل طفل ابنا أوابنة لكل رجل وإمرأة.

وفي المرحلة الثانية أصبح الاقتصاد يقوم على تدجين المواشي والرعي والزراعة فنشأت بنشوئها القبائل والقرى، وظهرت بداية الحياة العائلية الثنائية Family Pairing – أي نظام الزواج الثنائي بين رجل وإمرأة مع الاحتفاظ لكل منها بحق حله. في هذه المرحلة ظل الوالد يدعوا أولاده وأولاد إخوته أولاده ، ويدعوه جميع هؤلاء الأولاد " أبا " كذلك كانت الأم تدعوا أولادها وأولاد أخواتها أولادها، وكان جميعهم يدعونها " أما " وأصبحت

[1]– محمّد مهدى شمس الدين ، " **نظرة الإسلام الي الأسرة في مجتمع متطور** "، **الفكر الإسلامي** ، السنة 6 ، العدد (أيار/ مايو 1975) ،ص 8 .

[2]– هشام شرابي ، **مقدمات لدراسة المجتمع العربي**، (القدس: منشورات صلاح الدين ،1975) ص 117.

العلاقات الجنسية ممنوعة بين الأهل والأولاد ثم بين الإخوة والأخوات، وكانت الأمومة هي النظام السائد. إنما بنشوء الملكية الخاصة في هذه المرحلة خسرت المرأة مسواتها ونشأ النظام العائلي الأبوي الوراثي. وبنهاية هذه المرحلة أصبح يحق للرجل أن يتزوج بأكثر من إمرأة (دون أن يكون لديها هي هذا الحق) وظهر نظام اقتناء الجواري والعبيد.

وفي المرحلة الثالثة تثبت نظام الملكية الخاصة ووحدانية الزواج بدلا من تعدده[1].

العائلة في المجتمعات العربية تمثل الخلية الإجتماعية والثقافية الأساسية التي يتشكل منها النسخ الإجتماعي للمجتمع. ولها علاقة بكل المؤسسات الماكروسوسيولوجية والميكروسوسيولوجية في تبادل القيم الثقافية والمعايير السلوكية. وفي الغالب تتميز العلاقات الإجتماعية الأسرية في المجتمعات العربية بالتعاون والتضامن والتفاوض والتساند وهذا يرجع في الغالب إلى العصبية وأواصر الدم إنها الثقافية القرابة السائدة في كل المجتمعات العربية .

هناك علاقة تجانسية بين البيئة الصحراوية ومجتمعات البادية لما لهما خصائص ومميزات تمكن احدهما من الأخرى بحيث أن التنظيم الإجتماعي البدوي القبلي يتشكل من القرابة العائلية التي تتسم بالتضامن والتلاحم يؤهلها لتلبية الحاجيات الأساسية وتدبير شؤونها المعيشية.

تقوم علاقة مباشرة ووثيقة بين التنظيم الإجتماعي البدوي القبلي وطبيعته البيئة الصحراوية وضرورات تدبير شؤون المعيشة والدفاع عن النفس والارتحال وتأمين الماء والرعي وإلى ما هنالك من حاجات أساسية في مواجهة قسوة الطبيعة. إن مواجهه الصحراء بكل قسوتها واتساعها وجبروتها وندرة مواردها الحياتية، ونشدان الماء والمرعى، وحماية الذات من الأخطار الفادحة، وتأمين المعيشة، إن كل هذه الأوضاع والضروريات الحياتية، ونشدان الماء والمرعى ، وحماية الذات من الأخطار الفادحة وتامين المعيشة ، أن كل هذه الأوضاع الحياتية اقتضت قيام عصبية قبلية تقوم في أساسها على علاقات القربى الدموية (وهي علاقات تتصف بالمساواة والاستقلالية والعفوية)،وعلى نشوء وحدات قتالية شديدة البأس والفروسية والشجاعة والقدرة على التحمل، وعلى المشاركة في الملكية. بكلام آخر، إن التنظيم القبلي وما يتطلبه من عصبية وفروسية هو نتيجة للتكيف مع متطلبات هذه البيئة الصحرواية.

من هنا أن ينتظم البدوي القبائل أوعشائر وأفخاذ وحمولات وبيوتات تجمعهم عصبية متشددة لأصولهم وروابطهم الدموية إلى درجة قصوى تغلب عندها روحية الجماعة على الفردية المتمحورة حول الذات، والمساواة

[1]- حليم بركات ،**المجتمع العربي المعاصر** ، مرجع سابق ، ص 172.

في الحقوق والواجبات على التفرقة والتمايز (هذا مع اتخاذ فروق العمر والجنس وضرورات تقسيم العمل بعين الاعتبار). تحديدا ، تتكون البنية الإجتماعية البدوية من ثلاث دوائر رئيسية هي:

1- البيت أو الأسرة أو العائلة الصغيرة التي تسكن خيمة أو مسكنا واحد، وتشمل عادة الزوج والزوجة أو الزوجات والأبناء وزوجاتهم، والبنات غير المتزوجات والحفدة والحفيدات، وتشكل النشاط المعيشي اليومي. ولكل عائلة من النوع قطيعها الخاص.

2- ويشكل الفخذ (أو الحمولة) دائرة ثانية تحيط بالأولى، وتتألف عادة من عدة بيوتات أو أسر تنتسب إلى جد واحد، يعود إلى حوالي خمسة أجيال سابقة، ويكون الفخذ محور النشاط الدفاعي. بكلام آخر، يشكل الفخذ وحدة دفاعية حتى حيث قامت الدولة وتمكنت من احتواء القبائل والسيطرة عليها. ومثلا عن ذلك، إن الحروب القبلية في الجزيرة العربية انتهت بقيام الدولة السعودية الحديثة في مطلع الثلاثينات، إلا أن الفخذ ما يزال حتى الوقت الحاضر يشكل وحدة عسكرية مهمة في الحرس الوطني. وتقع ملكية الآبار عادة في الأفخاذ، وتحل غالبية بيوتات الفخذ في المنطقة ذاتها في كل فصل .ومع أنه لكل بيت قطيعه الخاص، غير أن جميع قطعان الفخذ توسم وسما واحدا، وتعتبر ملكا مشتركا للفخذ. وكما يتساوي الأفراد في العائلة، تتساوي البيوتات في الفخذ الذي تكون له مجالسه وتتم القرارات فيها بالإجماع، ولا يكون لها قائدا واحد في حالة الحرب.

3- وتحيط بالدائرتين دائرة ثالثة هي دائرة القبيلة أو العشيرة التي تتألف من عدد من الأفخاذ (عادة بين أربعة إلى ستة أفخاذ)، تكون العشيرة أو القبيلة محور النشاط السياسي، ويلعب شيوخها دورا مهما في هذا المجال. إن القبيلة هي الدائرة الأشمل أو الإطار العام الذي ينتمي إليه جميع الذين ينسبون إلى جد واحد أو أصل واحد في الزمن الماضي البعيد، وتكوّن بالتالي وحدة إجتماعية وسياسية واقتصادية من حيث شبه اكتفائها الذاتي وصلتها بالقبائل الأخرى والمجتمع والدولة.

وفي سبيل تقديم مثل حسي لما ذهبنا إليه، ولمزيد من التوسع في تفحص معالم التنظيم الإجتماعي البدوي، نستعين بعدد من الدراسات المتعمقة التي ركزت على دراسة قبائل محددة. من هذه الدراسات ما قام به "دونالد كول" حول القبائل (آل مرة) ، وقد تبين من هذه الدراسة (أجريت في أواخر الستينات ومطلع السبعينات) أن عشيرة (آل مرة) تتألف من سبع قبائل، وتتألف كل قبيلة من أربعة إلى ستة أفخاذ، وتتألف كل فخذ من حوالي خمسين بيتا، ويضم كل بيت حوالي سبعة أفراد. ويعرف كل بيت باسم الرجل الأكبر عمرا ، غير أن الخيمة تخص في الواقع المرأة الأكبر عمراً .

وينتسب (آل مرة) لشخص يقال أنه عاش قبل الإسلام، ويعتبرون أنفسهم عشيرة شريفة الأصل عربية حرة. ويسكن (آل مرة) الربع الخالي الذي تقول الأساطير بأنه مسكون بالجن وبأن زوجة مرة كانت جنية. ويكاد الزواج يكون مئة بالمئة داخل القبيلة.

وفي دراسة الميدانية أخرى قام بها "دونالد كول" و "سعد الدين إبراهيم" تناولا فيها حاجات البدو في المملكة العربية السعودية، تبين أن مثل هذا التنظيم الإجتماعي كان مازال قائما رغم التحولات الكبرى التي حصلت في النصف الثاني من القرن العشرين. إن البدو قاوموا الاندماج الكلي في القطاعات الاقتصادية الحديثة بصرف النظر عن المدى استقرارهم. إن الغالبية العظمى منهم تسعى للاستقرار، إلا أن أوضاعهم كثيرا ما تعرقل الاستقرار الكلي. ومن أطرف النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة أن الجيل الجديد كان حتى أواخر السبعينات أقل ميلا للاستقرار من الجيل المتوسط العمر ممن هم بين 30 و40 سنة من العمر[1].

من خلال الدراسات الميدانية المعمقة التي أقيمت على بعض القبائل نجد أن برغم التحولات الكبرى الحاصلة لازالت قائمة، نظرا للبنية الإجتماعية للتنظيم البدوي بفعل التماسك القوي للسلم البنيوي لتنظيمها الإجتماعي الذي يتألف من ثلاث دوائر مترابطة ومتماسكة مع بعضها بعض البعض من خلال صلة القرابة الدموية .فالتنظيم الإجتماعي البدوي غالبا ما نجده في المناطق الصحراوية المعروفة بشساعة الأراضي لتأمين الماء والرعي، وبرغم قساوة الصحراء اتساعها وندرة مواردها الحياتية. نجد أن المجتمع البدوي يقاوم الاندماج الكلي في القطاعات الحديثة. إن روابط القرابة في المجتمع البدوي تحدد حقوقا والتزامات تقوم بين أعضاء الجماعة القرابية مما يساعد على تماسكها واستمرار قيام العلاقات القوية بين أفرادها .

تقسم الجماعات البشرية المنتشرة في أقطار الأرض إلى عروق ويجب أن تعد كلمة (العرق) بالنسبة إلى الإنسان معادلة لكلمة (الجنس) بالنسبة إلى حيوان، وتختلف العروق البشرية في أخلاقها افتراق أنواع الحيوان المتقاربة، والعرق هو نظام تصنيف يستخدم لتصنيف البشر إلى جماعات قطاعات سكانية مختلفة حسب الخصائص الظاهرية والأصول الجغرافية والتواجد الفيزيائي والجماعات العرقية.

بَيَنَّا- فيما تقدم- أننا لا نستطيع أن نجد لدى الأمم المتمدنة عروقا حقيقة بالمعني العلمي، بل نجد عروقا تاريخية فقط، أي عروقا كوَّنتها مصادفات الفتوح والهجرة والسياسة وما إلى ذلك، ومن ثم تكونت بفعل تمازج أفراد مختلفي الأصول.

[1]- حليم بركات ،**المجتمع العربي المعاصر** ، مرجع سابق ، ص 193.

وكيف تنتهي هذه العروق المتباينة إلى التمازج وإلى تكوين عرق تاريخي ذي أخلاق نفسية واحدة ؟ هذا هو الذي نبحث فيه.

وأول ما نلاحظه هو أن العناصر المتواجهة اتفاقا لا تمتزج في كل وقت، ومن ذلك أن الشعوب الألمانية والمجرية والسلافية وغيرها من التي تعيش في الدولة النمسوية تؤلف عروقا شديدة الاختلاف فلم تُبْدِ ميلا إلى الامتزاج قط، وكذلك الايرلنديون الذين يسيطر عليهم الإنكليز لم يختلطوا بهؤلاء قط، وأما الأمم المنحطة تماما، كأصحاب الجلود الحمر(البوروج) والأستراليين والتِّسْمانيين، فإنها تزول بسرعة عند مسابقتها للأمم العليا فضلا عن أمر امتزاجها بها، وقد دلَّت التجربة على أن كل أمة من الأمم الدنيا تزول حتما إذا ما واجهت أمة عالية.

وهناك ثلاثة شروط لابد من اجتماعها لإمتزاج العروق وتأليفها عرقا جديدا يكون على شيء من التجانس: فالشروط الأولى هو ألا يكون تفاوت العروق المتوالدة كبيرا في العدد، والشرط الثاني هو ألا يكون إختلاف هذه العروق في الأخلاق عظيما، والشرط الثالث وهو أن تظل هذه العروق الخاضعة البيئات واحدة زمنيا طويلا. والشرط الأول من هذه الشروط على جانب عظيم من الأهمية، وذلك أن عددا صغيرا من البِيض إذا ما نقل إلى شعب كثير العدد من الزنوج زال بعد بضعة أجيال من غير أن يترك أثر في دم ذراريه، وعلى هذا الوجه غاب جميع الفاتحين الذين قهروا شعوبا كثيرة العدد، ومن الممكن أن يكون هؤلاء الفاتحون قد تركوا خلفهم حضارتهم وفنونهم ولغتهم ، كما اتفق اللَّاتين في بلاد الغول وللعرب في مصر، ولكنهم لم يتركوا دمهم.

وللشرط الثاني من تلك الشروط كبيرُ أهميةٍ أيضا، وذلك أن مما لا مراء فيه أن العروق الشديدة الاختلاف، كالبِيض والسود مثلا، تمتزج في نهاية الأمر، غير أن ما يسفر عنه مثل هذا التوالد من المولَّدين هو ظهور شعب أحطَّ من العروق التي أُشْتُقَ منها بمراحل، هو ظهور شعب كثير العجز عن ابتداع حضارة أو إدامتها، والسبب في ذلك هو أن تأثير الوراثات المتباينة يفك الآداب والأخلاق، ومما حدث أن مولَّدين من البِيض والزنوج، كما في (سان دومنغ)، ورثوا اتفاقا حضارة رفيعة، فلم تُعتِّم هذه الحضارة أن سقطت إلى دركة الإنحطاط، وقد يكون التوالد عامل تقدم إذا وقع بين عروق عالية متقاربة كالإنكليز والألمان في أمريكا، والتوالد يكون عامل إنحلال على الدوام إذا كانت تلك العروق متباينة جدا، ولو كانت من العروق العالية.

وتوالد الشعبين يعني تغيير مزاجهما الجثماني ومزاجهما النفسي، والتوالد هو الوسيلة الوحيدة لتحويل أخلاق الشعوب تحويلا أساسيا، والوراثة– إذا كان لا يَفُلُّها إلا الوراثة – فإنها تؤدي مع الزمن إلى ظهور عرق جديد ذي صفات جثمانية ونفسية جديدة.

وتظل الأخلاق التي تظهر على ذلك الوجه مذبذبة ضعيفة إلى الغاية في بدء الأمر، ولابد، لثباتها، من ركام وراثي طويل على الدوام، وأول أثر للتوالد بين مختلف العروق هو القضاء على روح هذه العروق، أي على مجموع الأفكار والمشاعر المشتركة التي تتألف منها قوة الأمم والتي لا وجود لأمة ولا لوطن بغيرها، وذلك هو أحرج أدور تاريخ الأمم، وذلك هو دور البدئ والتحسس الذي لا مناص من مجاوزة الجميع له، لما لا تجد أمة أوربية غير قائمة على أنقاض الأمم الأخرى، وذلك هو الدور المملوء بالمنازعات الداخلية و بتصاريف الدهر، فلا ينقضي قبل استقرار الأخلاق النفسية الجديدة[1].

خلاصة قولنا أن الأعراف البشرية نشأت في بيئات طبيعية مختلفة، فلابد لها من إكتساب صفات جسمانية تتلائم معها. لكن تلك المجموعة ذات الصفات الجسمانية المعينة اختلطت بمجموعات أخرى من بيئة أخرى. فصار في المكان الواحد جماعات ذات صفات جسمانية مختلفة، ثم حدث بعد هذا الاختلاط، اختلاط آخر هو الزواج. فأصبح الاختلاط هنا اختلاطا كليا، وهنا يدخل عامل الوراثة. فهنا نجد أن عوامل ثلاثة قد تدخلت في إنتاج ما يسمى بالعرق أو الجنس، فالعامل الأول هو الخلق الذي كون السلالة أو الجنس والعامل الثاني هو الهجرة التي سببت الاختلاط البسيط والعامل الثالث هو الوراثة التي سببت إختلاطا معقدا بالتناسل.

خلاصة:

وهكذا فالإشكالية النظرية التي يمكنها أن تتقاطع فيها أبرز المقاربات السوسيولوجية التي سبق التفصيل فيها بدءا من المقاربة البيولوجية إلى الانقسامية وصولا إلى التطورية واليقظة ختاما بالماركسية والخلدونية وما سايرها من مناهج متعددة متداخلة تناولت بالبحث والتحليل ظاهرة القبيلة في المجتمعات المغاربية التقليدية عموما والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص ماهي إلا محاولات لإستراد مفاهيم غربية مكتبية ومحاولة إسقاطها على واقع معاش قد تتناقض كثير من الأحيان مع ما يتطلبه وما يقوم عليه كيان القبيلة وما يجعلنا نستفسر عن جدوى هاته المقاربات والمداخل المنهجية في فهم التحولات التي طرأت على القبيلة في المجتمع الجزائري خصوصا ولهذا سنعرج في باقي محطات هاته الأطروحة، البحث بصفة ميدانية بالأساليب المنهجية الملائمة في طبيعة القبيلة ومدى تجاوبها ومتطلبات المجتمع الحضري في مدينة الأغواط.

[1]– غوستاف لوبون ، **السنن النفسية لتطور الامم** ، مؤسسة اقرا ، ط1، القاهرة ، 2015 ، ص 37.

الفصل الثالث

الثقافة القبلية في ظل التغيرات التاريخية للمجتمع

– تمهيد :

نتطرق في هذا الفصل بالعرض والتحليل لكل من مفهوم القبيلة ومفهوم العصبية على حدا ثم بالتطرق إلى النزعة العصبية القبلية التي توجد في البوادي وداخل المدن الحضرية الحديثة، وذلك بالتطرق إلى الدراسات والبحوث السوسيوحضرية التي قامت في هذا المجال.

أولاً : القبيلة:

1- تعريف ومفهوم القبيلة:

1-1- التعريف الاصطلاحي للقبيلة والنظام القبلي:

تعرف القبيلة العربية على أنها: جماعة من الناس ينتمون حقيقة أو وهما إلى أهل مشترك، ويشعرون بإنتسابهم إلى أب أو جد أعلى[1].

أما القبيلة كنظام فإنها تعرف بأنها: ذلك النمط من الحياة الذي نجد فيه الأمة الواحدة موزعة إلى جماعات بشرية مستقلة يجمع بين أفراد كل منها صلة النسب المشترك سواء كان هذا النسب حقيقيا أو وهميا[2] ، وهكذا يلاحظ أن لفظة "القبيلة " العربية تشمل رئيسين:

أولهما: يشير إلى مجموعة قرابية، تقوم على الانتساب للأب، وفي ثم تتجلى هنا أهمية علم الأنساب ولجوء المتخصصين في الماضي إليه لدراسة القبيلة ورغم إمتداد علاقات النسب إلى ما هو أبعد من القبيلة، إلا أنها كانت الإطار المرجعي الأمثل لغالبية المرتبطين بالقبيلة وتوفر القبيلة إطار لهوية مشتركة، وترتب حقوقا وإلتزامات هامة على أفرادها.

ثانيهما: يقصد بمفهوم القبيلة المكانة الإجتماعية المستندة إلى أصل عربي نقي (أي من قحطان أو عدنان) حيث إن النسب من جهة الأب كان ومازال هو الحاسم من الاعتراف بالمكانة القبلية[3].

أما في قاموس علم الإجتماع فإننا نجد ثلاثة مفاهيم:

- فهي نسق في التنظيم الإجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية، مثل القرى، البلديات والعشائر، وتقطن القبيلة عادة إقليما معينا ويكتفنها شعور قوي بالتضامن والوحدة يستند إلى مجموعة من العواطف الأولية.
- وهي تجمع كبير أو صغير من الناس يستغلون إقليما معينا ويتحدثون اللغة نفسها وتجمعهم علاقات إجتماعية خاصة متجانسة ثقافيا.
- كما هي وحدة متماسكة اجتماعيا ترتبط بإقليم وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية[4].

1-2- التعريف اللغوي:

يعرف علماء اللغة العربية القبيلة على أنها: جماعة من الناس تنسب إلى أب أو جد واحد، كقبائل العرب وسائرهم من الناس وأخذت قبائل العرب، من القبائل الرأس لإجتماعها، وجماعتها الشعب والقبائل دونها يقال الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ .

---

[1]- جوادي علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للمدايين، بيروت، طبعة 01، 1970، ص 313-314.

[2]- احسان النص: **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأقوى**، دار الفكر، بدون مكان نشر، طبعة 02، 1973، ص 55.

[3]- ثريا التركي ودونا لدوكول: **مجتمع ما قبل النفط في الجزيرة العربية** (فوضى قبلية ام مجتمعها مركب)، 1990، ص 43.

[4]- محمد عاطف غيث: محرر، **قاموس علم الإجتماع**، مصر، دار المعرفة الجامعية، 1990. ص 166.

والقبيلة في الحيوان والنبات المصنف، يقال رأيت قبائل من الطير أي أصنافا، وكل صنف منها قبيلة : فالغربان قبيلة والحمام قبيلة وقبائل الشجرة أغصانها[1].

كما ورد في لسان العرب التحديد اللغوي للقبيلة كما يلي: القبيلة واحدة قبائل الرأس وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض تصل بها الشؤون، وبها سميت قبائل العرب الواحدة قبيلة.

القبيلة صخرة تكون على رأس البئر والعقبان دعامتا القبيلة من خبثها...بعضدانها، وعن أبي الأعرابي: القبيلة من الناس والناس بنو أب واحد وهي القبيلة والمنزعة وعقاب البئر حيث يقدم الساقي.

ابن الكلبي: الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ، وفي الصحاح للجوهري المحكم لابن سيده" ... القبيلة الجماعة الناس بنو أب واحد."

وعن أبو العباس: أخذت قبائل العرب من قبائل الرأس لإجتماعها و جماعتها الشعب والقبائل دونها[2].

تضح من خلال هذه التعاريف اللغوية الفيلولوجية أن القبيلة ترجع في أصلها إلى أب واحد ومنه تتفرع الأنساب والسلالات كما تتفرع الأغصان عن الشجرة فإبن خلدون يشير إلى أن:" النسب أمر وهي لا حقيقة له"[3]، بل هو ميكانيزم تلجأ إليه القبيلة بطريقة لا شعورية من أجل إعادة صياغة علاقة التعاون والإلتحام بين أفرادها باعتبارها علاقة طبيعية وقاعدة أساسية للإنسانية.

1-3- مفهوم القبيلة لدى الغربيين:

اختلف مفهوم القبيلة من فكر لآخر، فهي في الفكر الغربي بنية تقليدية سابقة على المجتمع السياسي الحديث ينبغي إزالتها لا تهذيبها وتطويرها، أما في الفكر العربي فهي ككل الأنظمة الثقافية تنزع باستمرار إلى تعديل نفسها تبعا للظروف المتغيرة، وهي محرك للحياة السياسية وحاضرة في السلوك السياسي العربي وبناء علية نتناول التعريف بالقبيلة في الفكر الغربي الليبرالي:

إن كلمة قبيلة Tribu في اللغة الانجليزية كما أوردها قاموس (Oxford) مشتقة في الأصل اللاتيني(Tribus) ويشير إلى التقسيم الثلاثي لشعب روما القديم حيث كان مقسما إلى فروع ثلاثة: Ramnes و Sabines، Luceres[4].

وقد عرف قاموس (أكسفورد) القبيلة على أنها جماعة من الناس يشكلون مجتمعا محليا ويعلنون أنهم ينحدرون من جدا أو سلف مشترك[5].

---

[1]- جمال الدين أبو الفضل: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة، جزء 05، ص 3519.

[2] – عبد الهادي الهروي: **القبيلة لقطاع المخزون الفقاري سوسيولجية للمجتمع المغربي الحديث**، (1844–1934) إفريقيا الشرق(المغرب) 2005، ص46–47.

[3] – عبد الرحمن إبن خلدون: **المقدمة**، طبعة 01، دار القلم، بيروت، 1978، ص 129.

[4]- Norton H Fried ،The notion of the tribe (menlo Park-calyomia ،1975 ،p 3.

[5]- Ebid ،p 3.

ويقصد "جولدز وورثي" بالقبيلة جماعة قرابية تخضع الزعيم التقليدي، تخلق نظاما معينا ولها نظام سياسي[1].

القبيلة عند "ميشوبلير":

لقد كانت تصوراته حول المجتمع الغربي عامة والقبيلة بصفة خاصة مبنية على أحكام مسبقة وقوالب جاهزة وخلفية إيديولوجية جعلته ينظر إلى المجتمع المغربي من زاوية تقوم على منطق ثنائي متعارض وهما:

العام: النظام والانتظام والانضباط، العدالة والانسجام: المخزن.

الخاص: العنف والانشقاق والتنافر والسخط: النسبية.

يتعرض "بلير": من خلال هذا بالمنطلق الثنائي إلى القبيلة، فهي تعترف بسلطته الدينية وسيادته الروحية دون أن تعترف كليا بسلطته السياسية وبجهاز السلطان الإداري، فيري أن القبيلة تنطلق في خط تطورها من أصل مشترك واحد، إلا أنه لم يعتبر هذا الأصل البيوولوجي عاملا محددا للقبيلة، بل اعتبرها كوحدة تقوم على الإمتلاك الجماعي لنفس الحاجيات والمصالح والوسائل وإقتسام نفس الرموز الثقافية من أعراف وتقاليد وعادات بما هو مشترك بين الأفراد وبما اعتادوا تملكه جماعيا[2].

القبيلة عند "روبير مونتاني": يعترف بصعوبة تحديد مفهوم القبيلة، وبرغم هذا الاعتراف فإنها في تصوره مجموعة من المناطق (المواضع)، يتراوح عددها ما بين ثلاثة واثني عشر، وتملك بقعة محددة واسم خاص، وبعض العادات الجامعية المشتركة، وتفتقر في الوقت نفسه إلى كل مؤسسة سياسية مضبوطة ودقيقة، وبالأخص في ناحية الأطلس الكبير المركزي البعيدة عن جاذبية المخزن، وقد ذهب "مونتاني" إلى جعل العائلة هي العامل الأساسي في الحياة القبلية كبربر الأطلسي الكبير والجنوب المغربي في حين أن القبلية وحدة كبيرة تحمل إسم مشترك وتملك أرض محددة لها إلا أن وحدتها لا تظهر إلا إذا كانت مهدده من الخارج فإن القبيلة عند "روبير مونتاني" تتحدد لانتمائها لجد مشترك بقدر ما تتحدد أيضا، وبدرجة الأولى بالوحدة الجغرافية للمجال وبالإحساس وقت المصالح المشتركة التي تعطي للقبيلة شخصيتها وتعطيها نشاطها الخارجي[3].

وفي مجال الانثروبولوجيا تذهب بعض الأدبيات الغربية، عند تعريفها لمفهوم القبيلة على أنها تمثل مجتمعا محليا تسوده مجموعة من العواطف وثقافة أولية (البدائية) ويعطى للعامل القرابي أولويته على غيره من العوامل.

لذا فإن الفكر الغربي ينظر إلى الكيان القبلي على أنه كيان راكد تاريخيا وغير قابل للتطور[4]. فالقبيلة وفقا لهذا الفكر بنية تقليدية يتعين تطورها لا تحطيمها، لأنها نقيض التقدم والتطور ولذا فإن عملية التحديث بجوانبها المتعددة كفيلة بتحطيم وإزالة هذا الكيان القبلي الراكد والمعيق لتطور المجتمع.

يتميز "جاك بيرك" بتناوله الخاص للقبيلة والنظام القبلي، إذ يعطي أهمية بالغة للعنصر الإيكولوجي دون إغفال العناصر الأخرى كالعادات والأعراف والتقاليد والاقتصاد والجغرافيا وأيضا التاريخ، وتتحدد أهمية العنصر

[1] - D.Sqhilnsm Trbes;en(englevoud cliff Nezjerym Prentice Hqllm 1971m pp 4-13

[2] - Ed;ond :ichqux Bellqirem Qrddives :qrocqinesm Vol IVm 1911 ،P 8-10.

[3] - Rebert :ontqgne – les Berberes et le :qkhwen dqns le soud du :qrocm PqrisM 1930.

[4] – ايفانز بارتيشارد: **الانثروبولوجيا الإجتماعية**، ترجمة أحمد بوزيد، ص 32–35.

الايكولوجي عند "بيرك" في تحديد النشاط الفلاحي وتقسيم العمل القبلي، إذ يعتبر الحجر الأساسي في فهم البنية الإجتماعية لقبيلة "سكساوة"، ويؤكد "جاك بيرك" منذ البداية في "ما هي القبيلة بشمال إفريقيا" على ضرورة كتابة تاريخها ما دمنا لا نجد أي عمل مماثل باستثناء أعمال "إبن خلدون" فالأعمال التي أنجزها الفرنسيون حول مصطلح القبيلة (المرحلة الكولونيالية)، تنطلق كلها من ثلاثة تصورات تتلخص في التصور الحدسي المؤسس لحقيقة وهمية تعتبر أن البلد مرتبط بإرث مسيحي، وتصور يقوم على اعتبار القبيلة تركة الإدارة التركية (وخاصة بمنطقة تونس والجزائر)، وتصور تصنيفي عفوي بقيمة الأهالي حول مفهوم القبيلة والذي يعني تشكيلات شديدة التنوع مثل(عرش).

لقد شكل "جاك بيرك" في التفسيرات التي تعتمد على السلالة الواحدة والأصل المشترك وأقر بالنسبة لشمال إفريقيا (سكساوة) بواقع الاختلاط والانصهار ضمن الوسط الجغرافي، معلنا تواجد أصول كثيرة متنوعة في كل المناطق بحيث نجد كل أسماء القبائل أينما كنا في المغرب الكبير المعاصر[1] .

2- خصائص القبيلة ومميزاتها:

لا يمثل التصنيف القبلي في مجتمعات المغرب العربي سوى جزء من تصنيفات وترتيبات إجتماعية أخرى فالتقسيم الإجتماعي القبلي تخترقه تقاطعات إجتماعية يتراوح حضورها حسب المراحل التاريخية وحسب خصوصيات المجموعات بين القوى والضعف ومنها التصنيف الإثني والتصنيف الديني والتصنيف الطبقي وحرفي فالمجتمع المغاربي ضل خلال القرن الأخير قائما على ثلاثة متغيرات أساسية طبعت تاريخه وشكلت نسيجه الإجتماعي والثقافي وهي[2] :

- التنوع: فقد لعبت الفتوحات والغزوات والتجارة والهجرة دورا بارزا في تنويع الخارطة الأثنية للجميع.

- الحركية: وهي حركية أفقية جغرافية تجسدت في هجرة المجموعات وتنقلها المستمر في الداخل وفي الخارج على امتداد منطقة المغرب العربي، وهي كذلك حركية عمودية تجسد في تكسير الجمود الطبقي عبر السماح للأفراد والمجموعات بتغيير وظائفها ومراتبها ومداخيلها ومكانتها الإجتماعية. وقد أدت هذه الحركية إلى تيسير سبل التدرج الطبقي صعودا أو انحدارا، بفعل الحراك الذي أحدثته الهجرة والتجارة والتعليم. يحدث ذلك على رغم ما تتصف به التراتبية الإجتماعية في الأرياف وفي مناطق النفوذ القبلي من ميل إلى الجمود والثبات.

هذه الدينامية الإجتماعية كانت محكومة بمسالك محافظة تتحكم فيها الأعراف والتقاليد. وهذا ما يبينه المسلك إلى السلطة المحلية في الريف والمسلك إلى السلطة المركزية في المدينة.

- الاندماج: تميز المجتمع المحلي في أرياف المغرب العربي بالاندماج الداخلي بين المجموعات القبلية، فقد أدى التنوع الثقافي والأثني إلى حصول تعايش بين المجموعات كثيرا ما تحول إلى اندماج سوسيولوجي ساهم في إغناء

[1] - عبد الهادي الهروي: نفس المرجع، ص 61-62.

[2] - محمد نجيب بوطالب: **سوسيولوجيا القبلية في المغرب العربي**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يونيو 2002، ص109.

مرتكزات الهوية الجماعية. وقد تحول هذا الاندماج الخام مع مرحلة التحرير الوطني إلى إندماج وطني أدى في بعض الأقطار إلى الإنصهار (تونس- ليبيا) والتعايش (المغرب- الجزائر- موريتانيا) [1].

ومن هذا تتجلى لنا **خصائص القبيلة:**

2-1- المساواة: يقوم المجتمع القبلي في كثير من مظاهره ومضامينه على المساواة والعدالة بالمقارنة بمجتمع المدينة، وهذا ما يدل عليه ضعف الفروقات بين أفراد القبيلة، كما يغطي التضامن القبلي بين الأفراد والمجموعات الفوارق الفردية ويضعفها. فالطبقية الهرمية تكاد تختفي في القبيلة لأن الملكية مشتركة في أغلب الأحيان.

لكن القول بمبدأ المساواة في المجتمع القبلي المغاربي التقليدي يجب أن لا يذهب بنا إلى ما ذهب إليه دارسو الحقبة الاستعمارية، حينما بنو فرضيات واهية حول الديمقراطية القبلية وانعدام التراتبية الإجتماعية والسياسية. ومعلوم أن هذا الصفة ألصقت بالمجموعات "البربرية" بهدف تكريس مبدأ الاختلاف والانقسام داخل البناء الإجتماعي المغاربي.

صحيح أن طبيعة المجتمع القبلي ذي التجارب البسيطة في تقسيم العمل، وذي القاعدة الإجتماعية الصلبة القائمة على مبدأ التضامن، توحي بغياب التدرج والهرمية، وتوحي بالمساواة بمعناها العام، لكن ذلك لا يمكن أن يخفي وجود التفاوت في توزيع الثروة والسلطة، وبالتالي الجاه، بين المجموعات المكونة للبناء القبلي، إن العلاقات القائمة على رابطة الدم تمثل غشاء إيديولوجيا يحجب التفاوتات والفوارق وما ينتج منها من تناقضات بين مختلف الشرائح الإجتماعية، وتوجد عوامل خارجية (تدخل الدولة) تتمثل في إبتزاز أوفر قسط ممكن من فواضل الإنتاج لدى هذه المجموعات عن طريق الأنظمة الجبائية فتضعف نتيجة لذلك حدة الفوارق الإجتماعية.

2-2- التدين: هل الوازع الديني لدى القبيلة المغاربية ضعيفا فعلا. أم أن العصبية الدينية حاضرة وأساسية في تكوين القبيلة التحامها كما يرى "إبن خلدون" يمكن التمييز بين المرحلة التي خصها إبن خلدون بالدراسة وهي القبيلة العربية في العصر الوسيط، حينما كان الإلتحام القرابي يستند إلى عصبية دينية تمثل الرابطة التي يجتمع حولها المجتمع القبلي.والمراحل الحديثة المعاصرة حيث لا يلعب التدين الدور المركزي في التحام القبائل فوجود القبائل ظل حتى وقتنا الراهن يتمركز حول التشارك في العصبية القرابية (الحقيقية أو الوهمية- الضيقة أو الواسعة) وحول التشارك في استغلال الفضاء والتحرك فوقه، وإذا ما وجدت روابط روحية بين الجماعة القبلية، فإنها ظلت رهينة وجود زاوية أو طريقة لا تشكل في حياة الجماعة غير جزء من نشاطها الموسمي، أما الرابطة الدينية (الإسلام) فهي أوسع في النظام القبلي، إنها قاعدة الانتماء الواسع إلى المجتمع الشامل. لقد مثل هذا الانتماء كما أشار إلى ذلك "غيلنر" الرابطة الواسعة التي جمعت مختلف القبائل إلى فضاء حضاري أشمل.منع

[1]- محمد نجيب بوطالب: مرجع سابق.ص 110.

من التفرق وقلص من التهميش، وبالرجوع إلى الاعتراف والنظم الداخلية للقبيلة المغاربية يتضح مدى اعتماد تشريعاتها على قواعد إسلامية، حتى في أسوأ أحوال توتر علاقاتها بالمركز القريب أو البعيد[1] .

2-3- الحرية: لقد كان دفع المجبى بالنسبة إلى القبائل، وفي مختلف المراحل، تعبيرا عن الخضوع إلى المركز السياسي. وسادت في بعض المراحل علاقات ما بين قبلية تقوم على تحكم القبائل القوية في القبائل الضعيفة عبر فرض الإتاوات عليها. وقد اتخذت تلك العلاقات عدة أشكال تراوحت بين التحالف والحماية والإخضاع، فأصبحت الضريبة رمزا للتمييز في المجتمع القبلي، بين القبيلة السيدة صاحبة " الملك" والقبائل المسودة[2]. وخصوصا تلك التي كانت تعيش على الحل والترحال دون أن تضبطها حدود، وكانت تعتبر نفسها كيانا حرا شبه مستقل، ذلك ما جعل القبيلة كبناء اجتماعي شبه مغلق ترفع في بعض المراحل شعار الحرية تجاه مختلف أشكال التدخل في فضاءها، ولذلك كثر التمرد في تلك الفضاءات قديما وحديثا. وفي جهة أخرى فقد أفرزت القبيلة المغربية في العصر الحديث قيادات وطنية وإجتماعية كان لها دور بارز في التاريخ السياسي، انطلاقا من مبدأ الحرية الذي يميز حياة المجتمع القبلي.

2-4- جاذبية الأصل (المغرب والمشرق): يمثل كل المغرب الأقصى والمشرق(الجزيرة) المرجعية الأساسية لانتساب القبائل المنتشرة في شمال إفريقيا، ويتجسد الانتساب الحقيقي والوهمي إلى المشرق في شجرة النسب الراجعة إلى الخلفاء الراشدين والرسول ﷺ مثلما يتجسد الانتساب إلى المغرب في شرفاء جنوب المغرب الأقصى من الأدارسة [3]. ويلتقي هذا الانتساب إلى القطبين المشرقي والمغربي في عناصر الشرق والانتماء الديني والإثني، بما يضفي مشروعية تاريخية على تاريخ الجماعة القبلية.

إلا أن التاريخ الإجتماعي الحديث والمعاصر يتوجه إلى تأكيد أن المغرب كان يمثل بالنسبة إلى الفاعلين الإجتماعيين مجالا متوترا لتحديد الأصول السلالية (الجينيالوجية) لقبائل الجنوب التونسي في غالبيتها، وربما كان ذلك التوجه يفوق التوجه والانتساب إلى الأصول المشرفة.

2-5- تداول الوراثة في السلطة القبلية: من المعروف أن الرسول ﷺ لم يعامل الناس كشيخ قبيلة مثلما لم يعاملهم كملك أو كحاكم كما اعتادوا، فقد رفض هذه الاعتبارات. أما التقاليد العربية فلم تكن تورث الرئاسة، لأن الرئاسة منصب يستحقه الفرد لنفسه، بخصاله وكفاءته [4].

إن فكرة وراثة السلطة القبلية كانت فكرة مضخمة لدى باحثي الحقبة الاستعمارية، ولعل منشأها وراثة أحكام مناوئة للإسلام، تسربت منذ القرن 18 إلى الإستشراق التقليدي. كما يمكن إرجاع هذا التضخيم إلى التسرع

---

[1] - محمد عبد الجابري: **العقد السياسي العربي**، ، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، طبعة 01، 1990، ص 102 .

[2] - محمد نجيب بوطالب: مرجع سابق، ص 106.

[3] - Jocelune dakhlia lobule de la cite ،la memoire collecture a l'epreuve de lignage dans le jerid tunision ،derie arthropologie ،paris-decouverte 1990 ،p43.

[4] - محمد نجيب بوطالب: مرجع سابق، ص 108.

الذي وسم كتابات نموذج (الباحث – الضابط) التي أدى تسربها إلى إنتشار الحكم على القبيلة العربية في المغرب العربي، بكونها تقوم على توارث المشيخة والقيادة مقابل النزعة الديمقراطية والانتخابية في القبلية البربرية. ليس من الصعب على الباحث دحض تلك الأحكام، باعتبار أن ظاهرة إحتكار بعض العائلات أو خطوط النسب لسلطة الشيخ أو القائد ما هي سوى ظاهرة حديثة فضلا عن كونها غير دائمة، لأنها تخضع بعد كل فترة إلى مبدأ الانتقال إلى خط نسب آخر. كما أن الوثائق القبلية، وخصوصا تلك المتعلقة بالميعاد[1]، تدل دلالة واضحة على أن السلطة العرفية المحلية كانت تخضع إلى المشاورة والانتخاب لدى أغلب القبائل على مختلف انتماءاتها العرقية.

2-6- التضامن الآلي (الجبرية القبلية): تمثل الجبرية إحدى محددات الإيدولوجية القبلية. فمكانة الأفراد التي تستوجب الانصهار في الجماعة القبلية تجعلهم لا يعبرون عن إراداتهم الخاصة، بل تتطلب تعبيرهم عن فعلهم الفردي أو الجماعي من خلال إرادة القبيلة، فهم يتصرفون بالنيابة عنها، إن الفرد حينما كان يغزو أو يمارس الثأر فهو لا يفعل ذلك لنفسه فقط بل من أجل القبيلة، إنه يمارس بذلك فعلا اجتماعيا سياسيا نابعا من قهر الجماعة الذي يمنعه من ممارسة فعل مغاير لذلك الفعل.

على أن هذه الجبرية ظلت صفة تميز البناء القبلي حتى القرن 19 حينما بدأت الكيانات القبلية في التفكك مع ظهور أشكال جديدة من الاندماج عوضت الإندماج القبلي واستبدلت التجند القبلي. لقد مثلت القبيلة عبر التاريخ الملجأ الحصين الفرد، كما مثل التضامن القبلي وسيلة الدفاع الأساسية ضد كل أشكال القهر المسلط من الخارج، وما دامت الخيمة تمثل الوحدة السكنية التي ظلت تصاحب البناء القبلي، فقد أصبحت رمزا لتماسك القبيلة ووحدة بنائها القاعدية، باعتبار أن الخيمة تمثل الوحدة الإجتماعية الصغرى ممثلة في الأسرة الزوجية، فلعل الخيمة بطريقة بنائها وبمرتكزاتها وحمايتها للأفراد تمثل خير معبر عن القبيلة كغطاء يضم ويحمي مختلف الفروع والعشائر ويسندها.

3- البناء القبلي:

3-1- البناء الإجتماعي للقبيلة:

تتكون القبيلة من خلية أساسية هي الأسرة وعمادها الأب الذي له النفوذ والسلطة المطلقة بما تخوله العادات والتقاليد والأعراف التي هي بمثابة الدستور. تستند إليها في تنظيم علاقاتها وما للأفراد وما عليها من حقوق وواجبات وفي قبول العناصر الوافدة وانضمامها طبقا لمواثيق العهود والولاء أو في تحالفها أو تضامنها مع قبائل أخرى تحت قيادة واحدة. فالمجتمع العربي نرى أنه قبلي، فنجد فيه الحضر والبدو والرعاة والمزارعون، وللقبيلة فيه مكانة خاصة باعتبارها وحدة إجتماعية مميزة ولا تلبث هذه القبيلة بحكم سنة التكاثر وتزايد الأفراد أن تنقسم إلى قبيلتين أو أكثر، وإلى مجموعة من الأفخاذ والبطون وتفرض عليها الأحداث والأوضاع التي

[1]- الميعاد: هو المجلس القبلي في القبيلة التونسية.

تعيشها أن تدخل مع غيرها في اتحادات تحت قيادة زعيم أو شيخ واحد وهذه طبيعة البناء الإجتماعي القائم على أسرة الأب [1].

تعتبر القبيلة وحدة التنظيم الإجتماعي الرئيسة في المجتمع العربي قبل الإسلام، فهي تتواجد في الصحاري والقرى. كما في الحواضر والمدن[2]، وتضم القبيلة عادة جماعات داخلية تسمى العشيرة والبطن والفخذ والفصيلة والرهط وتدل هذه الجماعات أو التقسيمات القبلية على مستويات مختلفة في التنظيم الإجتماعي ولا تدل على طرق العيش والكسب[3]، فقط مثل مجتمع شبه الجزيرة العربية كيانا لعدد من مجتمعات القبائل. حيث شكلت كل قبيلة مجتمعا قائما بذاته مستقلا في إدارة شؤونه معيشية وحكمه. بيد أن هناك جامعا مشتركا بينهما. هو تنظيمها الداخلي إن هذا التنظيم نفسه يتكرر لدى كل القبائل مما يجعلها وحدات منفصلة ماديا فيما بينها لكنها منسجمة التكوين الداخلي وذات أوضاع إجتماعية متشابهة.

وتتميز القبلية كتنظيم اجتماعي بالسمات الآتية:

– تشكل القبيلة جماعة متماسكة تتميز بالتضامن والشعور بروح الجماعة، ولكل فرد أو مجموعة من الأفراد فيها دور معين يقوم به، حيث تؤلف القبيلة مجموعة من الأدوار المتكاملة [4].

– تتواجد القبيلة بتنظيماتها الإجتماعية المتعددة، في عدة تصنيفات معيشية، وبأشكال مختلفة بين البدو الرحل، وفي القرى الفلاحية والمدن.

– القبيلة من الناحية الإجتماعية غير معزولة عن سائر القبائل الأخرى، فالمصاهرات بين القبائل كانت أمرا مألوفا، إضافة إلى ما كانت تشكله الأسواق القبلية من إطار موسمي لتفاخر القبائل وتبادل السلع فيما بينها[5].

– تمثل القبيلة تنظيما اجتماعيا يستند إلى نظم وأعرف وتقاليد، وجدت لمنح أفراد القبيلة القدرة على مواجهة ما يحيط بهم من ظروف طبيعية وبيئية قاسية.

– تمثل القبيلة العربية وحدة إجتماعية متماسكة تسير شؤون حياتها وتحقق مصالحها عبر تنظيم داخلي محدد.

– ورغم الحديث عن تماسك القبيلة ووحدة مصالحها فإنها تشكل تنظيما منقسما إلى شرائح إجتماعية متعددة وفق تراتب داخلي يشتمل على الفئات الآتية:

– زعماء القبيلة وشيوخها (يمثلون السلطة السياسة والناطقين السياسيين باسم قبائلهم).

– الفرسان أو المحاربون (وهم القاعدة العسكرية للقبيلة التي تكونت من أبناء القرى الإجتماعية ذات النفوذ الاقتصادي الإجتماعي المحلي وهم في الغالب من أبناء زعماء القبائل).

---

[1]– فرج عبد العزيز نجم ،**القبيلة والاسلام والدولة**، دراسة تاريخية تحليلية ذات طابع تفصيلي للجذور القبلية للمجتمع الليبي، بدون مكان نشر، القاهرة، 2008، ص 66.

[2]– محسن محمد الظواهري: **المجتمع والدولة** ،(دراسة العلاقة القبلية بالتعددية السياسية مكتبة مدبولي (القاهرة) طبعة 01، 2004، ص 108–109.

[3]– فؤاد إسحاق الخوري: **السلطة لدى القبائل العربية**، دار الساقي، بيروت، طبعة 01، 1991، ص 13– 14 .

[4]– صلاح مصطفى الفوال : **البداوة العربية والتنمية**. مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1967، ص 197.

[5]– إحسان النص : مرجع سابق، ص 60.

– العامة: وهم سواد القبيلة، وحاملوا الأعباء فيها كالرعاة والمزارعين والحرفين .

– العبيد: وهم موالي القبيلة والملحقين بها ويشاركونها سراءها وضراءها.

فلكل فرد في القبيلة موقع اجتماعي خاص به، يصعب تجاوزه، بسبب المورث القبلي الذي يمثل دور الضابط القانوني لعمل القبيلة العربية ود يحو منها[1].

3–2– البناء الاقتصادي للقبيلة :

انقسمت المجتمعات العربية قبل الإسلام إلى قسمين رئيسين بدور رحل وحضر مقيمين، وقد كان العرب في وضع اقتصادي اجتماعي متباين، حيث كانت مجتمعاتهم تجارية وبعضها زراعية إقطاعية إلا أن رخاءها وقوتها استندت إلى التجارة[2].

وللتعرف على الاقتصاد القبلي وأنماطه نجد أن القبائل العربية عرفت أنماطا ثلاثة للإنتاج هي: الرعي والزراعة والصيد بنوعية البري والبحري.

وقد ساد نمط أو أكثر من هذه الأنماط الثلاثة في بعض القبائل دون غيرها، كما وجدت بعض الحرف والصناعات الأولية وتحديدا بين القبائل الأكثر استقرارا في المدن والقرى. وخصوصا في كل من اليمن والحجاز وقد لعبت التجارة دورا رئيسيا في كل من التكوينات القبلية في الجزيرة العربية على مر العصور، بما فيها عصر ما قبل الإسلام، وتعتبر ظاهرة الغزو من السمات الأساسية التي عرفها اقتصاد بعض القبائل العربية.

فعندما تنعدم مصادر الرزق تهدد القبيلة في معشيتها، فتغدو مرغمة على الغزو من أجل البقاء، تمثل ظاهرة الغزو أحد مؤشرات عدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي لهذه القبائل. أي اضطراب الأساس الاقتصادي للقبيلة وعدم استقرارها. بسبب جدب الصحراء وما قد يتعرض قوافلها من خطر يحتم عليها السعي للحفاظ على أعلى درجات التضامن فيما بينها[3].

3–3– البناء السياسي للقبيلة:

في هذا السياق يمكن طرح التساؤل المنهجي الآتي:

هل القبيلة "كمفهوم" يمكن اعتباره مفهوما سياسيا ؟

وللإجابة على هذا التساؤل يمكن القول: إن الفكر والواقع العربيين في معظمها يؤكدان على العلاقة التفاعلية بين القبيلة والسياسة.

---

[1]– مسعود ظاهر : **القبيلة كمؤسسة سلطوية في المشرف العربي الحديث**، المغرب، طبعة 01، 1988، ص 5– 6.

[2]– عبد العزيز الدوري : **التكوين التاريخي للأمة العربية**، دار المستقبل العربي، طبعة 2، القاهرة، سنة 1985، ص 25.

[3]– الفضل شلق : **القبيلة والدولة والمجتمع**، مجلة الاجتهاد، العدد 17، بيروت 1992، ص 13– 14.

فالمجتمع السياسي العربي في غالبيته كان وما زال مرتبطا بشكل رئيس بالعصبة أوالقبيلة وهذا ما أكده إبن خلدون حيث يرى "...إن تمهيد الدولة وتأسيسها... إنما يكون بالعصبية ... كما أن الغاية إلى تجري إليها العصبية هي الملك [1].

كما أن علاقة التأثير والتأثر بين القبيلة السياسية قد دفعت بعض الباحثين العرب إلى تقرير هذه العلاقة عبر ما سماه بـ القبلية السياسية [2]، باعتبارها مبدأ تنظيميا يحدد الأطر العامة للعضوية في الجماعة حسب تراتبية تنظيمية.

إضافة إلى كونها رابطة موحدة الهدف مبنية على التحالف إلى جانب القرابة (النسب)، كما أنها تمثل عقلية عامة شعبية تحكم كل أشكال العلاقة السياسية، كما أن هذه القبلية السياسية" ككل الأنظمة الثقافية تنزع باستمرار إلى تعديل نفسها تبعا للظروف المتغيرة" [3].

وإذا كان الفكر الغربي في غالبيته، يرى أن القبيلة هي بنية تقليدية سابقة على المجتمع السياسي الحديث، فإن استقرار الواقع السياسي العربي تاريخيا، يدفع إلى القول: بأن القبيلة كانت ومازالت، أحد محددات العقل السياسي العربي، فالقبيلة العربية غدت محركا للسياسة فهي حاضرة في السلوك السياسي العربي فهي معطي نفسي إلى جانب كونها تنظيم اجتماعي سياسي [4].

حيث نرى أن المجتمعات العربية عاشت لأزمنة طويلة في ظل النظام القبلي، حيث مثلت القبيلة وحدة سياسية مستقلة، وقد افتقر العرب آنذاك لنظام سياسي يخضع لسلطانه شتى القبائل العربية، فقد كانت كل قبيلة أشبه بدولة صغيرة.

وتعتبر رابطة الدم أو النسب أساس المجتمع السياسي القبلي، فالعربي لم يفهم الدولة إلا أن دولة القبيلة، دولة صلة الرحم التي تربط الأسرة بالقبيلة[5].

كذلك عرفت القبائل العربية مفهوم اجتماعيا شاملا للسلطة فلا يفرق لديها بين مفاهيم السلطة والسلطان وبين القوة والنفوذ أو القسر والهيمنة، فجميعها تستند في سلطتها إلى كل من التنظيم الإجتماعي ممثلا بالعشيرة كأداة تنظيمية داخل القبيلة، والأعراف القبلية المتبعة [6].

ويمكن تحديد أهمية القبيلة العربية كتنظيم سياسي على الوجه الآتي:

- بساطة السلطة السياسية داخل القبيلة. وسهولة الاتصال السياسي بين الحاكم والمحكوم .
- ولاء الأفراد للقبيلة أولا.

---

[1] – إبن خلدون : **المقدمة**، الجزء الثاني، ص 755.

[2] – مفهوم القبلية السياسية في بحث خلدون النقيب.

[3] – خلدون النقيب: **صراع القبلية والديمقراطية**، (حالة الكويت) دار الساقي، بيروت، طبعة 01، 1996، ص 18–20.

[4] – محمد عبد الجابري: **العقل السياسي العربي**، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، طبعة 01، 1990، ص 143.

[5] – جواد علي : **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جزء 04، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة 01، 1970، ص 314–315.

[6] – فؤاد إسحاق الخوري : **السلطة لدى القبائل العربية**، دار الساقي، بيروت، طبعة 01، 1991، ص 13–14.

– إنصياع الأفراد للتراتب السياسي داخل القبيلة وفقا للأعراف والقيم القبلية المرعية .

– احترام السلطة السياسية لزعماء (الشيوخ) القبيلة، رضاءا واختيارا، ومصدر الشرعية وممارستها مستمدة من القيم الإجتماعية القبلية، كالشجاعة والإقدام والتضحية والقدرة على الخطاب [1].

– فاعلية العصبية القبلية في حماية الجماعة واحتكام أفراد القبيلة إليها في سلوكهم الإجتماعي والسياسي.

السيادة في المجتمع القبلي لزعيم (الشيخ) القبيلة ومجلسها.

4– الضبط الإجتماعي للقبيلة وأدواته:

الضبط الإجتماعي نظام قديم عرفته البشرية وعرفه الإنسان منذ القدم واتخذ لتحقيقه بعض الأساليب لتنظيم العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع من أجل إشباع حاجاتهم ولضمان استقرار المجتمع واستمراره إذ أن من طبيعة النفس الإنسانية التأثر بالغرائز المختلفة التي تسيطر على سلوك الإنسان وتنزح به عن الطريق السوي إذا لم يجد الوسيلة الضابطة لسلوكه، ولذا فإن عملية الضبط الإجتماعي عملية قيمة لها دورها القوي والفعال في توفير الرقابة على الفرد والمجتمع

وللضبط الإجتماعي صوراً ووسائل يتحقق عن طريقها، والتربية هي الأداة لتحقيق تلك الوسائل والصور وهنا يبرز دور التربية في ضبط المجتمع. وقد اهتم الإسلام بالمجتمع المسلم، وحرص أشد الحرص على حفظ كيانه واستقراره، فأصبح الإسلام نظاماً ضابطاً بكل ما يحويه من عبادات ومعاملات، وقيم ومبادئ وأخلاق وآداب. وهو نظام صالح للتطبيق في كل زمان ومكان بالرغم مما يقوله المغرضون من أعداء الدين الإسلامي[2].

4–1– مفهوم الضبط الإجتماعي:

يعد موضوع الضبط الإجتماعي من أهم الموضوعات التي تناولها العلماء والمفكرون، واهتم به علماء التربية والإجتماع وعلم النفس لصلته الوثيقة بتنظيم المجتمعات وحياة الأفراد داخل هذه المجتمعات . ولا يزال موضوع الضبط الإجتماعي يعاني كثيراً من الخلط والغموض، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى اختلاف العلماء أنفسهم في مسألة تحديدهم لمفهوم الضبط الإجتماعي، وعدم اتفاقهم على تعريف واضح محدد له، وكذلك عدم اتفاقهم على ميدان الضبط الإجتماعي وحدوده بوصفه عملية تنطوي على كثير من المضامين والمفهومات التي تتدخل في تحديد أبعاده ووظائفه بالنظر إلى أسسه ومجالاته النظرية والعملية [3].

وقد وردت إشارات إلى مسألة النظام والقواعد المنظمة للسلوك والسلطة في كثير من الكتب القديمة، حيث تعرض فلاسفة اليونان القدماء لمسالة الضبط الإجتماعي، ولكنهم استخدموا مصطلحات أخرى : كالقانون أو الدين أو العرف أو الأخلاق[4] .

---

[1] – حامد عبد الله ربيع: **تحقيق و تقديم سلوك المالك لتدبير المماليك لشهاب الدين أحمد بن أبي الربيع**، جزء 01، مطابع دار الشعب القاهرة، بدون طبعة، 1980، ص 175.

[2] – إحسان النص : **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، دار الفكر، بدون مكان نشر، طبعة 02، 1973، ص 449.

[3] – أبو زيد محمود: **الشائعات والضبط الإجتماعي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية 1980، ص 166.

[4] – الرشدان عبد الله : **علم اجتماع التربية**، دار الشروق، عمان، الأردن، 1999، ص 189.

غير أن أول رائد لمفهوم الضبط الإجتماعي هو العلامة العربي " إبن خلدون " الذي أشار في مقدمته إلى الضبط الإجتماعي بصورة أكثر وضوحاً وتحديداً في قوله : « إن الإجتماع للبشر ضروري ولابد لهم في الإجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه، وحكمه فيهم إما أن يستند إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه، أو إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليه ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم، فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة، والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط »[1].

كما يرى أن الإنسان بحاجة إلى سلطة ضابطة لسلوكه الإجتماعي، وأن عمران المدن بحاجة إلى تدخل ذوي الشأن والسلطان من أجل فاعلية النوازع وحماية المنشآت. ووسائل الضبط التي تحقق هذه الغاية تتمثل في : الدين، والقانون، والآداب العامة، والأعراف، والعادات، والتقاليد ... "[2].

4-2- أساليب الضبط الإجتماعي والمعايير الإجتماعية:

يقصد بأساليب الضبط الإجتماعي : الطرق والممارسات التي تتحكم في تصرفات الأفراد وتعمل كقوى تجبر الأفراد على الخضوع للمعايير الإجتماعية .فكل مجتمع من المجتمعات البشرية له أساليب ضبط تنظم حياة البشر وتحكم طرق معاملاتهم وسلوكياتهم لتحقيق الضبط الإجتماعي كالقوانين والأعراف والعادات والتقاليد . وتختلف أساليب الضبط الإجتماعي في أهميتها باختلاف المجتمعات وباختلاف الزمان والمكان" فقد تكون الطرائق الشعبية أسلوباً من الدرجة الأولى في بعض المجتمعات، ويكون القانون في المرتبة الثانية، وقد يحدث العكس[3] .

ويشير "جيب" (Gibbs) :إلى أن تعدد صور وأنواع الضبط الإجتماعي وتغيرهما من مجتمع لآخر، ومن عصر إلى آخر، يشكل موضوعاً غامضاً في علم الإجتماع، كما أن تلك الظواهر المتنوعة للضبط الإجتماعي جعلت من الصعب إعطاء تعريف محدد ومناسب له[4].

كما يؤكد "جانوتز" (Janowitz) أن صور وأنواع الضبط الإجتماعي جاءت نتيجة تغيرات شخصية سابقة، وكل من هذه الصور له تأثير مختلف على السلوك الإجتماعي، ومهمة علم الإجتماع تتركز في بحث هذه الصور ونتائج الضبط الإجتماعي، وهذا يعني الإجابة على السؤال الافتراضي: أي صور الضبط الإجتماعي هي الأكثر تأثيراً، وكيف يمكن للجماعة أن تضبط ذاتها ضمن مبادئ أخلاقية شرعية تفضي إلى خفض السيطرة القسرية .

ومن هنا فقد اختلف العلماء في تحديد مصطلح لهذه الأساليب، كما اختلفوا في تصنيفها، فسماها "روس" وسائل الضبط الإجتماعي وحددها في خمس عشرة وسيلة مرتبة كما يلي:

---

[1]- حسنين مصطفى محمد: **الضبط الإجتماعي في الإسلام**، أضواء الشريعة، العدد 5، كلية الشريعة، الرياض، 1394هـ، ص 201-208.

[2]- الخطيب محمد شحات وآخرون: **أصول التربية الإسلامية**، الرياض. ص 1995، ص 530 .

[3]- السالم خالد بن عبد الرحمن: **الضبط الإجتماعي والتماسك الأسري**، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، بدون طبعة (2000)، ص79.

[4]- Gibbs ،Jack P : Norms ،Deviance & Social Control. Elsevier ،New York. 1981.

1- الرأي العام. 2- القانون. 3- المعتقدات. 4- الإيحاء الإجتماعي. 5- التربية. 6- التقاليد. 7- دين الجماعة. 8- المثل العليا 9- الشعائر والطقوس 10- الفن. 11- الشخصية. 12- التراث. 13- القيم الإجتماعية. 14- الأساطير والأوهام. 15- الأخلاق[1].

بينما صنف "لانديز" وسائل الضبط الإجتماعي إلى قسمين :

1- الوسائل الضرورية لإيجاد النظام الإجتماعي، وتشمل : القيم، والمعايير، والأعراف، والعادات.

2- وسائل تدعيم النظام الإجتماعي، وقسمها إلى قسمين:

- النظم الإجتماعية، كالأسرة والدين والمدرسة والاقتصاد والعلم والتكنولوجيا.

- الأبنية الإجتماعية، كالجنس والطبقة والجماعة الأولية والثانوية .

وحدد "بارسونز" خمسة أساليب للضبط الإجتماعي وهي:

1- التنشئة الإجتماعية. 2- المقاطعة الإجتماعية. 3- ضغط الجماعة. 4- السجون المنظمة. 5- قيام المؤسسات و المنظمات[2] .

أما "لابيير" فقد ميز بين وسائل الضبط الإجتماعي من الناحية العملية (وتشمل:الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح)، وبين الأساليب الفنية التي تكمل تدعيم سلطة الجماعة على أفرادها وتتلخص في أنواع الجزاءات) الجمعية والنفسية والرمزية والتوقعية).

بينما يميز "جيروفيتش" بين صور الضبط الإجتماعي وأنواعه وهيئاته . فأنواع الضبط الإجتماعي هي القانون والدين والمعرفة والتربية والفن والأخلاق) . أي أنه اعتبر تلك الأمور أنواعاً للضبط الإجتماعي وليست وسائل أو أساليب[3].

وعلى الرغم من اختلاف علماء التربية والإجتماع في مسمى أساليب الضبط الإجتماعي وتصنيفاتها، إلا أن الإجماع يكاد يكون واحداً على أهمية هذه الأساليب، " فالنظام الإجتماعي يعتبر نتاجاً طبيعياً لفاعلية وسائل الضبط الإجتماعي ". ونلحظ خلطاً كبيراً بين أساليب الضبط الإجتماعي والمعايير الإجتماعية، ومن هنا نجد أنه لزاماً علينا أن نوضح المقصود بالمعايير الإجتماعية.

[1]- سليم سلوى: **الإسلام والضبط الإجتماعي**، دار التوفيق النموذجية، القاهرة. 1985، ص 67.

[2]- الحامد و الرومي : **الأسرة والضبط الإجتماعي**، دار الشروق، الرياض، بدون طبعة. 2001، ص 123.

[3]- السالم خالد بن عبد الرحمن: مرجع سابق، ص 98.

ثانياً: العصبية القبلية:

يبحث هذا العنصر من الدراسة في مفهوم العصبية القبلية، وبيان مظاهرها، والأسس التي قامت عليها والأسباب المؤدية لبلورتها، و كيف برزت كسلوك ممثل للجماعات عبر الموروث الثقافي العربي، وقد تمّ التركيز على وضع مجموعة من الأطر التاريخية التي مثلت هذا المفهوم على إطلاقه، مع الأخذ بعين الاعتبار أن السرد التاريخي لمجمل الأحداث التي طرأت على المجتمعات العربية لم تشكل غاية في نفس الباحث، وإنما الاهتمام كان منصبًا في بيان أفق وتجليات هذه الظاهرة.ولبلوغ ذلك يحاول الباحث في هذا الفصل الإجابة عن ماهية التعصب، وكيف تمّ التّعاطي معه من خلال محطات معينة قامت بتمثيله، وهل شكلت العصبية إطارًا إيجابيًا في تفاعلات المجتمعات، وذلك من خلال توقف الباحث عند مناقشة العصبية وأسبابها ودوافعه، وكيف تكون مع التأكيد على إبراز عوامل الضعف والقوة التي اعترت هذا المفهوم.

1- مفهوم التعصب والعصبية القبلية لغة ودلالة:

"التَّعصُّب: من العَصبيَّة .والعصبية في اللغة " :مشتقة من العَصب وهو :الطيّ والشدُّ).وعصب الشيء يَعصِبُهُ عصبًا : طواه ولواه، وقيل شدّه .والتَعصُّب :المحاماة والمدافعة[1]".

والعَصِبيّة": أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبيته، والتَّألُّب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أم مظلومين .وقد تعصَّبوا عليهم إذا تجمَّعوا، فإذا تجمعوا على فريقِ آخر، قيل : تعصَّبوا.

وفي الحديث :العَصَبيُّ هو الذي يغضب لعصبيته، ويحامي عنهم .والعَصَبية :الأقارب من جهة الأب، لأنهم يُعَصِّبونه، ويَعتَصِبُ بهم أي يحيطون به، ويشتد بهم ... والتَّعصُّب : المحاماة والمدافعة .وتعَّصبنا له ومعه: نصَرناه، وعَصَبة الرجل :قومه الذين يتعَصَّبون له "... [2].

والعصبية حسب المعجم الوسيط تعني" :الجماعة من الناس أو الخيل أو الطير، وفي التنزيل العزيز " :وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ." وعصبة الرجل:بنوه وقرابته لأبيه، أو قومه الذين يتعصبون له وينصرونه للواحد والجمع) (العصبيُّ :(من يعين قومه على الظلم، أو من يحامي عن عصبته ويعصب، والمنسوب إلى العصب، يقال الرجل عصبيّ :سريع الانفعال) .

والعَصَبّة : (المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره أو تلزمه لغرض[3]).

---

[1] – الأزهري، أبي منصور مُحَمَّد بن أحمد :**تهذيب اللغة**، الجزء 2 ، تحقيق مُحَمَّد علي النجار .دار الطبع الدار المصرية .مصر، للتأليف والترجمة .د.ت.ن .ص49.

[2] – ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم :**لسان العرب** .ط .(1) دار صادر للطباعة والنشر .بيروت .ص167.

[3] – **المعجم الوسيط**: ب.ط، المكتبة العلمية .طهران.:د.ت .ص 610.

أما التعصب حسب" الموسوعة العربية العالمية " فيعني :اتخاذ مفاهيم خاطئة عن جماعات معينة، وإصدار أحكام عليهم دون الارتكاز على براهين للإدانة، وعدم الأخذ بالوقت كعامل يعطي أحكاما متأنية، فالتعصب يتجاهل الآخر ويعمل على إقصائه وتهميشه وإخراج الأحكام ضده، دون دلائل وبراهين[1].

أما العَصَبيَّة **في الاصطلاح** : فقد عرفها "مُحَّد عابد الجابري "بقوله :إنها رابطة إجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معًا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، ربطًا مستمرًا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد، كأفراد أو كجماعة .

وقد جاءت العُصبَة و العِصَابةِ :بمعنى " الجماعة[2]"من خلال قوله تعالى) : 'ونحن عُصبَةٌ' (يوسف 8) كذلك وردت لفظة عصيب بمعنى " شديد عظيم بلاؤه " من خلال قوله تعالى :هذا يوم عَصِيبٌ (هود 77)

يتضح من خلال استعراض المفاهيم المتعلقة بالتعصب، أنه يقوم على محورين :وهما القرابة والملازمة، بحيث لا يتمكن الفرد من التعبير عن كيانه الشخصي إلا من خلال جماعته، التي تحميه وتدافع عنه ضد أي حدث خارجي ما دام هذا الفرد ممعنًا في البقاء تحت لواء عصبته [3].

من هنا برزت العصبية القبلية كظاهرة اجتماعية، تمتلك ترسانة الإلزام والقهر والخضوع والزجر والطرد وهي بهذا إنما تمتلك وتحظى بتأثير أساسي في الدفاع عن الفرد وشعوره بالأمان، وتعمل حثيثًا على تدعيم أواصر الأخوة، وتدعيم مبادئ المساواة حسب المنطق الخاص بالقبيلة، ولكن وعلى صعيد آخر، نجد أن هذه الظاهرة قد عملت على عزل وتهميش وإقصاء قبيلتها من النواحي المختلفة، حيث نلحظ أن هذه العصبيات قد تعددت وأخذت أشكالا متعددة، فظهرت"عصبية الفصيلة :كالعصبية لبني العباس، أو لبني أبي سفيان. وعصبية الفخذ:كالعصبية لبني مخزوم، أو لبني أمية، وعصبية البطن :كالعصبية لبني عبد مناف، أو لبني الأحوص .وعصبية القبيلة :كالعصبية لمضر، أو لربيعة .وعصبية العمارة :كالعصبية لبني عبس، أو لقريش، وعصبية الشعب:كالعصبية لعدنان أو قحطان .وعصبية الأمة : "كعصبية العرب على العجم [4]".

– التعصب سيكولوجيًا :

يعرف التعصّب (prejudice) من وجهة نظر نفسية بأنه " اتجاه نفسي مشحون انفعاليًّا، أو عقيدة أو حكم مسبق مع أو في الأغلب والأعم (ضدّ جماعة أو شيء أو موضوع، ولا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية بل ربما يستند إلى أساطير وخرافات[5] .فيما يرى آخرون أنه":أحكام مسبقة غير قائمة على دليل على شخص أو جماعة محبوبة أو مكروهة، مع الميل إلى القيام بسلوك يتفق مع هذه الأحكام. ويوصف

[1] – أنظر، **الموسوعة العربية العالمية** :المجلد التاسع.طبعة الأولى، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .السعودية، 1996، ص 12 .

[2] – إبن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم** .طبعة الثانية، جمعية إحياء التراث الإسلامي، دار السلام للنشر والتوزيع، السعودية . 2001 .ص 1442 .

[3] – مُحَّد عابد الجابري : **فكر إبن خلدون العصبية والدولة**، طبعة 5، مركز دراسات.الوحدة العربية، بيروت، سنة 1992 ص 166.

[4] – مُحَّد زهير :**الحياة الإجتماعية عند البدو في الوطن العربي** .مرجع سابق .ص 73– 74.

[5] – زهران حامد عبد السلام :**علم النفس الإجتماعي** .طبعة الرابعة .عالم الكتب، القاهرة . 1977 .ص 176

أيضًا بأنه ":نمطٌ من العداء في العلاقات بين الأفراد وهو موجه ضد جماعة ككل أو إلى أفرادها، وهو يشبع وظيفة غير منطقية معينة في صاحب هذا الإتجاه[1].

يتضح مما سبق إنّ الطبيعة الانفعالية هي السّمة المميزة للتعصّب، والتي تلعب دورًا نفسيًا لأصحابها والمتميّزة عندهم بالجمود الذي لا يُقبل معه التعديل أو التغيير.اشُتق مفهوم التعصب من الاسم اللاتيني الحكم المسبق (Praejudicium) والذي مر بثلاث تغيرات في معناه، فقصد به مبدئيًا الحكم المسبق القائم والمدعّم بخبرات ودلائل فعلية، ثم أخذ معنى الحكم المسبق المطلق قبل فحص النتائج والأدلة والحقائق ثم اكتسب بعد ذلك خاصية الانفعالية الإيجابية أو السلبية التي ترافق الحكم المسبق الذي يخلو من الحقائق والأدلة. وفي محاولات وتجارب علمية كثيرة، وجدت الكثير من المفاهيم التي تتجّلى فيها ظاهرة التعصب والتي تعطي مدلولات حقيقية في عدم التعاطي مع الحكم على أساس الخبرة والدلائل، وأيضا وجود مشاعر العداء والكراهية المستحكمة تحت ما يسمى بالتعصّب السّلبي "Negative Prejudice"[2].

ومن هذه المفاهيم ما ذكره بعض علماء النفس الإجتماعي من مثل: "ألبورت" :التفكير السيء عن الآخرين دون وجود دلائل كافية. و كما يقول أيضا "إيرليك" :اتجاه عرقي يتسم بعدم التفضيل.

– مارون وماير: التعصب اتجاه يتسم بعدم التفضيل ضد جماعة معينة يحط من قدرها ومن قدر كل أعضائها .

–نيوكمب وآخرون : اتجاه بعدم التفضيل يمثل استعدادا للّتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد للأشخاص الآخرين بوصفهم أعضاء في جماعات معينة.

2– العصبية عند إبن خلدون:

لقد فهم "إبن خلدون" العصبية على أنها الشوكة الفئوية للجماعة التي تحمل المعتمد عليها إلى السلطة بالانتصار له، ظالما أو مظلوما وتدوم السلطة بدوام العصبية الداعمة لها.فإبن خلدون لم يحلل العصبية لا كمفهوم، ولا كنظام قيم. وقد علل إبن خلدون دوام الملك بدوام العصبية، كشوكة ونعرة دم، أي كقوة داعمة لسلطة السلطان، متعاضدة معه، مناصرة له فقال: "ولا يصدق دفاعهم ولا ذيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم و يخشى جانبهم إذ نعرة كل أحد على نسبه و عصبيته أهم. وما يجعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم وقربائهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد و التناصر وتعظم رهبة العدو لهم[3].

ويرى "إبن خلدون" أن النسب فائدته الإلتحام الذي يوجب صلة الأرحام، فتقع المناصرة والنعرة، ويرى أن النسب أمر وهمي، لا حقيقة له، ونفعه في الوصلة والإلتحام.

---

[1]- Ackerman ،N. ،& Jahoda ،M. (1950).**Anti-Semitism and emotional disorders:** A psychoanalytic inter prtation. New York: Harper.(pp2-3)

[2] – زهران حامد عبد السلام:مرجع سابق، ص 56.

[3] – إبن خلدون ،**مقدمة إبن خلدون**: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، ص 128.

والعصبية، في نظر إبن خلدون، تستهدف الملك[1]، ويعتبر أن ذهاب الملك ذهاب للدولة، والدولة تذهب بذهاب العصبية، ويؤكد على أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة (كلبنان أو كيوغسلافيا مثلا).

وإبن خلدون يرى إلى أن ليس الملك لكل عصبية، وإنما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجبي الأموال ويبعث المبعوث ويحمي الثغور، ولا تكون فوق يده يد قاهرة. فمن قصرت عصبيته عن بعضها، مثل حماية الثغور، أو جباية الأموال، أو بعث البعوث فهو ملك ناقص، لم تتم حقيقته[2].

وعلى هذا النحو، يكون إبن خلدون قد تكلم، في مقدمته، على العصبية، باعتبارها قوة وشوكة للجماعة البانية للدولة والداعمة لها. ولكنها قوة وشوكة مؤقتتان، لا تتجاوزان المائة والعشرين سنة، ثم ما تلبثان إن تتبددا وتسقطا برفاه الملك، والتنعم به.

إلا أن العصبية تبقى، بمفهومنا لها على الرغم من ذهابها كقوة مؤقتة، تبقى كنظام قيم، ينصر فيه الأخ أخاه ظالما أو مظلوما، والأخ ليس دائما أخ الرحم، بل قد يكون أخ الإيديولوجية الدينية أو الحزبية وتورث في هذا النظام القيادة والزعامة والسلطة رحميا، فالابن يرث والده أو عمه، ويستمر هذا النظام عبر الزمن محركا للسلوك الفردي والجماعي، إلى أن يحدث تغيير في الثقافة والتربية والحضارة، فيتبدل نظام القيم بغيره، فيتبدل معه الإنسان ويتغير.

والعصبية تتجدد حيويتها وتدوم بالتعبير عنها، سواء كان التعبير عنها كقوة أم كنظام قيم. والعنف يضخها بكل الأسباب المجددة لحيويتها ودوامها، إذ العنف تعبير، وتعبير عن صميمها[3].

3- حياة القبيلة العربية:

3-1- القبيلة عند العرب : هي جماعة من الناس تنتمي في الغالب إلى نسب واحد يرجع إلى جد أعلى، وتتكون من عدة بطون وعشائر .غالبًا ما يسكن أفراد القبيلة إقليما مشتركًا يعدونه وطنًا لهم، ويتحدثون لهجة مميزة، ولهم ثقافة متجانسة أو تضامن مشترك (أي عصبية) ضد العناصر الخارجية على الأقل.

تنتشر القبائل في كل قارات العالم، منها ما اندثر كما هو الحال مع بعض القبائل الأوروبية مثل الجرمانيين، ومنها ما كاد يندثر مثل قبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية والجنوبية، ومنها ما ذاب في المجتمعات الحضرية المتاخمة كما هو الحال مع بعض قبائل جنوب غربي آسيا .وتختلف عادات هذه القبائل وطرق معيشتها وفنونها وأنظمتها الإجتماعية.

---

[1] - نفس المرجع: ص 139.

[2] - نفس المرجع: ص 188.

[3] - عبد العزيز قباني: **العصبية "بنية المجتمع العربي"**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص 56.

3-2- القبائل بصورة عامة: يشترط علماء الإجتماع لقيام أي جماعة وجود عنصرين هما: الاستقرار المكاني وعاطفة الجماعة، هذان العنصران متوفران في القبيلة التي تتألف من عشائر، فإن كانت بدوية مترحلة فلها دائرتها المكانية رغم أن هذه الدائرة تتغير من حين لآخر. فإذا ما استقرت هذه العشائر في مكان واحد ينشأ بين أفرادها تضامن أقوى تشد من أزره رابطة القرابة.

والقبيلة بهذا المفهوم مجتمع محلي، حتى وإن كان بعض عشائرها أو أفخاذها مترحلين لا يعيشون متجاورين. وكل مجموعة لها ما تسميه الديرة، أي مجالها المعروف من الأرض. وتربط بين الجميع وشائج عاطفية تشد أفراد الجماعة إلى بعضهم وهي ما يطلق عليها العصبية القبلية، وتنبع هذه العصبية من الشعور بوحدة الجماعة من صلات القربى ومن كونهم يعيشون على أرض واحدة[1].

3-3- طبقات أنساب القبائل عند العرب:

تعد القبيلة المجتمع الأكبر لأهل البادية، وعلى الرغم من أن مصطلح "قبيلة" اندثر في كثير من المجتمعات سواء في الغرب أو الشرق، قام علماء الأنساب بترتيب قبائل العرب ترتيبًا تنازليًا باختلاف طفيف بينهم سموه بطبقات النسب، كالآتي:

- الشعب :مثل عدنان وقحطان.
- القبيلة : مثل ربيعة ومضر.
- العمارة :مثل العمارة قريش والقبيلة كنانة.
- البطن :مثل بني عبد مناف
- الفخذ :مثل بني هاشم
- العشيرة :بني عبد المطلب.
- الفصيلة :مثل بني أبي طالب وبني العباس.
- ويمكن إضافة طبقتين صغيرتين على طبقات النسب وهما:
- الخامس :وهو الجد الخامس أو الجد المشهور الذي تعرف به الأسرة.
- الأسرة : وهي اصغر طبقة في النسب[2].

على الرغم من أن علماء الأنساب العرب يكادون يتفقون على ما تقدم من ترتيب طبقات النسب إلا أن حركات هجرة القبائل، سواء أكانت طوعًا أو كرهًا جعلت هذا الترتيب غير مستقر، إذ ذابت البطون والأفخاذ، وقلما أُستخدمت مصطلحات العمارة والفصيلة، وصارت وحدة العشيرة أكثرها شيوعًا بل صارت تستخدم لتغطي معنى القبيلة أحيانًا بعد أن أصبح هناك خلط شديد بين المقصود من البطن أو الفخذ.

[1] – الصحاري سلمه بن مسلم العويتي: **الأنساب**، دار الكتاب العربي للنشر، الطبعة الرابعة، بيروت لبنان، سنة 1994، ص 43.

[2] – الأشرف عمر بن يوسف الملك: **تحفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، الطبعة الخامسة، دار المعارف، دمشق، بدون سنة، ص 167.

3-4- الثقافة والحياة الإجتماعية:

3-4-1- الحياة الأسرية: يرتبط أفراد القبيلة في زمر إجتماعية عن طريق مجموعة من الروابط والعلاقات، وتمثل رابطة القرابة أهم هذه الروابط، وتزداد هذه الروابط بالزواج داخل ما يسمى بالأسر الممتدة التي لها نظامها الخاص في المسكن والمطعم واختيار الأسماء والأعراف والتقاليد[1].

3-4-2- الزواج: قلما يتزوج أفراد القبيلة العربية من خارج العشيرة، ولكن قد يتجاوز في ذلك أحيانًا حينما يتم زواج بنات بعض زعماء العشائر لتوثيق الصلات ودعم الأحلاف بينها، ولا يسمح النظام الداخلي للقبيلة بأن تتزوج المرأة رجلاً من خارج القبيلة، لأن ذلك يكون بمثابة مخالفة صريحة لنظام الزواج في القبيلة قد يؤدي إلى عداء وحروب ذلك أن الفتاة تعد في المجتمع القبلي زوجة لابن عمها وعقدها وحلها بيد ابن عمها، إلا إذا لم يرغب فيها، فلها أن تتزوج بمن تريد داخل حدود القبيلة.

غالبًا ما يتزوج الشباب في البوادي القبلية في أعمار مبكرة نسبيًا. ويتم الزواج عادة بصورة بسيطة ويكون المهر رمزيًا. يذهب الخاطب ووالده فيطلبان البنت من أبيها أو ولي أمرها. ودرجت العادة عند بعض القبائل أن يسمح الأب لابنته أن تذهب إلى بيت زوجها وهي بنت تسع أو عشر سنين، لكنه لا يبني عليها إلا بعد بلوغها، وحينذاك تكون خبيرة بشؤون البيت والزوج والأولاد. ومن المهام التي تقوم بها الزوجة بجانب مهامها المنزلية من طبخ وغسل وإكرام للضيوف، أنها تعلف الجمال والشياه وتحلب وترعى الغنم، وتجز الصوف وتغزله لتصنع منه الفرش، وتدبغ جلود الذبائح لتصنع منها القرب والدلاء. وهي التي تجلب الماء من البئر وتخيط الملابس.

3-4-3- الضيافة: للقبائل شهرة كبيرة في الكرم سواء كان ذلك في الشرق أم في الغرب. ومن المعلوم أن قبائل الهنود كانت في بادئ الأمر تكرم الوافدين البيض، ولم تنشأ العداوة بين الهنود والبيض إلا بعد أن بادر الرجل الأبيض بالعداوة قتلاً وتشريدًا ومصادرة للأراضي. أما رجال القبائل في الشرق العربي فقد اشتهروا عبر تاريخهم الطويل بكرم النفس ورحابة الصدر والنخوة وإكرام الضيف .ويرى بعضهم أن استقبال الضيف في أي وقت من ليل أو نهار واجب مفروض عليه أداؤه. وإذا أقبل شخص على جماعة يأكلون يشاركهم طعامهم دون دعوة من أحد ويسقى الضيف القهوة العربية ثلاث مرات قبل أن يسأل عن حاجته التي أتى من أجلها وعن عشيرته .وليس فقر الرجل أو غناه سببًا في رفض استقبال الضيف، فإن لم يجد شيئا يقدمه لضيفه استدان حتى يكرم ضيفه.

تختلف عادات الضيافة من قبيلة إلى أخرى، فعلى سبيل المثال، هناك قبائل يقوم كل رجالها على خدمة الضيف ويأخذونه إلى أفضل بيوت الديرة، ويقدمون له التمر والسمن والعسل والقرصان والقهوة، وينحرون أو يذبحون له، ويدعون كل من في الديرة ليشاركهم.

[1] – الصحاري سلمه بن مسلم العويتي: مرجع سابق، ص 178.

وتختلف حاجات الضيوف؛ فمنهم عابر السبيل أو طالب حاجة أو زائر له معارف وقرابة، ومنهم من يطلب الجوار لقحط بلاده، ومنهم من نزلت به جائحة أو مصيبة وجاء طالبًا مساعدة مادية أو عينية. وقد عرف أناس بأسمائهم في التاريخ العربي اشتهروا بالكرم ومن ذلك حاتم الطائي الذي ينتمي إلى قبيلة "طيء " و"ابن مهيد" (مصوت بالعشاء) شيخ الفدعان من عنزه[1].

3-4-4- تسمية الأشخاص والقبائل:

كانت للقبائل العربية مذاهب في اختيار أسماء أبنائها وبناتها، فمنها ما كانوا يتفاءلون به في صراعهم مع أعدائهم مثل: « غالب »، و« غلاب « و« ظالم ». ومنها ما تفاءلوا به للأبناء مثل: « مدرك »، « دراك » و« عامر »، و« سعد » و« سعيد ». ومنها ما سمي بأسماء الوحوش ترهيبًا لأعدائهم نحو: « أسد » و« ليث » و« ضرغام ». ومنها ما سمي بأسماء الأشجار الخشنة أو الغليظة مثل: « طلحة » و« سمرة »، و« سلمة »، و« قتادة» أو بأسماء أجزاء غليظة من الأرض مثل: « حجر »، و« حجير» و« صخر»، و« فهر »، و« جندل »، و« جرول».

وقد سئل أحد الأعراب: لم تسمون أبناءكم بشرِّ الأسماء نحو: « كلب » و« ذئب »، وعبيدكم بأحسنها نحو« مرزوق » و« رباح » فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا[2].

لا تختلف أسماء القبائل العربية عن أسماء القبائل الأخرى لا سيما القبائل السامية، فهي أسماء ذكور للآباء أو الأجداد، وإن وجدت أسماء مؤنثة لبعض القبائل فهي قليل مثل: خندف، وبجيلة وغيرهما وتكون في تلك الحالة أسماء لأمهات قبائل أو أسماء مواضع نسبت القبائل إليها. وتعود تسمية القبيلة إلى الرجل، وانتسابها إليه دون غيره من أفراد القبيلة بأن يشتهر بينهم لشجاعته وإقدامه أو كثرة ولده، فينسب بنوه وغيرهم إليه وكذلك أحفاده، وربما انضم إلى النسبة إليه غير أحفاده. وقد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينسب إليهم فيقال حينئذ : فلان حليف أو مولى بني فلان. وفي هذه الحالة يجوز له أن ينسب إلى قبيلته الأولى أو إلى القبيلة الثانية، أو ينسب إلى كلتيهما فيقال مثلاً: فلان التميمي ثم الكليبي[3].

3- 4-5- العصبية القبلية والحروب:

تتجلى العصبية القبلية في العصبية للأقارب وذوي الأرحام .وهذا النوع من العصبية يكون داخل إطار القبيلة ذاتها. فعلى الرغم من أن أفراد القبيلة يربطهم نسب واحد، إلا أن الرباط الكائن بين ذوي القربى من أمثال أبناء العمومة والخؤولة يكون أمتن من النسب العام. وأفراد القبيلة يشعرون بالتزامهم بنصرة من يشترك معهم في البيت (الفصيلة) ثم تأتي بعد ذلك نصرة المشترك معهم في الفخذ فالبطن ثم العشيرة، ومع أن العصبية للقبيلة أضعف شأنًا من العصبية نحو العشيرة، إلا أن عصبية القبيلة تطغى على ما سواها بمقدار الخطر الذي

[1] – الصحاري سلمه بن مسلم العويتي: مرجع سابق، ص 179، 180.

[2] – المغيري بن زيد عبد الرحمن بن حمد: **المنتخب في ذكر قبائل العرب**، الطبعة الثانية، دار المعرفة، دمشق، بدون سنة، ص 167.

[3] – نفس المرجع، ص 168.

يهدد القبيلة .كما يمكن أن تتجاوز هذه العصبية نظام القبيلة إلى القبائل الأخرى المتحالفة، أو عصبية الولاء؛ وذلك حين يطلب أحد الأفراد الجوار من قبيلة ما ومن ثم يكتسب حصانة بأن يكون تحت حمايتها، وتهب القبيلة لحمايته كأي فرد من أبنائها.

3-4-5- الثأر: كانت القبائل في حروب متصلة ما أن تنتهي حتى تبدأ حربًا أخرى. وكان القانون الوحيد الذي يخضع له جميع أفراد القبيلة هو قانون الأخذ بالثأر .وكانت الحروب تنشب لأسباب تافهة، فقد تسببها إهانة، أو نزاع بين شخصين من قبيلتين مختلفتين، أو بسبب اختلاف على المرعى؛ فتشتبك العشائر وينضم بعضها إلى بعض فتنتشر الحرب بين قبائل كثيرة، وتحدث بينهم مقتلة عظيمة. ولأنهم كانوا يتحاربون نهارًا ويتوقفون عن القتال إذا أقبل الليل، ثم يعاودون القتال صباحًا، سموا وقائعهم وحروبهم أيامًا قيل إنها بلغت 200 يوم ذكر منها الميداني في مجمع الأمثال 132 يومًا، ومن أشهر هذه الأيام:

- يوم ذي قار :وكان بين بكر والفرس.
- حرب البسوس :بين قبيلتي بكر وتغلب.
- حرب الفجار :بين قبيلتي كنانة وقيس عيلان وقد شارك فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم ينبل عن أعمامه.
- داحس والغبراء :بين قبيلتي عبس وذبيان[1].

3-4-6- أنواع الحروب: عرف رجال القبائل العربية نوعين من الحروب :الإغارة، أو ما يسمى بالكر والفر كما حدث في: « يوم الهباءة » و« يوم الفروق ». وكانوا يخرجون على غير تعبئة، ويغيرون بسرعة خاطفة بالنظام الذي يأمر به الشيخ، ثم إذا طوردوا يفرون إلى البادية.

3-4-7- الأسلحة: أما الأسلحة التي كانت تستخدمها القبائل إلى ما قبل اختراع البارود والبندقية، فكانت تتمثل في الرماح والسيوف والدروع والقسي والنشاب، وكان استعمالهم للسلاح الأخير قليلاً. أما السيف فكان رفيق العربي في حله وترحاله لا يكاد يفارقه.

3-4-8- الأحكام: تخضع القبيلة لقوانين صارمة نظمتها التقاليد والأعراف. ويلجأ أفراد القبيلة في حل الخلافات التي تنشأ بينهم إلى محاكم قبلية خاصة لها قوانينها المتوارثة، ولكل جرم أو تعدٍ أو دم عقاب رادع يهدف في النهاية إلى حفظ أهم مقومات الشرف في القبيلة وهي: المال والدم والعرض.

للقاضي مكانة رفيعة في القبيلة. والقضاء القبلي نظام متكامل يغطي كل الأنشطة المعروفة لدى القبيلة. ويثق أفراد القبيلة في قضاتهم ثقة راسخة لا تتزعزع، لأن أحكامهم تنبع من أعراف العشائر وتقاليدها. وتطلق القبائل على قضاتها أسماء تختلف باختلاف القبائل وأماكنها، فيسمى القاضي في بعض بلدان الجزيرة العربية و الشام و العراق باسم العارف، وسمي بذلك لأنه يفترض فيه المعرفة العميقة الشاملة لأعراف القبيلة وعاداتها.

[1]- س.ب. مايلز: **الخليج بلدانه وقبائله**، ترجمة:(محمد أمين عبد الله)، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي للنشر، دمشق، سنة 1990، ص 156.

ويسمى عند بعض القبائل أحيانًا باسم الفريض؛ لأنه يفرض بحكمه الجزاء الواجب تنفيذه طبقًا لأعراف القبيلة؛ وكذلك يعرف لدى بعض القبائل باسم المرضي؛ ذلك لأن الأطراف المتخاصمة ترضى بحكمه. ومنزلة العارف تلي منزلة شيخ القبيلة مباشرة. ولشيخ القبيلة، أحيانًا، أن يفصل في بعض الخصومات مثل المنازعات التي تقوم بين أفراد قبيلته حول الأراضي[1].

يستند العارفون (القضاة) في معظم أحكامهم إلى العادات والأعراف القبلية التي توارثتها القبيلة جيلاً عن جيل. وتسمى هذه العادات والأعراف السوادي أو العوايد. وقد تمرس هؤلاء العارفون بازدياد القضايا التي يفصلون فيها واشتهروا بسعة الإدراك والذكاء حتى اعتبرت أحكامهم أساسًا مرجعيًا للقضاء القبلي وهو ما يسمى عندهم المثيلات، وهو يطابق ما يسمى في الفقه القضائي الحديث السوابق القضائية.

3-4-9- العقوبات : تتراوح الأحكام التي قضاة القبيلة بين العقوبات المادية كالديات والتعويضات، أو عقوبات بدنية كقطع يد السارق أو الجلد، أو عقوبات تأديبية إصلاحية، وهي أحكام تصدر في حق صغار السن، وعلى القاضي إصدار الحكم، وغالبًا ما يكون المنفذ هو الأب أو ولي أمر الحدث، ويكون حبسًا أو جلدًا أو نحوه [2].

4- الاستعمار الفرنسي والقبيلة في الجزائر :

لأكثر من ثلاثة قرون ظلت الجزائر قوة بحرية تسيطر على غربي البحر الأبيض المتوسط، وفي سنة 1830 بعثت فرنسا بحملة عسكرية ضدها نتج عنها استيلاء الجيش الفرنسي على مدينة الجزائر، ثم واصل حروبه إلى أن أعلنت الجزائر جزءاً من فرنسا. وقد ساهم في أسباب هذه الحملة كل من الظروف العالمية والحالة الداخلية في فرنسا و الجزائر معاً، وسواء أكانت هذه الأسباب سياسية أو اقتصادية فإنها أدت بالملك الفرنسي إلى أن يخطط الحملة ضد مستقلة تقع على الشاطئ الأخر من البحر الأبيض المتوسط. وفي تحليله آليات الاستعمار الفرنسي بالجزائر خلص "جوليان" إلى استنتاج قوامه أن أغلب رجال السياسة[3]، كانوا على وفاق تام حول مشروع الاحتلال، وكان ذلك واضحاً في ممارساتهم وكتاباتهم وتدخلاتهم، لأن مسألة الاستيلاء على أرض الجزائر، كانت لب السياسة الفرنسية تجاه شمال إفريقية آنذاك، فالجزائر بموقعها الاستراتيجي الحساس، وإمكانياتها الاقتصادية كانت تراود مشاعر أصحاب رؤوس الأموال والأوساط التجارية، ولاسيما منهم التجار المرسلين الذين ساهموا في توجيه «شارل العاشر» على اتخاذ قرار الحملة، لأن ذلك سيفتح أمامهم أسواقاً جديدة لتجارتهم، وكان قد أقلقهم استمرار الحصار البحري على الجزائر[4].

---

[1]- نفس المرجع، ص 156- 158.

[2]- س.ب. مايلز: نفس المرجع، ص 159.

[3]- Ageron (CH.R): **France Coloniale ou parti colonial** ،Paris ،puf ،1978 ،pp7-11.

[4] - Julien (CH. R) : **Marseille et la question d'Alger à la vieille de la conquête** ،in Revue Africaine ،N° 60 1919 ،pp 58-61. 3- Cité par Girardet (R): L'idée coloniale en France de 1871 à 1962 ،Paris ،la table ronde ، 1972 ،p 26.

وهكذا اتفق الاستعماريون والبرجوازيون على غزو الجزائر، واستغلال خيراتها، ونقل الفائض من سكان فرنسا إليها، ولم تتردد الدولة الاستعمارية في الكشف عن حقيقة أهدافها الإستراتيجية، فعملت منذ البداية على استخدام وسائل فعالة لتحقيق هذا الهدف، وللإحاطة بهذه الوسائل العملية التي تدخل ضمن اهتماماتها الإستراتيجية، سنكتفي بدراسة ما يأتي:

- الجهد العسكري الفرنسي وحرب الإبادة.
- دور المكاتب العربية.
- أسلوب التفرقة و إذكاء الصراع الداخلي.

4-1- الجهد العسكري الفرنسي وحرب الإبادة:

ركزَّت الدولة الفرنسية على دعاية مفادها أن أرض الجزائر كانت شبه فارغة ويعمها التخلف، وهذا الخطاب هو الذي رسمه دعاة الاستعمار في صياغة قناعة مشتركة لدى العالم الأوربي قوامه أن الحضارة الغربية باعتبارها مشروعا حضاريا، يساعد الشعوب المتخلفة على الارتقاء إلى درجة المدنية في تجلياتها العامة، طالما أن الاستعمار بتعبير "ألبيربابيه" (Albert Bayet) «يعد مشروعاً حين يحمل الشعب الذي يحمل كثيراً من الأفكار و العواطف التي من شأنها أن تغني شعوباً أخرى، حينذاك لا يصبح الاستعمار حقاً فحسب بل واجباً».

إننا لن نعدد الكتابات التي وظفت لتأكيد هذه السياسة الاستعمارية، وغرضنا أن نبين ما ورد في خطاب الاحتلال لم يكن يهدف سوى إلى تسويغ ظاهرة الاستعمار، ويكفي هنا أن نعتمد على ما قاله "مصطفى الأشرف" كرد على: هؤلاء، حيث يقول» :وجدت فرنسا وجهاً لوجه أمام مجتمع حسن التنظيم، له حضارته الخاصة الشبيهة إلى حد ما بحضارات البحر الأبيض المتوسط، وهذا المجتمع لا يخلو من عيوب، ولكنه حبه للحرية وتمسكه بالأرض، واتحاد كلمته، وأصالة ثقافته، وصدق وطنيته، وغزارة موارده الطبيعية، ونبل مثله العليا، كل ذلك أعطى البرهان الساطع والدليل القاطع على أصالته....». ويضيف الكاتب نفسه، وهو يرد على كلام "بوجولا": «إن الإنسان إذ يسمع هذه العبارات «الرائعة» لا يسعه إلا أن يعتقد بأن صاحبها يتحدث عن شعب متوحش متجرد من الأخلاق والدين».

لقد كانت الحركة الاستعمارية تهدف إلى انتزاع أراضي الجزائريين ومنحها للمهاجرين الأوروبيين، ولكن منذ البداية أدرك المستعمرون الأوائل أن هذه العملية ليست بالأمر السهل، ولاسيما أنهم اكتشفوا بأنفسهم في الميدان أن السكان كانوا غير مستعدين للخضوع لهم، ولهذا كان اللجوء إلى التقتيل الجماعي والتدمير والتخريب أمرا ضروريا لتنفيذ أهدافهم الإستراتيجية الاستعمارية، وهو طرد السكان الأصليين و الاستحواذ على أراضيهم، وكانت هذه العملية تتطلب تعبئة إمكانيات مالية وعسكرية ضخمة لتحقيق المشروع الاستعماري الاستيطاني في الجزائر.

ومما لا شك فيه أن التوازن السكاني قد اختل إما بسبب المجازر المنظمة، وإما بسبب الجذب والمجاعات التي عقبتها. وهكذا لم تتماطل فرنسا في تنفيذ أهدافها منذ الوهلة الأولى من نزول قواتها في مدينة الجزائر، فقد سارع "دوبرمون" إلى الاستيلاء على خزينة الجزائر الموجودة في القصبة آنذاك[1]، وترك جنوده ينهكون الأعراض ويسلبون المتاع، ويريقون الدماء، ويهدمون المنازل والمحلات، بالرغم من تعهد "دوبرمون" بشرفه أن يحافظ على حرية الدين وعلى أملاك السكان وتجارتهم وصناعتهم، وأن يحترم نساءهم وحرماتهم. كان الجميع يظن بأن أمة متحضرة مثل الأمة الفرنسية لا يمكن أن تنكث العهد، ولكن سرعان ما انتشر الجيش الفرنسي في مدينة الجزائر، وبدأ يعث فيها فساداً، ونستشهد بمؤرخ الجيش الفرنسي في الجزائر، وهو "بول أزان" (Paul Azan) يصف لنا حالة هذا الجيش خلال شهر تموز سنة 1830، فيقول: «إن الجنود ارتكبوا أعمالا تخريبية حول مدينة الجزائر، فخربوا الأحواش، وقطعوا الحدائق، وخلعوا أعمدة المنازل، وثقبوا أنابيب المياه، وهدموا سواقي المياه لكي يسقوا حيواناتهم.

والحق أن ذلك لم يكن افتراضا، ففي عام 1832 قام الجنرال "دي روفيغو"(Le Duc De Rovigo) ، بمجزرة رهيبة، إذ أباد "قبيلة العوفية" بمجرد اتهام بعض أفرادها بالسرقة، في حين كان اللصوص ينتمون إلى قبيلة أخرى، وقد حدثت هذه الإبادة عندما اجتاحت فرقة عسكرية في الصباح الباكر على قبيلة العوفية في سهل "متيجة"، وفاجأهم الجنرال وهم نائمون في خيامهم، فذبحهم دون مقاومة من أحد، فكل الأحياء كان مصيرهم الموت دون تمييز بين الصغير والكبير وبين الذكر والأنثى[2].

ومن هنا تتضح أهداف الإخضاع بالعنف والقوة إلى درجة الإبادة منذ البداية، وبدأت الجولات المسلحة التي تعبر عن أصدق صعوبات الاحتلال يوم أدرك الجزائريون نوايا فرنسا الاستعمارية، بعد سقوط الحكم المركزي، وظهور الفراغ السياسي، وعجز المدن عن صنع قيادة جديدة، وكانت القيادات الجديدة قد ظهرت في الأرياف لمواجهة القوات الفرنسية، أمثال "علي السعدي، والحاج مُحَمَّد بن زعموم، والأمير عبد القادر"، وآخرين من زعماء الطرق الصوفية وزعماء الأعراش.

ولكن هذا الوضع لا يمكن أن يدوم طويلاً، فالفرنسيون أرادوا أن يخرجوا من الحصار والتوجه إلى مناطق السهول ويبدو أن استمرار المقاومة الريفية شكل عائقاً أمام السلطات الاستعمارية التي كانت تريد المزيد من الأراضي فكان إرسال «بيجو» إلى الجزائر في سنة 1840، دليلا على إسرار الحكومة الفرنسية على تسريع تنفيذ مشروعها الاستيطاني.

وفي الواقع أن "بيجو" انتقد الوسائل والأساليب السابقة، واعتبرها أساليب ضعيفة ضد السكان، وكان حكم "بيجو" يمثل الصورة القاسية، حيث تضمن مخططه عدة أساليب، من بينها الإضرار بالسكان في أرزاقهم كالمحاصيل والمزارع والمواشي والمطامير، فكل شيء يقف في طريق الوصول إلى هدفه كان يجب أن يزول مهما

[1] - Emerit (M) : «**une cause de l'expédition d'Alger** ،le trésor de la casabahù ،in bulletin de la séction d'Histoire moderne et contemporaire ،1954 ،pp 171-188».

[2] - Pellissier de Reynaud: Annales Algérienne ،Paris ،Dumaine ،Alger ،Bastide ،1845 ،T I ،pp 245-246.

كانت قيمته. وقد نجح في إضعاف المقاومة الجزائرية التي كان يقودها الأمير عبد القادر، الذي أرغم على التسليم بعد عدة شهور فقط من مغادرة "بيجو" للجزائر عام 1947 [1].

كان إسرار السكان على التمسك بأراضيهم، يشكل عائقا أمام السلطات الاستعمارية التي كانت تريد المزيد من الأراضي، وكان الضباط الكبار يتسابقون للوصول إلى أهدافهم المقررة، وذلك باستعمال مكثف وأعمى لعملية الإبادة الجماعية للسكان المحليين، ويكفي للتدليل على ما نقوله أننا نورد فيما يأتي اعترافات الجنرال "كافينياك" (Cavaignac) حول ما فعله لإبادة قبيلة بني صبيح عام 1844، حيث يقول: «لقد تولى الجنود جمع كميات هائلة من أنواع الحطب، ثم كدسوها عند مدخل المغارة التي حملنا قبيلة "أولاد صبيح" على اللجوء إليها بكل ما تملك من متاع وحيوانات، وفي المساء أضرمت النيران وأخذت كل التدابير، لكي لا يتمكن أي كان من الخروج منها حيا» [2].

وقد بين ذلك الأسلوب "توكفيل" في تقرير له عام 1841، وهو يتحدث عن الوسائل العملية التي يمكن استخدامها في إخضاع القبائل الجزائرية، فيقول: «يجب أن ندمر تجارتهم، وأن نمنع عنهم كل المبادلات التجارية، وبعد ذلك تأتي الوسيلة الثانية وهي تخريب البلاد، وفي اعتقادنا أن الحرب ضرورية في تدمير البلاد، سواء بإتلاف المحاصيل في أوقات الحصاد، أو في كل الأوقات التي تتطلب الغارات المباغتة والسريعة من أجل اختطاف العباد ونهب قطعان الغنم والبقر».

4-2- دور المكاتب العربية:

عندما حاول الفرنسيون أن يتوسعوا في الجزائر ويبسطوا نفوذهم في مختلف المناطق، واجهتهم صعوبات كثيرة من جراء رفض و امتناع الجزائريين من التعاون معهم ومهادنتهم، وكانت قد طرحت مشكلة إدارة السكان بعد فترة قصيرة من الاحتلال للقيادة العسكرية التي كانت تنقصها معلومات حول الأحوال العامة في الجزائر، ولكن نظراً لنقص الخبرة، تركت القيادة هذه الأعمال، وأعطيت مهمة مراقبة السكان لبعض الشخصيات المحلية ذات النفوذ الكبير، وقد تبين بعد ذلك أن هذه الشخصيات المختارة لم تقم بدورها كاملاً في تزويد الإدارة العسكرية بالمعلومات الضرورية، ولهذا قررت السلطات الاستعمارية إنشاء هيئة تتكلف بجمع المعلومات عن الجزائريين، وجعل هذه الهيئة عبارة عن جسر يربط بين الفرنسيين وبين الجزائريين.

تأسست هذه الهيئة في عام 1833، وسميت «بالديوان العربي» وكان أول شخص عين على رأسها، هو النقيب "لاموريسيير(Lamoricière) الذي كان يجيد اللغة العربية، وقد أعطى هذا الضابط دفعاً قوياً لهذه المصلحة، وحقق نجاحاً كبيراً، وأصبح مكتبه وسيلة فعالة في التقاط المعلومات وجمعها والدعاية للاستعمار.

وفي عام 1837 تحولت هذه الهيئة إلى «إدارة الشؤون العربية» وكانت هذه الهيئة مسئولة عن «تسهيل عملية الاتصال برؤساء العشائر والتفاوض معهم، وإقناعهم بقبول مبدأ التعاون مع فرنسا مقابل التزام هذه الأخيرة

1 -Bugeaud (le Maréchal): par l'épée et par la charrue ،écrits et discours (introduction ،choix de textes et notes par le general Azan) ،Paris ،PUF ،1948

2 - Foucher (V): les bureaux arabes en Algérie ،Paris bibliothèque du colon ،1858 ،pp 12-13

باحترام أساليب عملهم والعادات والتقاليد الموجودة عندهم وتوفير الأمن والطمأنينة في مناطق نفوذهم وحماية مصالحهم»[1]، ومع ذلك، فإن عمل هذه الهيئة مستقبلا لا يؤكد على هذا الأمر على الإطلاق. ونظراً لازدياد العملاء في مساعدة الجيش الفرنسي، فقد قرر "بيجو" في عام 1844 أن يؤسس بصفة رسمية المكاتب العربية، ويضع لها الهياكل الإدارية بحيث تصير هذه المكاتب هي الوسيلة الأساسية التي سيستعملها الجيش الفرنسي لإخضاع الجزائريين والقضاء على ما بقي من مؤسسات الدولة الجزائرية .وحسب التنظيم الجديد للمكاتب العربية التابعة للجيش الفرنسي فإن إدارة الشؤون العربية على مستوى القيادة العسكرية قد قامت بتأسيس إدارات فرعية لها على مستوى المقاطعات الثلاثة الموجودة بالجزائر، وفي كل مقاطعة توجد وحدات للمكاتب العربية من الدرجة الأولى، ووحدات ثانوية من الدرجة الثانية وباختصار فإن المكاتب العربية تحولت إلى إدارات محلية للتحكم في السكان والمجتمع الريفي.

وحسب القرار الوزاري المؤرخ في 01 شباط 1844، الذي تقرر فيه إنشاء المكاتب العربية فإن كل مكتب كان يتشكل في كل مقاطعة من حوالي عشرة أشخاص إلى أقصى حد، وكانت هذه الهيئة تساعدها فرقة من فرسان "الصبايحية"، تتكون من 25 فارساً و8 فرسان من قوات المخزن.

وإذا كانت المؤسسة العسكرية الفرنسية هدفت من وراء القرارات والنصوص إلى إنشاء المكاتب العربية التركيز على «تحقيق التهدئة الدائمة في أوساط القبائل» وحماية الاستيطان الأوروبي فإن مهامها ستتوسع بعد ذلك ليزداد نفوذها بالتدريج حتى أصبح ديوان المكتب العربي هو المركز الحقيقي للسلطة في الجزائر وصارت تمارس مسؤوليات الحراسة و المراقبة والتوجيه السياسي والدعائي والمالي والعسكري والإداري كما صارت تكون إدارة مستقلة حتى عن الجيش الفرنسي، ويخضع لها تسعة أعشار البلاد لكن في واقع الأمر تعد المهمة الرئيسة لرؤساء المكاتب العربية بصفتهم ينتمون إلى السلطة العسكرية، هي جمع المعلومات التي تخدم الجيش الفرنسي وتساعده على تقوية نفوذه في البلاد، وتتمثل هذه المعلومات في إحصاء الأراضي الزراعية والتعرف على مجاري المياه، وأخذ فكرة عن التنظيم القبلي، ولاسيما في المناطق الخاضعة للنظام العسكري، وتحديد نوعية المداخيل المالية حتى يتمكن الضباط من الحصول على أموال كبيرة عند جمع الضرائب، كما كانت مهمتهم تزويد مصالح الغابات بمعلومات تخص هذا القطاع، وتسهيل مهمة موظفي الغابات لمعاينة المناطق الغابية.

4-3- أسلوب التفرقة وإذكاء الصراع الداخلي:

كان من الصعب على فرنسا، بعد احتلالها للجزائر أن تفرض سيطرتها على داخلية البلاد، وخاصة في إقليمي وهران وقسنطينة، ولقد اكتفت في فترة من الزمن باحتلال النقط الساحلية، وحاولت العثور على رؤساء من البلاد، يعترفون لها بالسيادة على تلك المناطق الداخلية، ولكنها فشلت في محاولتها نتيجة لمقاومة الجزائريين للتوغل العسكري الفرنسي داخل بلادهم، وتصميمهم على الاستمرار في هذه المقاومة وبقوة السلاح. وأدرك الفرنسيون منذ البداية أن ازدياد المقاومة الشعبية سيمنعهم من التوسع في الاستعمار وإقامة المراكز الاستيطانية،

[1] - Bontens (c): les institutions Algérienne ،Alger ،Faculté de droit ،1970 ،p 188.

ولذا حاولوا استغلال الأوضاع القائمة في البلاد، واستخدام وسائل من شأنها أن تجرد السكان من وسائل الدفاع المادية والمعنوية، وقد نصح «ولسن استرهزي (Walsin Estrhazy) بالاعتماد على سياسة النظام القديم، التي كانت وسائله ناجعة في إخضاع السكان الجزائريين، وذلك عندما اصطنع النظام العثماني قبائل المخزن ومنحها امتيازات وإعفاءات وسلطها على القبائل العاصية أو الثائرة [1] .

ومن جهة أخرى لفت الضابط "لاباس (Lapasset) " الانتباه إلى حكم العثمانيين الذي استغرق ثلاثة قرون، لم يكن يعتمد إلا على قوات قليلة، وكان قد استعان بقبائل المخزن التي كانت خير وسيلة للتحكم في الأوضاع الأمنية، وذكّر هذا الضابط أنه باستطاعة المؤسسة العسكرية الفرنسية أن تدعم قبائل المخزن أكثر مما دعمها النظام السابق، وذلك حسب قوله: «بالاعتماد على نخب شجاعة من الأهالي الذين بإمكاننا ربطهم بمجموعة من المصالح، إذ تركب معنا الخيول وتشاركنا في حملاتنا العسكرية، وتساعدنا على فعل عمل الشرطة ومراقبة القبائل الثائرة علينا، ونسمح لهم على أن يصبحوا المروجين ودعاة لأفكارنا، ونربطهم بمصالح الحكومة التي تمنحهم بعض الامتيازات وبعض التكريمات، وهذا كله حتى يردوا العدوان علينا»[2].

وبناء على ذلك، عملت فرنسا على استخدام قبائل المخزن للسيطرة على السكان من جهة، وعلى خلق التفرقة بين القبائل من جهة، وذلك طبعاً للمبدأ القائل: "فرق تسد". كانت إستراتيجية فرنسا تقوم منذ البداية على تحطيم النظام الإجتماعي في كل منطقة يتم احتلالها، وذلك بقصد تكسير العلاقات العائلية، وإقامة نظام جديد يحل محل النظام المألوف عند الجزائريين، وتحت غطاء المحافظة على الأمن وتوسيع نفوذ الدولة الفرنسية، قامت السلطات بضم فئات وزعامات محلية من أبناء البلاد إلى جانبها، وذلك بالموازاة مع حرب الإبادة التي كانت تقوم بها القوات الفرنسية ضد السكان بإيعاز من المكاتب العربية التي كانت حسب أحد القادة العسكريين، هي العقل المدبر والمخطط، وقلب الحكومة الأهلية، أما قبائل المخزن، فهي "عين الحكومة "[3].

إن هدف فرنسا من هذه السياسة كان قطع الصلة بين القبائل وبين المقاومة، وذلك بمنع أي مساعدة يحصل عليها الثوار من السكان، كما كانت تهدف إلى التخلص من أي زعيم جزائري، لأن نجاح الاستعمار مرتبط بالقضاء على الزعامات الوطنية التي كانت تشكل خطراً على التواجد الاستعماري في المنطقة، وكان دور السلطة العسكرية الفرنسية خطيراً عندما أرادت خلق جبهة محلية مرتبطة بالامتيازات والمصالح الاستعمارية ضد جبهة وطنية مقاومة للتوسع الاستعماري.

وهذا ما سعت إليه فرنسا في بث الشقاق والنزاع ضمن سياسة فرق تسد، وهذا ما اتبعته في شرق البلاد ضد ما أسمته «الأرستقراطية الإقطاعية»، إذ نجحت في خلق معسكرين اثنين من عائلة المقراني هما: "معسكر أولاد عبد الله ومعسكر أولاد عبد السلام" .

[1] - Esterhazy (w): **notice historique sur le Maghzen d'Oran** ،Oran ،Perrier ،1849 ،pp 233-234.
[2] - Lapasset (F): **Aperçu sur l'organisation des indigènes dans les territoires militaires et dans les territoires civils** ،Alger ،Dubos ،1850 ،pp 3-4.
[3] - Germain ®: **la politique indigène de Bugeaud** ،Paris ،Larose ،1955 ،p 251

وهكذا ومما لا شك فيه أن المستعمر استفاد من هذا التصدع و النزاع بين الإخوة وتجزئة المقاومة، إذ سعى لتعميق الهوة بين الفريقين، ولاسيما بعد مجيء (مكماهون Mac-Mahon) إلى الجزائر سنة 1864 ومحاولته القضاء على المقاومة الجزائرية، إذ نهج هذه السياسة بالاعتماد على الزعامات المحلية الموالية للإدارة الفرنسية.

ولم يتردد «لويس رين (Louis Rinn) «في إبداء ملاحظاته بكل وضوح بشأن نوع الخدمات التي أدتها هذه الزعامات أو العائلات الكبرى للغزاة الفرنسيين، حيث يقول: «لم نكن في حاجة لا إلى رجال الإدارة، ولا إلى موظفين، بل كنا في حاجة إلى حلفاء من ذوي الجاه و السلطان...». كان "بيجو" يعد هذا الأسلوب وسيلة لمراقبة الوضع العام في البلاد، وذلك بجمع المعلومات عن تحركات المجموعات الثائرة، وعن مصادر تموينهم، كما يسمح هذا الأسلوب بمراقبة الأفراد والجماعات المتعاونة مع المقاومة الشعبية، يقول "بيجو" متحدثاً عن هذه الوسيلة: «إن استعانتنا بهؤلاء الرؤساء أو العائلات الكبيرة، يعد وسيلة ناجحة لتعيين مواقع الثوار، وبذلك نتمكن من حصارهم والقبض عليهم بكل سهولة، وكذلك هذه الوسيلة تدخل في إطار المحافظة على الأمن، والمحافظة على ازدهار التجارة والتبادل التجاري...» كانت فرنسا تدفع من أجل تدعيم نفوذه في الجزائر لهؤلاء الأعوان مبالغ مهمة كانت في الغالب تخرجها من ميزانية الدولة. وقد قدرها "فاريني" بمبلغ 21 فرنكاً للرأس الواحد في حين قدرها "بوديكور" في السنة على النحو الآتي: كان الخلفية يتقاضى مرتباً قدره 18.000 فرنك، والباش أغا المرتبة الأولى من 8 إلى 10.000 فرنك، والأغا (المرتبة الثانية) 6.000 فرنك، أما أصحاب المرتبة الثالثة، فقبضوا 4000 فرنك.

أما القياد والشيوخ فقد كانت الإدارة الفرنسية تدفع لهم قسماً من الضرائب المفروضة على السكان، كما كانت لهم حصة من الغرامات، تقدر بـ : 3/10 و1/10 على الغرامات المفروضة أو المقررة على السكان، وكانت لهم مزايا شتى بقدر تعاونهم مع السلطة الاستعمارية [1]. يتبين مما سبق أن فرنسا حاولت أن تهيئ الجو المناسب لإقامة مشروعها الاستيطاني في الجزائر، ذلك بعد استخدامها وسائل عملية قاسية ضد الجزائريين بقصد إخضاعهم وإنهاكهم وإبطال مقاومتهم، وهكذا بعد أن استتب لها الأمر ودعمت ركائزها في البلاد، لم يبق لها سوى البدء في تطبيق مخططاتها الاستعمارية .ولكن ومهما يكن من أمر فإن الجزائريين أظهروا استعدادا للدفاع عن بلادهم، ولاسيما بعد أن ازداد الوضع سوءاً مع نهاية حكم الإمبراطورية الثانية، حيث تلاحقت الأزمات، ولم يكن بمقدورهم مواجهتها، فكانت ثورة عام 1871 التي عبّرت بصراحة عن حالة الإحباط الشديد الذي كان عليها المجتمع الجزائري.

[1]- Germain: op cit ،p 253.

ثالثا: النظام القبلي:

1- النزعة القبلية:

كثيرا ما يقع الحديث اليوم عن القبلية وعن النزعة القبلية. وهي نزعة يعبر عنها سلوك الفاعلين المرتبط بتغليب الولاء للمجموعة القبلية وللهوية القبلية. لكن هذه النزعة تبدو متفاوتة الحضور لدى المجتمعات والجهات. أن هذه النزعة كانت مجال نقد سلطته النخب السياسية منذ بدايات هذا القرن على الإيديولوجيا القبلية باعتبارها طرفا ينازع الإيديولوجيا الوطنية والقومية[1].كما يرى "ريكاردو بوكو" أن إحدى خصوصيات التنظيمات القبلية في المشرق العربي وفي أفريقيا تتمثل في حضور القرابة وتوحدها مع التعبيرات السياسية. وهذا ما دفع بالباحثين في العلوم الإجتماعية، وخاصة علماء السياسة، إلى بحث مفهوم القبلية لتفسير الكيفية التي تنتقل بواسطتها أشكال التضامن القرابي وتتحول إلى ميادين للعمل السياسي ومجالات للتنافس حول السلطة[2].

لقد تسرب استخدام هذا المفهوم إلى بعض العلماء الإجتماع المعاصرين الغربيين مثل (مافيزولي) الذي يستخدم مصطلح للإشارة إلى الجماعة المتضامنة. إن إطار هذا الاستخدام هو التعبير عن إحدى إشكاليات المجتمع المابعد حداثي، فهذا المفهوم المافوق-فردي يطرح مقابل النزعة الفردانية والمفاهيم المنبثقة عنها، وهي مفاهيم مرتبطة بمجال علم النفس أكثر من ارتباطها بمجال علم الإجتماع.

فلقد عرف مُحَّد نجيب بوطالب القبلية على أنها نزعة يعبر عنها سلوك الفاعلين المرتبط بتغليب الولاء للمجموعة القبلية وللهوية القبلية، وهي متفاوتة الحضور لدى المجتمعات والجهات[3]، أنها ذلك الميل الطبيعي والذي يرى البعض أنه شبه فطري. إلى الأصل المشترك، وعرفها الإنقساميون على أنها أساس انتظام للمجموعات القبلية داخل إطار عام تمثل من خلالها نسق مرجعي تتعلق به الجماعات وتحافظ عليه باعتباره الدعامة الأساسية لوحدتها وتمسكها وتجانسها مضيفين في ذلك الأبعاد الجيونولوجية. بينما ذهب (ميشو بلير) انطلاقا من مفهومه للقبلية إلى اعتبار أن التملك الجماعي والعيش وفق نفس العادات والأعراف والتقاليد يولد روابط عاطفية لا علاقة لها بالنسب والقرابة ووحدة الأصل[4].

كما تطرح القبلية كمفهوم مافوق-فردي كمقابل للنزعة الفردانية وكل المفاهيم المنبثقة عنها ذات الصلة أكثر بعلم النفس والإنثروبولوجيا النفسية منه إلى الإنثروبولوجيا السياسية، مما يجعلها طرف ينازع الولاء للوطن والأمة والدولة، وبالتالي نقيض للأديولوجيا الوطنية والقومية التي أصبح يعرفها المجتمع ما بعد الحداثي، ولعلى استخدام

---

[1]- مُحَّد جابر الناصري: **من مفهوم الدولة في العالم العربي المعاصر**، ترجمة للعربية رودولف الكاري، مراجعة الدراسات الفلسطينية، ط5، 1994، ص 67.

[2]- مُحَّد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص 62.

[3]- إن ذلك يذكرنا بقوله عليه الصلاة والسلام العرق دساس.

[4]- مختار الهراس: **القبيلة والسلطة**، تطور البنيات الإجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني للتنسيق و للتخطيط البحث العلمي، الرباط، مطبعة الرسالة، 1998، ص 14-15.

(مافيزولي) لمصطلح القبيلة للإشارة إلى الجماعة المتضامنة التي ترمز إلى (زمن القبائل). وتعبر عن واقع الصراع بين المجموعات المتبلورة في المجتمع.

لقد تحدث (مافيزولي) عن (زمن القبائل) وعن (تجميل السياسي) معبرا عن واقع الصراع بين المجموعات المتبلورة في المجتمع، بما في ذلك مجتمع الجامعة الفرنسية[1].

والمهم هنا هو أن بعض علماء الإجتماع الغربيين يطلقون مفهوم القبيلة على المجموعات المتقابلة، والتي تكون دوائر شبه مغلقة، لها مصالحها المتناقضة. على أن هذا الاستخدام يحول القرابة المستعارة من القبيلة التقليدية من قرابة دموية إلى قرابة تخصصية أو مصلحية، كما أنهم يستخدمون هذا المفهوم للدلالة على الجماعات والجمعيات والتنظيمات الرياضية والدينية والفنية.

إن مافيزولي لم يبق مثل غيره أسير مقولات المدرسة الدوركهايمية وغيرها، بل حاول شأن القليلين، أن يقدم تبريرا علميا لعودة القبيلة، فهو يعتبر أنه " من الوهم القول بأن المجتمعات المتطورة قد فقدت علاماتها التقليدية وطرحت أيديولوجياتها وتخلصت من قيم أسلافها. لكن يجب الاقتراب أكثر من الظواهر التي تغري يوميا بمنطق سحق الجسم الإجتماعي، يجب العمل لتقديم تفسير صحيح لحركات الاحتجاج الإثني والانبعاث العنيف للأصولية الدينية والإعلان الراديكالي للخصوصيات الثقافية، مثل تجمع الأفراد في أطر ميكروإجتماعية تهيمن عليها الروابط العاطفية.

ومهما يكن من اختلاف في التعريف بالقبلية، إلا أنه يمكن القول على أنها نزعة نابعة من روابط عواطف شكلتها تواليف من القرابة والانتماء إلى المجال السياسي ويجعل منها الشكل الأكثر صلابة من الولاءات الأولية الذي يسموا في مجتمعات مثل مجتمعاتنا على الولاءات الفوقية الأيديولوجية . وتحمل الكثير من المعاني الماضوية المرتبطة بالنصرة والمحاكاة الرمزية أو المادية للنعرة و الحمية والمحاباة والقرابة. ولعلنا نلاحظ على المستوى الاصطلاحي استعمال مفهوم النزعة للدلالة على ذلك الشعور، ولغويا النزعة من النزوع أي الميل الذي نستشرف فيه نوعا من التلقائية التي نرى أنها ناجمة عن التربية والتنشئة الإجتماعية المثقلة بنقل العادات والتقاليد التي تشكل الدعامة الأساسية لهذه النزعة.

النزعة القبلية في الجزائر:

شكلت القبيلة والقبلية موضوع لغط اجتماعي وسياسي كبير، وهوجمت بإعتبارها مظهرا من مظاهر التخلف، وكان ينظر إليها على أنها العلامة الأساسية للمجتمع التقليدي ومعوقا للتنمية، فتعرضت بناها وهياكلها الإجتماعية الأهلية إلى تفكيك من قبل الاحتلال الفرنسي ثم الدولة الوطنية بعد تحقيق الاستقلال، نموذجين من التطور التاريخي خلقا عداءا متأصلا في البنية الذهنية للمجتمع الجزائري، وخلق كما سنرى ذلك لاحقا تقاليد من العنف تحكم بصفة شبه دائمة علاقة الدولة بالفرد والمجتمع، وكان عاملا من عوامل إذكاء الجوانب السلبية لهذه النزعة التي نلمسها في الكثير من المجتمعات من بينها المجتمع الجزائري في فترات قد تكون محددة.

[1] - Michel Maffesoli : la transfiguration du politique ،la tribalisation du monde ،paris ،1992 ،p17.

إن الإنثروبولوجي حتى وان كان مبتدئا يكفيه أن يسجل ملاحظاته حول السلوكات والممارسات والميول التي يتأكد من تكرارها ودوامها النسبي، وهذا ما فعله الباحث كأنثروبولوجي وكلن أيضا كفاعل اجتماعي وجزء لا يتجزأ من مجتمعه المحلي على الأقل، فإحكامه بمحيطه الإجتماعي والمهني والثقافي، ومقابلته لمجموعة من الأشخاص سمحت له بملاحظة ذلك التكريس الشبه طقوسي للميول الأولية خصوصا في فترتين محددتين: فترة الأزمات أو فترة التعبيرات السياسية. كما لاحظ (عبد الناصر جابي) في كتابه الانتخابات الدولة والمجتمع أن الجزائري في حياته اليومية يمارس العشائرية والجهوية بينهم لكنه رسميا وعلنيا يعبر في خطابه السياسي عن مواقف معادية لها خاصة إذا لم يكن متأكد من الأصل الجغرافي لمحدثه وتزول هذه التحفظات بعفوية إذا كان المتحدث من نفس أصل الجهة[1].

وهذا الاختلاف في النظرة إلى النزعة القبلية لا يفقد من ود دراستها والاهتمام بها لما توفره كنظرة تقييمية قد تشكل آلية لتفسير الكثير من الممارسات وردود الأفعال الناجمة عن الإخفاق المزدوج: إخفاق في بناء الدولة الوطنية المنشودة وإخفاق في المشروع التحديثي للمجتمع. لهذا يمكننا القول بتوفر مجموعة من العناصر الثقافية في هذا النوع من الميول التي تتحول مع مر الزمن إلى سمات أساسية لها يمكن ملاحظتها في المجتمع الجزائري مع بعض الاختلافات من منطقة إلى أخرى يتطلب الإلمام بها مسحا مونوغرافيا شاملا.

وفي غياب معايير الاختلاف العرقي أو الإثني أو الديني أو حتى العقائدي في المجتمع الجزائري، فان الخصوصية الثقافية مقرونة بالانتماء إلى المجال المعيار الوحيد الذي نقيس به وبالتالي نعرف من خلاله النزعة القبلية في الجزائر. والتسليم باستمرار هذه النزعة لا يعني التسليم بوجود التركيبة القبلية العربية كما هي معروفة في الفكر العربي. وأصبحنا نتحدث في ثقافتنا الشعبية ولكن أيضا في الأعمال الأكاديمية عن العرش بدل القبيلة، وعن الجماعة بدل مجلس شيوخ القبيلة، وعن الجهوية كإمتداد للنزعة القبلية وشكل هذه الأخيرة الحديث.

إن النزعة القبلية يبلورها مفهوم يسود في الفترات التي يتأزم فيها وجود القبيلة كبنية إجتماعية، خصوصا حينما تحاصر تلك البنية ويصبح وجودها غير مرغوب فيه باعتبارها علامة من علامات المجتمع التقليدي، لذلك، تتحرك النزعات القبلية باعتبارها تعبيرات عن الهويات المحاصرة، خصوصا حينما لا تكون البنى والهياكل البديلة قادرة على استيعاب الأفراد، ول تنجح بتعبئتهم لصالحها، وتجد مخلفات النزعة القبلية إستمراريتها أيضا في النزعات الجهوية.

[1]– عبد الناصر جابي، مرجع سابق الذكر، ص 28.

2- الإنتماء القبلي:

هو الإنتساب إلى قبيلة تضم مجموعة من العائلات تعيش مع بعضها البعض، والانتماء كظاهرة إنسانية فطرية بني مجموعة من الناس المتقاربين والمحددين زمانا ومكانا بعلاقات تشعرهم بوحدتهم وتمايزهم تمايزا يمنحهم حقوقا كما ورد في معجم (Larousse) الموسوعي[1]، والانتماء يكون عضوا في جماعة وهو مرادف للانتساب، فعلى الرغم من إيجاز وبساطة هذا التعريف إلا أنه يشير إلى حقيقة الانتماء الجوهرية، ألا وهي الانضمام والتوحد مع الجماعة.وفي مجتمع البحث حمل دراستنا مكون من مجاعات تدين بالولاء لأفراد الجهة التي ينحدرون منها المعبر عنها بك: البني عم والأنساب، تظهر الرابطة والعلاقة قوية بينهم خاصة في الاحتفالات والولائم كطقس الوعدة التي استخدمت كحملة إنتخابية تمهيدا للموعد الإنتخابي، فكل فرد يحاول أن يعرب عن هذا الإنتماء بإدلاء صوته لصالح جماعته.

- الإنتماء Belongingness:

هناك العديد من التعريفات التي تناولت مفهوم الانتماء وذلك ما يتضح خلال التعرض لمفهوم الإنتماء في الإطار النظري ومن خلال تلك التعريفات تم التوصل إلى تعريف إجرائي للانتماء وهو شعور الفرد بأنه جزء أساسياً من الجماعة التي يعيش معها وينتمي إليها ومرتبط بها ومتوحد معها، وأنه مسئول تجاه هذه الجماعة مع توافر المقومات الأساسية للجماعة لدى الفرد على أن تعمل هذه الجماعة على إشباع حاجات الفرد ورغباته.
هي معتقدات عامة راسخة تملى على الإنسان في مجتمع بشرى مترابط اختيارات سلوكية ثابتة في مواقف إجتماعية متماثلة[2] .

- قيم الانتماء Belongingness Values:

هي الإطار الفكري لمجموعة المبادئ الحاكمة لعلاقات الفرد بالنظام السائد في المجتمع، والتي تجعل للإنجاز الوطني روحاً في تكوين الحس الإجتماعي والانتماء، بما يسوده بإرادة الفرد للعمل الوطني مع الشعور بالمسئولية لتحقيق المكانة الإجتماعية لمجتمعه في عالم الغد.

2-1 مفهوم الانتماء وخطواته وأبعاده:

يعد الانتماء مفهوماً فلسفياً دينامياً لا يمكن إدراكه إلا في ضوء مرحلة تاريخية بعينها، وفى إطار اجتماعي بذاته، فهو ناتج للعديد من المعطيات والمتغيرات الإجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في المجتمع، كما أنه مفهوم نفسي ذو بعد اجتماعي، وبافتقاده يشعر المرء بالعزلة والغربة، ويعتريه القلق والضيق وتنتابه المشكلات النفسية التي لها تأثيرها على وحدة المجتمع وتماسكه، وعلى ذلك فسوف يتم تناول المحاور التالية:

[1] - Dictionnaire encyclopédique LAROUSSE, Paris, Cedex, 2001. P 38.

[2] - محمود قمبر: **التعليم والسياسة**، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد الثامن، العدد 26، المركز العربي للتعليم والتنمية، القاهرة، يوليو 1992، ص 79.

2-1-1- مفهوم الإنتماء Belongingness:

يعد الإنتماء مفهوم أكثر انتشار في حياتنا اليومية، وبالرغم من هذا الانتشار إلا أنه لم ينل الاهتمام الكافي من جانب المتخصصين في مجال العلوم الإنسانية، ولعل الانتماء كمفهوم يحيط به كثير من الخلط، فهناك من يرى أن الإنتماء هو عضوية الفرد في جماعة، والبعض يرى ضرورة إشتمال الإنتماء على الجانبين أي كون الفرد جزءاً من الجماعة ورتباطه بها في نفس الوقت.

- أما عن الأصل اللغوي لكلمة "الانتماء" في اللغة العربية هو نما الشيء ويقال نميته إلى أبيه أي نسبته وانتمى إليه أي انتسب وقال الأصمعي: نميت الحديث مخففاً أي أبلغته على وجه الإصلاح. ويعرف الانتماء بأنه اتجاه يستشعر من خلاله الفرد توحده بالجماعة وبكونه جزءاً مقبولاً منه ويستحوذ على مكانة متميزة في الوسط الإجتماعي، وهذا التعريف يشتمل على بعض الخصائص منها[1]:

- أن الانتماء اتجاه، وهو بذلك يشير إلى الجانب النفسي للانتماء.
- توحد الفرد بالجماعة التي ينتمي إليها كمظهر من مظاهر الانتماء.
- شعور الفرد بأنه جزء من الجماعة، وهذا التأكيد على عضوية الفرد في الجماعة.
- شعور الفرد بمكانته الإجتماعية كمظهر من مظاهر الانتماء .
- ويعرفه معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية بأن الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة ويسعى إلى أن تكون عادة جماعة قوية، يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها (كالأسرة – النادي – مكان العمل...الخ) كما يرى أن الانتماء يرتبط بالولاء[2].
- أما في التراث النفسي، نجد أن الانتماء بوصفه صفة لجزء ينتسب بشدة إلى جزء آخر ويكمله، ويشير هذا التعريف لما يلي:
- التماسك بين الفرد وجماعة الانتماء.
- التفاعل بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها.
- أن الانتماء لا يتجه نحو الذات ولابد أن يتجه إلى الآخر.
- أما العالم "فروم" يرى أن الحاجة إلى الانتماء قد نبعت من حاجة الإنسان إلى خلق العلاقات الخاصة وأكثرها تحقيقاً هي تلك القائمة على الرعاية المتبادلة والاحترام كذلك رغبة الإنسان في أن ينتمي إلى جذوره[3] . وبالرغم من اختلاف الآراء حول الانتماء ما بين كونه اتجاها وشعور أو إحساسا أو كونه حاجة نفسية أساسية إلا أننا نستطيع أن نستنتج المعنى العام للانتماء:

---

[1]- سناء حسن مبروك: **الهوية والانتماء في المجتمع الصحراوي في مصر: دراسة في الإنثروبولوجيا السياسية لمجتمع شمال سيناء**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1994، ص 41.

[2] – أحمد زكى بدوى: **معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص 16.

[3] – عبد الفتاح متولى: **تحليل سوسيولوجي لظاهرة الانتماء للعمل**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1986، ص 49.

– إن الانتماء حاجة إنسانية طبيعية، توجد لدى كافة الأفراد.

– إرتباط الانتماء بالتدريب والتعليم وأسلوب التنشئة الإجتماعية.

– إقتصار الانتماء على جماعات البشر.

2–1–2– علاقة الإنتماء بالولاء:

الولاء Loyalty يعنى في اللغة العربية المحبة والصداقة والقرابة، كما أن الولاء والموالاة ضد المعاداة، كما أن لفظ الولي يعنى المحب، النصير، الحليف، التابع، يعنى تكريساً للعاطفة نحو شخص أو جماعة أو قضية[1].

– والولاء اتجاه نفسي إجتماعي ذو جانب انفعالي عاطفي، وجانب سلوكي يدفع الفرد للقيام بسلوك معين نحو مصلحة، تتعلق بانتمائه للجماعة، هذا بالإضافة إلى جانبه المعرفي الذي يتمثل في إدراك الفرد للمفاهيم والقيم، التي يستند إليها شعوره بالولاء[2].

– أي أن للولاء جانباً نفسياً ولا يمكن إدراكه إلا من خلال الواقع المعاش على المستوى السلوكي واللفظي، والولاء في معظمه اتجاه شعوري، إلا أنه ذو أرضية لا شعورية ترتبط بمفهوم الحب، الذي تقوم عليه جميع الإتجاهات النفسية والانفعالية والإجتماعية لدى الفرد[3] .

والولاء يتعلق بالمشاعر والوجدان والعواطف تجاه من ينتمي إليه، ويؤكد على التفاعل الإجتماعي، فإنه ذو إرتباط موجب بالالتزام ومن ثم بالانتماء، حيث الولاء يدعم مستوى الأداء الذي يؤكد بدوره على مدى وجود الانتماء.

ويلاحظ أنه يوجد فروق واضحة بين الولاء والانتماء ولكن هذا لا يعنى التنافر أو التضارب بين المفهومين ولكن يوجد علاقة إيجابية متداخلة بينهما، وهذه الفروق يمكن إجمالها فيما يلي:

– يقتصر مفهوم الانتماء على الجماعات الإنسانية بينما يتسع مفهوم الولاء ليشتمل على الأفكار والقضايا.

– إمكانية الولاء لجماعة لا يكون الفرد جزءا منها ولا ينطبق ذلك على مفهوم الانتماء، فالشرط الأساسي في الانتماء أن يكون الفرد جزءا من جماعة الانتماء.

– يركز الانتماء على العضوية بينما يركز الولاء على المشاعر والعواطف تجاه الجماعة باعتباره رابطة وجدانية واستعداد إرادي.

---

[1] – محمد بن أبي بكر، نفس المرجع. ص 736.

[2] – عبد العال محمد عبد الله: **دراسة لبعض جوانب الإنتماء وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى عينة من طلاب جامعة أسيوط**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أسيوط، 1991، ص 63.

[3] – عبد العزيز عبد المنعم عبده حسانين: **تنمية الإتجاهات الإيجابية نحو الولاء للوطن لدى الأطفال في سن السابعة من العمر**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1989، ص 20– 21.

– الانتماء يحتوى على جزءا من الموضوع الخاص بالوجود المادي، أما الولاء يحتوى الموضوع كله وجدانياً وسلوكياً، سواء كان الاحتواء نظرياً أم عملياً.

– الولاء يدعم الانتماء ويقويه والوعي الذاتي الإجتماعي الثقافي هو البعد الذي يضاف لصالح الولاء ليميزه عن الانتماء.

2-1-3- أبعاد الانتماء:

تركز الدراسة الحالية على أهم أبعاد الانتماء وهى:

أ- الهوية Identity: يسعى الانتماء إلى توطيد الهوية وهى في المقابل دليل على وجوده، ومن ثم تبرز سلوكيات الأفراد كمؤشرات للتعبير عن الهوية وبالتالي الانتماء[1].

ب- الجماعية Collectivism: إن الروابط الجماعية تؤكد على الميل إلى الجماعية ويعبر عنها بتوحد الأفراد مع الهدف العام للجماعة التي ينتمون إليها، وتعزز الجماعية كل من الميل إلى المحبة والتفاعل والإجتماعية وجميعها تسهم في تقوية الانتماء من خلال الاستمتاع بالتفاعل الحميم للتأكيد على التفاعل المتبادل[2].

جـ- الولاء Loyalty: الولاء جوهر الالتزام، ويدعم الهوية الذاتية، ويقوى الجماعية ويركز على المسايرة، ويدعو إلى تأييد الفرد لجماعته ويشير إلى مدى الانتماء إليها، وكما أنه الأساس القوى الذي يدعم الهوية، إلا أنه في نفس اللحظة تعتبر الجماعة مسئولة عن الاهتمام بكل حاجات أعضائها من الالتزامات المتبادلة للولاء، بهدف الحماية الكلية[3].

د- الالتزام Obligation: حيث التمسك بالنظم والمعايير الإجتماعية، وتؤكد الجماعية على الانسجام والتناغم والإجماع، ولذا فإنها تولد ضغوطاً فاعلة نحو الالتزام بمعايير الجماعة لإمكانية الإقبال والإذعان كآلية رئيسية لتحقيق الإجماع وتجنب النزاع[4].

هـ- التواد: ويعنى الحاجة إلى الانضمام إلى الجماعة أو العشيرة وهو من أهم الدوافع الإنسانية الأساسية في تكوين العلاقات والروابط والصداقات ويشير إلى مدى التعاطف الوجداني بين أفراد الجماعة والميل إلى المحبة والعطاء والإيثار والتراحم بهدف التوحد مع الجماعة.

---

[1]- أحلام محمد عبد العظيم: **أزمة الهوية في الخطاب التربوي الرسمي المعاصر في مصر**، دراسة تحليلية نقدية، مجلة التربية للبحوث التربوية والنفسية والإجتماعية، العدد 25، نوفمبر، 1995، ص 184.

[2]- عصام حسين أحمد: **إدراك الهوية القومية لدى الطفل المصري**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1991، ص 17.

[3]- طلعت منصور وآخرون: **أسس علم النفس العام**، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984، ص 133.

[4]- طلعت منصور وآخرون، 1984، ص 137.

و– الديمقراطية Democracy : هي أحد أساليب التفكير والقيادة وتشير إلى الممارسة والأقوال التي يرددها الفرد ليعبر عن إيمانه بثلاثة عناصر:

- تقدير قدرات الفرد وإمكاناته مع مراعاة الفروق الفردية، وتكافؤ الفرص، والحرية الشخصية في التعبير عن الرأي في إطار النظام العام، وتنمية قدرات كل فرد بالرعاية الصحية والتعليمية والإجتماعية والاقتصادية.
- أن يشعر الفرد بالحاجة إلى التفاهم والتعاون مع الغير، وأن تتاح له الفرصة للنقد وتقبل نقد الآخرين.
- إتباع الأسلوب العلمي في التفكير[1].

2–1–4– مستويات الإنتماء:

يمكن تقسيم الإنتماء إلى عدة مستويات:

أ– مستوى الإنتماء المادي: يقصد به كون الفرد جزءاً من جماعة الإنتماء بمعنى أن يكون الفرد عضواً فعالاً، ويكون لديه ولاء لهذه الجماعة ولا يصبح العضو منتميا لها إلا بإكتساب عضوية الجماعة الفعلية التي يقيم فيها ونشأ بداخلها واكتسب قيمها وعاداتها، ويتحقق ذلك المستوى داخل الجامعة من خلال إكساب الطلاب قيم وعادات صحيحة تعزز الانتماء للوطن لدى هؤلاء الطلاب.

ب– مستوى الإنتماء الأناني: وهو ما يطلق عليه مستوى الانتماء اللفظي فقط، فالفرد يعبر لجماعة ما بالانتماء للحصول على الإشباع ويمكن أن يتجه انتماؤه إلى جماعة أخرى إذا حققت له درجة إشباع أكبر.

جـ– مستوى الإنتماء الإيثاري: وهو الذي يظهر من خلال مواقف فعلية وهى التي تتطلب التضحية والفناء من اجل الجماعة التي ينتمي إليها الفرد.

وعليه فإن الانتماء من خلال تلك المستويات يكون:

* انتماء دائم، ويظهر ذلك في الأسرة والوطن.
* انتماء طويل، ويظهر ذلك في جماعة الجيران وأصدقاء العمل.
* انتماء قصير، ويظهر ذلك في جماعة زملاء الدراسة.

وعلى كافة المستويات والتعريفات، فالانتماء دائم وموجود بوجود الفرد داخل جماعة ما، ينتمي إليها سواء إجتماعيا، فكريا، سياسياً، وتقوم بينهما خاصية المشاركة المتبادلة لضمان إستمراريته.

[1]– شاكر عبد الحميد وآخرون، **علم النفس العام**، ط 2، دار أتون للنشر، القاهرة، 1989، ص 454.

3- التضامن القبلي (الجبرية القبلية):

تمثل الجبرية إحدى محددات الإديولوجية القبلية. فمكانه الأفراد التي تستوجب الإنصهار في الجماعة القبلية تجعلهم لايعبرون عن إرادتهم الخاصة، بل تتطلب تعبيرهم عن فعلهم الفردي أو الجماعي من خلال إرادة القبلية، فهم يتصرفون بالنيابة عنها، إن الفرد حينما كان يغزو أو يمارس الثأر فهو لا يفعل ذلك لنفسه فقط بل أجل القبلية، إنه يمارس بذلك فعلا إجتماعيا سياسيا نابعا من قهر الجماعة الذي يمنعه من ممارسة فعل مغاير لذلك الفعل . على أن هذه الجبرية ظلت صفة تميز البناء القبلي حتى القرن التاسع عشر حينما بدأت الكيانات القبلية في التفكك مع ظهور أشكال جديدة من الإندماج عوضت الإندماج القبلي واستبدلت التجند القبلي .

لقد مثلت القبلية عبر التاريخ الملجأ الحصين للفرد، كما مثل التضامن القبلي وسيلة الدفاع الأساسية ضد كل أشكال القهر المسلط من الخارج وما دامت الخيمة تمثل الوحدة السكنية التي ظلت تصاحب البناء القبلي فقد أصبحت رمزا لتماسك القبلية ووحدة بنائها القاعدية، باعتبار أن الخيمة تمثل الوحدة الإجتماعية الصغرى ممثلة في الأسرة الزوجية . فلعل الخيمة بطريقة بنائها وبمرتكزاتها وحمايتها للأفراد تمثل خير معبر عن القبلية كغطاء يضم ويحمي مختلف الفروع والعشائر ويسندها.

خلاصة :

من خلال عرضنا للقبلية العصبية فهمنا بأن القبيلة اكتسبت منذ العصور القديمة دوراً تاريخياً فاعلاً سواء في مختلف بلدان العالم عموماً، وفي المجالات التي اقترنت بنمط العيش الرحّلي خصوصاً، مشكّلة بنية إجتماعية واقتصاديّة وثقافيّة مميّزة. فكان لها بالجزيرة العربيّة وبأطراف الشّام والعراق مكانة هامّة في التّاريخ العام، خلّدت صورتها شعراء ما قبل الإسلام. ومثّلت في بلاد المغرب البناء الذي جسّد الخصوصيّة المغربيّة في مقاومته للغزاة. ولئن اقترنت فترة النشأة الإسلاميّة بتكريس مفهوم جديد يتجاوز القبيلة ويحاول توحيد مختلف مكوّنات المجتمع العربي بمدينة يثرب، وهو مفهوم الأمّة، فإنّ القبيلة وما ارتبط بها من فكرة العصبيّة لم تضمحل وظلّت تحرّك مجريات التّاريخ العربي الإسلامي إلى حدّ العصر الحديث. وكما أن القبيلة انغمست كذلك في الحياة الحضرية الحديثة فهي لا تزال مستمرة في دخولها في جميع مناحي الحياة بل وأنها هي التي تسير أمور الأفراد داخل المجتمع المحلي الحضري .

الفصل الرابع
المقاربات المعرفية للتنظيم الحضري

تمهيد :

ليس من الشك إن أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كان انقلابا كبيرا في تاريخ أوروبا خاصة والإنسانية عامة، فقد انقلبت من عصر الجمود إلى عصر الحركة والفوضى وذلك عن طريق الثورة الصناعية التي أدخلت تغيرات جذرية في شتى المجالات الإجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. فظهرت قوى إجتماعية جديدة وتغيرت البنية الطبقية للمجتمع كما ظهرت أساليب إنتاج وعلاقات جديدة تطورت مع عمليات التحضر. بالإضافة إلى ظهور ثقافات جديدة ومتطورة إلى أصبحت المدن الأوربية أكثر تقدماً وتحضراً. تتسم بثقافة حضرية عالية سواء منها المادية والمعنوية فالأولى تمثلت في إكتساب واستخدام التقنيات التكنولوجية الحديثة من نظم للاتصال والمواصلات وأنظمة تسييرية متطورة جداً، أما المعنوية فيظهر ذلك في التنظيم المحكم للبناء والنظام الإجتماعي والحضري، وثقافة الأفراد وكيفية تعاملهم مع القوانين التسييرية للمدينة، فضلاً عن مستوى وعيهم ورقي أفكارهم وذهنياتهم بالرغم من طغيان القيم الفردانية والمصلحية.

وفي نفس السياق شهدت المدن العربية بعامة والجزائرية بخاصة تحولات عميقة جاءت من خلال التحولات السياسية والإجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال السيرورة التاريخية للمجتمع الجزائري إلى إن وصلت المدن الجزائرية إلى درجة محدد من التحضر واكتسبت أساليب الحياة الحضرية. إلا إن التحضر في الجزائر لم يكتمل نموه بعد فهو لا يزال في طور الاكتمال والتشكل، هذا لان اغلب إن لم نقل كل المدن الجزائرية تشهد تطورات ملحوظة ولكن تبقى هناك مشكلات ومسائل تحول دون تقدمها، ومن بين تلك الأمور نجد تعدد الثقافات في المجتمع الحضري، بحيث لا نرى بأن هناك مدينة ذات مستوى تحضر عالي، ومدينة ذات مستوى تحضر متدني جدا، ومع سيرورة التحضر في المدن في العالم المتقدم والنامي والمتخلف تظهر لا محالة آثاراً في شتى مجالات الحياة وهي آثار ايجابية وسلبية على السواء.

إن مفهوم التحضر بمعناه العام ينطوي على عدة أبعاد مشتركة من هذه الأبعاد نجد الأبعاد الاقتصادية و الإجتماعية و الثقافية التي ترافق عملية التحضر .

وظاهرة التحضر هي ظاهرة قديمة حيث تعود إلى آلاف السنين قبل الميلاد، حيث ظهرت بظهور مجموع المعارف الإنسانية و الأساليب المستخدمة في تلبية الحاجات ، ومن أهمها استخدام المعادن ، كما كان مرتبطا أيضا بمناطق وجود المياه .

كما إن للإسلام و انتشاره في العالم الأثر الكبير في عملية التحضر حيث ظهرت مدن حديثة في البلاد العربية الإسلامية كفاس والرباط و كربلاء و النجف و غيرها ، وذلك من خلال استفادة المسلمين من تجارب غيرهم في تطور ونمو المدن و القلاع و الحصون .

أولاً : ماهية التحضر.

1- المظاهر التاريخية للتحضر:

يقصد بمفهوم التحضر (urbanisation) إنتقال مكان الإقامة من الريف إلى المدينة و الاستقرار فيها وما يترتب على ذلك من تغير في خصائص السكان الريفيين على مستوى عاداتهم الإجتماعية و تقاليدهم وبذلك ينطوي مفهوم التحضر على أبعاد اقتصادية و إجتماعية وثقافية ترافق عملية الانتقال أو تليها بعد حين.

فتعود أولى مظاهر التحضر في العالم إلى أكثر من ستة آلاف عام، وقد ظهرت في منطقة المشرق العربي،ففي الألف الرابعة قبل الميلاد برزت مصر و بلاد الشام، ومابين النهرين حضارة مزدهرة. وكان ظهورها مرتبطا بتقدم مجموعة المعارف الإنسانية والأساليب الفنية المستخدمة في تلبية الحاجات. كاستخدام المعادن واختراع الشراع واستعمال العجلة في النقل، و صنع الفخار واختراع المحراث واستخدام الحيوان في الجر، وقد ظهر ذلك جليا في مناطق السهول الفيضية بوادي النيل الأدنى[1].

وبعد الفتح العربي الإسلامي وانتشار الإسلام ازدادت حركة التحضر،إذ استفاد المسلمون من تجارب الآخرين وأخذوا يطورون المدن والقلاع والحصون، ويعززون المواقع العسكرية للجيوش، وكانت تنمو إلى جانب ذلك عوامل الاستقرار المرتبطة بتوفير وسائل العيش من إنتاج زراعي وصناعي وتجاري، وقد اتسعت مدن كثيرة بسرعة كبيرة. ونشأت مدن حديثة كمدن النجف وكربلاء في العراق وفاس والرباط في المغرب وأصبحت مكة

[1] . فتحي أبو عيانة: **التحضر في العالم (نظرة في النشأة و التطور)**، اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا، ندوة السكان و التنمية سنة 1978 .

تستحوذ على مشاعر المسلمين قاطبة. كذلك نمت مدن عسكرية كثيرة مثل البصرة و الكوفة والفسطاط و القيروان وغيرها [1].

أما في الغرب فقد أخذت المدن بالتزايد الفعلي، إذ برزت مظاهر التحضر منذ الألف الأولى قبل الميلاد،ففي غضون القرنين7 و8 قبل الميلاد أخذت تنتشر ظاهرة (المدينة_ الدولة). وتعد المدن اليونانية أوضح نموذج لذلك.فأخذت بالتوسع كما كان الحال في مدينة (سيراكيوز). والتي تعد واحدة من المستعمرات في ايطالية و صقلية خلال الفترة اليونانية المبكرة (700 .750) قبل الميلاد[2].

واستطاعت دولة المدينة اليونانية.أن تمد نفوذها على امتداد البحر المتوسط، وفي سنة 500 قبل الميلاد كانت الحياة الحضرية ظاهرة سائدة في ساحل المحيط الأطلسي، من اسبانية غربا حتى سهول "الغانج" في الهند شرقا.

فالتحضر بالمعنى السكاني (الديمغرافي): هو انتقال السكان من الأرياف إلى المدن.

فالتحضر له عدة معادن على حسب المجال الذي يدرس من خلاله ، فهو بالمعنى السكاني الديموغرافي هو انتقال السكان من الأرياف إلى المدن ، وبالمعنى الإجتماعي بإكتساب عادات وتقاليد إجتماعية جديدة ، وبالمعنى الثقافي إكتساب الفرد مجموعة من القيم و المعايير للحكم على أنماط السلوك و الأشياء المحيطة له .

أما التحضر بمعناه المتداخلة اجتماعيا و سكانيا فيقصد به اتساع المدن على حسب الأرياف المحيطة به اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسكانيا .

وللتحضر تعريفات و التي يفهم من معناها أنها عملية تحول المناطق الريفية إلى مناطق حضرية ،وهذا ما يؤثر على التركيب الاقتصادي للسكان فيميلون من الاشتغال بالمهن الخاصة بالريف كالزراعة و الرعي إلى المهن التي تختص بها المدن كالعمل في المصانع و الإدارات و انتقال الإنسان من الريف إلى المدينة لا يجعله متحضرا مالم يصاحبه تغيرات أساسية في السلوك و القيم والمعايير و الإتجاهات .

ومن بين التعريفات للتحضر نجد تعريف قسم السكان في هيئة الأمم المتحدة بأنه (نمو السكان الذين يعيشون في المناطق الحضرية).

و بالمعنى الإجتماعي: إكتساب عادات وتقاليد إجتماعية جديدة تظهر في السلوك و الممارسات اليومية كاختيار الفرد لشروط السكن الذي يقيم فيه،و نماذج الألبسة التي يريدها، وحتى المهن التي يمارسها.

[1] . إسحاق القطب: **مشروع بحث إقليمي عن أنماط التحضر و مشاكله**، جامعة الكويت، الكويت، سنة 1977 .

[2] - United Nations، Population Division، "**Urban and Rural Population: Individual Countries**، 1950-85 and Region and Major Areas 1950-2000 Esa/WP/ REV. 1، (1970).

وبالمعنى الثقافي: يعني إكتساب الفرد مجموعة من القيم و المعايير التي يلجأ إليها في الحكم على أنماط السلوك و الأشياء المحيطة به.

أما التحضر بوصفه عملية إجتماعية سكانية، فيقصد به اتساع المدن على حساب الأرياف المحيطة بها، فنمو الوظائف الاقتصادية و الإجتماعية للمدينة، يجعلها قادرة على استيعاب أعداد إضافية من السكان، ومن قوة عمل إضافية،فتتسع دائرتها وتنمو وظائفها الاقتصادية و الإجتماعية من جديد و تنمو قدراتها على الاستيعاب[1].

2- تعريف التحضر :

يشير التحضر إلى عملية تحويل المناطق الريفية إلى مناطق حضرية، مما يؤثر في التركيب الاقتصادي للسكان إذ ينخفض عدد السكان الريفيين و يزداد عدد السكان الحضريين، وبالتالي يقل عدد الذين يشتغلون بالمهن الزراعية، كما إن التحضر شيء أكثر من انتقال الناس من الريف إلى المدينة، ومن العمل المرتبط بالأرض إلى أنماط الأعمال و المهن الحضرية لأن مجرد انتقال الإنسان من الريف إلى المدينة لا يجعله متحضرا، إذ يتضمن التحضر تغيرات أساسية في تفكير وسلوك الناس وقيمهم الإجتماعية، كما يتضمن تغيرات في الإتجاهات نحو العمل[2].

وردت تعريفات كثيرة لعملية التحضر و لمفهوم الحضر، فقد عرفه: قسم السكان في هيئة الأمم المتحدة بأنه :نمو السكان الذين يعيشون في المناطق الحضرية [3].

و عرفه Davis (ديفز) بأنه نسبة السكان الذين يستوطنون المراكز الحضرية.

أما (سعد الدين إبراهيم) فيرى التحضر أنه عملية حركات وإعادة توزيع السكان من الريف إلى المراكز الحضرية و المستوطنات البشرية التي تتصف بتركيز كبير للسكان في منطقة معمورة حضريا و يعملون في حرف ليست زراعية[4].

يطلق التحضر على تلك العملية من النمو الحضري السريع التي يمكن مشاهدتها في مظهرها الكمي البحت، وبغض النظر عما إذا كانت هذه العملية تنبثق من عناصر النمو السكاني الطبيعي أو الهجرة الداخلية. والتحضر بصفة عامة شرط أساسي في عملية التحديث ويرتبط بالتحول من النظم الاقتصادية الريفية إلى النظم الاقتصادية الصناعية وكذلك بالانتقال من البيئة التقليدية إلى البيئة العصرية.

---

[1]- Hall، P، The World cities (London 1972).

[2] – أحمد بدوي زكي: **معجم المصطلحات العلوم الإجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1982، ص 436.

[3] - United nation، **Multilingual Demographis Dictionary**، English Section، Population Studies، No 29، 1958، P.18.

[4] -Ibrahim، Saad E.M. Over- Verbalisation and Under- Urbanisme، The case of The Arabe World

وهو عملية من عمليات التغير الإجتماعي، تتم عن طريق انتقال أهل الريف أو البادية إلى المدينة، وإقامتهم بمجتمعها المحلي، أي إعادة توزيع سكان الريف على المدن[1].

ويحدد **د. مُحَمَّد كيلاني** مفهوم التحضر من خلال النقاط التالية:

– حجم السكان في رقعة معينة، هو المؤشر الناجح للتمييز بين المجتمعات الريفية والحضرية، لذلك يعرف التحضر، بأنه تركز للسكان والأنشطة غير الزراعية في بيئة حضرية بأحجام وأشكال مختلفة.

– التحضر هو مستوى العلوم والفنون، ودرجة التقدم التكنولوجي وأشكال التصنيع السائد.

– هو الأنماط والروابط الإجتماعية، وأشكال التفاعلات الإنسانية والبيئية مع بعضهم البعض.

– التحضر يعني: التمييز بين نمط الحياة البسيطة والمعقدة، أي انه انتشار القيم، والسلوك، والتنظيمات الحضرية في مجال جغرافي معين، وإضافة إلى ما سبق يعرف التحضر بأنه عملية تركز سكاني يتم بوسيلتين:

– زيادة عدد أماكن التجمعات السكانية.

– أو نمو حجم التجمعات السكانية[2].

إن مفهوم التحضر مرتبط المكان الخاص به إلا وهو المدينة ، فالمدينة هي كمظهر عمراني يمكن تمييزها عن القرية ، وهناك آراء كثيرة اعتمدت على ظواهر وقواعد مختلفة لتعريف المدينة منها ، إن المدينة خلاصة تاريخ الحياة الحضرية ، من ناس ومواصلات وتجارة و اقتصاد وفن وعمارة ...إلى غير ذلك .

أم من الناحية العددية و الإحصائية فقد تم اعتماد رقم معين في مكان ما ليتم إطلاق عليه اسم مدينة بالرغم من ذلك فإن هذا المقياس فيه اختلاف بين الإحصائيين الأمريكيين و الأوربيين ، يعني إن كل مكان له رقم خاص به إذا توفر يصبح المكان مدينة ، وإذا لم يتوفر يصبح قرية .

أما من الجانب الإداري فإن المدينة هي المحلة العمرانية التي تمنح من قبل السلطة الحاكمة بمرسوم يعلن فيها أنها مرتكز حضري يطلق عليه اسم مدينة ، بالرغم من إن التعريف الإداري يتغاضى عن إن بعض المدن لم تمنح هذا الحق بالرغم من توفر كل شروط المدينة ، بينما هناك قرى لها صلاحيات المدينة .

كما لا يمكننا الاستغناء عن الجانب التاريخي للمدينة من حيث أنها ظاهرة تاريخية ، والتي ترجع إلى إن التعريف التاريخي للبيئة يركز على العلاقة القوية بين الإنسان و البيئة المحيطة به، فإدخال مصطلح المكان في هذه العلاقة مضمون له أهمية كبرى ، والذي يبرز إن المدينة وحدة مكانية منظمة بقوانينها الخاصة ، ويمكن للمرء التعرف على الأقسام الوظيفية فيها ، فيميز مناطق الإسكان القديمة ، ومناطق الصناعة و الزراعة وغيرها من الأقسام دون عزلها عن بعضها البعض .

[1] – عبود حنان: المدينة العالمية، **إبداعات هندسية**– العدد الثاني –الجزء الثالث–م.محسن مقصود–الجمهورية العربية السورية– دمشق 2005 ، ص 31 –32.

[2] – النعيم مشاري العبد الله: **التراث العمراني تحت ضغوط التمدد الحضري "أركيولوجية " المدينة وذاكرة المستقبل** ،المملكة العربية السعودية –الرياض–يناير 2007 م – ذو الحجة 1427هـ. ص 28

كما إن لجمالية المظهر الإنساني للمدينة جانب من جوانب تعرفيها ، حيث يعتبر مصطلح المدينة قمة التطور لها وصلت إليه العقلية الإنسانية في مجال توجيه الطبيعة و الأرض لخدمته.

لهذا فإن المدينة يمكن التعرف عليها من مظهرها العام وشكلها الهندسي ، فالمدينة التاريخية تختلف عن المدينة الصناعية ، و المدينة الزراعية تختلف عن المدينة التجارية وهكذا .

كما لا يمكن الجانب الإجتماعي في تعريف المدينة ، حيث يلتمس علماء الإجتماع تعريفا للمدينة ويلخصونها ففي عبارة أن المدينة هي (عقل وجسم وعادات وتقاليد) وهو ما يفهم من أنهم ركزوا على الاهتمام بطريقة الحياة من خلال الأفكار و العادات و التقاليد ، أي إن الاختلافات الإجتماعية هي أساس المدينة ن أي أنه كلما زادت الكثافة السكانية ، واد وجود الاختلاف بين طريقة حياة السكان .

منن خلال ما تم تداوله من تعريفات فإنه لم ييتم اتخاذ معيار واحد وخاص لتعريف المدينة لذا تم إرتياء استخدام أكثر من معيار ولم المعايير واحد ومنن أهم هذه التعريفات نجد إن المدينة هي عبارة عن محلة عمرانية مكدسة ذات أهمية حضرية ، ونجد أيضا إن المدينة مجتمع كامل قاعدته الجغرافية ترتكز بصفة خاصة على حجم سكانه .

ولكثرة التعريفات الخاصة بالمدينة نجد إن هناك اختلاف بكير حيث إن ما ينطبق على مدينة لا ينطبق على أخرى ، حيث إن كل عالم عرفها من وجهة نظره .

ويمكن تلخيص أهم النقاط التي ترتكز عليها المكان الذي يطلق عليه اسم المدينة .

3- تعريف المدينة والحياة الحضرية:

لم يلتف الباحثون على تعريف محدد للمدينة وان كانت المدينة كمظهر عمراني مألوف يمكن تمييزها عن القرية بوضوح سواء في شكلها المورفولوجي الخارجي أوفي وظائفها أو حتى نموها وتطورها التاريخي ومع ذلك فليس هناك قاعدة محددة يمكن بواسطتها تعريف المدينة،وإن كانت هناك آراء كثيرة قد قيلت في هذا الصدد وقد أعتمد في ذلك على ظواهر وقواعد مختلفة وفيما يلي نحاول ضبط مجموعة من التعاريف اعتمدت فيها أساسيات مختلفة .

- إن المدينة خلاصة تاريخ الحياة الحضرية ، فهي الكائن الحي كما عرفها (لوكوربزيه) ، فهي الناس والمواصلات وهي التجارة والاقتصاد، والفن والعمارة، والصلات والعواطف، والحكومة والسياسة، والثقافة والذوق، وهي

أصدق تعبير لانعكاس ثقافة الشعوب وتطور الأمم، وهي صورة لكفاح الإنسان وانتصاراته وهزائمه ، وهي صورة للقوة والفقر والحرمان والضعف[1] .

3-1- التعريف العددي أو الظاهرة الإحصائية:

اعتمد الإحصائيون رقم معينا لسكان إذا توفر في مكان ما أصبح مدينة وإذا لم يتوفر فهو قرية، إلا أنه هناك إختلاف في المقياس من مكان إلى آخر فالأمريكيون مثلا أخذوا سكان المدينة لا يقل عددهم عن 2500 نسمة في حين أخذت معظم الدول الأوربية بالإضافة إلى تركيا التعريف العددي الذي وضعته فرنسا في عام 1846 و أعترف المكتب الدولي للإحصاء في عام 1987 وبمقتضاه وضع الحد الأدنى لأي مركز حضري بـ 2000 نسمة غير إن هذه الأرقام لم تكتسب صفة العالمية كما انه من الصعب أخذ أرقام كمعيار أساسي التعريف لأنه معيار متغير حسب المكان والزمان[2].

3-2- التعريف الإداري:

كثيرا ما تعرف المدينة في دول غرب أوربا تعريفا قانونيا بمعني إن المحلة العمرانية التي تمنح من قبل السلطة الحاكمة مرسوما يعلن فيها أنها مركز حضري هي التي تصبح مدينة،كما تعرف المدينة أيضا بأنها مركز البلدية أي نعتمد هنا في تعريف المدن علي إن تنفرد بتركز الإدارة فيها وأن تكون مركز للحكم. فالتعريف الإداري يتغاضى عن حقيقة إن بعض المدن الشرقية لم تمنح في أي من الأوقات أي مرسوم لإنشائها كما أنه لا يوجد في فرنسا اختلاف إداري ذو معنى.لان كل قرية فرنسية لها سلطتها التي تشبه تماما من حيث الأهمية السلطة الموجودة في المدينة[3].

3-3- التعريف التاريخي:

المدينة ظاهرة تاريخية لذلك يجب إن نرجع إلى التاريخ لكي يخلصنا من استبداد الأرقام ،فكثير من المدن اعتبرها التاريخ مدنا علي الرغم من صغر حجمها وانكماش رقعتها في الوقت الحاضر كمدينة (شستر) في إنجلترا، ومدينة رشيد في مصر .

يركز هذا التعريف علي العلاقات القوية بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها، ومن هنا فان البيئة من صنع الإنسان، و إدخال المكان وبعبارة أخرى فالمدينة تمثل وحدة مكانية منضمة بقوانينها الخاصة وإدخال عامل المكان في تعريف المدينة مضمون له أهمية كبرى، إذ يمكن المرء من التعرف على الأقسام الوظيفية في المدينة،

---

[1] – بشير التيجاني، **التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ابن عكنون (جامعة وهران)، الجزائر، 2000/02، ص 64.

[2] – فتحي محمد أبو عيانة : **جغرافيا العمران (دراسة تحليلية للقرية والمدينة)**. دار المعرفة الجامعية ،(الإسكندرية). مصر،1998، ص88.

[3] – نفس المرجع : ص88.

فيميز مناطق الإسكان القديمة ومناطق صناعية وتجارية وغيرها من الأقسام الوظيفية التي تدخل في تركيب المدينة ونظرا لكون هذه الأقسام متصلة ببعضها فتكون جميعها نظاما خاصا للمدينة، ففي رأي (بورجس) إن المدينة الغربية تتكون من نطاقات مركزة ومن ثم فيجب إن يصيبه الأيكلوجي اهتمامه علي اكتشاف العلاقات بين هذه الأقسام والأنماط وأن يحاول إيجاد القوانين التي تتحكم في هذه الأنماط .

3-4- التعريف الجمالي: المدينة عبارة عن مظهر إنساني إذ تعتبر قمة التطور لما وصلة إليه العقلية الإنسانية واهم ما حققه الإنسان في مجال توجيه الأرض ولهذا فان تأثير المظهر الخارجي للمدينة علي الإنسان لابد إن يأخذ في الاعتبار عند تعريف المراكز الخضرية،فالمدينة يمكن التعرف عليها في مظهرها العام وشكلها الهندسي والمباني العامة وهذا مع ملاحظة إن وضيفة المدينة تترك أثرها دائما علي شكل المدينة وجوانبه خطتها ومن ثم فالمدينة التاريخية يمكن التعرف عليها من خلال آثارها التذكارية الباقية كالقلاع والحصون .

والمدينة الصناعية يمكن تميزها من مصانعها ومداخنها في حين تتصف المدينة التجارية بمؤسساتها التجارية الكبيرة ومستودعاتها الضخمة وواجهات محلاتها الزجاجية الأنيقة بصفة عامة، وذلك من وجهة نظر الجغرافيا فان المظهر الحضري معيار هام في تعريف المدينة.

3-5- التعريف الإجتماعي : يلتمس رجال الإجتماع تعريفا للمدينة من وجهة نظر مختلفة تماما عن وجهات النظر السابقة إذ ينظرون ألي المدينة على أنها (عقل وجسم وعادات وتقاليد) وهنا ينصب الاهتمام على طريقة الحياة التي تميز المجموعات البشرية في المدينة والتي تختلف من حيث طريقة حياتها عن المجموعات التي يعيش خارج نطاق حدودها .المدينة ظاهرة اجتماعية، وهي ليست مجرد تجمعات من الناس برأي روبرت بارك مع ما يجعل حياتهم أمرا ممكنا، بل هي اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الإتجاهات والعواطف المتأصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد[1] .

ويبدوا هذا الإتجاه واضحا في المقال الذي نشره (لويس وورث) في المجلة الأمريكية للاجتماع سنة 1938 تحت عنوان(الحضرية كطريقة للعيش) وفي هذا المقال قد أدخل في اعتبار حجم وكثافة المدينة حيث وصف المدينة بمحلة عمرانية دائمة من أفراد مختلفة اجتماعيا، كبيرة الحجم نسبيا وإذا ما حاولنا إن نختصر هذا التعريف نستطيع إن نقول إن الاختلافات الإجتماعية هي أساس المدينة في نظر رجال الإجتماع إذ إن الكثافة السكانية لها تأثير واضح على وجود الاختلاف بين طريقة حياة السكان في نفس الوقت علي تشجيع وظهور

[1] – فتحي محمد أبو عيانة : نفس المرجع ص 89.

أفكار تكنولوجية جديدة فمع النظام الحضري تتحطم النظم الإجتماعية القديمة لتحل محلها نظما جديدة،إذ تقل الرابطة الأسرية بين أفراد المدينة[1] .

3-6- تعاريف تشمل أكثر من معيار: نظرا لفشل اتخاذ معيار واحد لتعريف المدينة فقد لجأ الباحثون الي استخدام أكثر من معيار فيذكر **بوبوك** إن المدينة لابد إن تتسم بثلاثة صفات وهي:

أنها عبارة عن محلة عمرانية متكدسة، ذات أهمية نسبية ومركز للحياة الحضرية أما (**مانييه** يقول إن المدينة مجتمع كامل قاعدته الجغرافية ترتكز بصفة خاصة على حجم سكانه أو عناصر مكونات أرض، التي تقاس بالمقارنة إلى العنصر البشري، وبعبارة أخرى فان هذا التعريف يشير إلى إن المدينة محلة عمرانية ذات كثافة سكانية عالية، في نفس الوقت لم يضع حدا أدنى للكثافة السكانية التي يجب إن يكون عليها المركز الحضري. فالمدينة ليست شيئا محددا تحديدا صارما فهي نقطة تجمع سكانية تتجلى فيها مختلف الظواهر الحضرية .

فبالرغم من كثرة العلماء المهتمين بتعريف المدينة إلا أنهم لم يعطوا تعريفا واضحا لها ،ذلك إن ما ينطبق على مدينة لا ينطبق على أخرى ، لأنها عرفت باختصاصات متعددة حسب وجهة نظر كل عالم ، فمنهم من فسر المدن في ضوء ثنائيات تتقابل بين المجتمع الريفي والحضري، ومنهم من فسرها في ضوء العوامل الايكولوجية، ومنهم من تناولها في ضوء القيم الثقافية[2]:

– **إحصائياً:** تشير الإحصائيات إلى إن كثافة أكثر من 10000 شخص في الميل المربع الواحد تشير إلى وجود مدينة بحسب رأي مارك جيفرسون، ومن مصلحة الإحصاء في جامعة الإسكندرية تعرف المدينة بأنها تعتبر من الحضر والمحافظات والعواصم المراكز، ويعتبر ريفا كل ما عدا ذلك من البلدان.

– **قانونياً:** هي المكان الذي يصدر فيه اسم المدينة عن طريق إعلان أو وثيقة رسمية.

– **حجمياً:** فقد عرفت المدينة في ضوء عدد السكان ولقد أجمعت بعض الهيئات الدولية على إن المكان الذي يعيش فيه أكثر من 20000 نسمة فأكثر يعتبر مدينة ، أما في أميركا فقد اعتبرت أكثر من 2500 نسمة يشكلون مدينة، أما في فرنسا فأكثر من 2000 نسمة يحددون مدينة، وكذلك في القطر السوري فإنهم يعتبرون 2000 نسمة تشكل مدينة .

– **وظيفياً:** لا يوجد للمدينة وظيفة واحدة بل لها عدة وظائف:

[1] –. نفس المرجع: ص 90.

[2] – جاكلين بوجو قارنين: **الجغرافيا الحضرية**، ترجمة: حليمي عبد القادر. ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر– 1989.ص 66.

فهي وحدة عمرانية ذات تكامل وظيفي، فهي لا تشمل قطاع الزراعة فحسب (كما في الريف) بل تتعداه للصناعة والتبادل التجاري والصناعات الثقيلة، وتجارة القطاعين الخاص والعام، والحرف وكل ماله علاقة بوصول تطورها إلى العالمية، وتسمى هذه الصناعات بالصناعات الحضرية.

– ويصف "ديكنسون" المدينة بأنها محلة عمرانية متكدسة، يعمل أغلب سكانها، بحرف غير زراعية كتجارة القطاعي والصناعة والتجارة.

– أما "د.عاطف غيث" فيعرف المدينة على أنها المكان الذي يعمل أغلب سكانه في مهن غير زراعية، وما يجعل المدينة شيئا محددا،هو ذلك التكامل الوظيفي لعناصرها المختلفة على هيئة وحدة كلية.

– **موقعياً**: تنشأ المدن في مواقع مختارة تتمتع بأفضليتها عن سواها من المدن ،ويرى الجغرافيون إن المدينة حقيقة مادية مرئية من اللاندسكيب يمكن تحديدها والتعرف عليها بمظهر مبانيها وكتلتها وطبيعة شوارعها ومؤسساتها وكذلك تفردها بخط سماء مميز Urban Profile.

وهناك نقاط علام جغرافية وعمرانية تحدد مفهوم المدينة موقعيا، فالنقاط الجغرافية:

– نقاط جغرافية بيئية (خطوط الساحل، بحر، سلسلة جبال، أنهار وتلاقي فروع).

– عقد تلاقي طرق النقل (مواصلات، سكك حديد، سيارات).

– نقاط إستراتيجية تجمع بين مزايا البر والبحر (أنفاق ومواقع نقل جوي وبحري وضائق).

أما نقاط العلام المميزة عمرانيا ومعمارياً ،مثل تعريف "**توماس وكوين**" :

– وجود المباني المرتفعة والمتقاربة والمنازل ومكاتب الإيجار. – عادات وتقاليد أهل الريف.

– كثرة وكثافة السكان العالية. – المهن والحرف المتعددة.

– الهيئات الإجتماعية الغير موجودة في الريف. – تميز المدينة بالحركة.

– تعقد الحياة والروابط بين سكان المدينة والمدن الأخرى. – تعدد الأقليات في المدينة.

– المدينة مركز إشعاع ثقافي وفني وعلمي.

وأخيراً هناك تعريفات متعددة للمدينة أذكر بعضها:

– امتداد القرية على افتراض إن هناك تدرج مستمر بين ما هو ريفي وبين ما هو حضري.

– مجتمع محلي يتميز بمجموعة مركبة من السمات التي يمكن إدراكها.

– عرف "**وورث**" المدينة: بأنها المركز الذي تتجانس، تأثيرات الحياة الحضرية إلى أقصى جهات الأرض، ومنها أيضا ينفذ القانون الذي يطبق على جميع الناس.

– المدينة هي تجمعات سكانية كبيرة وغير متجانسة ، تعيش على قطعة أرض محدودة نسبيا، وتنتشر منها تأثيرات الحياة الحضرية المدنية ، ويعمل أهلها في الصناعة والتجارة والوظائف السياسية والإجتماعية.

– وهي وحدة جغرافية مساحية يعيش فيها عدد كبير من السكان، تتباين مستوياتهم الاقتصادية والإجتماعية، ويترافق مصطلح المدينة مع مفهوم الحضر والتحضر، حيث أنهم أوجدوا المفهوم بابتعادهم عن الريف، والأعمال.

و المدن تنمو وتتطور وفق مراحل ومن بين هذه المراحل نجد مرحلة تجمعات ما قبل الزراعة و التي تميز بقلة عدد السكان وانتشارها إستنادا لموارد الرزق ، وتنتقل هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى بعدها تعرف بمرحلة التجمعات الزراعية و التي تتسم بإرتفاع معدل نمو السكان ونمو الجانب الاقتصادي وتنوعه ، إلى إن تأتي مرحلة المدينة الأولى ومن أهم مميزاته وصل نمو سكانها لأعلى مراحله ، وتسارع النمو الاقتصادي بدخول الصناعة وتوفر المواصلات ، وهو ما ينشيء مدينة كبيرة ومن أمثلتها (ميكسيكويتي ، القاهرة ، بومباي) وتتبعها مرحلة المدينة المليونية و التي تتشكل من عدة مدن كبيرة تكمل بعضها حيث يكون النشاط الاقتصادي متمما لبعضه ، والذي يجعل الحكومة تهتم بطالبه سكانها ، وتتميز بميزات تنفرد بها كالتجارة و الصناعة ، وقد تصل إلى إن تكون عاصمة منطقة أو دولة وتتوالى مراحل تشكل ونمو المدن بمرحلة الميجالوبوليس و التي ينخفض فيها معدلات النمو الاقتصادي و السكاني كما تتصل فيما بينها عمرانيا ، وفيما يخص مرحلة التحضر التام وهو إرتفاع معدل التحضر أكبر من معدل نمو السكان وتتعدد فيه الأنشطة وتكوين نسيج عمراني مشترك بين المدن الصغيرة .

من بين المراحل نجد مرحلة ما قبل الصناعة وهي تطلق على مدن أوربا في العصور الوسطى وهي لا تتسم بالصناعة و التي نستنتج من خلال ذلك إن نسبة سكان المدن مرتبطة بالتصنيع ، حيث تتأثر الظواهر الحضرية بالصناعة، فهي سبب "أساسي من أسباب العمران في المدينة ونموها السريع مساحة وسكانا ووظيفة كما إن المدن الكبيرة يؤدي إلى تحديد حجم التجمعات و الذي يؤدي بدوره إلى التساؤل حول مصطلح التجمع و الذي يعني إندماج مدينين لتشكيل وحدة واحدة وغالبا ما يؤدي نمو التجمعات الكبيرة إلى تكوين مستوطنات مدينة كبيرة متصلة ومستقلة.

4- مراحل نمو المدن:

4- 1- مرحلة تجمعات ما قبل الزراعة:وهي تتميز بما يلي:

- قلة عدد السكان.

- الانتشار السكاني استنادا إلى موارد الرزق.

وهي تطبيق لنظرية "مالتس" : مستقرات صغيرة متساوية في الحجم.

4- 2- مرحلة نمو تجمعات ما قبل الزراعة:

- زيادة نمو المدن.

- بدء تحسن الحالة الاقتصادية.

وهي المرحلة التي بدأت تتميز بها بعض المدن نتيجة انتشار الزراعة ونوع من التجارة التبادلية.

4-3- مرحلة التجمعات الزراعية: تتسم بما يليMarket Town:

- ارتفاع كبير في معدل نمو السكان.

- ارتفاع معدل نمو المدن عن معدل نمو السكان هامة.

- صعود واضح في معدل النمو الاقتصادي.

- بدء نمو مستقرات بشكل واضح، بسبب تحولها إلى منطقة سوق تجاري لما حولها.

4-4 مرحلة المدينة الأولى Primate City:

- وصول نمو سكان المدن لأعلى مراحله.

- تسارع معدل النمو الاقتصادي بدخول الصناعة وتوفر المواصلات الكثيرة (سكة الحديد، شبكات، طرق) وتنشأ هنا مدينة كبيرة،وتنشأ حولها بعض المدن،وتدعي المدينة الأولى المهيمنة على باقي المستقرات البشرية مثل: "مكسيكو سيتي، القاهرة، بومباي"[1].أي في كل دولة، يوجد مدينة كبيرة جدا متميزة، تتركز فيها أنشطة كثيرة بنوك ورؤوس أموال ويصل حجمها إلى 20-30 % من عدد السكان، ويكون فيها كافة شبكات الطرق والمواصلات، وتتميز بتركز سكاني شديد، وبوضوح التنظيم الإجتماعي والإداري واتساع الأسواق، وتتسم بالتمييز الطبقي، ومعدل نمو مرتفع يكاد يكون ضعف معدل نمو الدولة، مثل القاهرة معدل نموها 5% أما مصر 2،5 %.

4-5- مرحلة المدينة الكبيرة Metropolitan :

تظهر مدن كثيرة مهمة ويتجمع السكان في المدن الجديدة المليونية، وتنخفض هيمنة المدن الأولى، وتظهر عدة مدن كبيرة تؤلف المدينة الأم، وهي ليست مدينة واحدة وإنما هي مجموعة مدن تكمل بعضها حيث يكون النشاط الاقتصادي متمما لبعضه، وتبدأ المدن بالتجمع مثل: القاهرة والجيزة وشبرا وهي أكبر المدن السابقة

[1]- رشوان حسين عبد الحميد: **المدينة "دراسة في علم الإجتماع الحضري"**، المكتب الجامعي الحديث، جمهورية مصر العربية، الإسكندرية، 1989. ص 64.

لها. وأكبر متروبوليس هي: طوكيو، نيويورك، مكسيكو سيتي. وتمتاز هذه المرحلة بكثافة عدد السكان بشكل فوق العادي، وتتوافر فيها المواصلات، وتهتم الحكومة فيها بتحقيق مطالب سكانها، وتنفرد بميزات خاصة كالتجارة والصناعة، وقد تصل بعض هذه المدن إلى عاصمة منطقة أو دولة وتصبح المركز الرئيسي للحكومة، وتتركز فيها كل المظاهر والنشاط الإجتماعي والاقتصادي والسياسي، بحيث تصبح بحق"المدينة الأم".

4-6 – مرحلة الميجالوبوليس Megalopolis:

- انخفاض كافة المعدلات.
- انخفاض معدل النمو الاقتصادي.
- انخفاض معدل نمو السكان.
- انخفاض معدل تركز السكان في المدن.
- التوزيع الجغرافي هو الميغالوبوليس: مثل "بوسطن، واشنطن، نيويورك" والتي تتصل فيما بينها عمرانياً، وفي هذه المرحلة تبدأ المدن والمناطق الحضرية حول المتروبوليس تزيد وتنمو وتتحول إلى عمران ضخم، ويكاد إن يكون متصلا عمرانيا، ويتفوق في هذه المدن التنظيم الآلي والتخصص وتقسيم العمل وتأخذ الفردية في الظهور، وتنتشر النظم البيروقراطية في الإدارة وأجهزة الحكم[1].

4-7- مرحلة التحضر التام Nearly Total Urbanization:

معدل نمو الحضر أعلى من معدل النمو السكاني لاستمرار الإتجاه نحو التحضر.

- ثبات معدل نمو السكان.
- استمرار زيادة معدل نمو الحضر
- تكاد إن تكون مراحل نمو الحضر مدنا صغيرة متجمعة بشكل تجمع حضري.
- يكون معدل النمو ثابت ولكنه موجود، ويبدأ الناس بالعيش في مدن صغيرة.
- تتعدد الأنشطة ويكون لدينا مجموع من المدن الصغيرة والكبيرة والمزارع والمناطق الصناعية وبالتالي نسيج عمراني، وتكون المناطق الزراعية عبارة عن أجزاء أو نقاط صغيرة، وتتبنى المدينة الأم، وتتحلل حول المدينة الأصلية، وتنشأ مناطق جديدة ملتحمة،ولا يوجد أي نموذج قديم، وإنما شريط جديد مترابط من النسج العمرانية،ومن الصعب تخيله لعدم وجوده حتى الآن .

[1] – رشوان حسين عبد الحميد أحمد: نفس المرجع، ص 64-65.

4– 8– مدن مرحلة ما قبل الصناعة:

يرى "أمريز" جونز إن مدينة ما قبل الصناعة لا تطلق على أنماط مدن أوروبا الغربية الحالية، وإنما تطلق على مدن أوروبا في العصور الوسطى وجميع المدن التي كانت قائمة عبر التاريخ ولا تتسم بالصناعة. وإتسمت مدن ما قبل الصناعة بالخصائص التالية:

1- سيادة التكنولوجيا بعد إن كانت الصناعات اليدوية.

2- انعدام التخصص الوظيفي.

3- سيادة الفكر والأدب بين صفوة تتمتع بأوقات الفراغ.

4- صغر حجم المدينة، ويرجع صغر حجم المدينة إلى عدة عوامل منها ببساطة التكنولوجيا السائدة.

أما معدلات التحضر: فهي ترتفع داخل الدول الصناعية التي يعمل أغلب سكانها في مجالات العمل الصناعي والخدمات.ويؤكد ذلك إن نسبة سكان المدن في البلاد الغير المصنعة تقل عن تلك في البلاد المصنعة[1].

ونستنتج إن : نسبة سكان المدن مرتبطة بالتصنيع وتقل بقلته، تتأثر الظواهر الحضرية مباشرة بالتصنيع من حيث:نوعيته، ودرجته، ومجاله، ولا نعني بالقاعدة الصناعية هنا مجرد توافر صناعة ما، بحيث تؤثر على سكان ذلك المكان اقتصاديا واجتماعياً، وإنما نعني بتلك القاعدة الصناعية وجود نظام أو نسق من الصناعات، يكون محوراً أساسياً لحركة السكان من هذه المنطقة، ويختلف عن الصناعات اليدوية التي كانت قائمة في البيوت، ومما لاشك فيه إن نمو الصناعة يؤدي إلى زيادة الحاجة للعمال، وزيادة حجم المدن، وشدة إقبال الناس عليها،ليس للغرض الاقتصادي فحسب ولكن لما فيها من حرية. ويؤكد هذا المعنى "لويس ممفورد" إذ اعتبر إن المدن تدين في وجودها إلى حد كبير للثورة الصناعية وما صاحبها من تقدم صناعي استتبع أثارا واضحة إنسانية ومادية عديدة تمثلت بوضوح في مدن بترسبورج وشيكاجو. ويرتبط التصنيع بالتحضر، من حيث كونه سبباً أساسياً من أسباب عمران المدينة ونموها السريع مساحة وسكانا ووظيفة.فقد ظهرت مباني جديدة لم تكن معروفة من قبل كالمصانع وسكك الحديد. وأدى التصنيع إلى ظهور التباين الوظيفي، ليس فقط في المنشآت والمباني، وإنما في المناطق التي تنقسم إليها المدينة. ويؤدي التصنيع إلى رفع الكفاية المالية والإدارية للمناطق ذات الصناعات الحضرية، وتتغير الحياة الإجتماعية لتصبح ذات علاقات غير متينة قائمة في الأغلب على مبدأ المنفعة الذاتية ولذلك فهي غير مستديمة.

4–9– المدن الكبيرة: إن نمو المدن الكبيرة مهم جدا مثل عمليات التمدن العامة. وتضم هذه المدن الآن أكثر من خمس سكان العالم. ولكن ما هي المدينة الكبيرة؟ فالتحديد البسيط للحجم يستخدم المستوى الأدنى لـ 100000 ساكن. ولكن هل يمكن إن نعتبر إن في هذا العدد تحديدا لحجم التجمعات؟ وهنا ممكن إن نسأل ما هو **مصطلح التجمع؟** فهذا المصطلح يعني "اندماج مدينتين لتشكيل وحدة واحدة"، أو "المدينة مع

[1] – عبد الحميد أحمد: رشوان حسين، نفس المرجع ، ص 66.

ضواحيها"، أما الكتاب الديموغرافي للأمم المتحدة فيحدد التجمع المدني بأنه"يشمل الحواف المدنية أو المقاطعات المسكونة بكثافة والتي تقع خارجاً ولكن مجاورة لحدود المدينة".

وغالباً ما يؤدي نمو التجمعات الكبيرة إلى تكوين مستوطنات مدنية كبيرة متصلة ومستقلة، تسمى عادة "**المدن المتصلة** Conurbations".ويمكن وصفه بأنه تجمع واتصال عدة مدن وأحيانا بتكونه من تجمع واحد كبير وتوابعه المدنية. أما المدن المليونية فإنها تتضاعف بسرعة، ففي بداية هذا القرن كان هناك إحدى عشر مدينة مليونية فقط في العالم، ولكن في أوائل الستينيات، ارتفع العدد إلى أكثر من 100 مدينة منها ست مدن عربية مثل:"القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء"[1].

إن المدينة تتميز بعدة خصائص متنوعة، ومن بين هذه الخصائص نجد الخصائص السوسيولوجية و الخصائص الديمغرافية، وكل خاصية من هذه الخصائص له تفسير لمصطلح المدينة من خلال اتجاهات الباحثين فالخصائص السوسيولوجية انقسمت إلى ثلاثة محاور وهي أولا إن المدينة ينظر إليها على أنها مجتمع صغير يتميز عن غيره، وثانيا على أنها له تنظيم اجتماعي يتناول خصائص حضارية في ضوء بعد واحد . أما ثالثا فهو يتناول المدينة على أنها نمط من أنماط المجتمعات المحلية .

بينما الخصائص الإدارية عرفت المدينة على ضوء إصطلاحات قانونية عن طريق وثيقة رسمية تصدر عن سلطات عليا، رغم أنع غير مرضي . لأن عدة مدن تطورت دون صدور إعلان رسمي في حين إن الخصائص الديمغرافية فتعرف المدينة بطرق إحصائية وهو ما يتعارض مع الناحية السوسيولوجية.

وتصنف المدينة باعتبارها نموذج لمجتمع حضري ظاهرة تاريخية، إلى عدة تصنيفات وفق عدة معايير متعددة ومن بين هذه التصنيفات نجد تصنيف حسب مرحلة النشأة و المقصود بها فجر قيام المدينة وهو إنضمام القرى إلى بعضها البعض و إستقرار الحياة الجماعية، وذلك بعد اكتشاف الزراعة و المعادن وبعض الصناعات التقليدية، وهذه المدن كانت في العصر الحجري الحديث ، رغم إن استخدموا صناعة المعادن كان هدفهم التفوق الحربي ،وقد كان من المسلم به في ذلك الوقت إن ماله أهمية ليس عدد السكان، بل السيطرة على السكان، أما بالنسبة للزراعة فهي تباعد بين الريفيين و الاختراع إلا إن مايميز هذا التصنيف فيفتقر إلى التمييز الواضح بين مناطق الإقامة ومناطق النشاط التجاري .

[1] – – رشوان حسين عبد الحميد: نفس المرجع، ص 67.

5- خصائص المدينة:

5-1- الخصائص السوسيولوجية للمدينة:

نجد من أهم عواملها، تشعب اتجاهات الباحثين في أساليب القياس إلى محاور ثلاثة هي:

المحور الأول: وينظر إلى المدينة على أنها مجتمع صغير (SMMAL SOCIETY) يتميز عن غيره من المجتمعات المماثلة الأخرى بمجموعة من الخصائص تطبعه كمجتمع حضري.

المحور الثاني: ينظر إلى المدينة على أنها تجمع سكاني له تنظيم اجتماعي يتناول الخصائص الحضرية في ضوء بعد واحد أو أكثر من الأبعاد التحليلية الأساسية للظاهرة الإجتماعية التفاعلية.

المحور الثالث: يتناول المدينة على أنها نمط أو شكل خاص من أشكال المجتمعات المحلية، أي كمجتمع محلي حضري ويمكن القول بأن المدينة هي اكبر الأماكن العمرانية سواء من حيث عدد السكان أو المساحة المبنية أو تعدد الوظائف التي تمارسها[1].

يعرفها "لويس وورث" أنها المركز الذي تنتشر فيه تأثيرات الحياة الحضرية إلى أقصى الجهات من الأرض، وهي مكان دائم للإقامة يتميز نسبيا بالكبر والكثافة يسكنه أفراد غير متجانسين.

أما "روبرت بارك" فيعرفها على أنها ليست مجرد ميكانيزم فيزيائي أو بناء صنعه الإنسان، و ذلك لأنها متضمنة في العمليات الحيوية التي تنظم الناس الذين يكونونها و أنها من إنتاج الطبيعة وذات طبيعة إنسانية على وجه الخصوص[2].

5-2- الخصائص الإدارية للمدينة:

عرفت المدينة أحيانا في ضوء اصطلاحات قانونية ذلك إن مكانا ما قد يطلق عليه اسم مدينة عن طريق إعلان أو وثيقة رسمية تصدر عن سلطة عليا .و مع إن هذا التعريف واضح جدا إلا أنه غير مرضي[3]، لأن المكان لا يكون مدينة بمجرد إعلان، لأن هذا لا ينطبق على كثير من المدن الموجودة في كثير من بلدان العالم التي نشأت و تطورت دون إعلان رسمي و دون صدور وثيقة بذلك من الجهات المختصة.

[1] – أحمد علي إسماعيل، **دراسات في جغرافية المدن**، مكتبة سعيد رأفت القاهرة .مصر.1982 ص 34.

[2] – حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **المدينة دراسة في علم الإجتماع الحضري** ، مرجع سابق .ص: 58.

[3] – أحمد علي إسماعيل، نفس المرجع، ص 34.

5-3- الخصائص الديمغرافية للمدينة:

و تعرف المدينة أحيانا بطرق إحصائية و ذلك مثلما هو متبع في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تعتبر كل مكان به 2500 نسمة فأكثر مدينة وربما كان هذا التحديد العددي ملائما للأغراض الإحصائية. إلا أنه غير مفيد تماما من الناحية السوسيولوجية ومع ذلك فليس هناك اتفاق على هذا العدد في كثير من بلدان العالم[1].

كما يوجد تصنيف آخر للمدينة وهي التي تمتاز بالتنظيم الإجتماعي و الإداري و التشريع، وتتوفر فيها جميع المرافق من أعمال ووظائف ومنشآت ، وتتميز بالتمييز الطبقي بين فئات السكان ، وزيادة أوقات الفراغ وانتشار العلوم و الفلسفات و النظريات .

تصنيف آخر للمدينة و الذي يعرف بالمدينة الأم ، و الذي يتوفر فيها كل الطرق السهلة للعيش من مواصلات وتحقيق جميع مطالبها من طرف حكومة البلد ،كما تتركز فيها جميع مظاهر النشاط الإجتماعي و الاقتصادي و السياسي والذي يؤهلها بأن تكون ذات أحقية بلقب المدينة الأم .

تتسع مراحل تطور المدن إلى إن تصبح مدن عظمى و التي من أهم مميزاتها انتشار النظم البيروقراطية في الإدارة وأجهزة الحكم ،و تأخذ هذه الصراعات مظاهر كالإضراب و التدمير و التخريب كما تنتشر الانحرافات و الجرائم في محيط المدينة .

أم من الناحية التاريخية فيمكن تصنيف التطور الحضري للمدينة إلى نماذج أهمها نموذج مرحلة ما قبل التحضر و الذي يمثل البدايات المبكرة للمدينة .

وتتوالى النماذج المصنفة للمدينة و التي يمكن إبرازها في نموذج المدين الصغرى وتظهر فيها بصورة أولية للتقسيم النسبي للأعمال مع المحافظة على الأسرة و الحياة الدينية، كمما إن لنموذج المدينة المسيطرة دور في سيرورة تطور المدن و الذي يمثل ظهور مجتمع محلي متمتع بوضوح إستراتيجي، بتوافد المهاجرين وتقسيم الأعمال وتطور العلاقات، كما نجد نموذج المجتمع الحضري المحلي الذي يتسم بالضخامة والتعقد وسيطرة الإقتصاد ونزوح السكان إلى ضواحيها والهروب من ظروف الحياة الصعبة، ويظهر هذا النموذج عندما تزداد حالات التفكك بالمدينة .

كما إن هناك تصنيف آخر للمدينة يعتبر من أهم التصنيفات و أسهلها و الذي يعتمد على المعيار الإحصائي نظر لتعقد التصنيفات الأخرى، حيث يتم إطلاق إسم المدينة عند بلوغها عدد سكان معين دون النظر

[1] – حسين عبد الحميد أحمد رشوان: نفس المرجع، ص 58.

للاعتبارات الأخرى كالاقتصاد و الصناعة و التجارة و غيرها ، وهذا ماهو موجود في الواقع ، أي انه كلما زاد عدد السكان في الرقعة الجغرافية كلما سميت مدينة وانتشرت فيها لا إراديا مظاهر التحضر .

كما يعد التصنيف المدن من حيث الحجم من أبسط التصنيفات ، وهو ما يستعمله علماء الإجتماع للتفريق بين الريف و المدينة وهذا التصنيف يقسم المدن إلى:

– مدينة صغيرة وهي الموقع الحضري البسيط الذي يسيطر على المنطقة الريفية ، ورغم افتقارها إلى التقسيم الواضح إلا أنها تعتبر مقر حكومة ومركز و ديني .

– المدينة الصناعية و التي تتميز بتقسيمي العمل ، وهي ترتبط بوجود الإنتاج بازدياده ونقصانه

– المدينة وهي ماتتميز بخصائص المدن الصناعية بشكل مكثف ومتطور وتعتمد على أساليب الراحة .

وهناك تقسيمات أخرى للمدن و الذي يعود إلى دور الأعمال التي تؤديها سواء صناعية و تجارية وسياسية وثقافية وصحية ...إلى غير ذلك .

6– تصنيفات المدينة:

تعتبر المدينة بصفتها نموذج لمجتمع حضري ظاهرة تاريخية يرجع تاريخها إلى ما يقرب 8000 سنة، حيث لكل مدينة شخصيتها المستقلة، و على ضوء ذلك تتبين صعوبة تصنيف المدن، ومع ذلك يمكن تصنيفها إلى مجاميع متشابهة مع بعضها البعض .بحيث تبدو هناك خصائص لكل مجموعة منها، وقد استخدمت في ذلك معايير متعددة و من ثمة ظهرت عدة تقسيمات للمدن يستند بعضها إلى متغير واحد ومن هذه التصنيفات :تصنيف حسب مرحلة النشأة، التصنيف التاريخي، التصنيف من حيث الحجم. و هو ما يهمنا في هذا الفصل، وهناك تصنيف من حيث الأعمال و الوظائف التي تمتاز بها المدن[1] .

6–1– التصنيف حسب مرحلة النشأة:

6–1–1– مرحلة النشأة Epolis: يقصد بها المدينة في فجر قيامها و تتميز بانضمام القرى إلى بعضها البعض و إستقرار الحياة الإجتماعية فيها إلى حد ما.

و قد قامت المدينة في هذه المرحلة بعد اكتشاف الزراعة و استئناس الحيوانات و تربية الطيور و قيام الصناعات التقليدية و الحرفية البسيطة و اكتشاف الإنسان للمعادن.

وهكذا ظهرت المدن الأولى في العصر الحجري الحديث، وعصر اكتشاف المعادن. إلى إن أولئك الذين استخدموا الأسلحة المعدنية كان لهم التفوق الحربي على أولئك الذين الحجارة .و من المسلم به إن ما له أهمية

[1] – حسين عبد الحميد أحمد رشوان: **المدينة دراسة في علم الإجتماع الحضري** ،مرجع سابق .ص 87– 88.

حضرية كبيرة ليس عدد السكان وحده في مساحة محدودة من الأرض، بل العدد الذي يمكن وضعه تحت السيطرة الموحدة والقصيرة بحيث يتكون للمجتمع طابعه الخاص به، ويستهدف أغراضا تتجاوز حاجات الغذاء و البقاء.

أما الزراعة فهي تدفع بممارسيها إلى العمل الزراعي وهي مهن تباعد بين الريفيين و الاختراع والابتكار واستخدام أدوات الحرب وكانت الجماعات التي تكون في البدء مرتبطة بروابط القرابة و الدم. كما مارس رجال الدين نشاطات أساسية في حياة هذه المدن، لكنها تبقى تفتقر إلى التمييز الواضح بين مناطق الإقامة مناطق النشاط التجاري و الصناعي.

6-1-2- مرحلة المدينة Polis: تمتاز بالتنظيم الإجتماعي و الإداري و التشريع و تنتعش فيها التجارة و تتسع أسواق التبادل، وتتنوع الأعمال و الوظائف و الاختصاصات، و تتسم بالتمييز الطبقي بين مختلف الفئات في المدينة، واتساع أوقات الفراغ و ظهور الفلسفات ومبادئ العلوم النظرية، والاهتمام بالفلك والرياضيات و قيام المؤسسات و الفنون و نشأة المدارس و حلقات المناظرات و المسجلات.

6-1-3- مرحلة المدينة الكبيرة Metropolis: و تعرف بالمدينة الأم، و يتكاثف فيها عدد السكان بشكل فوق العادي، و تتوافر فيها الطرق السهلة و تربطها بالريف شبكة من المواصلات السريعة وتهتم الحكومة فيها بتحقيق مطالب سكانها وتنفرد بمميزات خاصة كالتجارة أو الصناعة، و من الطبيعي إن اتساع نطاق الأعمال التجارية والصناعية يؤدي غلى ظواهر حضرية كثيرة أهمها تنوع الوظائف وتعدد المهن و التخصص و نشأة المعاهد الفنية العليا. وقد تصل بعض هذه المدن غلى عاصمة منطقة أو دولة وتصبح المركز الرئيسي للحكومة، أو الإدارة المحلية، وتتركز فيه جميع مظاهر النشاط الإجتماعي والاقتصادي و السياسي، بحيث تصبح المدينة بحق " المدينة الأم. "

6-1-4 مرحلة المدينة العظمى Mégaloplis: و تتمثل في انبثاق المدن العظمى في القرن 19 ولقد تحولت المناطق الريفية إلى أراضي بناء في موجات متتابعة، وتأخذ الفردية في الظهور والتخصص وتقسيم العمل و تنتشر النظم البيروقراطية في الإدارة وأجهزة الحكم و يبدأ ظهور الانحلال والشقاق بسبب تحكم الرأسمالية، ويتصارع أصحاب الأعمال و العمال و قد يأخذ هذا الصراع مظاهر ايجابية تؤدي إلى حدوث الإضراب و التدمير و التخريب، ثم قيام الحكومات المحلية بأعمال القمع والتعذيب والتشريد، وتنتشر كذلك الانحرافات و الجرائم في محيط الأحداث.

6-2- التصنيف التاريخي للمدينة:

يعتبر " لويس ممفور" واحدا من أهم المهتمين بالمدخل التاريخي في دراسة البيئة الحضري، لذا نجده يهتم بشكل واضح بدراسة مظاهر تطور الثقافة الحضرية في مؤلفه المعنون :"ثقافة المدن" سنة 1938 حيث سعر إلى التمييز بين المراحل التي عرفتها الحياة الحضرية في تطورها و التي اتسمت كل واحدة منها بظهور نموذج حضري معين تميزه خصائص ثقافية خاصة به، وذلك على النحو التالي:

نموذج مرحلة ما قبل التحضر :و هو الذي يشير إلى المجتمع المحلي و الذي يمثل البدايات المبكرة للمدينة أي فجر المدينة" **الإيوبوليس**" **Eopolis** .

6-2-1 نموذج المدينة الصغرى Polis: يشير هذا النموذج إلى وجود مجتمع محلي حضري، تظهر فيه الخصائص الحضرية بصورة أولية مثل التقسيم النسبي للعمل مع بقاء الإشكال الأولية القديمة للأسرة و الحياة الدينية.

6-2-2 نموذج المدينة المسيطرة Metropolis: يمثل ظهور مجتمع محلي حضري متمتع بمركز وبوضوح استراتيجي، حيث يفد إله المهاجرون و تظهر فيه العلاقات المتطورة وتقسيم العمل و تعاون المراكز.

6-2-3 نموذج المجتمع المحلي الحضري: وهو يتسم بالضخامة وكبر الحجم وتعقد التنظيم الذي تسيطر فيه المدن على الإقليم في كافة المجالات المتعلقة بالخدمات والتجارة .وتظهر كذلك التنظيمات البيروقراطية والعلاقات اللاشخصية فتحل محل العلاقات الشخصية في هذه التنظيمات.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الخامسة لتطور المجتمع المحلي الحضري و التي يظهر فيها النموذج الحضري المتميز بسيطرة المدينة الاقتصادية و على أعلى الدرجات، في هذا النموذج كذلك يبدأ السكان في النزوح إلى الضواحي والابتعاد عن ظروف الحياة الصعبة بوسط المدينة[1].

وأخيرا مرحلة ظهور نموذج لمجتمع محلي حضري يمثل نهاية مطاف التطور الحضري .و يظهر هذا النموذج من وجهة نظر " ممفور " عندما تزداد حالات التفكك بالمدينة.

[1] – حسين عبد الحميد أحمد رشوان: **المدينة دراسة في علم الإجتماع الحضري**، مرجع سابق .ص89 .

3-6 التصنيف الإداري للمدينة:

هو الذي يعتبر عدد السكان معيارا للتقسيم الإداري، وهو من أسهل التقسيمات لارتباطه بتعقد الحياة، ففي فرنسا مثلا كل مجموعة من السكان تعيش في مركز واحد و يبلغ عدد أفرادها 2000 نسمة أو يزيد، اعتبرت هذه المجموعة مجموعة حضرية .وكل مركز يقل عدد السكان فيه عن هذا الرقم فإنه يعتبر قرية ويدخل في عداد الريف.

أما في "**إرلندا**"فكل مجموعة بلغ عدد سكانها 1500 نسمة فهناك تعتبر مركزا حضريا .أما في مصر فنجد في القاهرة و الإسكندرية من السكان ما يزيد عن المليون نسمة، بينما في المدن الصغيرة الأخرى يعيش 2500 نسمة، وهنا يتضح بأن النسبة الكبرى من سكان الحضر يعيشون في مجتمعات تمتاز بشدة تعقدها، بينما تعيش الأقلية في مجتمعات أخرى أقرب إلى القرى منها إلى المدن .وهكذا أصبح عدد السكان الأساس المعمول به في تصنيف المدن في أغلب بلدان العالم[1].

4-6- تصنيف المدن من حيث الحجم:

يعتبر تصنيف المدن من حيث الحجم من أبسط التصنيفات، و يستعمل علماء الإجتماع هذا التصنيف للتفريق بين الريف و الحضر، فقد أوضح "مان" الاختلافات التقليدية بين الريف و الحضر في بريطانيا.

و من تلك التقسيمات التي تضع معيار الحجم أساسا لتقسيم المدن، هذا التصنيف الذي ركزنا عليه في بحثنا هذا فهو يقسم المدن إلى:

1-4-6 المدينة الصغيرة Towne: وهي تعني بلدة أو مدينة صغيرة تتميز عن الوحدات الصغرى"القرى"و عن الوحدات الكبرى، وهي تتمتع بموقع حضري يسيطر على المنطقة الريفية التي تقع على بعد كبير منها،كما تتمتع بأهمية ثقافية كبيرة فهي مقر حكومة .و هي المركز الديني للبلاد و تمارس المدينة الصغيرة من التجارة البسيطة الداخلية إلا أنها تفتقد إلى التقسيم الواضح للعمل على المستوى الإقليمي.

2-4-6 المدينة الصناعية city: وتتميز بتقسيم العمل، وينتظم وجودها حول الإنتاج الذي تنتجه وهي تتمتع بموقع حضري يسيطر على الإقليم برمته حضره وريفه. وهو ما يعرف بالمدينة المتوسطة وهو ما ركنا عله في البحث.

[1] – أحمد إسماعيل: **دراسات في جغرافيا المدن**، نفس المرجع السابق، ص34.

3-4-6 المدينة Métropolitan: وهي المدينة العظمى أو المدينة الكبيرة. وتتميز بخصائص المدن الصناعية بشكل مكثف . وفيها يحل استخدام آلة الاحتراق والكهرباء محل استخدام الآلة التي يسيرها البخار[1].

-كما هناك تقسيم آخر للمدن من حيث الأعمال التي تؤديها كما يلي:

(مدينة صناعية- مدينة تجارية- مدينة سياسية- مدينة ثقافية- مدينة ترويحية و صحية- مدينة متعددة الأغراض)[2].

التقسيمات الإدارية المستحدثة والتي شكلت العديد من المدن والتي كانت عبارة عن قرى ، وكذا الزيادة الطبيعية للسكان وذلك بفضل التطور الصحي ، وأيضا الحركة السكانية من الأرياف إلى المدن ويرجع أهم سبب النمو الحضري لدول العالم الثالث إلى الهجرة.

أما "تيسدال" فقد ركز في تحليلها العملية التحضر إلى عنصرين هما تعدد نقاط التركيز من ناحية ، وزيادة حجم المراكز الحضرية من ناحية أخرى ، وأن تزايد السكان في المدن دليل على مؤشر إحصائي دقيق لقياس عملية التحضر ، وقد عارض هذا التصور ."ريمون لدرى" حيث أشار أنه يبعدها عن التصور السيسيولوجي . كما إن هذا التصور يغفل تفسير التحضر في ضوء العوامل الإجتماعية من ثقافة ومعايير وقيم وأدوار ومكونات وغيرها .

كما يؤكد التصور الإيكولوجي على عاملين هامين تقاس على أثرهما درجة التحضر إلا وهما السكان و المكان ومدى سيطرة الإنسان على البيئة الطبيعية من خلال التفاعل بين المكونات الديموغرافية والاقتصادية و الإجتماعية، ويرى هذا التصور أنه كلما زادت درجة تقسيم العمل الإجتماعي نتيجة سيادة النظام الصناعي ارتفعت درجة التحضر به ، كما أنها تتناسب طرديا مع التطور التكنولوجي السائد ويؤثر هنا التحضر على المناطق الأخرى بدرجات متفاوتة .

إن العيش في إطار بيئة مكانية محددة يجعل من الأفراد يعتمدون على البيئة بينما هي تمارس تأثيرا كبيرا عليهم ، ومن بين العناصر الحضرية التي تتخذ شكلا طبيعيا هو عنصر السكن و الذي يؤثر على السلوك و الإتجاهات.

ويرى حسن الساعاتي إن العلاقة الإيكولوجية تدرس من وجهتين أولها دراسة للحياة الإجتماعية ودراسة ديناميكية تتعلق بالحياة الإجتماعية وتغيرها من حقبة إلى أخرى .

[1] - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص 70- 71.

[2] - عطيات حمدي: جغرافية العمران، **دراسة موضوعية وتطبيقية**، دار المعارف، بيروت، 1965، ص 25.

أما التصور الاقتصادي فيحلل عملية التحضر باتجاهين هما أولا إن الانتقال الكبير للقوى العاملة في الزراعة إلى الصناعة و الخدمات ، وما نجم عنه من انتقال السكان من الأرياف إلى المدن ، وهو ما ارتبط بالعديد من الدراسات التي أكدت علاقة عملية التصنيع بالتحضر .

تصور آخر لعملية التحضر من الجانب الثقافي الذي يرى عملية التطور المدينة يتميز بعدة مميزات من بينها انقسامية الأدوار والعلاقات السطحية أو بمعنى أدق نموذج أكثر عقلانية للفعل الإجتماعية حيث يعتبر البناء الإجتماعي من أهم ركائز عملية التحضر ، أي إن عملية التحضر في المدينة تتركز على الجانب المادي و المعنوي للثقافة ، ففكرة الثقافي أصبحت عنصرا أساسيا في عملية التحضر .

ثانيا: النظريات والتصورات المعرفية في دراسة التحضر.

1- نظريات التحضر:

يرى الدكتور إسحاق القطب أن تطوير النظرية حول التحضر لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار حدود وخصائص المجتمع المحلي والحضرية والمدنية والمجتمع الحضري والإيكولوجيا الإجتماعية، واعتبر جهود العلماء لتشكيل وتطوير نظرية حول التحضر ما زالت تواجه مشاكل. كما واستعرض المدارس النظرية في علم الإجتماع وأبرزها المدرسة الحضرية، والتي تشمل عملية الانتقال من الزراعة أو الإقطاع إلى الصناعة أو الوضع الحضري، وبالأبعاد الإجتماعية المكانية في تفسير الظواهر السلوكية في مجال التفاعل الاقتصادي والإجتماعي على أسس إيكولوجية .والمدرسة الإيكولوجية التي ترى إن درجة التحضر في المجتمع تتناسب بصورة طردية مع طبيعة نظام تقسيم العمل،كما وتتناسب تناسبا طرديا مع التكنولوجيا.

أما المدرسة الاقتصادية فقد صنفت المدن إلى المدينة التي يسودها نظام الرق والمدينة الإقطاعية والمدينة الرأسمالية والمدينة الاشتراكية .وهذا التدرج في الانتقال مرتبط في التغيرات في أنماط الاستهلاك .أما المدرسة البيئية فتهتم بالتفاعل بين الطبيعة والإنسان وضرورة تأقلمه وعدم وجود توازن في العلاقة بين الطبيعة والثقافة الإنسانية التي تمثل المدينة إحدى المعالم الثقافية التي أوجدها الإنسان مما يؤدي إلى خلق مشاكل حضرية لا عدم تكيف .أما المدرسة التكنولوجية فترى إن للتصنيع تأثير كبير في التحضر وتطور المدن.

وأخيرا يستعرض مدرسة القيم الإجتماعية والثقافية التي تعتبر مدخل مهم لدراسة خصائص المجتمع الحضري واستخدام المساحات داخل نطاق المدينة،حيث أشار إلى رأي ماكس فيبر بأثر القيم على المجتمع الحضري ويرى الأخير إن العديد من المدن مثل القدس ومكة والمدينة، قد اكتسبت مكانتها بفضل القيم الروحية التي تلعب دورا مهما في تنظيم النشاط الاقتصادي والإجتماعي لمجتمع المدينة، وتوصل الباحث من خلال هذا

الاستعراض للمدار س والإتجاهات والنظريات إلى القواسم المشتركة فيما بينها والتي تفسر عوامل نشأة المدن وتطورها والنمو الحضري، وهذه القواسم تتمثل في الحيز المساحة وحركة السكان من حيث الحجم والكثافة والتوزيع وتوطن النشاطات الصناعية والتجارية والخدماتية والامتداد المكاني للمدن .والعلاقات المتبادلة بين الامتداد والمكان الأصلي أو المركزي[1].

2- التصورات المعرفية في دراسة التحضر :

الدارس لموضوع التحضر يلاحظ الاهتمام الذي أولته العديد من التخصصات العلمية للعملية التحضر فكل تخصص يكشف عن وجهة نظر مختلفة ومتميزة للدراسة الموضوع، وحتى نستطيع الإلمام بالأبعاد العلمية، لابد من التعرض إلى أهم المداخل وهي : التصور الديموغرافي، التصور الايكولوجي، التصور الاقتصادي، التصور الإجتماعي .

2-1- التصور الديموغرافي :

يمكن فهم هذا التصور في ضوء النمو السريع الذي شهدته المدن بعد الحرب العالمية الثانية ، ويرجع "كينجزلي ديفيز k.davis" تفسيره لهذا النمو إلى ثلاثة أسباب رئيسية :

1- النمو السكاني الحضري الناتج عن التقسيمات الإدارية المستحدثة حيث شكلت العديد من المدن التي كانت أصلا عبارة عن مجموعة من القرى.

2- الزيادة الطبيعية للسكان وهذا بفضل التطور الحاصل في الجانب الصحي وغيره.

3- الحركة السكانية إلى المناطق الحضرية خاصة من الأرياف.

ويشير "ديفيز" في هذا الصدد إلى إن الهجرة تشكل العنصر الرئيسي في النمو الحضري لدول العالم الثالث[2].

وفي تحليلها لعملية التحضر ركزت "هوب تيسدال h.tisdal" على عنصرين أساسيين هما : تعدد نقاط التركيز من ناحية ، وزيادة حجم المراكز الحضرية من ناحية أخرى ، وتشير إلى إن تزايد السكان المقيمون في مناطق حضرية يعتبر مؤشرا إحصائيا دقيقا لقياس عملية التحضر والنمو الحضري [3].

وبهذا المعنى لا توافق على تصور الحضرية كعملية لانتشار الخصائص الحضرية خارج حدود المدن ، لان هذا يجعل المدينة على حد تعبيرها سببا للتحضر بدلا من اعتبارها نتيجة لها [4].

---

[1] – خميس، عاصم أحمد إبراهيم :**خصائص التحضر وعلاقتها بالبيئة الحضرية المبنية حالة نابلس**. جامعة النجاح الوطنية .فلسطين .2003، ص 14.

[2] – عبد الاله أبو عياش، واسحاق يعقوب القطب:**الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية**، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص 125.

[3] –: عبد العاطي السيد: **علم الإجتماع الحضري (مدخل نظري)**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1985، ص 125.

[4] – نفس المرجع : ص 116.

إن اعتماد هذا التصور كما يرى "ريمون لدرى r.ledrut" على ثنائية الحجم والكثافة يبعده على التصور السيسيولوجي للمفهوم ، لأنهما لا يصوران الواقع الحضري فمهما كانت أهميتها فالمدينة ليست إلا تجمعا سكانيا كغيرها من التجمعات الأخرى [1]. كما نلاحظ إن هذا التصور يغفل تفسير التحضر في ضوء العوامل الإجتماعية من ثقافة ومعايير وقيم وأدوار ومكونات وغيرها .

2-2- التصور الايكولوجي :

يؤكد أصحاب هذا الإتجاه على عامل السكان والمكان معا كأهم قاعدة يمكن إن تقاس بها درجة التحضر وهذا ما يوضح مدى وضوح سيطرة الإنسان على البيئة الطبيعية وإستغلالها وإستخدامها للرفاهية، بكل ما تتضمنه هذه السيطرة من تعديل أو تغيير أو تمايز استخدام الأرض أو استثمار الموارد البيئية أو غير ذلك .

فالتفاعل بين المكونات الديموغرافية والاقتصادية والإجتماعية هو الذي يحدد نوعية العلاقة بين الإنسان والبيئة في المركز الحضاري ومن ثم يتخذ حيالها موقف أو أكثر يمكنه من العيش خلاله والتعامل مع عناصره.

إن درجة التحضر حسب هذا التصور تتناسب طرديا مع طبيعة نظام العمل وتقسيمه بالمجتمع الحضري أي كلما ازدادت درجة تقسيم العمل الإجتماعي نتيجة سيادة النظام الصناعي إرتفعت درجة التحضر به.كما إن هذه الدرجة تتناسب أيضا طرديا مع التطور التكنولوجي السائد. ولا يتوقف النشاط الحضري وينحصر داخل حدود المدينة فقط بل يؤثر في المناطق الأخرى بدرجات متفاوتة حسب البعد المكاني عن المدينة[2].

ويشير "روبرت بارك" إلى إن المدينة تعد ظاهرة طبيعية وأنها تنقسم إلى مناطق صناعية، وتجارية وسكنية وأن السكان الذين يتماثلون في خصائصهم الإجتماعية و الثقافية يميلون إلى التجمع في مناطق معينة من المدينة.

إن العيش في إطار بيئة مكانية محددة رغم وجود عوامل إجتماعية تؤثر في هذه البيئة، إلا إن هذه تبدو وكأنها طبيعية ،حيث إن الأفراد يعتمدون عليها، بينما هي تمارس عليهم تأثيرا كبيرا، و على الأخص فيما يتعلق بمعتقداتهم. ومن بين عناصر الحياة الحضرية يمكن الإشارة إلى عنصر السكن فهو يتخذ شكلا طبيعيا إلى حد كبير و يؤثر على السلوك والإتجاهات ويتأثر كذلك بأسلوب حياة الناس[3].

ومن الممكن دراسة العلاقات الايكولوجية من وجهتين كما يرى "حسن الساعاتي"، أولهما:

دراسة وصفية للحياة الإجتماعية وتصويرها كما هي في وقت معين، أي إن الدراسة تنحصر في تبيان الحياة الإجتماعية كما تجرى في الأماكن أو المناطق المختلفة في المدينة أو الإقليم أو المجتمع ككل.

---

[1] - Raymond ledrut;sociologie urbaine ،P .U.F .3emeED ،paris،1979، p8

[2] – مُحَمَّد الكردي: التحضر، **دراسة اجتماعية الكتاب الأول، القضايا و المناهج**، دار المعارف،القاهرة، 1986، ص 84.

[3] – السيد الحسيني: المدينة **دراسة في علم الإجتماع الحضري**، دار المعارف ،القاهره، طبعة ثانية، 1981، ص 125.

ثانيهما:دراسة دينامية تتبعية تتعلق بالحياة الإجتماعية في تغيرها مابين حقبة أو فترة زمنية[1].

2-3- التصور الاقتصادي:

أبرزت الدراسات العديدة في تحليلها لعملية التحضر اتجاهين أساسين يتأثران بالتنمية الاقتصادية، وهذا في إطار تجربة الدول الرأسمالية .

الإتجاه الأول : يشير إلى إن التغيرات التي طرأت في البناء الوظيفي تؤكد على انه تم انتقال أعداد ضخمة من القوى العاملة من العمل في الزراعة والفلاحة إلى العمل في الصناعات والخدمات المتنوعة .

الإتجاه الثاني : يفسر اتساع عملية التحضر من خلال الحركة السكانية من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية[2].

وحسب هذا التصور فان التحضر ارتبط بنمو الحضري وبحركة انتقال من اقتصاد المعيشة إلى اقتصاد السوق وهو الإتجاه الغالب في معظم الدراسات الحضرية الغربية والأمريكية والتي أكدت في معظمها على الارتباط بين عمليتي التصنيع والتحضر[3] .

ويلاحظ إن هذا التصور يجعل من الصناعة والتجارة والخدمات كأساس في تحديد نمط التحضر بالمدينة، دون الإشارة إلى الانعكاسات التي يحدثها الهيكل الاقتصادي على التغيرات الإجتماعية والثقافية.

2-4- التصور الثقافي:

ينظر من خلال هذا التصور إلى عملية التحضر على أنها انتقالا وتطورا للمجتمع ليتميز في النهاية بانقسامية الأدوار، و سيطرة العلاقات السطحية الثانوية من خلال الروابط المتخصصة، وتعدد الانتماءات وبمعنى آخر يقصد بالتحضر الانتقال إلى نموذج أكثر رشاده و عقلانية للفعل الإجتماعي و التفاعل[4].

و بلورت هذه الفكرة عند "روبرت ردفيليد" و "لؤيس ويرت" و عند أصحاب مدرسة شيكاغو بصفة عامة حيث تمثل عملية التحضر تحولا من قطب ريفي إلى آخر حضري بخصائص مغايرة و يعتبر البناء الإجتماعي من الركائز المهمة التي إعتمد عليها علماء الإجتماع في تحليلهم لعملية التحضر، فهم ينظرون إلى المدينة باعتبارها كيان اجتماعي بالدرجة الأولى تتشكل من عناصر إجتماعية مثل ، الأدوار الإجتماعية للسكان ،و العلاقة السائدة فيما بينهم ، و المؤسسات التي يتعاملون معها، ونسق القيم الذي يرتبطون به، ومن ثم يتضح

[1] – حسن الساعاتي: **علم الإجتماع الصناعي**، دار النهضة العربية، بيروت، طبعة ثالثة، 1980، ص 284.

[2] – عبدالاله ابو عياش واسحاق يعقوب القطب : مرجع سابق ، ص 126 .

[3] – عبد العاطي السيد : مرجع سابق ص 126-127

[4] – نفس المرجع: ص 131.

بأن الجانب المادي و المعنوي للثقافة يمكننا من فهم أنماط التفكير و السلوك السائدة، ويعكس الصورة الحقيقية للأوضاع الإجتماعية للمدينة.

و بهذا يتضح دور المدينة حسب هذا التصور في توليد و نشر التغيرات الإجتماعية باعتبارها مركزا و نقطة انتشار للأفكار والتكنولوجيا التي تؤثر في تغيير الأوضاع التقليدية السائدة في مجتمع المدينة أو المجتمعات الريفية المحيطة بها، كما إن المدينة تعتبر نظاما اجتماعيا خاصا و مميزا يؤثر في تشكيل الشخصية المميزة للأشخاص القاطنين بها، وخاصة عندما يتكيف الريفيون و يكتسبون أنماط الحياة الحضرية.

ويعد "أوسكار لويس" من الرواد الأوائل الذين تناولوا فكرة التغيير الثقافي و تعرض له الوافد الجديد إلى المركز الحضري وعملية التكيف الإجتماعي التي يحاول تحقيقها مع إطار ثقافي مغاير، كما عالج أسلوب الحياة الذي يختاره في بعض الأحيان أو يضطره في غالبية الأحيان للمعيشة بالنمط الحضري[1].

إن من بين الأسباب التي جعلت المدن تتطور وتنتقل إلى عنصر التحضر عدة عوامل نجملها في العامل التاريخي وهو الإرث الباقي من الاستعمار، و العامل الجغرافي وهو سهولة التنقل و الاقتراب من الأعمال العامل الاقتصادي و الذي يبرزه توفر الوظائف و المشاريع و الوسائل الترفيهية و التعليمية ، و العامل السياسي و الذي يتميز بهدوئه و استقراره، وآخر عامل هو العامل الإداري ويتلخص في القرار المتخذ وسياسة الدولة اتجاه المدينة .

ثالثاً : ميكانزمات التحضر و نشأة المدن:

1- أسباب التحضر ونمو المدن

ترتكز المدن في تحضرها ونموها على مجموعة من العوامل والأسباب أهمها:

1-1-العامل التاريخي: ويتلخص في الإرث القادم من الاستعمار، بأن الاستعمار جعل من هذه المدن مراكز أو عواصم تسيطر على معظم النشاط البشري فيما عرف بالهيمنة الحضرية(Urbain Primacy).

1-2 – العامل الجغرافي : ويتلخص في:

أ .سهولة التنقل بين الريف والحضر.

ب .الاقتراب من الأعمال.

1-3- العامل الاقتصادي :ويتلخص في:

حيث يتوفر في "Agglomerative economics"

[1] – محمد الكردي، مرجع سابق ، ص 70.

أ- الاقتصاديات المتجمعة المدينة البنية التحتية وفرص العمل والمشاريع والوظائف والخدمات الحكومية والوسائل الترفيهية والمؤسسات المالية والتعليمية وغيرها.

ب- مختلف النشاطات الاقتصادية في البلد.

ج- الكفاءات التعليمية والخبرات ومدى توفرها في الدولة.

1-4- العامل السياسي:

ويتلخص في الهدوء والاستقرار السياسي والأمن الحضري.

1-5- العامل الإداري: ويتلخص في:

- القرار السياسي أو الإداري.

- سياسة الدولة وكيفية توجيهه "على سبيل المثال كيف جعلت السلطة الفلسطينية من مدينة رام الله مركز للمؤسسات الحكومية وأدت إلى استقطاب للخدمات والاستثمارات."

ترجع نشأة المدينة إلى عهود قديمة ارتبطت بسكن الإنسان في المناطق السهلية الزراعية أما حديثا فإن التحضر أصبح بمعدلات كبيرة ، و الذي عرف سيطرة المدن على مظاهر النشاط البشري أو ما يعرف بالهيمنة الحضرية .

إن ظهور ونشأة المدن قديما لم يتعد كونه ظاهرة عمرانية ارتبطت بتقدم المعرفة الإنسانية ، وقد بدأت أولى مظاهر التحضر من خلال المجتمعات الزراعية في مناطق السهول و الأنهار مما سهل العديد من الخدمات الأخرى ، و التي كانت بدورها نشأة للمراكز الحيوية المختلفة .

2- نشأة المدن وتطورها :

لاشك في إن المدينة ليست ظاهرة حديثة بل ترجع في نشأتها إلى عهود بعيدة ارتبطت باستيطان الإنسان في مناطق السهول الفيضية الزراعية في الشرق الأوسط، ولكن النمو السكاني في المدن وتضخمها هما السمة الرئيسية التي يتميز بها السكان في العصر الحديث، وقد أصبح التحضر (Urbanization)يتم بمعدلات كبيرة خاصة في الدول التي أخذت بأساليب التنمية منذ عهود قريبة وترتب على ذلك العديد من المشكلات في حياة المدن،كما انبثقت ظاهرات أخرى أهمها تزايد أحجام المدن لدرجة فاقت التصور،وسيطرة المدن في معظم دول العالم على مظاهر النشاط البشري بتلك الدول فيما عرف بالهيمنة الحضرية (Urban Primacy)[1].

[1] - محمد فتحي أبو عيانة: **جغرافية العمران "دراسة تحليلية للقرية والمدينة"** ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، القاهرة، 1993، ص 77.

نشأت المدن كظاهرة عمرانية قديمة في الشرق الأوسط وبالتحديد في مصر والعراق وباكستان الحالية، وكان ظهورها مرتبطا بتقدم كبير في المعرفة الإنسانية والأساليب الفنية المستخدمة وخاصة استخدام المعادن واختراع الشراع واستخدام العَجلة في النقل ثم صنع الفخار محليا واختراع المحراث واستخدام الحيوان في البحر، وقد ترتب على ذلك كله زيادة كبيرة في الإنتاج والنقل وواكبه ظهور المدن كمظهر عمراني متقدم في التاريخ البشري.

وقد بدأت أولى مراحل الثورة الحضرية لدى المجتمعات الزراعية في مناطق السهول الفيضية في وادي النيل الأدنى وكذلك في القطاع الأدنى من دجلة والفرات وفي سهول نهر السند وفي هذه المناطق استقرت الحياة البشرية وقامت على دورات منتظمة لفيضانات الأنهار، واستخدام المحراث مما مكنها من إنتاج الغذاء بوفرة، وقد ساعد فائض الأغذية لأول مرة على توفير الغذاء لأعداد كبيرة من السكان ليسوا مشتركين في إنتاج الغذاء ذاته، وتجمع هؤلاء السكان في تجمعات عمرانية يربطها نظامها الخاص لتوفير الخدمات المتعددة، ومن هنا نشأت المراكز العسكرية والثقافية والإدارية القديمة على هيئة مدن صغيرة[1].

تنمو المدن باعتبارها تجمعات بشرية عضوية وظيفية نتيجة قوى معينة، هي في طبيعتها قوى اقتصادية وإدارية، تنبثق هذه القوى من داخل المدينة وخارجها .فقد مرت جميع المدن بفترات ازدهار وتقهقر من الناحية العمرانية.

إن مدينة الأغواط كغيرها من المدن الجزائرية مرت بفترات ازدهار جراء الحرب والظروف الطبيعية ، حيث إن العمران يتأثر بالعوامل الطبيعية و الاقتصادية و التاريخية و العسكرية حيث تفرض مادة البناء وتبرز غنى أو فقر صاحب البيت .

كما إن هناك اختلافات كثيرة بين القرية و المدينة ، حيث يمكن التمييز بينهما في طريقة الحياة و المهن وحجم المجتمعات و التصنيف الإداري وغيرها .

إلا إن العالم (ديوي) يرى غير ذلك حيث أكد أنه لا توجد ثقافة حضرية أو ثقافة قروية رغم ما نراه في الواقع من إنتشار بعض الخصائص الحضرية في الريف ، و العكس، أي من خلال كل هذا فإنه يمكن الإشارة إلى إن الفرق بين الريف و المدينة، بأن المدينة هي موطن أكثرا اتساعا وكثافة لأفراد متغايرين اجتماعيا .

وكباقي المدن مرت مدينة الأغواط، وعلى غرار المدن الجزائرية بهذه الفترات، إذ تقهقر البناء جراء الحروب والظروف الطبيعية التي تعرضت لها هذه المدينة أثناء حياتها. عادة ما يتأثر العمران" بالعوامل الطبيعية والاقتصادية والتاريخية والعسكرية، فالعوامل الطبيعية تفرض مادة البناء فيكون من الأحجار إذا كانت المنطقة

[2] – نفس المرجع: ص 78.

غنية بالأحجار، ويكون من الطين المضغوط" الآجر" إذا كانت المنطقة تخلو من الأحجار ."أما العوامل الاقتصادية فتدل على غنى أو فقر صاحب البيت، فالأناقة والضخامة في العمران تدل على غنى صاحبها لذلك كان العامل الاقتصادي من أهم عوامل تقدم العمران وتقهقره.

2-1- التمييز بين القرية والمدينة :

هناك إختلافات بين الريف والحضر في طريقة الحياة وكفايتها في الإنتاج، وأبعد من ذلك أننا ننظر إلى الريف أو الحضر كمجتمع له من الخصائص ما يميزه عن غيره، فللمجتمع الريفي سماته الخاصة سواء في طريقة الحياة أو في التقاليد والعادات، غيرها في المجتمع الحضري، وغيرها أيضا في المجتمع البدائي أو التقليدي.وإن كان هناك تشابها بين المجتمع الريفي والمجتمع التقليدي في التجانس فلا يعني هذا إن لكليهما نفس السمات والخصائص التي للآخر وإن تشابهت بعضها.

ولقد اتخذت عدة مقاييس لتمييز الريف عن الحضر، ويمكن إن نلخص هذا الاختلاف من حيث :(المهن، حجم المجتمعات المحلية، كثافة السكان، التجانس واللاتجانس، التخصص، التصنيف الإداري، البيئة، الإطار التاريخي، التفاعل الإجتماعي، الضبط الإجتماعي، التمايز والتدرج الطبقي، والحراك الإجتماعي).

أما العالم " ديوي (dewey)" قد أوضح إن مصطلحات القروية والحضرية، كما تستخدم حاليا وكما تفهم لا تتوافق مع المفاهيم التي يجب إن تتوافق معها .وقد ذكر أنه ليس هناك ما يسمى بالثقافة الحضرية أو الثقافة القروية، وإنما هناك مضامين ومحتويات ثقافية مختلفة وضعت على متصل (ريفي – حضري) .وأن تحرك بعض الخصائص الحضرية إلى الريف ليس انتشارًا للحضرية، والعكس صحيح، حيث أنه من الممكن وجود مجتمعات قروية محلية صغيرة تتميز بأنها ذات معدلات عالية في مجال التعليم، وتتميز بخصائص حضرية،كما أنه من الممكن وجود مجتمعات حضرية ترتفع فيها معدلات الأمية والبدائية والثبات حيث إن التحضر Urbanization والتريف Ruralism يطلقان على أسلوب الحياة الذي يتبعه الناس مثل أنواع السلوك والمعتقدات والعلاقات .ولقد حاول "لويس وورث" إن يصف المدينة على إن هناك قضية تفرض نفسها بشدة ومؤداها إن هناك قطب آخر يقف ضد المدينة، وهذا القطب هو القرية .كما أشار" ويرث" إلى أنه من أجل الأهداف السوسيولوجية فيمكن تعريف المدينة city بأنها" موطن أكثر اتساعا وكثافة لأفراد متغايرين اجتماعيًا[1].

[1] – .غريب سيد أحمد، **علم الإجتماع الريفي** . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية، 1998، ص(99-123).

إن العوامل المؤثرة في التحضر عديدة ومتنوعة ، فالتحضر بدء لا يحمل الخير الكلي للبشري ، فما نراه واقعا أمامنا اليوم إن كل ما يرمز للتحضر و التطور هو خراب للعالم من جميع النواحي لهذا كلما ذكرت كلمة التحضر إلا ورأينا الفقراء يزدادون فقرا والأغنياء يزدادون غنى ، لذا فإنه يجب من خلال هذا الإشارة إلى التحضر وصف وليس قيمة ، وهذا الوصف تجتمع فيه كما ذكران سالفا عدة عوامل وعناصر للتأثير فيه ، إلا إن هناك اختلاف بين المدارس في كيفية التأثير ، فهناك من يرى إن التأثير يكون عبر تأثير العوامل مجتمعة ومترادفة ، في حين إن الإتجاه الآخر يرى بأنه يمكن الاكتفاء بعامل واحد رغم عدة اتفاقهم على من هو هذا العامل ، وهنا يمكن الإشارة إلى العوامل المؤثرة في التحضر .

3- العوامل المؤثرة في التحضر:

ابتداءً نود الإشارة إلى إن (التحضر) وصف وليس قيمة، فالتحضر بنفسه لا يحمل كل الخير، بل يمكن إن تكون الشعوب المتحضرة وبالاً على البشرية، حين يصير التحضر وسيلة استعمار واستعباد ونهب لثروات الشعوب، وتقييد لحريتها.. كما علمتنا الأيام إن المتحضرين هم من أشعلوا الحروب، وخاضوا بالدماء حتى (الركب)، ومازالوا يتلاعبون بشعوب العالم الفقيرة، يهبطون بثرواتها وسلعها إلى أسفل سافلين، ويرفعون بضائعهم يوميًا، حتى استحوذ 20% من سكان العالم على 80% من ثرواته، ومازال النهب والسلب على قدم وساق، حتى ازداد الأغنياء غنى، كما ازداد الفقراء فقرًا. وديون العالم الثالث خير شاهد، فهي اليوم عاجزة حتى عن دفع الفوائد.

لذا فأن التحضر وصف وليس قيمة. وقد حاولت جمع العناصر المؤثرة في التحضر، فجمعت أكثر من عشرة عناصر مثل: عامل الجنس (العرق)، العامل الاقتصادي، العامل الجغرافي، عامل العقيدة، عامل المعرفة، الفتوحات العسكرية، الفرد البطل أم المجتمع، شبكة العلاقات الإجتماعية، عامل الثقافة والفكر، الرغبة في التحضر، البيئة الطبيعية للتحضر. وسوف أستعرض هذه العوامل، بما يسمح به البحث من الاختصار والإطالة والمناقشة، ثم أتحول بعد ذلك إلى حركة التحضر ومساراتها .

لعل من المفيد إن نشير لوجود مدرستين في تفسير التاريخ، وضبط حركة التحضر: مدرسة تريد مزيدًا من العوامل مترادفة متعاونة، يكمل بعضها بعضًا، ومدرسة تكتفي بعامل أساس واحد، لتفسر به التاريخ وتضبط به مسار الحضارة ولكن أتباع هذه المدرسة، لم يتفقوا على عامل واحد، بل كل اختار عاملاً وجعله قطب رحاه.

إن لعامل الجنس أو العرق دور مهم في بناء الحضارة ، فكما هو معلوم إن البشرية تكون من أجناس وأعراق مختلفة ، هذا الاختلاف نشب عنه العديد من الحروب و الصراعات ، وكلما تفوق عرق على الآخر سمح لنفسه بناء حضارة تناسبه ، وفكرة الاختلاف بين الشعوب ظهرت وذاع صيتها في القرنين السابع عشر و الثامن عشر ، وأصبح كل شعب بنادي بأنه أهل للحضارة و التحضر ، وهو ما جعل بعض العلماء يكتبون حول هذا ، فقد كتب (جوبينو) (1882م) رسالة حول عدم تساوي الأجناس ، ورأى هو وغيره إن هناك شعوبا تتحضر بينما إن هناك شعوبا أخرى محكوم عليها بميراثها العنصري.

3-1- عامل الجنس (العرق):

"لا يجادل أحد إن البشرية تتكون من أجناس مختلفة، يتميز بعضهم عن بعض، وأنها خاضت حروبًا وصراعات ضد بعضها، كما حارب أبناء الجنس، بل أبناء الأمة بعضهم بعضًا. فهم يتفاوتون في الرضى والإبداع، في الفكر والقناعات، وكل جنس واتته فرصة أقام حضارة تناسبه، وتناسب عصره. وقد شاع في القرنين السابع عشر والثامن عشر فكرة اختلاف الأجناس، وأن بعضها أرقى وأفضل من بعض، لكن الذي يصعب قبوله إن ينادي شعب بأنه المؤهل الوحيد لبناء حضارة، وأن شعبًا آخر لا يستطيع ذلك، ولو واتته كل الفرص"[1].لقد كتب الفرنسي"**جوبينو**" المتوفى عام (1882م) رسالة حول عدم تساوي (الأجناس)، وأن الآريين وحدهم بناة الحضارة، والمحافظون عليها (وهو ما كانت النازية والفاشية، تبشر به ليل نهار). أما "**كريستيان لامس**" فيرى إن الآريين يتفوقون على الساميين في عقولهم وخواصهم. أما "جوزيف آرثر، وهوستن" فيرون إن بعض الشعوب من الأجناس (الراقية) تتقدم، على حين تظل أجناس أخرى محكومة اجتماعيًا وثقافيًا بميراثها العنصري.

عامل آخر من أهم العوامل المؤثرة في التحضر إلا وهو عامل الأرض و الجغرافيا ن فما كنا نراه قديما من إن الحضارات بنيت عند ضفاف الأنهار ، أي إن للماء دور مهم في بناء حضارة المدن ، أصبح من الماضي فالإنسان اليوم قادر على إيصال الماء بالآلات إلى مناطق بعيدة ، هذا الواقع القديم جعل بعض المفسرين لظاهرة التحضر يربطون بينه وبين الموقع الجغرافي ن فمنهم من قدم عامل طبيعة الأرض وتضاريسها ومنهم من قدم عامل المناخ ، منهم من تعلق بعامل الطرق و المسالك ، لكن ومن خلال كل هذا لا يمكن إنكار أثر العامل الجغرافي في تكوين الحضارة ، إلا إن هذه التفسيرات أهملت الدور الإنساني لأن الإنسان هو صانع الحضارة بجهده الفكري و اليدوي .

[1] – عمر عبيد حسنة، **أهم عوامل التحضر** ، يوم 2012/03/11 على الساعة 15:20 عن محرك البحث قوقل ، www.google.fr.

3-2- العامل الجغرافي:

الإنسان قديمًا كان يسكن ويعيش قريبًا من الماء، ليتزود منه ويسقي حيواناته وزرعه، أما اليوم فلديه آلات تدفع بالماء بعيدًا، ويبدو إن الواقع القديم حمل البعض من مفسري التاريخ، ومن الراصدين للتحضر للربط بين التحضر والموقع الجغرافي، فجل الحضارات القديمة قامت في أحواض الأنهر، فجاء من يعتبر العامل الجغرافي ذا أثر بالغ في التحضر، ومن هنا راح يدرس الأرض وتضاريسها، والموارد وحجمها. ثم عرج البعض على المناخ، ليصل في النهاية إلى إن هذه العوامل تشق لأصحابها طريق التحضر،وسبل التمدن، وهي تفرض على أهل القطر السير في مقدمة القافلة أو مؤخرتها، وبفضل هذا العامل اختلفت الحضارات. لقد ركزوا على العامل الجغرافي لكنهم عادوا فاختلفوا، فمنهم من قدم المناخ، فجعله العامل الأول، ومنهم من قدم الأرض وجدبها وخصبها، ليأتي من يتعلق بالطرق والمسالك... ولا يمكن إنكار أثر العامل الجغرافي في تكوين وتلوين الحضارة، لكن العيب الكبير يتمثل هنا بتجاهل الإنسان، وهو صانع الحضارة، فالحضارة أولاً جهد بشري، يستخدم فيه الإنسان المواد المتوفرة، لذا لم تقم الحضارة في جميع أحواض الأنهر، بل في بعضها دون بعض، كذلك نجد بلادًا كثيرة الأمطار، غنية الموارد، الشمس مشرقة فيها طوال العام، ومع ذلك مازالت تنتظر دورها في الحضارة، والذي قد يطول قرونًا.

يرى أصحاب العامل الاقتصادي أنه هو المؤثر و الموجه لجميع الأحداث و التي من بينها التحضر وكل العوامل الأخرى ثانوية بالنسبة للعامل الاقتصادي ن أي إن كل تغيير في أشكال الحضارة في أصله عائد إلى أساليب الإنتاج ، ويمكن إستخلاص إن النشاط الاقتصادي هو من يشكل المجتمع البشري فالمجتمع الصناعي يشكله النشاط الصناعي في تلك المدينة ، و المجتمع الزراعي يشكله النشاط الزراعي لها كما يعود لقوة الإنتاج فلا نستطيع القول بأن هذا المجتمع متحضر و اقتصاده ليس قويا أو لا يملك اكتفاء ذاتيا من الاقتصاديات المتطورة و التي تؤثر أيضا على الأنظمة الإجتماعية، وهذا كله راجع لقوى الإنتاج المتوفرة في مجتمع ما لأن الإنسان لا يختارها بل هي امتداد لنشاط إنساني سابق ، وهو ما نراه في عصرنا الحالي حيث إن أهم نشاط اقتصادي هو الصناعة فإننا نرى جميع السياسات تتوجه للتوطين الصناعي ، وإنشاء المدن الصناعية بهدف توجيه حركة السكان للحصول على الخريطة العمرانية المرغوبة للبلاد.

3-3- العامل الاقتصادي:

"يعتقد الماركسيون إن العامل الاقتصادي، هو المؤثر والموجه للأحداث، ومنها التحضر، فكل العلاقات الإجتماعية والتشريعات والنظم والدين، كلها تتأثر بالعامل الاقتصادي، نشوءًا وتطورًا، وهو الباعث لكل

مكونات المجتمع، الفكرية والمادية، وكل عامل آخر فهو ثانوي.فالعلاقات الاقتصادية التي تتمثل بها أساليب الإنتاج هي الأساس، وكل تغير في أشكال الحضارة فهو عائد في أصله إلى تبدل في وسائل الإنتاج، وليس لشيء آخر"[1].

وقد كتب (ماركس) رسالة إلى (ف.أنتكوف) عام 1846م تصور خلاصة فكره، وما توصل إليه بشأن الإنسان وحريته واختياره، لقوى الإنتاج فقال: (.. ما المجتمع أيًا كان شكله فإنه وليد النشاط المتبادل الذي يقوم به الناس. إن وسائل الإنتاج هي العامل المؤثر، وإليها تحديدًا تعود كافة التغيرات من إجتماعية وسياسية وتشريعية وفكرية. وفيها ينبغي البحث لا في أدمغة البشر، ولا في تحسن إدراك الإنسان للحق الأزلي وللعدل، بل في (أساليب الإنتاج) والتبادل، يجب إن يبحث عنها في اقتصاديات كل عصر، لا في فلسفته). ومن خلال هذا يمكن إن نستخلص ما يلي:

- إن المجتمع البشري، يرسم وجهته ويشكله النشاط الاقتصادي.
- ليس للإنسان حرية اختيار شكل مجتمعه، بل ذلك متروك لقوى الإنتاج، فهي وحدها تستطيع ذلك.
- كافة الأنظمة الإجتماعية، ومنها الدين، ونظام الأسرة، ونظام الطبقات، والنظام المدني والسياسي، كلها لا يختارها الإنسان، وإنما تصوغها (قوى الإنتاج).
- قوى الإنتاج إله جديد جبار.
- قوى الإنتاج لا يختارها الإنسان بنفسه، لأنه لا يملك ذلك، إذ هي ثمرة نشاط سابق. لكنه نشاط إنساني.
- ونظراً لكون النشاط الاقتصادي الهام في المجتمع المعاصر هو النشاط الصناعي، فان سياسات التحضر تعتمد على سياسة توجيه التوطين الصناعي، بهدف توجيه حركة السكان من اجل تعمير جهات معينة من الوطن وتخفيف الضغط العمراني على جهات أخرى والحصول في النهاية على الخريطة العمرانية الحضرية المرغوبة للبلاد"[2].

العامل الإجتماعي يرى عكس مايراه الاقتصاديون ، حيث يعتنون بالعوامل الإجتماعية لمعرفة خط سير التحضر ، إلا إن الاختلاف كان من قيم النزعة الإنسانية في إثبات الذات و السيطرة هي المحرك لظاهرة التحضر بينما يرى الإتجاه الثاني إن التعاون بين البشر ومع اختراع المواصلات إلا دليل على البشر لا يمكنهم الاستغناء عن بعضهم في عملية بناء الحضارة .

3-4- العوامل الإجتماعية غير الإقتصادية:

"إذا جرى التركيز على العامل الاقتصادي -كما فعلت الماركسية- فهناك من يرى إن العوامل الإجتماعية - غير الاقتصادية- هي الأجدر بالعناية في فهم التاريخ ومعرفة خط سير التحضر.. وهؤلاء اختلفوا، فمنهم من

[1]- عمر عبيد حسنة: نفس المصدر، ص 10.

[2]- محمد بومخلوف ، **التحضر** ، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر ،2001، ص 60.

جعل النزعة الإنسانية في إثبات الذات والسيطرة هي الأصل، معتبرًا (تنازع البقاء) هو المحرك للتاريخ، والصانع لأحداثه"[1]، مرتكزًا إلى آراء (دارون) بهذا الخصوص. ثم قام فريق ليعكس الأمر، وليركز على توجه البشر للتعاون، خصوصًا وأن المواصلات والاتصالات، تجاوزت البعد المكاني، بينما كان العالم قديمًا يبدو كحجزر في محيط كبير، يحيط بها الماء من كل مكان، ويفصلها عن غيرها.

عامل آخر لا يمكن الإغفال عليه إلا وهو عامل العقيدة ، ومصطلح العقيدة يمكن ربطه ربطا وثيقا بمصطلح الدين ، أي ما يؤمن به الإنسان و يعتقده ، وخير دليل على ذلك أمتنا العربية التي كانت تعاني الانقسام في عصر الجاهلية قبل ظهور الإسلام ، ومع ظهور دين جديد وعقيدة مغايرة يؤمن بها الناس وجهت أفكار هم عكس ما كانوا يعتقدون تماما فأصبحوا يبحثون عن الوحدة بدل الانقسام ومن الحروب الداخلية إلى الفتوحات الخارجية في دول عظمى ، لهذا فإن الإنسان بدون دين لا يساوي شيئا ، ومانراه تاريخيا بأن كل الحضارات كان لها دين تعتز به وتقدسه .

3-5- عامل العقيدة:

إذا أمكن إقناع إنسان بعقيدة ما، فإنه سينزل عند متطلباتها، دون معارضة قوية، من هنا يعتبر (البعض) عامل العقيدة مهمًا وفاعلاً في التحضر، لأن الإنسان يتأثر تأثيرًا كبيرًا بدينه ومعتقده. وحين فاخر أهل قريش بخدماتهم للحجاج، رد الله عليهم ذلك بأنه أمر لا يمكن مقارنته بصحة وسلامة الاعتقاد، فقال تعالى: {**جَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ**... } (التوبة:19-20).

فتغير عقيدة الإنسان يعقبه تغير تام في نظرته للحياة وسلوكه كذلك، من هنا لا يجادل أحد في عامل العقيدة، وأمتنا العربية خير دليل، فقد انتقلت من الانقسام إلى الوحدة، ومن حرب (داحس والغبراء) إلى مصارعة أكبر إمبراطوريتين (الفارسية والبيزنطية)، ولو بقيت على إيمانها بالأصنام لعاشت خارج التاريخ، كما تعيش أمم كثيرة.

وفي هذا الميدان وجدت الناقد البريطاني (كولن ولسن) يقول: إن الإنسان ليس كاملاً بدون دين، فإذا أريد للحياة إن تتقدم خطوات أسمى من (القرد)، ومن الإنسان العادي، وحتى من الفنان، فلن يكون ذلك إلا عن طريق تطوير قوة الفهم، وهذا الشوق لتركيز أعظم من الخيال يتمثل في (الشهية الدينية). إن الدين مقياس

[1] – عمر عبيد، نفس المرجع، ص 12.

البطولة، ورمز حاجة الإنسان في الكفاح من أجل الفهم، وفشل الدين والحروب العالمية أمران متلازمان. ثم يصف (الدين) بأنه العمود الفقري للحضارة، معتبرًا الحضارة السليمة، ما كانت تؤمن بالدين.

العقيدة أو الدين هو ما يميز الإنسان عن الحيوان، وكافة الحضارات والإمبراطوريات كان لها دين تعتز به، وتستمد التشريع منه، وتاريخ الإنسان خير دليل. ولم يكن (الإلحاد) معتقدًا رسميًا، إلا في العصر الحاضر. الفيلسوف البريطاني (برناردشو) يذهب بعيدًا، فيقول: (كنت أعرف دائمًا إن (الحضارة) تحتاج إلى دين، كما إن حياتها أو موتها يتوقفان على ذلك).

من بين أهم العوامل التي تميز الإنسان عن غيره في بناء الحضارة و التطور هو عامل العلم و المعرفة ويخرجها من دائرة التخلف ، إلا إن هناك بعض الأمور التي تجعل من هذا العامل غير أساسي ولا يمكنه لوحده التأثير في عملية التحضر منها إن العلم و المعرفة هي من نصيب قله قليلة من الناس وهم ما يعرفون بالنخبة ، كذلك هناك علوم ومعارف نظرية لم تعرف طريقها إلى الحياة العملية التطبيقية للممارسة ، مما يجعلها تبقى ناقصة ولم يستفد منها الإنسان في عملية بناء طريقة تحضره .

3-6- عامل المعرفة:

لا يجادل أحد في قيمة العلم والمعرفة في تحضر الأمة، وخروجها من دائرة التخلف والسقوط. من هنا وجدنا من يعد هذا العامل كمحرك وموجه للحضارة -وقد تقدم- إن عمارة الأرض تقوم أساسًا على العلم والمعرفة، بل على آخر ما توصلت إليه العلوم والمعارف، ولكن (العلم والمعرفة) هما دومًا من نصيب القلة في الشعوب، أما الجمهور فإكتسابه للعلم والمعرفة ومثلها الفلسفة، يقل كثيراً .

وهذه الهند والصين، وعدد شعوبها يصل إلى مليارين، أين نجد نصيب ذلك في شعبيهما؟ لا شك إنه في النخب القليلة جدًا، هذه واحدة. وأما الثانية، فقد وجدنا معرفة (نظرية)، لم تعرف طريقها للحياة، فالمسلمون عرفوا الدورة الدموية، ومثلها كروية الأرض وحركتها، وإبن خلدون كشف الكثير من قواعد علم (العمران)، لكن لم يستفد أحد من ذلك.. ورجال الفلسفة وعلم الكلام كانوا يناقشون: هل تنقسم المادة إلى ما له نهاية، أم إلى ما لا نهاية له؟ ثم وقفوا عند ذلك ولم يتعدوه. قد يقول إنسان: هذا ما تسمح به ثقافة ذلك الزمان، لكني أجيب إن المسلمين زمن (المأمون) مثلاً درسوا الفلك، كما درسوا محيط الأرض وحركتها، والغلاف الجوي وارتفاعه، ووصلوا إلى نتائج محترمة، لكنهم في ميادين أخرى بقوا يدورون في دائرة الفكر النظري ولم يتجاوزوه.

وحين وصل الناس إلى أمريكا، رفض اليهود ذلك كليًا، بحجة إن المعارف عندهم ترفض وجود قارة جديدة. كما رفضت الكنيسة الكاثوليكية وجود الجراثيم، وغيرها كثير. إن العلوم والمعارف كانت دائمًا من نصيب نخبة

قليلة، لكنها اليوم تتسع دائرتها يومًا بعد يوم، ولن يجادل أحد في قيمة هذا العامل في التحضر، والخروج من دائرة التخلف.

عامل آخر يبرز تأثيره في عملية التحضر، إلا إن فيه اختلافا كبير هو عامل الفرد و المجتمع و الاختلاف يمكن من يصنع الحضارة للفرد أم المجتمع ، هذه الجدلية يمكن إرجاعها إلى المعسكرين ما يراه المعسكر الغربي الرأسمالي الذي يمجد بطولات الأفراد ويعتبرهم صناع الحضارة وهم قادة الأمم بتفردهم ، في حين إن الإسلام جمع بين الرأيين بحيث لا يمكن للفرد إن يستقل نهائيا غن جماعته ولا يذوب فيها .

3-7 – الفرد و المجتمع:

لا خلاف إن التحضر صناعة إنسانية، والسؤال من يصنع ذلك، الفرد المبدع أم المجتمع؟ قضية قديمة، فهناك من يعتقد إن الفرد المبدع، ومنهم القادة العظام هم الذين يصوغون التحضر، ويصنعون التاريخ، ويتركون بصماتهم عليه، وهناك من يرى إن المجتمع هو من يصنع ذلك كله، ولولاه لما عرفت البشرية طريقها للتحضر.

الغرب يؤمن بالفرد وجهوده، لذا نراه يترجم لهؤلاء الكبار، كما يوصي بأن التحضر كان أولاً وأخيرًا من صنع عبقريتهم، وقوة إبداعهم، ولولاهم لما عرفت البشرية التحضر، ولبقيت حيث هي. وهذا (أنشتاين) يقول بوضوح: (إن جميع الخيرات المادية والعقلية والأخلاقية –على مر العصور– كان مصدرها الأفراد الخلاقون...).. وربما كان (توماس كاريل) الأكثر حماسًا، فهو يكرر دون ملل دور الأبطال، وعبادة البطولة.وهناك من يذهب في الإتجاه المعاكس، فيرى الفاعلية للجماهير، فهي صاحبة الأثر الأعظم في التحضر، وكذلك في التغيير. فالماركسية مثلاً، تنكر أي دور للفرد، وقد نقل عن (ماركس) أغرب تعريف للفرد إذ يقول: (الفرد مجموع علاقاته الإجتماعية)، ويشرح ذلك فيقول: (ونضيف إلى هذا إن الفرد –تاريخيًا– لا يعني نفسه أبدًا إلا في إطار حضارة، أي في قلب جماعة).

من هذه المنطلقات رأينا الغرب يؤله الفرد، ويعتبره الكل في الكل، بينما تعتبر الماركسية المجتمع هو كل شيء، ولا قيمة للفرد، إلا باعتباره ذرة صغيرة في مجتمع كبير. وفي الإسلام موازنة بين الفرد والمجتمع، فلا يؤله الفرد، ولا يذوب ويختفي في المجتمع، فالفرد كائن مستقل، إلا أنه يعيش ويموت في المجتمع. وقد تحدث القرآن عن فرعون القائد، وهامان الوزير وجنودهم: {إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين }[1].

[1] – سورة القصص:الآية 28.

تتواصل العوامل المؤثرة في بناء الحضارة والتأثير فيها حيث يشبهون الحضارة بالكائنات العضوية ويرون أنها تتبدل وتتغير وفق حتمية الأعضاء نشوءا أو اكتمالا وزوالا، في حين هناك من شبهها بفضول السنة حيث تزول وتعود مجددا، وتعود مجددا، إلا إن أصحاب هذا الرأي قد بالغوا في هذا الطرح وألغوا كل العوامل الأخرى.

3-8- الحضارة والكائن العضوي:

هناك من يعتقد بأن الحضارة والمجتمعات الإنسانية كيانات (عضوية)، ومن هذا المنطلق يرون إن التبدل والتغير، نشوءًا واكتمالاً وزوالاً، تحكمه عوامل حتمية، كتلك التي تفعل في الكائنات العضوية. ويضربون مثلاً بالإنسان فهو يولد طفلاً، ثم يصير صبيًا فشابًا فرجلاً، ثم يشيخ ويهرم ويموت، والحضارة كذلك. ولعل (أوزولد اشبنجلر) أشهر المؤمنين بذلك، لكنه أحيانًا يعدل عن هذا التصور، فيشبه الحضارة بفصول السنة، ويرى ذلك من (الحتميات) التي لا تشذ عنها حضارة، فهو يقول: (إن لكل حضارة ربيعها المتسم بالفاعلية الروحية، يعقب ذلك صيف تنضج فيه، ثم خريف حيث يسودها التحليل العقلي وشتاء تكون فيه قد استنفذت جميع إمكاناتها الداخلية، فتتحول إلى الاحتمالات المادية والفتوحات الخارجية، وعندها تكون قد شارفت على الانحلال والانهيار). الحتمية واضحة جدًا، ولكن الحضارة -في أصلها- ليست كذلك، فهي خليط من ماديات وأفكار وعقائد وآداب وفنون، ومنشآت مادية، كل هذا الكم يجتمع في زمان ومكان، مكونًا حضارة معينة. و هذا لا يشبه الإنسان أو الكائن العضوي المتماسك المترابط، والذي ما إن تؤثر على جزء فيه حتى يتأثر الباقي.

إن لعامل الإجتياحات الكبرى العسكرية للدول دور مهم في بناء الحضارة ، وهو ما نراه من خلال قيام حضارات وزوال أخرى بسبب الحروب و الإجتياحات التي تقضي على حضارة بأكملها وتبني حضارة أخرى مكانها ، ويرى آخرون إن هذا الإجتياح سببه هو إنهيار داخلي سابق مهد لهذا السقوط .

3-9- الاجتياحات العسكرية:

الدول والنظم تسقطها وتقلبها الاجتياحات العسكرية، فهل تسقط الحضارة باجتياح عسكري، مثل حملات التتار، والمغول، والحملات الصليبية؟ ماذا كان سيحدث لو فتح العثمانيون أوروبا كلها؟ ماذا سيكون تاريخ العرب والمنطقة، لو إن ثوار (الردة) أسقطوا النظام الإسلامي، فلم تقم للإسلام دولة؟ للدكتور (أنور عبد الملك) المصري الجنسية وأستاذ جامعي في اليابان، فكرة ملخصها: إن أوروبا صعدت وتقدمت، بينما اضمحلت المراكز الكبرى في المشرق، منذ القرن الخامس عشر، وحصل ذلك بسبب الغزو

الأوروبي للشرق، ابتداء من الحروب الصليبية، وانتهاء بالاستعمار الغربي، وزرع إسرائيل كإسفين في قلب البلاد العربية. فأوروبا بغزوها الاستعماري حطمت مراكز القوة في المشرق، واستنزفتها اقتصاديا، وكذلك اجتماعيًا وسياسيًا وثقافيًا، ولم تترك للمشرق حرية التحرك والنهوض. لكن المؤرخ (توينبي) يرفض ذلك ويرى إن العجز عن صد الاعتداءات الخارجية، على كيان حضارة، ليس هو السبب في السقوط، ولكن ثمة انهيار سابق قد حصل في قلب الحضارة نفسها.. وإستشهد لذلك بسقوط الإمبراطورية الرومانية.

إن لشبكة العلاقات الإجتماعية أثر مهم في تماسك الحضارة ، فإذا تفككت وانهارت الحضارة وسقطت ، إلا إن هذه الشبكة لا تنقطع مرة واحد بل تبدأ في التراخي بين أوتارها فتصبح غير فعالة ولا تعمل عملها مما يؤدي إلى عدم الحاجة إليها وهو ما يبرز ظهور أشكال عكسية ومناقضة لشبكة العلاقات الإجتماعية، وتبقى تلك العلاقة حبيسة أدراج كتب التاريخ كذكرى مدفوعة ، أي المجتمع قبل إن يصبه الإنحلال سيصبه مرض يضعفه كالإنفصالات ويتغير شعور الناس وسلوكاتهم نحو المجتمع ، مما يؤدي إلى ظهور صفات جديدة كالنزاعات ومناقضة المجتمع بكل أشكاله ستسعى هذه الأقليات في فرض سيطرتها وبث أفكارها وطرح فلسفاتها بإستعمال القوة .

3-10- فساد شبكة العلاقات:

المفكر الإسلامي (مالك بن نبي) ، يطرح فكرة ملخصها: إن الحضارة تبقى وتعيش وتستمر ما دامت شبكة العلاقات الإجتماعية سليمة قوية، فإذا فسدت تدهورت الحضارة وسقطت.. يكرر هذه النظرية في جل كتبه. ففي (ميلاد مجتمع) كتب قائلاً: .. عندما يرتخي التوتر في خيوط (شبكة العلاقات)، فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك، وبصورة فعالة، فذلك أمارة على إن المجتمع (مريض) وأنه ماضٍ إلى نهايته

أما إذا تفككت الشبكة نهائيًا، فذلك إيذان بهلاك المجتمع، وحينئذ لا يبقى منه غير ذكرى، مدفونة في كتب التاريخ. وقد تحين هذه النهاية، والمجتمع متخم بالأشخاص والأفكار والأشياء، كما كان المجتمع الإسلامي في المشرق، في نهاية العصر العباسي، وفي المغرب، في نهاية عصر الموحدين[1]. وربما كانت هذه الحالة -من التحلل والتمزق في المجتمع الإسلامي- حين أصبح عاجزًا عن أي نشاط مشترك، هي التي أشار إليها قول رسول الله ﷺ: (يوشك إن تداعى الأمم عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت) ومالك

[1] – عمر عبيد حسنة: نفس المصدر، ص 15.

يرحمه الله يولي هذه القضية عناية كبيرة، شرحًا وتفصيلاً، فيقول: (... فقبل إن يتحلل المجتمع تحللاً كليًا، فإن المرض يحتل جسده الإجتماعي، في هيئة انفصالات في شبكته الإجتماعية، للأسباب التي ذكرناها، كمًا وكيفًا، وهذه الحالة المرضية قد تستمر قليلاً أو كثيرًا قبل إن تبلغ نهايتها، في صورة انحلال تام، وتلك هي مرحلة التحلل البطيء الذي يسري في الجسد الإجتماعي. بيد إن جميع أسباب هذا التحلل كامنة في شبكة العلاقات...وللمؤرخ "**توينبي**" فكرة عن انحلال الحضارة، فبعد رفضه الاجتياح العسكري، يرى إن انحلال الحضارة يزامنه فساد كبير، يدب في أرواح الناس وتغير جذري يطرأ على سلوكهم ومشاعرهم وحياتهم كلها، فيحل مكان الصفات الجيدة، والقوى المبدعة، التي كانوا يتحلون بها، في دور النمو لحضارتهم، يحل مكانها (ثنائية) من النزعات والمواقف العقيمة المتناقضة، وهنا ينكشف ويتعرى الفساد الروحي، كاشفًا عن فوضوية، تعم الأخلاق والعادات، وانحطاط يشمل الآداب والفنون، ثم قد تسعى (الأقلية المسيطرة) إلى فرض فلسفة خاصة، أو دين جديد، مستعملة في ذلك القوة، ولكن دون جدوى ولا فائدة... تصور جيد، ومن يطبق هذه النظرية على الحضارة الإسلامية في الأندلس، أو العباسية في المشرق، وحتى العثمانية، فسيجد الكثير من الشواهد على صحة هذه النظرية.

إن الثقافة و الفكر إذا انتشر في مجتمع يتسم بالتحضر ، هذا إن الحضارة هي ثمرة ثقافة وفكر أي أمة ، شرط إن يكون واقعا لا مجرد أوهام تباع أو أحلام تشتري ، ولابد من التركيز على مرجعية تلك الثقافة والأفكار التي يتبناها المجتمع ، فالعمل على الحضارة دون مرجعية يستند إليها يجعل من زوال تلك الحضارة أقرب من إن تظهر للوجود أصلا.

3-11- عامل الثقافة والفكر:

ثقافة كل أمة هو رأسمالها الكبير، من هنا لا نجد أمة دون ثقافة وفكر، لكن قد نجدها بدون حضارة، وفي عالمنا المعاصر، نجد ملايين من البشر في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، لهم ثقافتهم وفكرهم، لكنهم يعيشون خارج (فضاء) الحضارة، وإن استعملوا واستهلكوا بعض منتجاتها. فسلوك الإنسان يجري منبثقًا عن فكر وثقافة، والأمة تقيم حضارة كثمرة لعقيدة وثقافة، وكلما كانت العقيدة والثقافة حية، كان التحضر أسرع وأنجز، فإذا تحول الفكر إلى مجرد أحلام، وصارت الثقافة مجرد عرف أو صف كلام، فإن العد التنازلي للحضارة يبدأ ويستمر، يقول (فرانك أنلو) (راقب أفكارك فإنها تتحول إلى كلمات.. راقب كلماتك فإنها تصبح أفعالاً.. راقب أفعالك فإنها تتحول إلى عادات.. راقب عاداتك فإنها تصبح طباعًا.. راقب طباعك فإنها ظلال مصيرك، فكل ثقافة وفكر لا بد له من (مرجعية)، فالعقل البشري يصعب عليه العمل دون مرجعية، تمنحه

أُسُسًا كي يستند إليها، وإلا حصل انقسام، وتحولت الأمة إلى أمم. فهنا يتأكد لنا إن الثقافة والفكر مقدمة أو شرط للتحضر، لكن ليس كل ثقافة أو فكر بإمكانها إن تنتج حضارة، إلا أنه لا حضارة بدون ثقافة أو فكر.

إن الدوافع مهمة للتحكم في سلوك الإنسان ، فالإنسان الذي يمتلك كل شيء إذا فقد الدافع و الرغبة في الحصول أو الوصول إلى شيء ما فإن تلك الإمكانات لا معنى لهذا ن هذا ما يمكن إسقاطه على الحضارة في بنائها وتطورها ، فالدافع الحضاري للأمم من أهم العوامل التي تجعل من المجتمع متحضرا و الواقع يؤكد ذلك فهناك مثلا دولة اليابان من أعظم الحضارات في عصرنا الحالي رغم شح الإمكانيات إلى إن أفرادها كشعب له دافع قوي نحو التحضر هو ما جعل منها أرقى و أفضل الدول حضارة و تطورا كما إن هناك دول عكس ما ذكرنا عن اليابان فرغم توفر كل شروط النهضة و التقدم إلا إن غياب الدافع للحضارة يجعل منها دولا متخلفة ومتأخرة، فالدوافع و الأفكار هي بداية كل حضارة إلى إن تقوم على أسسها فنجدها تسيطر على النفوس وتدفعهم إلى الجد و التفاني في العمل ونكران الذات ، وبعد إن يبدأ الإنتاج تنتقل إلى المرحلة التي بعدها يكثر فيها العقلانية و التفلسف لم تأتي مرحلة ثوران الغرائز و الذي يؤذن بخراب الحضارة ، ولدينا الحضارة الأندلسية خير دليل لذلك .

3-12- الدافع الحضاري:

قد تتوفر للإنسان إمكانات كبيرة، لكنه لا يتحرك ولا يستغل هذه الإمكانات، وقد تكون الفرص قليلة، والإمكانات كذلك، ولكن قوة في نفس الإنسان تدفعه للعمل والتشبث، وقل مثل هذا في الشعوب والأمم، وقد توهم بعضهم فقال: إن التحضر هو من نصيب شعوب بعينها، وثمة شعوب أخرى غير مستعدة لذلك، وإن وافتها الفرص، إلا إن التاريخ يشهد بغير ذلك، فكل من واتته فرصة اغتنمها وأقام حضارة.

وما يصدق على الأفراد، يصدق على الشعوب والأمم، وهذه اليابان، قد تجاوزت شح البلاد، وقلة الخيرات، لأنها كانت مصممة على صعود سلم التحضر، وبأسرع وقت ممكن، بينما نجد بلادًا فيها الكثير الكثير من الخيرات، وهي تراوح مكانها، أو تسير ولكن إلى الخلف، وإلى مؤخرة القافلة. إن الأفكار حين تحل في النفوس حلولاً إيمانيًا، يكون حلولها دافعًا نفسياً قويًا للتحضر، والتغلب على المصاعب. إن الأفكار قد تسيطر على نفوس أصحابها، فتدفع بهم إلى العمل الموحد، مع شيء من إنكار الذات، والزهد في المغنم. وهنا أتذكر ما يكرره (مالك بن نبي يرحمه الله من إن الحضارة تبدأ روحية نشطة، يعمل أصحابها بجد وإخلاص، ونكران ذات، فتحقق إنجازات كبيرة، ثم يعقب ذلك مرحلة عقلانية، تفلسف المرحلة السابقة، يلي ذلك مرحلة ثالثة، تثور فيها الغرائز، فتتفسخ الحضارة وتسقط وهذا التوصيف ينطبق انطباقًا عاليًا على الحضارة الإسلامية. وإذا

نظرنا لرواد الحضارة الغربية، وجدناهم في منتهى الجد والتفاني، فإذا نظرنا اليوم إلى مجتمعات (الإنشورنس) نجدها تفتقد كل تلك الصفات الجيدة. إن همها الأول اليوم إن تكسب، ولو بالتهرب من العمل، للحصول على (الضمان).. وفضائح الفساد تتوالى، من الكبار والصغار معًا، لقد ذهب الرواد، وذهبت معهم التضحيات، ونكران الذات. وكل حضارة تعرف جيدًا الفرق الكبير بين الرواد المؤسسين وذلك النفر البائس المتكاسل، الذي يشهد سقوط الحضارة، وفي الأندلس عبرة لكل معتبر. دخلناها بـ (12000) مقاتل، وحكمناها قرونًا، وأقمنا أروع حضارة، وخسرناها ونحن أكثر من أربعة ملايين مأزوم مهزوم، فلم تضرنا القلة، ولا رفعت عنا الكارثة الكثرة، لقد صرنا (غثاء)، والسيل متى جاء حمل معه ما خف وزنه، وقل نفعه، أما النافع فيبقى في أرضه، ولا يفلح السيل في جرفه.

إن الأمة إذا، أرادت التحضر لابد لها و إن تكون لها أرض تحو بخيراتها من الطبيعة، وهذا من شروط بناء حضارة الأمم، إلا إن الطبيعة يجب إن تتوفر فيها بعض الأمور لكي يسهل بناء الحضارة فيها، ففي الصحراء مثلا يصعب بناء حضارة و الإنسان يصارع العطش، كما إن الإسكيمو أيضا غير واردة فيه بناء حضارة و الفرد يصارع من أجل إن لا يفتك به البرد .

لذا فإننا نجد إن المناطق الاستوائية تتوفر فيها شروط الحضارة من اعتدال للجور ، وأمطار غزيرة وشروق الشمس مما يجعل المجتمع لا يفكر بشيء سور تطوير سبل معيشته إلى الأفضل ومن هذه المظاهر نجد إن الإنسان إستطاع تحلية مياه البحر، وأستخرج المياه من جوف الأرض ، وأخترع الأسمدة الزراعية لزيادة الإنتاج ، وأقام السدود للحفاظ على مياة الأمطار ن وهو ما حققه أيضا في الجانب الصناعي مما جعله يتحكم في بيئة جيدا وجعل العوامل البيئية تبتسم له .

3-13- عامل البيئة الطبيعية:

الحضارة تقوم في أمة وأرض. أما الأمة، فإذا كانت مغلوبة على أمرها متخلفة، وكانت الأمية من نصيب غلب شعبها، والفقر يضربها بسيوفه، والأمراض تستوطنها بشكل دائم، مرة تموت عطشًا، ومرة تدمر مدنها قراها الفيضانات، فهذه الأمة لن تفكر بالتحضر، فلا بد إن يكون للأمة (كفاية) حتى تفكر في التحضر. ولا بد إن تكون الأرض سخية ولو إلى حد، ولذا فقد جعل توينبي للتحضر شرطين، بعد إن ربط التحضر بوجود (تحدٍ)، لا يكون قويًا فيُقعد الإنسان، ولا سهلاً فلا يثيره، ويضرب لنظريته أمثلة من كلا النوعين. فيمثل للتحدي الصعب بالصحراء وبلاد الإسكيمو، ففي الصحراء حيث الحرارة العالية والمياه الشحيحة، يصعب إقامة حضارة، أو نجاح مشروع حضاري، على نطاق واسع، ومثل ذلك بلاد (الاسكيمو) حيث

يصارع الإنسان البرد من أجل إن لا يفتك به، لذا فلن يفكر بمشروع حضاري وهو يصارع من أجل البقاء حيًا.

أما التحدي السهل، فيمثل له بالمناطق الاستوائية، حيث الجو المعتدل، والشمس المشرقة، والأمطار الغزيرة، فلا يخاف الإنسان الموت جوعًا أو عطشًا أو بردًا. إن الإنسان صانع الحضارة، لكنه يحتاج للعوامل التي تعينه وتساعده، من البشر والطبيعة. ونحن نرى اليوم أممًا تجاهد للتغلب على العوائق، فهناك تحلية مياه البحر، واستخراج المياه الجوفية، والزراعة في بيوت محمية، وتحسين المنتوجات الحيوانية والنباتية، وإقامة السدود لجمع المياه، وتسميد الأراضي الزراعية لمضاعفة المنتوج، هذا في الحقل الزراعي، وفي الحقل الصناعي حصل تقدم أكبر، مما جعل التحكم في البيئة أفضل من قبل، وإن كان لكل شيء ثمن. ونختم ما تقدم بقول (ديورانت):إن العوامل الجغرافية، على الرغم من أنها يستحيل إن تخلق المدنية خلقًا، إلا أنها تستطيع إن تبتسم في وجهها، وتهيئ سبل ازدهارها.

إن التحدث عن واقع ظاهرة التحضر في الوطن العربي يدعو أولا إلى التعرف على سمات التحضر فيه ، فظاهرة التحضر كما أسلفنا سابقا هي ظاهرة إجتماعية تتمثل في عدة مظاهر منها زيادة عدد سكان ، وانتقال السكان من الريف إلى المدينة ، هذا الانتقال يصاحبه تغير اجتماعي وثقافي ، حيث ترتفع نسبة الفردية على حساب الروح الجماعية كما يظهر في الحقيقة إن ظاهر التحضر أوسع مما ذكرنا ، فنسبة كبيرة من سكان الأرياف يعملون في أنشطة حضرية فير الزراعة و الرعي ويتميزون بأنهم أكثر تعليما وثقافة وكما قلنا فإن في بعض المدن العربية هناك من يمارس نشاطات وسلوكيات أقل ما يقال عنها أنها لا تمس للحضارة بصلة بل أنها أحط من النمط الريفي ، وأغلب هؤلاء نجدهم من يستوطنون الأحياء المتدهورة وأطراف المدن الكبيرة وهي الأماكن التي تكثر فيها جميع أنواع الآفات الإجتماعية و الجرائم.

إن التمدن في الوطن العربي ظهر وبرز في القرن العشرين . حيث ارتفعت نسبة التحضر فيه من 10% إلى نحو 60% في نهايته ، لذا فإن في هذا القرن عاشت الأمة العربية نمطين مختلفين هما النمط الريفي و النمط الحضري واستحملت كل صعوبات التي رافقت عملية الانتقال من الريف إلى المدينة .

هذه الانتقالية من الريف إلى الحضر أسهمت فيها عوامل عديدة ، حيث وصفت بأنها جعلت من تحضر المدن العربية تحضرا سريعا ، هذه العوامل منها ما يعود إلى الطبيعة ومنها ما يعود للإنسان ومنها ما يعود للأنشطة الموجودة في ذلك الوقت ، كما يمكن إبراز إن أهم عاملين أثرا بشكل كبير تحضر الوطن العربي هو العامل السياسي حيث نرى إن في القرن العشرين كل الدول العربية حصلت على استقلالها، هما جعلها تبدأ عملية

البناء والتشييد ،وهو ما جعل العامل الثاني يزدهم إلا وهو العامل الاقتصادي حيث صاحب عملية التشييد و التطور السريع نمو اقتصادي ظهر على إثر اكتشاف المعادن و الطاقات و التي كانت المدن العربية غنية بها ، وقد كان التركيز على هذه المدن وجلب السكان إليها من أهم السياسات التي انتهجتها الدول العربية في خططها للتطور ومسايرة ركب الحضارة صاحب تطبيق هذه الخطط و الإستراتيجيات تزايد عدد سكان المدن ومنه نسبة التحضر فمؤشر النمو لم يتراجع إلى الأدنى منذ اتجاه الدول إلى هذه الإستراتيجية في زيادة عدد سكان المدن ، حيث نلاحظ من خلال الإحصائيات الموثقة لدى الهيئات الرسمية المختصة إن جل المدن العربية ازدادت فيها نسب التحضر بدرجة كبيرة وذلك منذ سنة 1960 إلى غاية سنة 2000، فلا تكاد ترى مدينة إلا ونسبة التحضر فيها ارتفعت بنسبة هائلة ، فهناك مدن ارتفعت فيها نسبة التحضر 90% ومنها ما انحصرت من بين 70% إلى 90% أما في القرن الحادي والعشرين فإن آفاق التحضر في الوطن العربي تظهر في انخفاض وتيرة النمو السكاني في المدن رغم بقائها مرتفعة في الأرياف .

رابعاً : واقع التحضر في الوطن العربي.

1- سمات التحضر في الوطن العربي :

تعد ظاهرة التحضر أو البيئات الحضرية ظاهرة إجتماعية جغرافية تتمثل في تزايد إعداد السكان الناجم عن الزيادة الطبيعية أو عن إعادة تصنيف المراكز العمرانية أو عن طريق انتقال السكان من الأرياف إلى المدن، حيث يتكيفون مع طرق حياة أهل المدن و أنماط معيشتهم الأمر الذي يؤدي مع الزمن إلى تمركز السكان في المدن و الأراضي المجاورة لها بحيث تشكل معها بيئات حضرية على حساب المناطق الريفية. يترافق ذلك مع تغير اجتماعي و ثقافي، و تدعيم للروح الفردية على حساب الروح الجماعية التي تسود عادة في الأرياف[1].

وحسب هذا التعريف فان ظاهرة التحضر و البيئات الحضرية تعني سكنى المدن و الأراضي الملاصقة لها أو نسبة سكانها إلى مجموع السكان في الدولة أو الإقليم.

هذا على أرض الواقع، لكن في الحقيقة إن ظاهرة التحضر هي أوسع من ذلك، حيث تشمل جزءا هاما من سكان الأرياف الذين يمارسون نمط حياة غير زراعي أو رعوي، و يعملون في أنشطة حضرية مثل: التجارة، الحرف، الخدمات، السياحة، عمال في المدن القريبة وغير ذلك، و هؤلاء بشكل عام أكثر تعليما أو ثقافة، وأقل تمسكا بالعادات و التقاليد البالية. و تزداد اهتماماتهم الثقافية و السياسية والسياحية وبنوعية السكن والملبس والمأكل، ونقل ارتباطاتهم العائلية والعشائرية، وحبهم لكثرة الأولاد، وتعدد الزوجات. كما إن هناك

[1] – فوزي رضوان العربي: **أنماط التجمعات في الوطن العربي**، اتحاد الجامعات العربية، مصر، الأمانة العامة، 1985، ص 156.

نسبة من سكان المدن العربية تمارس نشاطا ونمط حياة غير حضري بل هو أحيانا أحط من النمط الريفي، لاسيما من يسكنون الأحياء المتدهورة التي تقع على أطراف المدن الكبيرة أو الكبرى و الذين يمارسون نمط حياة غير حضري ضمن المدن و في محيطها على شكل "تمدن كاذب"[1]

تعد المدينة أساس التحضر، وهي تجمع سكاني و عمراني كبير الحجم، مرتفع البنيان، كثيف الشوارع، ذو وظائف متعددة، لكن دون إن تكون الزراعة بارزة بينها، وهناك ملامح و سمات و مؤشرات تميز المدينة عن القرية من أبرزها: [2]

– عدد سكان المدينة أكثر من القرية، وان كان الحد الفاصل بينهما يختلف من بلد لآخر.

– كثافة السكان فيها أعلى من القرية وغالبا ما تزيد عن 5000 نسمة/كلم^2 ، كما إن كثافة أبنيتها أعلى وكذلك شوارعها.

– وظائفها غير زراعية وتقل نسبة العاملين في الزراعة بين سكانها عن 20 %، مع وجود وظائف متعددة بالمدينة، بينما أغلب القرى أحادية الوظيفة، زراعية بالطبع.

– يعمل سكان المدن والبيئات الحضرية في المدن ذاتها وفي أبنية مغلقة ومكيفة عادةً، بينما يعمل الريفيون في العراء لينتجوا منتجات مادية.

– تملك اغلب المدن وظائف إدارية للمناطق المجاورة لها، كما تخدم محيطها الذي تتوسطه، وغالباً ما تصنف المراكز الإدارية مع المدن دون إن تحقق شرطي كثرة السكان والكثافة.

– تملك المدينة تشكيلة سلعية و خدمية أوسع وأرقى من القرية، وتتمتع غالبا بنقل داخلي، بينما تفتقر الكثير من القرى لذلك، وبعضها حتى للنقل الخارجي المنتظم. كما إن سكان المدينة أكثر تطورا ومقدرة على التعامل مع المنجزات الحضارية– التقنية، و التزاما بالأنظمة و القوانين، وأكثر حبا للعلاقات المنظمة والتفاعل الخلاق الذي يؤدي إلى الإبداع و الاختراع. لكن تكثر في المدن المشكلات الإجتماعية ويزداد تلوث البيئة[3].

يعد القرن العشرون قرنا للتحضر في الوطن العربي، فقد ارتفعت فيه نسبة السكان الحضر من 10 % في بدايته إلى نحو 60 % في نهايته، وفي حين لم يكن يسكن في مدن الوطن العربي عام 1900 سوى 3.5 مليون نسمة أضحى يسكنها عام 2000 نحو 180 مليون نسمة.

[1] – محمد صافيتا: **المبادئ العامة لجغرافية المدن**، دار الكتاب العربي، دمشق، 2001، ص 220– 220 .

[2] – محمد بومخلوف: **التحضر و واقع المدن العربية**، في: خضر زكريا (تحرير)، دراسات في المجتمع العربي المعاصر، دمشق، 1999، ص 84 .

[3] – فيصل عزام قماش: **دراسات في التطور العمراني وتخطيط المدن**، دمشق، 1990، ص 12.

وعليه عرفت أجيال القرن العشرين من العرب نمطي الحياة الريفي و الحضري من خلال الانتقال من الريف إلى المدينة، وعاشت المراحل الانتقالية بين هاذين النمطين بكل صعوباتها التي رافقت عملية التكيف مع شروط الحياة الحضرية الجديدة و نمطها.

توجد عوامل عديدة أسهمت وتسهم في تحضر الوطن العربي الذي يوصف بأنه تحضرا سريعا، لاسيما في النصف الثاني من القرن العشرين منها ما هو طبيعي والآخر بشري ومنها ما هو اقتصادي.

لكن هناك عاملان أساسيان أسهما في هذا التحضر بشكل عام و هما :

أ – العامل السياسي المتمثل في حصول البلدان العربية على استقلالها عدا فلسطين.

ب– العامل الاقتصادي الذي تمثل في التطور الاقتصادي السريع، وذلك من خلال السياسات التنموية التي اتبعتها الدول العربية بعد استقلالها لتدارك تخلفها و اللحاق بركب الحضارة من خلال التصنيع، وتطوير الزراعة والخدمات...وغيرها. وقد ساعد اكتشاف البترول واستثماره هذه الخطط، وأسهم في زيادة التحضر.

كان التركيز على المدن من أهم عوامل جذب السكان إليها حيث تتوافر فيها فرص العمل والخدمات وشروط الحياة الأسهل والدخل الأعلى[1].

و قد ارتفعت نسبة السكان في البيئات الحضرية في الوطن العربي من(10 % عام 1900) إلى(17% عام 1930) ثم إلى (29% عام 1950)، حيث أضحى مجموع السكان في المراكز العمرانية المدنية يشكلون نحو 22 مليون نسمة من أصل 75 مليون نسمة– عدد سكان الوطن العربي حينها لترتفع هذه النسبة إلى (36 % عام 1960) و إلى(49% عام 1980).

و تقدر نسبة السكان في المراكز العمرانية المدنية في عام 2000 بما يزيد عن 60 % من مجموع سكان الوطن العربي وبما يقارب 180 مليون نسمة.رغم إن نسبة من يسكنون المدن تختلف من بلد عربي لآخر كما يظهر ذلك من خلال **الجدول رقم(01) والذي يوضح نسب التحضر والنمو السكاني في المدن الحضرية**.

ويمكن من خلال الجدول تصنيف للدول العربية حسب درجة التحضر التي وصلت إليها في عام 2000 ضمن خمس مجموعات:

[1] – محمد بومخلوف: مرجع سبق ذكره، ص 95.

القيمة السنة / الدولة	نسبة التحضر % من مجموع السكان				معدل النمو السنوي % للسكان الحضر	
	1960	1980	1992	2000	1960-1992	1992-2000
الأردن	43	60	69	79	4.5	4.6
الإمارات	40	71	82	79	125	2.1
البحرين	75	81	83	92	4	3.3
تونس	36	52	57	65	3.6	3.2
الجزائر	30	44	53	60	4.7	4.3
جيبوتي	50	74	83	84	7	3
السعودية	30	66	74	58	7.6	4.9
السودان	10	20	23	33	5.4	5
سوريا	37	47	51	55	4.5	4
الصومال	17	22	25	27	5	4
العراق	43	65	73	74	5.2	3
عمان	4	31	58	83	14	7.5
قطر	72	86	89	92	6	3.4
الكويت	72	90	96	97	8	3
لبنان	40	74	58	90	4	2.8
ليبيا	23	69	84	88	8.2	5
مصر	38	43	44	46	3.1	2.5
اليمن	9	19	32	37	5	3.2
موريتانيا	6	27	50	57	9.8	4.5
المغرب	29	41	44	46	4	2.8
المجموع كمتوسط	36.5	49	55	60	5	3.5

الأولى: تزيد نسبة التحضر فيها عن 90% من مجمل سكانها وتضم أربع دول هي: الكويت، البحرين، قطر، لبنان، بالإضافة إلى قطاع غزة في فلسطين المحتلة، هذه البلدان مفرطة التحضر، ويكاد النمط الريفي يتلاشى

فيها، وهي صغيرة المساحة، قليلة السكان، وتسيطر فيها الصحاري ماعدا لبنان، كما أنها بلدان غنية ذات مستوى حياتي مرتفع بسبب عائدات النفط و الغاز، أو بسبب السياحة.

الثانية: ترتفع فيها نسبة الحضر لتصل إلى ما بين 70- 90%، تضم سبع دول هي: ليبيا، السعودية، جيبوتي، عمان، الإمارات، الأردن والعراق. يوجد في هذه المجموعة نحو 22% من سكان الوطن العربي، وهي دول متنوعة من حيث عدد السكان و المساحة، لكن أغلبها دخله عالٍ إلى متوسط من خلال عائدات البترول، أو تحويلات المهاجرين الذين هاجروا إلى دول الخليج، إضافة لندرة المساحات الزراعية. الثالثة: بلدان ذات تحضر معتدل أو فوق متوسط تصل نسبة التحضر فيها إلى ما بين 50% و70% وتضم أربع دول هي: تونس، الجزائر، موريتانيا، سورية، حيث يوجد فيها ما نسبته 21% من مجموع سكان الوطن العربي وهي دول متنوعة مصادر الدخل وتعتمد على تصدير الخامات المعدنية والزراعية، والى حد ما المنتجات الصناعية الخفيفة التي تنتشر في المدن و تجذب سكان الأرياف.

الرابعة: دول ذات تحضر متوسط إلى ما دون المتوسط تبلغ نسبة التحضر فيها أقل من 50% وأكثر من 30% و تضم ثلاث دول هي: مصر، المغرب، السودان، وهي دول كبيرة المساحة، كثيرة السكان، يسكنها نحو 44% من سكان الوطن العربي، كما أنها ذات موارد طبيعية و اقتصادية و بشرية كبيرة، لكن بشكل عام يعد استثمار الموارد فيها ضعيفا، لاسيما بالنسبة للسودان والى حد ما المغرب.

الخامسة: تضم كلا من اليمن، الصومال، عدد سكانها معا نحو 10% من السكان العرب، وتقل نسبة التحضر فيها عن 30% فهو تحضر منخفض، هذان البلدان غنيان بالموارد لكنهما فقيران من حيث المنتج المحلي لاسيما الصومال، بسبب الحرب الأهلية، والحياة القبيلة السائدة، كما تعد هاتان الدولتان مصدرتين للعمالة، حتى إن الصومال طاردة للسكان حاليا، وتتأثر المدن فيها سلبا وتهمل مختلف الأنشطة لصالح الحرب العبثية[1].

أما عن آفاق التحضر في الوطن العربي فيمكن القول: انه رغم انخفاض وتيرة النمو السكاني في جميع البلدان العربية ستبقى المدن العربية جاذبة لسكان الأرياف في غضون الربع الأول من القرن الحادي و العشرون على اقل تقدير، إذ تقدر حليا وتيرة نمو السكان في الوطن العربي بحدود 2.3% سنويا. بينما بالنسبة للمدن فهي بحدود 3.3% سنويا رغم إن سكان الأرياف يتوالدون أكثر من سكان المدن وهذا دليل على هجرة الفائض منهم إلى المدن، وتحول الكثير من المراكز الريفية إلى مدن مع تزايد سكانها و تغير في وظائفها، بتحولها تدريجيا إلى مراكز غير زراعية.

[1]- محمد صافيتا: مرجع سبق ذكره، ص 11.

وحسب توقعات خبراء المم المتحدة لشؤون السكان فان نسبة التحضر في الوطن العربي ستتجاوز 70% في عام 2025، وربما تصل إلى 75% مثلها مثل البلدان المتقدمة لأن هناك حاليا من يقول: إن نسبة سكان المدن في الوطن العربي تزيد عن 65% لأنه على حق لأن المراكز التي تصنف مدنا تختلف من بلد عربي لآخر. بل إن الكثير من المدن، لاسيما في أطرافها يتم حسابهم مع سكان الأرياف رغم وجودهم في المدن، كما إن قرارات منح المراكز التي تكبر أحجامها صفة مدينة تتأخر أحيانا، فمثلا مدينة السيدة زينب في ضواحي دمشق لا تزال تصنف بلدة رغم إن سكانها تجاوزوا 118 ألف نسمة.[1]

ومع هذه الاختلافات فإن أجزاء الوطن العربي تشترك في كثير من خصائص ظاهرة التحضر كما أشرنا آنفا. اذ توجد في كل قطر مدينة كبيرة مسيطرة، وفي أغلب الأحيان تكون نفسها العاصمة تتركز في هذه المينة الإدارات الحكومية والمؤسسات الاقتصادية والثقافية والخدمات. لقد اجتذبت كل مدينة مسيطرة السكان من جميع أجزاء القطر، وفي بعض الحالات تستقطب هذه المدينة مهاجرين يأتون من خارج القطر، إما من أجزاء الوطن العربي التي يتوفر فيها فائض من الأيادي العاملة، أو من بلدان أخرى خارج المنطقة العربية. لقد نمت كل مدينة خلال السنوات الأخيرة بمعدل سنوي عال مما أدى إلى إن تصبح غالبية هذه المدن أكبر من الحجم الذي يمكنها معه إن تقدم خدمات مناسبة لسكانها فتدني مستوى الخدمات خصوصا في مجال الإسكان. وعلى الرغم من النهضة العمرانية التي شهدتها بعض المدن العربية خلال السبعينيات وبداية الثمانينيات فان سكان المدن العربية الكبيرة تتزايد بمعدل يفوق كثيرا معدل بناء الوحدات السكنية.

لقد صاحب ظاهرة زحف العرب نحو المدن ارتفاع متوسط معدلات استهلاك الفرد من الغذاء، ونقص في مستوى إنتاج الغذاء محليا وإقبال منقطع النظير السلع الاستهلاكية المستوردة وبمرور الزمن أصبح المجتمع العربي الحضري بصفة عامة يستورد أكثر مما يصدر ويستهلك أكثر مما ينتج. وبالإضافة إلى إستراد الغذاء والتكنولوجيا يستورد المجتمع العربي اليوم الثقافة ونماذج الاستقرار البشري وأنماط المعيشة.

كما يتميز الوطن العربي بسيطرة المدينة الكبيرة على باقي المدن الأخرى ، وفي أغلب الأحيان تكون هي العاصمة نفسها وهو ما يجعل أغلب النشاطات متركزة فيها مما يجعلها تجذب السكان إليها بل منها ما يجذب حتى المهاجرين من دول أخرى إن زحف السكان في الوطن العربي نحو المدن الكبرى صاحبه العديد من المظاهر التي ظهرت مثل تزايد استهلاك الفرد للغذاء، مما جعل من فاتورة الاستيراد ترتفع من المواد السريعة الاستهلاك ، ورغم هذا فإن المؤشرات كلها توحي بتوجه السكان في الوطن العربي نحو الإستقرار الحضري ، بل

[1] – محمد العلان : **جغرافية المدن(السيدة زينب)**، دار الكتاب العربي، دمشق، 1999، ص 45.

سيزداد مع مرور الوقت إلى إن يصل إلى أرقام قياسية لأن المدن الكبرى آخذة في الاستحواذ على كل الخدمات و الإتساع على حساب الأراضي المجاورة رغم ما يصاحب هذا من مشكلات مصاحبة للتحضر .

وتشير الدلائل المتوفرة في الوقت الحاضر إلى إن العرب سيستمرون في السير بخطى حثيثة نحو الاستقرار الحضري ويبدو إن نمط التحضر الذي ساد حتى الآن سيستمر هو الآخر، فالخدمات والإمكانيات تستحوذ عليها المدن الكبرى وستستمر كل مدينة رئيسية في النمو في حجم السكان و في الاتساع على حساب الأراضي المجاورة وسيزداد حجم المشكلات المصاحبة للتحضر[1] .

و الجزائر كغيرها من مناطق الوطن العربي وفي العالم أجمع فالتحضر لم يكن وليد هذه الفترة الحالية ، فالآثار التي تركتها الحضارات السابقة في الجزائر تدل على إن السمات التحضيرية كانت موجودة وفعالة رغم اندثار بعضها جراء الحروب و الاضطرابات المتكررة التي شهدتها منطقة شمال إفريقيا عموما و الجزائر خصوصا إلا إن بصمة الحضارة كانت ظاهرة وتؤرخ لكل حقبة زمنية مرت بها حضارة في الجزائر إلا إن في الوقت الحالي تعاني من عدة انعكاسات سلبية كثيرة جراء النمو الحضري المتزايد منها أزمة السكن الحضري حيث يعتبر الطلب على السكن الحضري بسبب زيادة السكان من أهم المشكلات التي أرقت وأرهقت كامل الدول مما جعلها غير قادرة على احتواء جميع الطلبات وتحقيق التوازن بين العرض و الطلب .

سبب آخر يجعل من التحضر عملية صعبة في الجزائر إلا وهو توفير البنية التحتية من مرافق وخدمات ، وهذا ماتبينه مظاهر الاختناق المروري ، وإهتراء وانعدام وسائل النقل وهي أهم خدمة لابد إن تتوفر عليها أي مدينة تعتبر متحضرة .

2- مقومات البناء الحضري في الجزائر:

2-1- الخلايا الأولى للنسيج الحضري في الجزائر:

إن التحضر في الجزائر ليست ظاهرة جديدة في الوسط الجزائري بل قديمة قدم حضارة البحر الأبيض المتوسط و قد وجدت بقايا مستوطنات حضرية في الجزائر يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد، وقد اختلفت خصائص هذه المستوطنات الحضرية من زمن إلى آخر حسب اختلاف الأجناس التي شيدوها وعاشوا فيها، واختلاف الدوافع التي دفعتهم للعيش في الوسط حضري مميز عن الأوساط الريفية المجاورة إلا إن المؤكد إن هذه المستوطنات استطاع المقيمون بها إن يتحرروا من الحياة الريفية والنشاط الزراعي إلى أنشطة موازية مختلفة ومتخصصة وحرفية وتجارية. وقد عرفت الجزائر حياة حضرية متنوعة عبر تاريخ طويل من الشعوب التي عاشت فوق أرضها، متمثلة

[1]- مصطفى عمر التير ، **اتجاهات التحضر في الوطن العربي**: دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، الطبعة1، 2005، ص211، 212.

في خلايا لمدن تطور لبعض منها وتواصل في حين إندثر البعض الأخر وإنقرض نتيجة لتاريخ مملوء بالحروب والاضطرابات تارة والاستقرار والازدهار تارة أخرى ونتيجة لتعاقب هذه الأجناس البشرية على هذا الجزء من المغرب العربي بدا بالغزو الروماني فالاجتياح الوندالي ثم البيزنطي إلى الفتوحات العربية الإسلامية وتسلسل الدويلات الإسلامية التي بسطت نفوذها على الجزائر مرورا بالحكم العثماني إلى الاستعمار الفرنسي. كل هذه التشكيلات بسياساتها وثقافتها وحضارتها تركت بصماتها واضحة في التراث العمراني بالجزائر إذ ساهمت بشكل أو بآخر في تشكيل الشبكة الحضرية الحالية في الجزائر.

2-2- انعكاسات التحضر في الجزائر:

أدى النمو الحضري المتزايد نتيجة لعدة أسباب في الجزائر إلى إنعكاسات سلبية كثيرة من بينها نذكر ما يأتي:

2-2-1- أزمة السكن الحضري:

إن كثرة الطلب على السكن الحضري بسبب الزيادة الطبيعة بين سكان المدن من جهة وبسبب استمرار الهجرة الريفية المقدرة بحوالي 130.000 نسمة سنويا مع نهاية الثمانينات، جعل الدولة وسلطاتها المحلية غير قادرة على تلبية الطلبات المتزايدة على السكن، ففي مدينة وهران وحدها بلغ عدد الملفات المسجلة لدى ديوان الترقية العقارية والتسيير العقاري للحصول على سكن اجتماعي حوالي 30.000 ملف مقبول سنة 1994.

كما أصبح من الصعب الوصول إلى تحقيق التوازن بين الاحتياج الحقيقي لسكن الحضري من جهة والطلب المتزايد عليه من جهة ثانية، رغم جهود الدولة المتواصلة في توفير السكن الحضري ودعم السكن الإجتماعي للفئات المحدودة الدخل وسوف تستمر أزمة السكن الحضري في الجزائر خلال العشرية المقبلة بسبب العجز في السكن الذي قدر بحوالي مليون وحدة سكنية سنة 1994 .

2-2-2- التدهور في مستوى تجهيز المدن بالمرافق والخدمات:

جميع المؤشرات توضح تدهور مستوى مرافق والخدمات في المدن الجزائرية التي أصبحت طاقتها محدودة لمواجهة تزايد عدد سكان الحضر من بين هذه المؤشرات اختناق المدن الكبرى بحركة المرور نتيجة الزيادة المرتفعة لعدد السيارات، وعدم تطور شبكة الطرق لتلبية متطلبات حركة المرور المكثفة بها كما إن وسائل النقل الحضري أصبحت عاجزة عن تلبية احتياجات تنقل السكان خلال رحلاتهم اليومية، وأحسن مثال على ذلك حركة المرور بمدينة الجزائر العاصمة، وهران قسنطينة، عنابة، لهذا يستلزم التفكير الجيد والتخطيط المحكم لتوفير الهياكل

القاعدية الضرورية لميدان النقل بصفة عامة، كضرورة تجهيز المدن جديدة والحياء السكنية بجميع الخدمات والمرافق الضرورية لتخفيف من درجة الاختناق.

إن أهم عناصر الحضارة و التحضر هي المياه وما تاريخ الحضارة إلا دليل على قيامها على ضفاف الأنهار ، وهذا مايعني أنا الماء أساس أي حضارة قامت في هذا العالم ، يعد أحد المشاكل الرتي تعاني منها الجزائر فهو في تناقص مستمر بسبب الاعتماد على الأساليب البدائية في استخراجه و الاستفادة منه ، حيث أصبح لا يكفي متطلبات التحضر من صناعة وزراعة وإنتاج وغيرها ، كما إن لثقافة الفرد والتي تعتبر من أهم عوامل التحضر سبب في نقص المياه في شكل التبذير في استعماله .

2-2-3- تناقص كمية المياه الصالحة لشرب:

أصبح تمويل المجموعات الحضرية بالمياه الصالحة لشرب يعد إحدى المشاكل الكبرى التي تواجه سكان المدن قد تناقص معدل كمية المياه المستهلكة يوميا بالنسبة للفرد الواحد في المدن الجزائرية من 150 لسنة 1966 إلى 80 لسنة 1987، إذ أصبح من الصعب تعبئة المياه الضرورية لمواجهة النمو الحضري السريع المتمثل ليس فقط في توسع المدن، وزيادة عدد سكانها ، بل وفي الاستهلاك الواسع لكميات المياه في الصناعة وقد صاحب هذه الزيادة المذهلة في كميات المياه المستهلكة في المدن والصناعة تناقص كبير في كميات مياه مسخرة لري الذي أصبح يعتمد في معظمه على مياه الآبار المحلية بدلا من مياه السدود وقد إنعكس هذا سلبا على الأراضي المسقية التي تمون التجمعات الحضرية بالمنتوج الزراعي، وحسب الدراسات والأبحاث التي قامت بها الوكالة الوطنية للموارد المائية في الجزائر فإن العجز المسجل في التجمعات الحضرية يعود أساسا إلى سوء تسيير قطاع المياه وارتفاع نسبة التسرب والضياع مقدرة بحوالي 40% من مجموع الكميات المنتجة سنويا وهذا بسبب قدم أنابيب شبكة نقل المياه في المدن، وقلة الصيانة والتبذير الناتج عن انخفاض تسعيرة المياه قبل 1990 وتقدر إحتياجات التجمعات الحضرية في الجزائر مع نهاية عام 2000 بحوالي 2 مليار م^3 .

تعد هجرة السكان من الأرياف إلى المدن شكل من أشكال التحضر، هذه الهجرة جعلت من الأراضي الأراضي الزراعية في الأرياف تبقى دون خدمة وهو ما أدى إلى تحولها إلى مناطق سكنية وعمرانية مما جعل من عملية التحضر سبب سلبي في القضاء على كل ما هو ريفي وتحويلها إلى مناطق صناعية أو ذات خدمات أخرى غير الزراعة .

2-2-4- إكتساح التوسع العمراني للأراضي الزراعية :

تعتبر الأراضي الزراعية في الجزائر من العناصر الطبيعية النادرة ومساحتها محدودة حيث قدرت في سنة 1992 بحوالي 7.5 مليون هكتار أي بنسبة 3% من المساحة الإجمالية للبلاد وتقع اغلبها في الشمال وقد إكتسحت الأراضي الفلاحة الخصبة في الكثير من الحالات بسبب المنشآت العمرانية المتمثلة في بناء السكن والمناطق الصناعية والتلوث الصناعي، وقد لوحظ سهولة التعدي على الأراضي الفلاحة في القطاع العام وأملاك الدولة، أما الآن فقد حد من ذلك الملك الخاص.

مرت الجزائر في طريق تحضرها بعدة مراحل فعملية التحضر كما ذكرنا هي قديمة جدا، ويمكن إبراز المراحل التي مرت بها الجزائر للتحضر في عدة نقاط منها أنه يمكن اعتبار أولى التحضر في الجزائر كانت في المرحلة التي استكمل فيها الغزو الفرنسي احتلاله للجزائر في الفترة الممتدة من 1830 إلى 1910، حيث قامت فرنسا بتوسيع الاستيطان على حساب الأراضي الخصبة و السهلية ، وإقامة مدن وأحياء أوربية تتوفر فيها جميع شروط الحياة ، مقابل أحياء يعيش فيها الجزائريين لا تتوفر فيها أدى شروط التحضر ، مما جعل الجزائريين يهاجرون إلى هذه المراكز الحضرية للعيش الكريم جاءت بعدها مرحلة كثرت فيها الحروب و الاضطرابات و الأزمات ليس في الجزائر فقط بل في العالم أجمع مما سبب انتشار الفقر و الهجرة من الأرياف إلى المدن.

3- مراحل التحضر في الجزائر:

إن ظاهرة التحضر لا يمكن اعتبارها ظاهرة حديثة في الجزائر، بل هي قديمة ولها علاقة بحضارات حرب البحر الأبيض المتوسط، كما يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد وقد كشفت بعض الحفريات عن أثار بقايا المستوطنات البشرية، اختلفت خصائصها باختلاف الأزمنة وقد تميزت بنمطية :الأول حضري والثاني ذو طابع ريفي متميز بالنشاط الزراعي[1].

وقد مرت حياة الحضر بالجزائر بمراحل تاريخية اتسمت بظهور نوايا المدن، نما وتطور البعض منها وزال البعض الآخر، وقد كان للاضطرابات والنزاعات الداخلية دور في كل ذلك، وقد كان للتراكم الحضاري والعمراني بصمات في التراث بشكل عام، وصلت نسبة الحضر في الجزائر في تعداد 1987 حوالي 49% من مجموع السكان في حين إن هذه النسبة كانت حوالي 5% في بداية القرن ال19 أي بعبارة أخرى فقد ارتفعت نسبة سكان المدن إلى مجموع السكان بحوالي 43% في ظرف قرن ونصف، حلت الثورة التحريرية الكبرى في الجبال و الأرياف مما أدى بالمستعمر الفرنسية إلى تخريب هذه المناطق وتهجير سكانها نحو المدن للسيطرة عليهم

[1] – بودون عبد العزيز: **التحضر في الجزائر**،مجلة الباحث الإجتماعي،العدد الخامس،جانفي2004 ، ص165.

وإضعاف الروح المعنوية للمجاهدين ، وتمت هذه العملية حتى بعد الاستقلال بعد ترك الفرنسيين للسكن شاغر في المدن الجزائرية.

بعد الاستقلال بدأ التخطيط لتطوير البلاد وبنائها وقد تبنت الجزائر تخطيط إقتصادي وسياسة التصنيع دون إهمال الإصلاحات الزراعية، هذا ما أدى إلى تحرك السكان نحو المدن بحثا عن عمل أكثر راحة وحياة أفضل

هذا النزوح الريفي جعل من المدن لا تستوعب العدد الهائل من السكان حيث تشبعت بالسكان ونجم عنها أزمات إجتماعية، وانتشرت البطالة ، رغم سياسة التوازن الجهوي إلا إن بالسكان ونجم عنها أزمات إجتماعية، وانتشرت البطالة، رغم سياسة التوازن الجهوي إلا إن الطموحات الصناعية ظلت مرتفعة جراء البنية التحتية الهشة وقلة الموارد البشرية.

آخر مراحل التحضر في الجزائر لم تشذ عن سابقيها من المراحل حيث تشير جميع الإحصاءات إلى تخلخل سكاني كبير بين الريف و المدينة، إلا إن هناك إجراءات خاصة بهذه المرحلة منها تحرير المعاملات العقارية للخواص.

إن ظاهرة التحضر في الجزائر يمكن اعتبارها صارت تواجه العديد من المشاكل بدل الإنجازات من أهم هذه المشاكل زيادة عدد السكان و النمو الحضري مقابل انخفاضه في الريف وعدم قدرة الحكومة على السيطرة عليه بسب قلة الإمكانيات، إضافة إلى استمرار توافد من الأرياف عبر موجات نحو المراكز الحضرية، لذا تم وضع بعض الإستراتجيات لوقاية النمو الحضري في الجزائر وهي تحديد طاقة استيعاب كل منطقة حضرية وفق محدداتها وإمكانياتها ورسم حدودها بالاستعانة من تجارب الآخرين، وكذا بناء هيكلة حضرية تعتمد على التوازن من أجل توجيه السكان مراكز حضرية ثانوية بدلا من التركيز على المدن الكبرى، كما تم الإشارة إلى عدة نقاط أخرى كتشجيع الهجرة العكسية من المدن إلى الأرياف و تطوير النقل الذي يعتبر شريان الحياة من أجل قيام أي حضارة، وكذا الحد من المساوئ و الانحرافات الإجتماعية وتحويل الأرياف إلى مراكز للهدوء و الراحة، كما يمكن من إن تصاحب التهيئة الحشرية تهيئة ريفية، و التركيز على عدم عزل الريف عن المدينة لكي لا تصاحبه قطيعة مما يجعل من المشاكل تظهر دون مقدمات.

ونحاول تلخيص مراحل التحضر في الجزائر كما يلي[1] :

3-1- المرحلة الأولى 1830-1910:

وهي مرحلة استكمال الغزو الفرنسي للجزائر وتوسيع الاستيطان الأوروبي على حساب أراضي القبائل والعروش المتواجدة في السهول الساحلية الخصبة والأحواض الداخلية وإقامة المستوطنات والأحياء الأوربية بالقرب من المدن الجزائرية العتيقة وتدعيمها بالهياكل الأساسية من طرق برية وسكك حديدية، أنجزت بأيادي جزائرية استقطبت من الأرياف تبدأ هذه الشبكة عند مصادر المواد الأولية من معادن وثروات طبيعية أخرى وتنتهي عند الموانئ من أجل ربط الجزائر بفرنسا في مجال التصدير والاستيراد المواد الأولية الخام مقابل المنتجات الصناعية الفرنسية، ضلت الأغلبية الساحقة من الجزائريين خلال هذه المرحلة تعيش في الأرياف بأوضاعها المزرية المتدهورة في جميع المجالات الأمر الذي دفع الكثير منهم إلى الهجرة نحو المراكز الحضرية والعمل في الأشغال الشاقة كحفر خنادق السكك الحديدية وإنجاز الموانئ وشق الطرق عبر الجبال.

3-2- المرحلة الثانية 1910-1954:

مرحلة الاضطرابات وكثرة الحروب والأزمات الاقتصادية العالمية التي أثرت على الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية في الجزائر وتسبب في انتشار الفقر من جراء تناقض الإنتاج الزراعي الفرنسي وتعويضه بالمنتج الزراعي الفرنسي وتعويضه بالمتوج الزراعي الجزائري (خاصة الحبوب) وإستمرت هذه الوضعية الصعبة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقد أدت هذه الظروف السياسية والاقتصادية إلى الهجرة من الأرياف إلى المدينة بحثا عن ظروف أفضل

3-3- المرحلة الثالثة 1954-1966:

مرحلة اندلا ع ثورة التحرير والسنوات الأولى من الاستقلال التي شهدت معدلات نمو حضري مرتفعة وهجرة من الأرياف اتجاه المدن بسبب انعدام الأمن، وسياسة التشريد والطرد والتقتيل الجماعي وإقامة المحتشدات لمراقبة سكان الأرياف وعزلهم عن الثورة، بعد الاستقلال تواصلت الهجرة المكثفة نحو المدن بسبب عودة اللاجئين الجزائريين من المغرب وتونس واستقرارهم في المدن زيادة عن الهجرة المكثفة من الأرياف بسبب تواجد حظيرة السكن الشاغر في المدن من جراء مغادرة الفرنسيين الجزائر.

[1]- بشير التيجاني: **التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر (جامعة وهران)** ،ديوان المطبوعات الجامعية. الساحة لمركزية ابن عكنون، الجزائر ، ط1، 2000، ص85.

3-4- المرحلة الرابعة 1966-1977:

وهي مرحلة التخطيط الاقتصادي وسياسة التصنيع التي تبناها الرئيس الراحل هواري بومدين مصحوبة بإصلاحات زراعية كتأميم الأراضي وإنشاء التعاونيات الفلاحة وبناء القرى الاشتراكية،كل ذلك أدى إلى تحريك السكان إلى المدن بحثا عن العمل وحياة أفضل بسبب سياسة التركيز على عملية التصنيع في مجال الاستثمارات وتهميش الزراعة.

3-5- المرحلة الخامسة 1977-1989:

وهي مرحلة تشبع المدن وكثرة الأزمات الإجتماعية خصوصا أزمة السكن الحادة وانتشار البطالة من جراء العدول عن الاستثمار في القطاع الصناعي ونزع الدعم الحكومي لبناء السكن وباقي القطاعات الأخرى وعدم قدرة الهياكل والتجهيزات الحضرية من تغطية الحاجيات السكانية المتزايدة[1].

فرغم المبادئ التي اعتمدتها التنمية الجزائرية القائمة على سياسة التوازن الجهوي والتنمية الشاملة، إلا إن الطموحات الصناعية الكبيرة في ظل تخلف البنية التحتية وقلة الموارد البشرية المؤهلة ، أدى كل ذلك إلى استقرار الوحدات الصناعية في المدن والوقوع في نوع من المركزية الصناعية التي ترتبت عنها نوع من المركزية العمرانية الحضرية، ويمكن تحديد اثر هذه العوامل الصناعية على التحضر فيما يلي[2]:

- أولوية الصناعات الثقيلة.
- تأخر الصناعات المحلية الواردة في البرنامج الصناعي الجزائري.
- عدم فعالية الثورة الزراعية، بل أحيانا كانت السبب في النزوح الريفي.
- تأخر البنية التحتية.
- اعتماد أسلوب المركبات والمجمعات الصناعية التي تتطلب يدا عاملة وافرة.

3-6- المرحلة السادسة : إبتداءا من سنة 1989:

إن الإحصائيات الدقيقة عن التحضر والنزوح الريفي الذي عرفته هذه الفترة غير متوفرة في الوقت الحالي، مما يصعب من مهمة دراستها، وهذا رغم إن التعداد للسكن والسكان قد أنجز عام 1998، إلا إن نتائجه لم تنشر بعد جانفي 2000، لكن المشاهدات تبين بأن حجمه قد لا يختلف عن الفترات السابقة، مما يعني إن هذه الفترة عرفت هي أيضا تخلخلاً سكانياً كبيراً ريفياً وحضرياً، حيث هجرت مناطق والنزوح نحو مناطق أخرى،

[1]- بشير التيجاني: مرجع سابق، ص 86،87.

[2]- محمد بومخلوف ، مرجع سبق ذكره ، ص 134.

حتى داخل نطاق المدينة الواحدة، وذلك لأسباب أمنية، وهذا بالإضافة إلى النزوح الريفي الكبير الذي عرفته هذه الفترة متجهاً نحو المدن الكبيرة والمتوسطة والصغيرة والقرى، فقد فرغت بعض القرى والأرياف من سكانها تماماً مثلما حدث بالضبط أثناء الثورة التحريرية.

ومن أهم الإجراءات العمرانية الحضرية التي عرفتها هذه الفترة هي تحرير المعاملات العقارية بين الخواص وإشراك القطاع الخاص في التنمية العقارية وذلك ابتداء من سنة 1989، تماشياً مع التحولات التي بدأت تعرفها البلاد والتي تسير تدريجياً نحو الإتجاه الليبرالي، ويفترض إن تخفف هذه السياسة من حدة انتشار العمران غير المخطط بالأسلوب القديم، إلا أنها بكل تأكيد لا تقضي عليه، فإلى غاية 1991 لا زال المواطنون يتبعون الإجراءات المعهودة في التملك والتنازل والبناء[1].

إن النمو الحضري في المدن الجزائرية إلا إن هذه المشاكل تختلف من مدينة لأخرى .

حيث تتباين في عدد سكانها، واختلاف وظائفها وأهميتها لدى الدولة وتاريخها، وتنوع ظروفها البيئية، هذه المشاكل تحدد جميعها زيادة المشاكل الإجتماعية، فكل عملية تحضر تصاحبها مشاكل أغلبها يكون من الشق الإجتماعي كعدم تماسك الأسرة وعدم إلتحامها بالمدينة، و انتشار الجريمة وكلا المشكلتين ترتبطان مع بعضها البعض فكل مشكل يحدث في العائلة تكون عواقبه وخيمة على المجتمع وعملية التحضر، كما إن للمدخول الشهري أثر على قلق العائلة من توفير حاجياتها المادية وهو ما ينطبق في العائلة التي تعيش في المدينة عكس الأسرة تعيش في الريف، أيضا وجود توتر العلاقة الزوجية بطلاق أو وفاة أحد الوالدين بسبب مشاكل الأسرة ويجعها تعيش في عزل رغم التصاقها بعدد كبير من المساكن .

وفي نهاية هذا الفصل يمكن الإشارة إلى إن عملية التحضر رغم التطور الحاصل فيها و الازدهار إلا أنها أفرزت العديد من المشاكل، أي أنه لكل عملية تحضر سريع تظهر مشاكل عديدة ، وللقضاء على هذه المشاكل فإن أفضل الحلول بأن تخلق فرص عمل في الأرياف تخطيطا وتطبيقا، و التركيز على أهم مشكل يعرقل ظاهرة التحضر في المدن العربية إلا وهو مشكل الإسكان دون اللجوء إلى الحلول الترقيعية وكذا مشكلة التلوث و الأمراض المصاحبة له، كما يجب إيجاد حل لتوفير المواصلات لأنها هي طريق التحضر و الحضارة.

[1]- محمد بومخلوف ، مرجع سبق ذكره ، ص 136.

4- إشكالية التحضر في الجزائر:

أن ظاهرة التحضر التي أصبحت منتشرة في كثير من المراكز العمرانية في الجزائر، صارت تواجه العديد من المشاكل منها ما يلي[1] :

- إرتفاع معدلات النمو الحضري التي أصبحت تتراوح ما بين 3-6% سنويا في مختلف إحجام المدن الجزائرية

- عدم القدرة على السيطرة على التوسع الحضري و احترام مخططات التهيئة والتعمير بسبب الاختلال في التوازن بين سرعة نمو النسيج العمراني وقلة إمكانيات وسائل المراقبة أو انعدامها في بعض الأحيان.

- فقدان السيطرة الأمنية على المدن نتيجة النمو العمراني المفرط والغير المخطط أي إن ظاهرة التحضر في الجزائر والإشكاليات الناتجة عنها يمكن إرجاعها إلى سببين رئيسيين هما:

- الموجات المستمرة لتوافد من الأرياف نحو المراكز الحضرية بسبب الاكتظاظ وتناقص فرص الشغل وعدم تطوير وتهيئة الأرياف. وكمحاولة من ظاهرة التحضر الحتمية في الجزائر وضع الخبراء والباحثين المهتمين مجموعة من المحاولات والإستراتيجيات والبدائل التي يمكن اعتبارها وقاية لنمو الحضري المتوقع مستقبلا والتي نذكر منها:

- تحديد الطاقة الاستيعابية المتوقعة والممكنة لكل مدينة وفق محدداتها و إمكانياتها الطبيعية والإجتماعية والاقتصادية و ظاهرة المجتمعات الحضرية، التي بدأت تظهر في الجزائر (الجزائر العاصمة ،وهران) حيث تداخلت حدود بعض المراكز الحضرية ومجالاتها حتى أصبح من الصعب تعريف الحدود الوسطية لهذه المراكز بسبب تلاحم نسيجها العمراني ولذا يجب الاستفادة من تجارب البلدان التي سبقتنا في هذا المجال وذلك بتقسيم المجتمعات الحضرية إلى وحدات إدارية تتمتع بدرجة من الاستقلالية ولعل العدد المناسب لسكان الوحدة الحضرية الواحدة يتراوح ما بين 20- 40 ألف نسمة حتى تسهل عملية التسيير الوحدة .

- بناء هيكلة حضرية متزنة عبر مختلف جهات التراب الوطني مع عدم التركيز على العاصمة أو المدن المتر وبولية المدن الجهوية الكبرى، من أجل إيجاد نوع من التوازن بين أحجام التجمعات الحضرية من جهة ولتوجيه النمو العمراني نحو مراكز حضرية ثانوية بدلا من التركيز على المدن الكبرى.

- تهيئة إقليم المدينة لتخفيف من الضغط المركز على المدينة إداريا و اقتصاديا.

- تشجيع الهجرة العكسية من المدن إلى الأرياف وذلك عن طريق عدة إجراءات تحفيزية وهي كما يلي :

- تنمية المناطق الريفية والعمل على إن تتحول المراكز الريفية إلى مناطق جذب سكاني

- تطوير وسائل النقل والمرور بين المدينة ومناطق الخدمات والعمل من جهة والمستوطنات الريفية المجاورة من

[1]- بشير التيجاني ، **التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص 57.

جهة أخرى بحيث تصبح رحلة العمل اليومية أو قضاء الحاجة غير متعبة وليست طويلة زمنيا.

– وضع إستراتيجية محكمة لمقارنة المساوئ والانحرافات الإجتماعية والحد من انتشار في الأرياف وتحويل الأوساط الريفية المجاورة إلى أماكن لراحة والهدوء والرياضة ،بعيد عن الضوضاء والتلوث البيئي.

– ينبغي إن تصاحب التهيئة العمرانية في المراكز الحضرية تهيئة ريفية متوازنة بنفس المستوى أو أكثر نسبيا وفي هذا ظهرت نظريات واتجاهات عديدة نذكر من بينها (التنمية الريفية المتكاملة، الترويح الربيعي).

– إعادة النظر في العلاقة بين المدن والأرياف. علما بأن عزل الريف عن الحضر وحل مشكلات الريف لوحدها يعد أمرا مستحيلا لأن أي تجمع بشري تترابط أجزاؤه وتتفاعل فيما بينها بشكل دائم ومستمر.

5– مشاكل النمو الحضري :

تختلف المشاكل الناتجة عن النمو الحضري من مدينة لأخرى وذلك لاختلافها عن بعضها في الجوانب الآتية [1]:

– تباين حجم المدن وعدد سكانها.

– اختلاف وظائف المدن (تجارية، صناعية،سياسية،خدمية، دينية، عامة).

– أهمية المدينة ضمن الدولة أو الإقليم.

– تاريخ نشأة المدينة " قديم أو حديث".

– اختلاف المخططات الهندسية التي تعتمد عليها المدن في توسعها وتطورها.

– تنوع الظروف البيئية المحيطة بالمدن.

– تباين الخصائص التضاريسية لمواضع المدن وأثر ذلك على توسعها.

– الزيادة السكانية الناتجة عن الهجرة.

إن حجم وتوزيع وكثافة سكان المدن على اختلاف أنواعهم وشكل العلاقات المتداخلة بين الأفراد والجماعات، تحدد جميعها زيادة المشاكل الإجتماعية أو نقصانها. فعملية التحضر في أي مجتمع تصطحب معها تشكيلة واسعة من المشاكل الإجتماعية نوجز بعضها فيما يلي[2]:

أ– مشكلة عدم تماسك العائلة، ويمكن النظر إلى هذه المشكلة من ناحيتين، أولاهما عدم تماسك العائلة كوحدة، والثانية عدم تماسك العائلة والتحامها بالمجتمع المتحضر أو مجتمع المدينة.

[1] – الدليمي خلف حسين علي: **التخطيط الحضري أسس ومفاهيم**، الدار العلمية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 130.

[2] – القطب إسحاق يعقوب: **النمو والتخطيط الحضري في دول الخليج العربي**، وكالة المطبوعات،الكويت، 1980، ص28.

ب– الجريمة والجنحة والمخالفة. إن الجريمة تأتي من نمط السلوك والحالة العقلية، ومن العوامل التي تساهم في ارتكاب الجريمة والانحرافات الأخرى التي هي دونها في الخطورة:

– عدم التجانس أو التفاهم بين الوالدين.

– عدم اهتمام الوالدين بتربية أبنائهم ورعايتهم.

– عدم الرضا والارتياح النفسي الناجم عن عدم وضوح أهداف الفرد.

– الاختلال العقلي بسبب نقص في التركيب العضوي أو بسبب الضغوط الإجتماعية.

– الحاجات التي لا يمكن تحقيقها أو تلبيتها بالطرق السوية.

جـ– الدخل المحدود: مازالت الأجور المنخفضة تقلق راحة الأسر العربية في المدن، وكمثال على ذلك فإن العمال غير المهرة مازالوا يحصلون على أجور منخفضة بالنسبة لمستوى المعيشة.

وبالإضافة إلى ذلك فإن كثير من الناس يعملون في مهن لم يصدر بصددها أية قوانين تقرر الحد الأدنى للأجور.

كما إن المسنين والعجزة والمرضى يحصلون على دخول هي أقل من الحد الأدنى المطلوب لاحتياجاتهم وعيشتهم حياة كريمة تتطلبها المدن.

د– إن التوتر في جو الأسرة وهجر الزوج لزوجته أو طلاقها منه أو ترملها، كل هذا يسبب مشاكل للأسرة المتحضرة يضاف إلى ذلك عدم إمكانية الإشراف على الأولاد وتربيتهم، وارتباك ميزانية الأسرة بسبب ارتفاع مستوى المعيشة. وكذلك فإنه من الصعب المحافظة على أواصر القربى وتمتينها، وفي الغالب تعيش الأسرة في المدينة بجوار أسر أخرى غريبة عنها وهذا مما يسبب أحيانا انعزال الأسرة وانطوائها على نفسها. ومن أهم المشاكل الناجمة عن النمو السكاني السريع :السكن، عدم توفير التسهيلات، الخدمات الثقافية، التشريعات الإجتماعية[1].

وفي النهاية يمكن القول إن التحضر السريع أفرز العديد من المشاكل في الإسكان والمواصلات وازداد تلوث البيئة والجريمة والفقر .ولعل أفضل الحلول لمثل هذه المشاكل في المدن العربية زيادة الفرص الاقتصادية في الريف بصفة عامة وذلك بالتنمية والتخطيط الشامل وليس بمعالجة مشاكل المدن بمعزل عن مشاكل الإقليم والقطر ككل .كما ويجب ابتكار مصادر أخرى للتمويل بخلاف الضرائب التي أصبحت الآن هي الأساس لتمويل خدمات المدن العربية وخاصة في الدول العربية غير النفطية، مما قد يؤدي إلى المزيد من سوء توزيع الدخل بدلا

[1] – القطب إسحاق يعقوب: نفس المرجع، ص 30.

من تحسينه، كما يجب زيادة إيرادات رسوم الاستخدام والتوسع فيها باعتبارها الأقرب لطرق التمويل الإسلامية كما أنها أكثر عدالة من الضرائب.

ومن المشاكل الأكثر إلحاحا في أغلب المدن العربية هي مشاكل الإسكان وما تفرزه من السكن العشوائي وانخفاض نوعية الحياة في المدينة ومشكلة تلوث البيئة وما تفرزه من الأمراض وتدهور الصحة العام ومشكلة المواصلات وما تفرزه من الازدحام وضياع ساعات العمل والراحة.

خلاصة :

قمنا فيما سبق بعرض ماهية التحضر والمداخل النظرية للتحضر بالإضافة إلى معايير ومقاييس التحضر حيث تطرقنا إلى مفاهيم التحضر بصفته عملية إجتماعية سكانية أو باعتباره عملية تواصل بين الريف والحضر، أو باعتباره عملية تحضر تكون داخل المدينة من خلال شيوع مظاهر للحياة الحضرية التي تتسم بالتقدم والتطور، وكمنا قد تطرقنا إلى هذا في عناصر محددة من بينها التحضر في الجزائر حيث أننا نقصد بالتحضر هو تلك العملية التي تكون داخل المدن والتي افترضنا إنها تقضي على العلاقات الإجتماعية التقليدية وكذا العصبية القبلية داخل المجال العمراني والإجتماعي والثقافي للمدينة حيث إن مدينة الأغواط مدينة لم يكتمل تأسيسها ولا يمكن إن نقول عنها أنها مدينة متحضرة وخاصة من الجانب الإجتماعي والثقافي، وهذا ما سنثير الحديث فيه في الفصل الموالي.

الفصل الخامس

واقع العمران الحضري بين الستاتيكا والديناميكا

1. إشكالية البنى السوسيولوجية للمدينة في ضوء التغير التاريخي للعمران الجغرافي:

تعتبر سوسيولوجيا المدينة عبارة عن تنظيم اجتماعي يتكون من مجموعة من النظم والأنساق الإجتماعية ضمن حدود إيكولوجي منظّم، وهذا ما تشير إليه العناصر الحضرية المحّددة، المنتقاة من الأبعاد الإجتماعية لمختلف التنظيمات الإجتماعية.

"إن التعريف السوسيولوجي للمدينة لابد أن يسعى لانتقاء الأبعاد الإجتماعية المحددة لعناصر الحضرية، لدى مختلف التنظيمات الإجتماعية والمجتمعات المحلية، لذلك تؤكد الكثير من الأدبيات الحضرية أن المقاربة السوسيولوجية للمفهوم تشير في اغلب الأحيان على أنها اجتماعي يتكون من مجموعة من النظم والأنساق الإجتماعية داخل تنظيم إيكولوجي معين.

يرى "مصطفى الخشاب" أن المدينة من الناحية السوسيولوجية البحتة عبارة عن فكرة مجردة لكن العناصر التي تتكون منها مثل الإقامة، البناءات الداخلية ووسائل المواصلات، عبارة عن موجودات لها طابع مختلف مما يجعل المدينة شيئا محددا، هو ذلك التكامل الوظيفي في عناصرها المختلفة على هيئة وحدة كلية.

وفي نفس السياق يرى "أحمد كمال وكرم حبيب" 'المدينة كظاهرة إجتماعية يعمل أغلب سكانها في مهن غير زراعية تنعكس آثارها في شؤون حياتهم، فتتنوع مهنهم وتتعدد مراكزهم الإجتماعية والاقتصادية وتتباين تبعا لذلك علاقاتهم وأنظمتهم وأنماط اتصالاتهم ووسائل معيشتهم'.

ويعرفها "السيد عبد العاطي السيد" على أن المدينة كنظام اجتماعي هي في حالة ديناميكية وحركية مستمرة،فالعلاقات بين عناصرها ومكوناتها،وعلاقاتها بالأنظمة الشامل هي على نحو دائم عرضة للتغير'.

وبالاستناد إلى ماسبق يبدو جليا أن جزم الباحثين بأن المدينة ظاهرة اجتماعية، يرجع إلى طبيعة ارتباط المدينة بالتنظيم الإجتماعي الوظيفي- المتعدد الذي يأخذ أشكالا مختلفة من الأنماط المعيشية، تتراوح بين الأنماط التقليدية والمعاصرة وتتجلى أساسيا في طبيعة ممارسة وتوزيع الأفراد ونشاطاتهم الحياتية على امتداد المكان الذي يشغلونه.

فلا يمكن أن نجرد المدينة من مفهومها السوسيولوجي ولا من عناصرها الإجتماعية، لأنّها في الحقيقة هي امتداد للحياة الإجتماعية في مختلفة مظاهرها سواء الديموغرافية أو الجغرافية أو الاقتصادية أو السياسية ...إلخ. كما أنها تعد بمثابة المرجعية الأساسية- العلمية و العملية — في بناء التصورات النظرية والإمبريقية للباحث

السوسيولوجي، فلا يمكن أن تتخيل مدينة بدون جماعات أو علاقات أو تنظيمات فهي أساسا تشكل أنساق إجتماعية مختلفة والتي تكون بدورها شبكة من العلاقات الإجتماعية اللامتناهية"[1] .

يرى كثير من الباحثين أن المدينة هي ظاهرة إجتماعية مرتبطة بالتنظيم الوظيفي الإجتماعي المختلف الأنماط سواء كانت التقليدية منها أو المعاصرة. وتكمن في نشاطات الأفراد وطبيعة ممارستها ضمن حدود مكانية معينة، وهذا ما يشير إليه كل من "أحمد كمال وكرم حبيب"،كما يعرّفها "السّيد عبد العاطي السّيد" على أنها نظام إجتماعي في حالة ديناميكية مستمرة، بحيث أن علاقات عناصرها ومكوناتها، بالإضافة إلى علاقاتها بالأنظمة الأشمل هي دائما متغيرة.

إذن فمفهوم المدينة سوسيولوجيا وعناصرها هي إمتداد للحياة الإجتماعية في مختلف مظاهرها تكوّن بدورها شبكة من العلاقات الإجتماعية اللامتناهية.

ترى معظم الروايات أن أصل المدن تاريخيا كان لأغراض عسكرية (حربية)، وهذا لم يكن اعتباطيا، وإنما كان ذلك من اكتشاف المعادن واستعمال الأسلحة التي أعطت بدورها السلطة المطلقة لأصحابها على حساب فلاحي العصر الحجري الحديث وإخضاعهم كعبيد، حيث أنهم أقاموا مدناً على نقط وعرة ليجعلوا تجمع الفلاحين حول أقدام الكل.

"يرجع البعض أن أصل المدن تاريخيا هو الوظيفة الحربية،وأن أول مدينة في التاريخ كانت مدينة عسكرية،وذلك في عصر المعادن، لا صدفة ولكن لسبب جوهري. فاكتشاف المعادن واستعمال الأسلحة المعدنية أعطى أصحابها فجأة الغلبة المطلقة على فلاحي العصر الحجري الحديث الذين كانت كل أسلحتهم حجرية.وحيثما حل أصحاب الأسلحة المعدنية حلوا كغزاة سادة- أنصاف آلهة - وأخضعوا الفلاحين كعبيد serfs.

ولكي يضمنوا سيطرتهم اتخذوا مساكنهم في نقطة منيعة كجزيرة أو تل خاصة، بينما تجمع الفلاحون حول أقدام التل. ويؤيد أصحاب هذه النظرية رأيهم بأن معظم الروايات القديمة تشير إلى غزاة أجانب أسسوا مدنا. ولأن معظم المدن القديمة تقوم على نقط وعرة، سواء في مصر القديمة أو سومر أو اليونان أو روما أو الصين.

ومهما كان الأصل، فقد عرفت معظم المدن في كل العصور الحاجة إلى الدفاع والحماية من أخطار الغزوات القبلية أو الأسرية أو الإقليمية. فلجأت إلى التحصن بالمتاريس أو الأسوار المحيطة، ومن هنا كان السور أو

[1]- هادفي سمية، **سوسيولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الإجتماعي الحضري**، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، سكيكدة، العدد17، ديسمبر 2014، ص 274.

الحائط enceinte- town – wall، هذا القميص الحجري كما يعبر سور، وبواباته، ظاهرة مشتركة بين أغلب المدن في الماضي، بل وحتى وقت قريب. بل إن بعض الكلمات الحديثة مثل: town في الانجليزية ،gorod في الروسية تعني أصلا نطاقا محصنا، بينما أن كلمة بوليفار boulevard هي تحريف لكلمة bulwark أي السور، إذا تحولت معظم أسوار المدينة بعد إزالتها حديثا إلى شوارع فسيحة كبرى. كذلك تلجأ كل المدن الحديثة إلى توفير وسائل الأمن والدفاع ضد أخطار الغارات الجوية.

ولكن الوظيفة الحربية في هذا كله ليست إلا وظيفة لاحقة كوسيلة تؤمن حياة المدينة في وظيفتها أو وظائفها الأولية، ولا يكفي هذا لأن يجعل منها مدنا حربية. فالمدن الحربية هي تلك التي قامت أساسا لغرض حربي بحت،بحيث تمثل الوظيفة الحربية فيها الأساس الأولي. وعلى العموم فان الوظيفة الحربية،سواء أولية أو ثانوية، توجد غالبا في أصول كثير من المدن، فلقد تجمع السكان وتقاربوا منذ البداية ليحسنوا الدفاع عن أنفسهم، أي أن الدفاع يحتاج- ويدعو- إلى التجمع المدني ويرى "لويس ممفورد" أن المدن لا تفهم تاريخيا إلا كأماكن للحماية،وأن عامل المنعة والعزلة inaccessibility، لا الاتصال والحركة accessebility هو الأساس فيها، هذا وتنقسم المدن الحربية إلى نوعين، برية وبحرية"[1] .

لقد كان أساس المدن قائم على وضع أسوار محيطة (town أو walls)، حتى أن أصل كلمة boulevard تحريف لكلمة bulwark أي السور)، وذلك لما كانت عليه الضرورة الملحة إلى الدفاع والحماية من أخطار الحروب والغزو، بحيث أنها لم تقوم هذه المدن لغرض حربي صرف، وإنما كانت الوظيفة الحربية تمثل العمود الفقري في قيام المدينة، فأصل التجمع المدني مستند إلى الدفاع عن الذات، وهذا ما أشار إليه "لويس ممفورد": بأن المدن لا تفهم تاريخيا إلاّ كأماكن للحماية، وأن عامل المنعة والعزلة و الاتصال والحركة هو الأساس فيها.

يعود تزايد سكان المدينة أساسا على النزوح الريفي من الريف إلى المدينة، والنمو الطبيعي لفئة الشباب الطامح للعمل والتعليم والتكوين في مختلف المدارس، حيث أن المدينة الكبيرة في العالم العربي تهيمن على باقي المدن في كل بلاد وذلك راجع لعدد سكانها ومركزيتها واستحواذها للخدمات الإنسانية فأحدث خللا في الأنساق الإجتماعية والمجتمع ككل.

"إن تزايد سكان المدن يعود بالدرجة الأولى إلى الهجرة والنزوح من الريف والبادية بالإضافة إلى النمو الطبيعي، وخاصة من قبل فئة الأعمار الشابة التي تسعى للعمل والتعليم في المدارس والجامعات وللحصول على وظائف في القطاعات العامة والخاصة.

تتميز سمات المدن في غالبية البلدان العربية بهيمنة مدينة واحدة أو المدن الكبرى (primatecities) (بغداد، القاهرة، بيروت، عمان، تونس، مدينة الجزائر، الخرطوم، صنعاء). إن تفوق المدينة الواحدة ضمن البلد الواحد لا يعود فقط لعدد سكانها بل لمركزيتها واحتكارها للخدمات الإنسانية المتقدمة. لذلك يحدث هذا التفوق

[1] - جمال حمدان، **جغرافية المدن**، عالم الكتب، الطبعة 1، القاهرة، ص 22- 23.

المتعدد الجوانب خللا في الحياة الإجتماعية والسياسية والاقتصادية والتنموية والثقافية في المجتمع ككل. ويحدث أن نطغى مدينتان على بقية المدن والريف. هناك في مصر القاهرة والإسكندرية، وفي سوريا دمشق وحلب، وفي لبنان بيروت وطرابلس، وفي العراق بغداد والبصرة، وفي السعودية الرياض وجدة، وفي لبيا طرابلس وبنغازي. وكذلك هناك ظاهرة البلد المدينة الواحدة كما في الكويت.

– تتصف بعض المدن العربية، وبخاصة في المغرب، بوجود ازدواجية المدينة القديمة (أي القصبة) والمدينة الجديدة،كما في مدينة الجزائر والرباط وتونس وغيرها من مدن المغرب الكبير. ومما يزيد من حدة هذه الازدواجية وأهميتها الاختلاف الكبير بين المدينتين في شتى جوانب الحياة، تتصف المدينة القديمة بطابعها التقليدي في هندسة المنازل وتلاصقها وأزقتها الضيقة الملتوية المتشعبة، ومنازلها السكنية المسوّرة، وأزيائها الشعبية، وازدحامها، وفقرها النسبي، وتشابك الأسواق التجارية ومجلات الحرف اليدوية والمقاهي والمطاعم الشعبية. وعلى العكس من ذلك، تتصف المدن الجديدة بطابع أوروبي، وبعمارتها الحديثة المرتفعة والمكونة من طوابق وشقق أو من فيلات سكنية، وبأزيائها الأوروبية، ومتاجرها الكبيرة التي كثير ما تتعامل بالبضائع الاستهلاكية المستوردة، ورفعة مستواها المعيشي على مختلف الأصعدة.

– ثم هناك ظاهرة نشوء مدن "الأكواخ" و "الصفيح" و "أحزمة الفقر" و " المخيمات" التي يقطنها على الأغلب النازحون من الطبقات المحرومة والعمال البدويون غير المهرة. ومن المعروف مثلاً أن بيروت أحيطت منذ منتصف القرن وبشكل متزايد بحزام من الفقر شكل مسرحاً للحرب الأهلية(1975–1990) التي ما تزال آثارها تعرقل نمو المدينة ومحاولة التغلب على أزمات متفاقمة. كذلك يشار كثيراً إلى مدينة الأموات في القاهرة وإمبابة وشبرا وحلوان وغيرها من الأحياء المدقعة بالفقر والحرمان، والتي تعاني غياب مختلف التسهيلات والخدمات الإجتماعية بما فيها حتى الماء والكهرباء.كذلك أنشئت في ضاحية من بغداد "مدينة الثورة" لإستعاب النازحين الجدد من الريف. وقامت في أطراف مدينة تونس مدن وأحياء فقيرة عدة من هذا النوع،مثل جبل الأحمر والسيدة المنوبية وبرج علي الريس وسيدي فتح الله.

– هناك أيضا ظاهرة تأثير النفط وثرواته الكبرى في توسع المدن وتحولها ليس في البلدان المنتجة للنفط فحسب،بل في عدد كبير آخر من المدن العربية التي استفادت منها بطرق مباشرة وغير مباشرة. ومن أجل الاطلاع على التحولات الإجتماعية، يكون من المفيد جداً قراءة رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، وسنتعرض إلى ذلك لاحقا في أكثر من مجال، ومن ضمن ذلك طبيعي المواجهة بين الحضارة والبداوة نتيجة لاكتشاف النفط.

– هناك أخيراً أزمات قد تقل أهمية مثل كثافة السكان (معدل كثافة السكان في القاهرة بلغ حوالي 13 ألف شخص في الميل المربع الواحد عامة، و وصل في بعض أحيائها إلى ستين ألفاً وهو في تزايد)، واحتكار التسهيلات في الخدمات الإجتماعية الأساسية من جامعات ومدارس ومستشفيات وأطباء ووسائل الاتصال

(في كطلع الثمانينات،كان يقطن 65 بالمائة من أطباء العراق في بغداد، هذا بصرف النظر عن نوعية العناية الطبية التي تتفاوت كثيراً من مدينة إلى أخرى وبين الأحياء وبين المدينة والريف، والريف القريب من المدينة والبعيد عنها)، واستهلاك الغالبية الكبرى من الدخل القومي والطاقة. وللتعمق في دراسة طبيعة نمط المعيشة المتميز في المدينة، نتناول في ما يلي واقع التنظيم الإجتماعي ومن ثم نوعية القيم الإجتماعية السائدة"[1] .

تتسم المدن الكبرى بالازدواجية من خلال المدينة القديمة الذي يزكيها الطابع التقليدي من تلاصق منازلها وأزقتها الضيقة الملتوية وازدحامها وفقرها النسبي وأسواقها الشعبية عكس المدينة الجديدة التي تميز ببناء العمارات المرتفعة المتكونة من الطوابق والشقق، الفيلات، الأزياء العصرية والبضائع الاستهلاكية المستوردة بالإضافة إلى الرقعة في المستوى المعيشي.

أيضا نلاحظ ظهور المدن والأكواخ: الصفيح، أحزمة الفقر، المخيمات، يقطنها النازحون والمحرومون وأصحاب المهن اليدوية، حيث تعاني الفقر، غياب التسهيلات والخدمات الإجتماعية مثل الماء والكهرباء كذلك تأثير النفط وثرواته في توسّع المدن لعوامل عديدة.

إن المدينة بوصفها نظام ايكولوجي يتغير باستمرار، حيث يشير كل من "بارك" و"برجس" أن المنافسة والتكافل حول المواد النادرة تحكم تنظيمها الإجتماعي، والمنافسة بدورها تختلف عبر الزمن وترتبط بالتغيرات في الظروف البيئية المختلفة.

" ينظر "بارك و وبارجس" وأتباعهما إلى المدينة باعتبارها نظاما ايكولوجي يتغير باستمرار، ويحكم تنظيمها الإجتماعي عمليات المنافسة والتكافل، وفيها يتعلم الأفراد كيف يتنافسون (حول الموارد النادرة) فرادى وجماعات، وتختلف الطبيعة الحقيقية في العلاقات التنافسية عبر الزمن وترتبط بالتغيرات في الظروف البيئية.

وفي دراستهم لهذا النظام الايكولوجي، يبدأ زعماء مدرسة شيكاغو بتوضيح قضية أساسية هي أن الايكولوجيا البشرية فرع من الايكولوجيا، لكن موضوعها (الإنسان) يثير جملة من الصعوبات الخاصة فعلى خلاف الكائنات الحية الأخرى يتمتع الكائن البشري بالإرادة والقدرة على خلق الثقافة والتصرف في المواقف المختلفة. ولقد رتب رواد هذه المدرسة على ذلك قضية أخرى مؤداها أن الايكولوجيا البشرية لا تقتصر على العلاقات البيولوجية، لكنها تتسع لتشمل أيضا الحالات والمواقف التي تخلقها الثقافة والفعل البشري المعتمد. وهذا ما يجعل موضوع الايكولوجيا البشرية أكثر تعقيدا من موضوع الايكولوجيا الحيوية.

ولكي يحقق هؤلاء العلماء أهدافهم نظروا إلى الكائنات البشرية مثلها مثل بقية الأشياء الأخرى على أنها تعيش في نطاق محدد أطلقوا عليه المجتمع المحلي وركزوا في دراستهم لهذا المجتمع على قضايا التكافل والتنافس والتعاون المنظم على المستوى المجتمعي.

[1] - حليم بركات، **المجتمع العربي في القرن العشرين**، مرجع سابق، ص 245.

ويعد بارك من أبرز المؤسسين لمدرسة شيكاغو قد قدم إسهاما في المدينة وأكد في هذا المجال عددا من القضايا الهامة التي نجملها على النحو التالي:

1. المدينة مكان طبيعي لإقامة الإنسان المتحضر.
2. المدينة منطقة ثقافية.
3. المدينة بناء طبيعي يخضع لقوانين خاصة من الصعب تجاوزها.
4. المدينة بناء متكامل: ما يصدق عليها ينسحب على كل قسم من أقسامها الفرعية.

ولقد خلص بارك إلى القول أن الإيكولوجيا تهدف للكشف عن الأنماط المنتظمة في المكان للعلاقات الإجتماعية. وإلى جانب هذا،أعار بارك اهتماما كبيرا لصياغة نظرية سوسيولوجية لمعالجة المجتمع الحضري. ولتحقيق هذا المسعى حلل بارك تحليلا معمقا كل القضايا المتعلقة بالتنظيم الإجتماعي وقسمه إلى قسمين: أحدهما حيوي وآخر ثقافي.

(الشكل1): التنظيم الإجتماعي

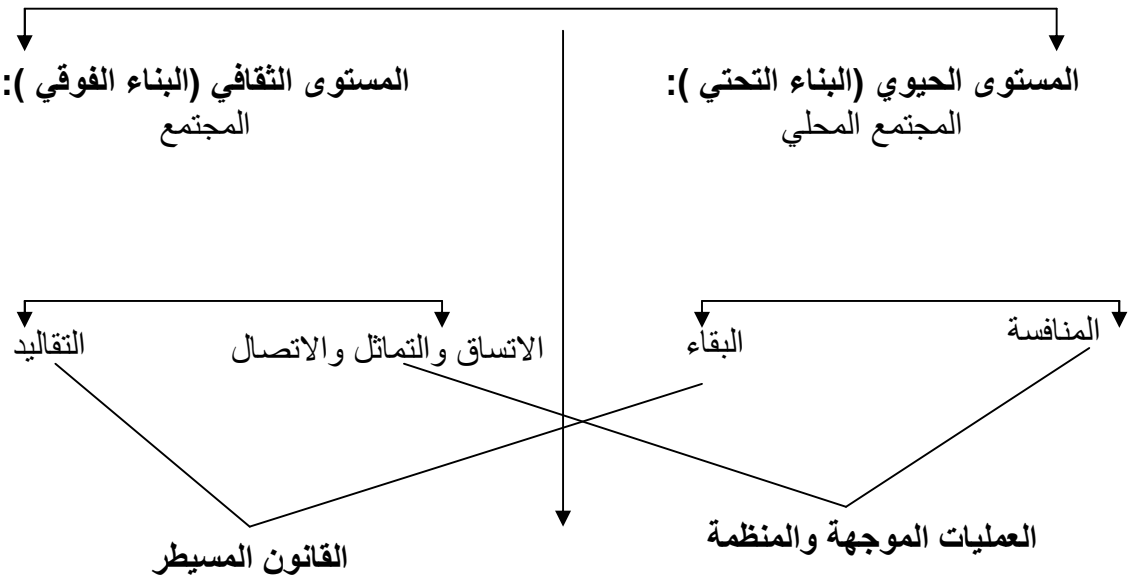

موضوع الإيكولوجيا :-المتسوى الحيوي: دراسة مظاهر التركيب المادي والحيوي للبيئة الحضرية وتحليل التوزيع المكاني والزماني للأشخاص والجماعات

وفي هذا الصدد أضاف "آموس هاولي" بُعداً جديدا لتعريف المجتمع المحلي (البعد المكاني + البعد الزماني= التفاعل اليومي) وعرف الايكولوجيا البشرية على أنها ذلك العلم الذي يدرس المجتمع وتنظيماته. وقد لا يتسع المقام لعرض المزيد من جوانب التراث السوسيولوجي الذي طرحه رواد النظرية الايكولوجية الكلاسيكية حول

مفهوم الايكولوجيا، إلا أن بارك وأتباعه نظروا إلى المدينة باعتبارها ظاهرة طبيعية– متغيرة؛ الأمر الذي دفعهم إلى تحليل أسباب ونتائج التغير في استخدام المكان الحضري ودراسة الحراك المجالي.

وترتبط هذه النقطة باهتمام آخر أولاه الايكولوجيين (وفي مقدمتهم ماكينزي) عنايتهم يتمثل في دراسة العمليات الايكولوجية التي تشكل التوزيع السكاني و الأنشطة"[1] .

يقدم "بارك" إسهاما كبيراً في المدينة حيث يؤكد أن المدينة هي مكان طبيعي لإقامة الإنسان المتحضّر، وهي منطقة ثقافية و بناء متكامل وطبيعي يخضع لقوانين خاصة.

لقد صاغ بارك نظرية سوسيولوجية وقدم تحليلا معمقا للقضايا المتعلقة بالتنظيم الإجتماعي، حيث المستوى الحيوي (البناء التحتي للمجتمع المحلي) الذي يتضمن البقاء والمنافسة، والمستوى الثقافي (البناء الفوقي للمجتمع ككل) والذي يتضمن عنصر الاتساق والتماثل والاتصال وعنصر التقليد،حيث ربط العمليات الموجّهة والمنظمة بالمنافسة والاتساق، والتماثل والاتصال، في حين ربط القانون المسيطر بعنصري البقاء وعنصر التقاليد، وفي نفس السياق أضاف آموس هاولي بعدا جديدا لتعريف المجتمع المحلي (البعد المكاني +الزماني = التفاعل اليومي) وعرف الإيكولوجيا البشرية بأنها علم يدرس المجتمع وتنظيماته.

تنفرد المدن بمشكلات معينة وتتشابه في أغلبها وذلك حسب اختلاف مسبباتها وأحجامها ونتائجها،حيث أدى نمو الحجم السكاني والامتداد المساحي إلى مضاعفة هذه المشكلات وظهور مشكلات جديدة تماشيا مع منحنى النمو الحضري في عصرنا الحديث والعولمة وانتشار تكنولوجيا وسائل الاتصال.

" لكل مدينة مشكلاتها الخاصة بها،وقد تنفرد بعض المدن بمشكلة معينة، بينما تتشابه في أغلب الأحيان في مشكلاتها وإن اختلفت مسبباتها وأحجامها ونتائجها،وقد أدى النمو المتزايد للمدن في العصر الحديث سواء من حيث الحجم أو الامتداد المساحي إلى مضاعفة المشكلات التي تعاني منها المدن، وإلى ظهور مشكلات جديدة غيرها تماشيا مع منحى النمو الحضري.

ومن أبرز المشكلات التي تعيشها المدن في عصرنا الحديث نجد نقص كميات المياه وخاصة المياه الصالحة للشرب، توفير الغداء اللازم كما وكيفا حسب احتياجات السكان، مشكلات الامتدادات الحضرية، وطول مدة زمن رحلة العمل اليومية وتعقيدها خاصة في ساعات الذروة بين أطراف وهوامش المدنية إلى المناطق المركزية فيها بسبب الاتساع المفرط في مساحتها والامتدادات الهامشية المتزايدة لها، و ما ينجم عن ذلك من تقد الحركة في المدن الكبرى.

كما أن حجم وتوزيع وكثافة المدن على اختلاف أنواعهم وشكل العلاقات المتداخلة بين الأفراد والجماعات، تؤدي جميعها دورا بارزاً في نوع المشكلات الحضرية، فالتمدن في أي مجتمع يصحب معه تشكيلة متنوعة من المشكلات.

[1] - اسماعيل قيرة، **علم الإجتماع الحضري ونظرياته**، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، بدون طبعة، قسنطينة، 2004، ص 53.

ومن هذه المشكلات أيضا التقلص الواضح في مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الجيدة الصالحة للإنتاج بسبب اكتساح العمران وحركة البناء في هوامش المدن،ومنها انتشار المناطق القديمة والأحياء الفقيرة في بعض أجزاء المدينة خاصة في المنطقة الوسطى منها، إلى جانب تلوث بيئة المدن بسبب التكدس البشري الناتج عن التركز الحضري الزائد في وسط المدينة وما يصاحبه من كثرة المصانع وكثرة عدد السيارات التي تنفث الغازات السامة أو صعوبة التخلص من الفضلات والقاذورات خاصة البقايا الصلبة، وتنتج معظم هذه المشكلات من ضعف السلطات المحلية وعجزها عن القيام بالإشراف الكامل والتسيير المحكم للمدن.

وينبغي أيضا إدراك أن نوع ومستوى المشكلات يختلف باختلاف شكل ونمط النمو الحضري بايجابياته وسلبياته التي تطبع المدينة أو المنطقة.

وفي مايلي عرض لبعض تلك المشكلات حسب أهميتها:

أ- مشكلة الإسكان وتوفير المأوى: إن النمو الحضري المتسارع التي تعيشه مختلف المدن والذي ساهم بشكل أو بآخر في خلق مشكل الهجرة والتوافد إلى المدن وحوافها بأعداد ضخمة، مما أدى إلى عجز السلطات عن احتواء كل المقيمين والوافدين بتوفير المأوى كما وكيفا وبالتالي عاشت أو عايشت مختلف البيئات الحضرية مشكل السكن والإسكان على مختلف مراحل نموها مهما كانت درجة تقدمها ونموها،فمن المدن من حاولت جاهدة بتوفير الأموال والمخططات كإنشاء المدن الجديدة والتوسعات المدروسة وغيرها لاحتواء الوضع ومنها من وقفت مكتوفة الأيدي بلا حول ولا قوة في مواجهة الظاهرة، الأمر الذي ساهم في تفاقم المشكلة حيث انتشرت الأحياء العشوائية ومدن الصفيح في أطراف المدن،وقد ترتب على غياب التخطيط لمواكبة هذا النمو ضعف الإمكانات وعدم توفير التمويل اللازم من أجل تغطية الطلب على السكن.

ب- مشكلة النقل الازدحام والمواصلات: لا يكاد يغفل أحد عن دور وأهمية النقل في خلق ونمو وتطور العديد من المدن إذ أن ظهور العديد من المدن كان على محاور النقل الرئيسية وكلما توفرت شبكة نقل و مواصلات جيدة كلما زاد في تطور المراكز.

كما إن شبكة المواصلات في المدينة تمثل إحدى المشكلات الحساسة وحتى تؤدي المدينة وظيفتها لابد من توفر شبكة نقل جيدة وسهلة الاتصال بالداخل والخارج، وتشهد كافة المدن حركة مرورية متزايدة نظراً للنمو الاقتصادي والحضري حيث تزايد عدد السيارات وزيادة كبيرة وخصوصاً السيارات الخاصة وسيارات الأجرة بالإضافة إلى النقل العام وآليات الخدمات والمرافق وجميعها يمثل مصدراً كبيراً لتلوث بيئة المدينة، ومما يزيد الحالة سوءاً ضيق الشوارع وبالتالي إزدحامها مما يؤدي إلى اختناقات مرورية ويضاف إلى ذلك قدم السيارات والآليات في كثير من المدن والعواقب البيئية الوخيمة التي تسبب فيها لا تعد ولا تحصى،وتحضى شبكات النقل الحضري بالمزيد من الاهتمام نظراً لتزايد السكان في المدن وتزايد حركة نقل البضائع، وهذا النمو المستمر لحركة النقل وتطورها ساهم في تفاقم مشكل نقص المرافق وازدحام الطرق، وهناك حاجة للتخطيط المحكم ولمزيد من

الإجراءات لتحسين الطرق وتنظيم حركة المرور وتمديد شبكات الخدمات إلى أطراف المدن للحد من تردد سكان الأطراف على قلب المدينة واعتمادهم الدائم على خدماتها وقد خضت هذه المشكلة باهتمام مخططي المدن للتخطيط للمرور وحل مشكلاته، وقد نجمت مشكلة المرور أساسيا نتيجة تزايد عدد السيارات لذا لجأت الكثير من المدن إلى إيجاد حلول لمشكلة النقل بالسيارات سواء بتغيير ساعات العمل وتبادل العاملين لفترات معينة وإتباع قواعد مرور دقيقة وتحديد أماكن إيواء السيارات وحظائرها.

ج- مشكلة المياه: وتعد مشكل رئيسي تعاني منه المدن بصفة عامة وذلك مرتبطة بالنقص في المياه العذبة على المستوى العالمي، إذ نسبتها لا تزيد عن 2% فقط من إجمالي الموارد العالمية من المياه والباقي هي مياه البحار والمحيطات، إذ تذكر كثير من الدراسات أن معدلات التزايد في استهلاك المياه في المدن،سواء لاستهلاك السكان أو الصناعة تفوق معدلات النمو السكاني في تلك المدن بنسبة كبيرة ويبدوا ذلك بوضوح،في الكثير من المدن الصناعية في غرب أوروبا مثل إنجلترا، ألمانيا، التي تواجه مشكلة تلوث المياه بسبب مخلفات الصناعة.

د- مشكلة الخدمات والمرافق العامة: وتعتبر من أخطر المشكلات التي تواجه المدن العامة والدول الفقيرة خاصة فتزويد مدينة كبيرة بالمياه الكافية لاحتياجاتها يتطلب إحضارها من مسافات بعيدة بتكاليف مرتفعة جدا، وإنشاء شبكة كافية لتصريف مياه المجاري يعني نقل كميات كبيرة منها إلى أماكن بعيدة مكشوفة خالية ويتطلب رأسمال كبير وأعمال هندسية ضخمة وأيدي عاملة مدربة يصعب على السلطات المحلية توفيرها في أغلب الأحيان،كما أن خدمات النقل العام وإنشاء الطرقات يجب النظر إليها كوحدة واحدة داخل المدن الكبرى وهو أمر يتطلب وسائل تكنولوجية حديثة لتنفيذها بحيث تتم حركة السفر والانتقال داخل المدينة وإقليمها بصورة تسهل المرور بين مركز المدينة وأطرافها،ناهيك هن التجهيزات التعليمية، مرافق الصحة والاستشفاء، والخدمات الإدارية وغيرها.

هـ- مشكلة ضواحي الأكواخ: (نتيجة للنمو غير المخطط) تعتبر ضواحي الأكواخ وأحياء القصدير والصفيح من أبرز المشكلات التي تعاني منها مختلف مدن العالم، وأن لكل مدينة نمطاً معيناً وأسلوباً منفردا ساهم بشكل أو بآخر في تكوين أحيائها العشوائية، غير أن الطريقة الأغلب شيوعا هي(الغزو المفاجئ) وهي عبارة عن مستوطنات عفوية غير مخططة ويشار إليها بأسماء مختلفة عديدة مثل الباريداس أو الهوامش أو الأطراف والفافيلا، والبوستيس كما تعرف باسم الجوكندو في تركيا وهي تعبر عن أوضاعها غير النظامية وباسم مستوطنات وضع اليد المغتصبة في انجلترا ويغرفها " لارنر" بمدن الصفيح المعلبة التي تبتلى بها كل المراكز المتروبوليتانية في كل الدول النامية بدءا من القاهرة حتى أقصى مدن الشرق وتعرف باسم (الصرايف) في العراق وباسم (أحياء القصدير) في المغرب العربي وباسم (العشش) في مصر، وباسم(الصناديق) في شبه الجزيرة العربية (العلوم الحضرية).

ولهذه الضواحي وظيفة واحدة في أية مدينة توجد فيها، هي إيواء المهمشين وفقراء المجتمع ومعظم القادمين الجدد الذين لا يمتلكون إلا موارد ضئيلة وليس لهم مكان آخر يذهبون إليه ويقدر عدد من تضمهم هذه الضواحي بأكثر من ثلث إجمالي سكان المدن التي توجد فيها، وتبني الأكواخ القصديرية بطريقة عشوائية من مواد بناء فقيرة، وتقوم على أرض مغتصبة لا سند لملكيتها مما يجعلها غير قادرة على المطالبة بمد الخدمات الحضرية الإجتماعية الأساسية إليها كالمياه والمجاري، وهي تفتقر إلى الشوارع والأمن، وإن كانت الكهرباء هي المرفق الوحيد الموجود فيها بصورة أكثر انتشارا وذلك لسهولة مد أسلاكها من ضاحية إلى أخرى.

وفي هذه الضواحي تزداد المشكلات الصحية بسبب التزاحم الشديد، انعدام شبكات الصرف الصحي وانتشار الفضلات، وتدهور الأوضاع الإجتماعية والأخلاقية بسبب شدة البؤس والتذمر وهجرة العاطلين من الريف هربا من بؤس مؤكد إلى غني غير مؤكد.

و- مشكلة البطالة الحضرية: وهو مرض اجتماعي ينتشر في كل المدن الكبرى، والملاحظ هو احتراف عدد من الوافدين للحرف الطفيلية كالباعة الجائلين والأنشطة غير الرسمية واليد العاملة الرخيصة غير المؤمنة، بينما تتحول الأغلبية إلى عاطلين عن العمل.

ويراها باحث آخر أنها نتاج لعدم مواكبة الديناميكية الاقتصادية والتنظيمية للمدن الديناميكية الديموغرافية والإجتماعية، من أجل إشباع احتياجات السكان من فرص العمل لضمان دخل اقتصادي قار، الأمر الذي نتج عنه انتشار ظاهرة البطالة الحضرية.

ي- مشكلة الامتداد الحضري: لقد ساعدت وسائل النقل الحديثة خاصة السيارات على إتساع المدن وامتدادها على حساب الأراضي الزراعية الجيدة، ففي أوروبا مثلا: تزايد نسبة سكان الحضر بحوالي مرتين ونصف بين سنتي 1940 و 1950 وبحوالي خمس مرات بين 1950 و 1960، وفي اليابان تقدر المساحة التي تشغلها المدن في الوقت الحاضر حوالي خمس الأراضي الزراعية، وذلك لأن العمران يتجه إلى الأرض المنبسطة أو المنحدرة انحدار بسيطا ولقد لجأت بعض الدول في محاولة لوقف الامتداد الحضري إلى إنشاء مدن جديدة في الأراضي غير زراعية أو قليلة الإنتاج،كما اتجهت إلى التخطيط إلى ما يعرف بالحزام الأخضر حول المدن الكبرى، ولعل المملكة المتحدة خير مثال على ذلك كمل بيناه في فصل سابق.

ح- مشكلة طول رحلة العمل اليومية: تعد مشكلة الرحلة اليومية بين المركز ومناطق الامتداد الحضري والتي تطول على قدر توسع المدينة وامتدادها من المشاكل الرئيسية التي تواجه سكان المدن، وقد ساعد تزايد خدمات النقل بين المدينة وتوابعها على خدمة العاملين المتنقلين بين المدينة وضواحيها، إلا أن تزايد نسبة العاملين في المدن والقاطنين خارجها الذين يأتون إلى عملهم وينصرفون منه في الوقت واحد قد أدى إلى خلق مشكل الازدحام واختناق حركة المرور مما يزيد من معاناتهم والإطالة في رحلة العمل اليومية التي أصبحت هاجس الكثيرين خاصة في ساعات الذروة في حالة تدهور شبكة الطرق وغياب البدائل.

ط– مشكلة التلوث: أصبح مشكل التلوث من أخطر المشكلات التي تواجهها المدن بالإضافة إلى تأثيره الخطير على صحة الإنسان وبيئته الطبيعية سواء أكان نبات أم ماء أو هواء، كما تتعرض المجاري المائية في المدن وما حولها للتلوث الناتج عن إلقاء مخلفات المصانع لذا تلجأ الدول إلى معالجة هذه المخلفات كيميائيا قبل صرفها إلى المحطات المائية"[1] .

إن من أبرز المشكلات التي تعيشها المدن في عصرنا الحديث نجد مشكلة الإسكان وتوفير المأوى بسبب مشكلة الهجرة والتوافد للمدن، مشكلة النقل) الازدحام والمواصلات و شبكات المواصلات)، مشكلة المياه وتتمثل في نقص المياه العذبة على المستوى العالمي،مشكلة الخدمات والمرافق العامة وعدم الاكتفاء للاحتياجات المختلفة، مشكلة ضواحي الأكواخ نتيجة النمو الغير المخطط ومختلف الظواهر الإجتماعية الأخرى منها مشكلة البطالة الحضرية وآثارها المختلفة، مشكلة الامتداد الحضري واتساع المدن على حساب الأراضي الزراعية، مشكلة طول رحلة العمل اليومية وذلك نتيجة للازدحام وإختناق حركة المرور بسبب بعد مكان العمل عن مكان الإقامة، وفي الأخير نذكر مشكلة التلوث وأثره على صحة الإنسان وبيئته الطبيعية.

لقد زادت العولمة GLOBALIZATIO من تفاقم التحديات التي تواجهها المدن في أنحاء العالم،غير أنها في نظر المحلّلين لابد أن تفتح المحال أمام المدن والسلطات المحلية لتقوم بأدوار سياسية حيوية بصرف النظر عن أدوارها التي تقوم بها بمفردها، فمنظومة من التغيرات أدت لتحولات على واقع المجتمعات وستترك آثارها إلى حد ما على مسيرة العولمة على الصعيد العالمي.

" لا يخفي أن من شأن العولمة زيادة تفاقم التحديات التي تواجهها المدن والبلدان على السواء في جميع أنحاء العالم. غير أن العولمة، في نظر الكثير من المحللين لابد من أن تفتح المحال أمام المدن والسلطات المحلية لتقوم بأدوار سياسية حيوية، بصرف النظر عن الأدوار التي تقوم بها الدول بمفردها على النطاق العالمي، وصحيح أن بعض المشكلات الكبرى مثل المخاطر الايكولوجية والبيئية، وتقلبات الأسواق المالية قد تفوق طاقة الدول المفردة في التعامل معها وتوجيهها، إلا أن نمو المراكز الحضرية، بما فيها المدن في المجتمعات النامية والمتقدمة لابد من أن يؤدي بالضرورة في نظر عدد من الدارسين إلى منظومة من التغيرات والتحولات الإجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع. وستنعكس هذه التحولات على واقع المجتمعات المحلية في المقام الأول، لكنها ستترك آثارها، إلى حد ما، على مسيرة العولمة على الصعيد العالمي. ويرى فريق من الباحثين (Borja and Castelles1997) أن دور المدن والمراكز الحضرية الأساسية في المجتمعات النامية والمتقدمة على حد سواء، يرتكز على ثلاثة محاور على الأقل.

يدور المحور الأول حول إسهام المدن في الإنتاجية الاقتصادية والتنافسية، والارتقاء والمرافق التي تشكل القاعدة الإجتماعية للنمو الاقتصادي. وتعتمد التنافسية الاقتصادية وبخاصة في الاقتصاد الجديد،على وجود

[1]- بغريش ياسمينة، **محاضرات في السياسات المدنية الجزائرية**، مطبوعة بيداغوجية، جامعة قسنطينة 2، (2017– 2018)، ص 27–31.

قوى عاملة إنتاجية مؤهلة، مما يستلزم توفير نظام تعليمي قوي لنواة هذه القوى العاملة، وهم أطفال اليوم علاوة على المرافق السكنية المعقولة الكلفة، ووسائل النقل العامة، والقدرة على حفظ الأمن والنظام وتطبيق القانون بصورة فعالة، وتفعيل التنوع الثقافي في المجتمع.

أما المسار الثاني لدور المدن والمراكز الحضرية،فهو السعي للتكامل الإجتماعي الثقافي بين الثقافات الفرعية والجماعات الاثنية في المجتمع المحلي. ومن شأن عملية الدمج الإجتماعي هذه على الصعيد المحلي أن تعزز موقف الدولة في علاقاتها مع البلدان الأخرى على الصعيد العالمي.

أما الجانب الثالث البالغ الأهمية، فهو أن المراكز الحضرية تمثل المجال الأرحب للمشاركة والتمثيل السياسي وممارسة الحقوق المدنية. ومن الملاحظ أن قطاعات متزايدة من المواطنين في المراكز الحضرية قد بدأت،أساسا تشعر أن مطالبتها في نواحي المشاركة السياسية وحقوق الإنسان قد تعزز بحيث تتجاوز حدود المدن الحضرية، وربما الحدود الوطنية والإقليمية إلى المجال العالمي عن طريق شبكات التواصل والتعاون القائمة، سواء أن كان ذلك على مستوى المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة وهيئاتها المتخصصة، أم المنظمات الطوعية وغير الحكومية المنتشرة في شتى أرجاء المعمورة"[1] .

يرتكز دور المدن والمراكز الحضرية الأساسية في المجتمعات النامية على ثلاث محاور نذكر في الأول منها، ويتمثل في إسهام المدن في الإنتاجية الاقتصادية والتنافسية والارتقاء بالمرافق التي تشكل القاعدة الإجتماعية للنمو الاقتصادي، أما المحور الثاني فيمثل في السعي للتكامل الإجتماعي والثقافي بين الثقافات الفرعية والجماعات الإثنية في المجتمع المحلّي، وفي المحور الثالث وهو المهم، فهو أن المراكز الحضرية تمثل المجال الأرحب للمشاركة والتمثيل السياسي وممارسة الحقوق المدنية،فقد تجاوزتا هذين الأخيرتين حدود الوطنية والإقليمية إلى المجال العالمي عن طريق شبكات التواصل والتعاون.

يعرف التبادل في الإنتاج سواء كان هناك فائضا أو عجزاً وهذا أمر لازم في كلا الحالتين، إذ أن هناك فائدة في التبادل لأنه يستلزم عملية نقل استدعت نقطة مركزية ألا وهي التجمع المدني، بحيث ترتبط التجارة بالمدن، وهناك من يرى أن تفسير المدينة التاريخية يرجع إلى الوظيفة التجارية.

" في كل العصور وفي ظل كل اقتصاد وجد الإنتاج نفسه إما متوجا بفائض وإما مثقلا بعجز وذلك بدرجة قلت أو كثرت. وفي الحالين لزم التبادل، لأنه مادامت المنفعة الحدية marginal utility لأي سلعة تتناسب طرديا لا معها في حد ذاتها ولكن مع الحاجة إليها،كان في التبادل فائدة متبادلة. على أن هذا التبادل استلزم بدوره عملية نقل طالت أو قصرت. واستدعى نقطة مركزية كبرت أو صغرت يتم فيها، أي التجمع المدني. وبذلك تتكون لدينا المعادلة الآتية: فائض+ حاجة نقل = تجارة =مدينة.

[1]- أنتوني غدنز، تر: فايز الصياغ، **علم الإجتماع**، مؤسسة ترجمان، ط1، بيروت، 2005، ص 612.

من هنا فالتجارة تبدو مرتبطة بالمدن ارتباطا طاغيا جعل البعض يخصصها في التعريف بالمدينة كما رأينا ومن الكتاب من لا يرى تفسيرا للمدينة التاريخية إلا في الوظيفة التجارية. مثل بيرين ولكن زومبارت يضيف أن (مدن العصور الوسطى هي (اقتصاديا) من صنع إيجارات الأرض وعوائد الضرائب، وما عاش التجار إلا عن طريقها).

Die stadte der mittelalter sind (okonomish) das werk der grundrenten and »
« steuer –bezieher. Die kaufléuté éxistiérén nur durch sie

والمدن الحربية، من جهة أخرى قديمة قدم المدن التجارية إن لم تكن أقدم والواقع أن المدينة التجارية في السهل، والمدينة الحربية على المرتفع تمثلان الاهتمامين الرئيسين في العصور الماضية. وترمزان إلى تناوب النشاط السلمي والحربي في التاريخ. ولكن بينما تناقصت قيمة الوظيفة الحربية على العصور. تزايدت أهمية التجارية باطراد.فالتجارة ازدادت مع تقدم الحضارة، لأن ارتفاع مستوى الإنتاج ومستوى المعيشة يعني القدرة على والحاجة الى . مزيد من السلع الخارجية كما تساوق هذا مع تقدم المواصلات الذي مكن لتحقيق المتبادل. وكل هذا مهما زاد في تطور المدينة التجارية، ولهذا قيل أن النقل هي المدنية (Transportation is civilisation).

ولكن في دراسة الوظيفة التجارية لابد أن نحدد موقف الوظيفة المالية ووظيفة النقل. فبعض التصنيفات الوظيفية للمدن تميز بينهما وبين الوظيفة التجارية ولا شك أن العلاقة بين الوظيفة التجارية والمالية عميقة بل أساسية جدا، بل يمكن اعتبار الوظيفة المالية "النواة النووية" النهائية للوظيفة التجارية. ولا شك أيضا مدنية بالضرورة بل ربما كانت الوحيدة المدنية بالضرورة فالتجارة والصناعة والنقل والثقافة وغيرها وظائف يمكن أن تقوم في الريف كما في المدن إلا الوظيفة المالية ومع ذلك فالوظيفة المالية على نفوذها الهائل لاسيما منها" المالية العليا high finance" لا تنتظم من القوى البشرية العاملة في المدن إلا قدرا ضئيلا جدا قد لا يزيد عن 3/1% وليس هناك مدينة تقوم على الوظيفة المالية البحتة وحدها،وهي جغرافيا تابعة للوظيفة التجارية. ولهذا يحسن ألا تفرد في تصنيف المدن على أساس أنها جزء من الوظيفة التجارية أما النقل فعصب التجارة، ولا توجد الوظيفة التجارية بدون وظيفة النقل، ورغم أن هناك عددا من المدن تطغى عليه وظيفة النقل إلا أن هذا نادر جدا وقاصر على المناطق المنعزلة شبة الخالية الواقعة على طريق تجاري هام بل أن النظرية المدنية تفترض أن هذه المدينة تتحول بالضرورة إلى مدينة تجارية ولهذا يحسن ألا يفرد النقل في تصنيف المدن على أن يكون مفهوما أن الوظيفة التجارية تفترضه وتعده جزءا جوهريا منها"[1] .

يضيف "زومبارت" أن"مدن العصور الوسطى هي (الاقتصاد) من صنع إيجارات الأرض وعوائد الضرائب، وما عاش التجار إلا عن طريقها"، ومن جهة أخرى المدن الحربية ومع تناقص قيمة الوظيفة الحربية تزايدت أهمية

[1]- جمال حمدان، **جغرافية المدن**، عالم الكتب، ط1، القاهرة، ص 46.

التجارة مع تقدم الحضارة وتقدم المواصلات التي تمكنت من تحقيق التبادل،ولهذا قيل أن النقل هو المدينة لكن العناصر لا تنس الوظيفة المالية أيضا باعتبارها (النواة النووية)، فمن خلال العناصر التي ذكرت سالفا كالتجارة والنقل يمكن أن تقوم في الريف عدا الوظيفة المالية البحتة وحدها، بل إن كل وظيفة جزء من الوظيفة الأخرى، فلا توجد الوظيفة التجارية بدون وظيفة النقل.

لقد ارتبط مفهوم المدينة في العصور القديمة على الوظيفة السياسية،وهذا في عصر دول المدن City-states الذي تبلور في أثينا واسبرطة، وبلغ القمة في روما، فالوظيفة الإدارية خلاقة للمدينة الإدارية، حيث أنها، أي مدينة تشكلت بشكل الوحدة المكانية الإدارية، التي قامت من أجلها وتطورت بتطورها.

" كانت الإدارة ضرورية أولية منذ نشأ المجتمع المستقر، وكان لابد لها ممن أن تمارس من نقطة مركزية، من الوظائف الأولية بلا شك، وفي التاريخ القديم والشرق القديم كانت هذه الوظائف الثلاث متلازمة، وقد أتى على الوظيفة السياسية حين من الدهر اختلطت فيه فكرتها اختلاطا كاملا بفكرة المدينة- هذا في عصر (دول مدن) الذي تبلور في أثينا واسبرطة، وبلغ القمة في روما، فالوظيفة الإدارية خلاقة للمدينة الإدارية. وقد تشكلت هذه المدينة بشكل الوحدة المكانية الإدارية التي قامت من أجلها، وتناسبت معها، وتطورت بتطورها، ولقد تطورت الوحدة المكانية الإدارية بتطور عامل أساسي هو النقل والمواصلات، وأمكن التعرف على ثلاث مراحل أو سلمات من الوحدة المكانية الإدارية.

1- العصور القديمة: ففي الظروف السياسية والاقتصادية البدائية يميل المجتمع إلى أن يتشكل بشكل الوحدات الطبيعية الصغرى أو المحلية. ففي أوروبا الغربية الوسطى أخذت الوحدات الإدارية أصولها في الماضي السحيق،ولكنها أخذت الوحدات الوسطى وأصبحت بالتدريج وحدات لشعور الجماعة ووحدات حضارية على مستويات مختلفة. ففي العصور الوسطى كانت الجماعات البشرية لقد أخذت تبرز من التنظيم القبلي وتخلفه وراءها لتنتقل إلى التنظيم السكني فلقد كانت كل جماعة قبلية تحتل مساحة معينة مركزها منطقة ملمومة واضحة الشخصية سهلية مكشوفة قابلة للزراعة والسكنى، كواد صغير أو جيب سهلي خصيب أو منحدر بيدمونتي قابل للري أو كسهل فيضي، وتتكون حدودها بوضوح وسعة من مناطق فصل غير مسكونة تتألف من الغابات أو المناقع أو التلال. ومثل هذا الموازيكو من وحدات السكنى كان عاملا مساعدا للبدايات السياسية، فان المجتمع الصغير الذي يضمن عيشه من حقوله الخصبة وحمايته بحلقة العوائق المحيطة سرعان ما ينمو فيه التماسك و الاستقرار السياسي و الإجتماعي .

ولقد كان النظام الإقطاعي في أوروبا الوسيطة متلائما تلاؤما فذا مع صورة اللاندسكيب الطبيعي. فان لورد المانور(manor) وهي وحدة القطاع- لم يكن في الواقع الا "الريس" الأعلى لمزرعة اكتفائية معاشية كبيرة Subsistence farm يعمل فيها عدد من العائلات المرتبطة قانونا بالأرض وقد يجتمع العوام "commons" في المانور تحت حائط قلعة البارون أو الكنيسة للتجارة أو الأعياد في بعض أيام الأسواق، أو للاتجاه والحماية

من هجمات الأعداء الآتية من خارج الإقطاعية. والواقع أن كلا من عامل الدفاع ممثلا في قلاع البارونات والكونتات burgs، وتنظيم الكنيسة ممثلا في أبروشيات الأساقفة dioceses، دعا إلى قيام المدن كمراكز لهذه الوحدات.

وتظهر أهمية هذه المدن لتلك الوحدات في أن كلمة مدينة city تشتق من civitas اللاتينية، ويرادفها باليونانية polis كما رأينا في اللاتينية والإغريقية كانت هاتان الكلمتان تجسمان فكرة دولة المدينة -city state التي هي الدولة كوحدة صغيرة لها بؤرة مركزية لحياتها ونشاطها، والتي لا يكون المجموع فيها كبيرا جدا مساحة أو سكانا حتى لا تحول دون الحكم الصالح،ولكن كلمة civitas أخذت بالتدريج معنى أوسع عموما فمنذ عام 1150- وهو التاريخ الذي نضجت فيه فكرة العصور الوسطى عن المدينة أصبحت الكلمة تعني حلة صناعية تجارية لها قانونها الخاص وحائطها المحصن. على أن المرادف الفرنسي cite ظل طوال العصور الوسطى ينصرف إلى مركز الأسقف diocese.

ومع نمو ونوسع المدن أثناء العصور الوسطى في غرب ووسط أوربا أصبحت المدينة مركزا للدفاع والإدارة، وللصناعة والتجارة، ولو أن هذه الوظائف لم تجتمع كلها في المدن الصغرى التي تغطي الجزء الأكبر من الريف. وكانت المدن إما تعين مراكز للإقليم المحيط على أساس قانوني de jure أو تصبحها بالفعل de facto. وعلى العموم فان ارتباط الريف الوثيق بالمركز الإداري في الماضي-كما هو في الحاضر-يتضح في وجود مقاطعات أو بلاد pays تشتق أسماؤها من أسماء المدينة العاصمة: touraine, anjou, laonnais, maconnais poitou ...الخ.

2- **العصور الحديثة**: ولكن مع عملية إزالة الغابات وتصريف المناقع التي بدأت في العصور الوسطى، أخذت حدود الفصل بين تلك الوحدات الصغرى تنكمش وتتلاشى، بينما أخذت الوحدات نفسها تتلاحم وتتداخل. فأخذت وحدات إدارية أكبر تحل بالتدريج محل الوحدات الصغرى، لأن المواصلات تقدمت بينهما. وقامت نوايا الوحدات المتوسطة الجديدة على أسس التجانس الإقليمي غالبا كالتضاريس، وبخاصة المناطق التي يسهل تمييزها بوضوح على خريطة التضاريس حتى عرفت تقليديا باسم مشترك، مثل سهول البو، الأندلس، أكيتين، حوض باريس، السهل الانجليزي، المنخفضات الاسكتلندية، أو قدم تقوم تلك النوايا على أساس من المناخ المحلي، مثل قشتالة القديمة، قشتالة الجديدة، والغرب Algarve.

أو على أساس من التربة المحلية، التي تحد من ناحية اليابس بسهل رملي عديم الأهمية،وسكانيا skane التي تتفق مع الجزء من السويد الذي يغطي جيدا برواسب الجليد، أو فريزلاند التي كانت أصلا مجموعة من التلول hillocks تقوم على دلتا مستنقعية، أو فرانكونيا التي هي وحدة طبيعية تتألف من منخفض فيضي غالبا ما تحيط به التلال المنخفظة الجدباء، أو بريتاني التلية الجرانيتية الجدباء. ومن الوحدات التي لعبت دورا هاما وسكس، جيين Guyenne، ساكسوني،كونتيه البرتغال.

وإذا وقع إقليم على طريق تجارة رئيسي إلى جانب خصبه الزراعي، أصبح قويا من الناحية السياسية، مثل بروفانس وبرجنديا وسوابيا، واللورين والبندقية، ولومبارديا. بل حتى إذا انعدمت التربة الخصبة فان الواقع التجاري الممتاز فيه الكفاية مثل شامبانيا الغنية في واحد من أفقر أجزاء فرنسا زراعيا. وقد أثرت توسكانيا والفلاندرز على الصناعة إلى جانب التجارة والزراعة. بل إن كثيرا من هذه الكونتيات والدوقيات والأسقفيات وغيرها من وحدات الدرجة الثانية برزت كثيرا وظهرت على أقرانها مثل نورماندي، بورجنديا، كولونيا، سكسونيا، النمسا، البندقية، جنوة، توسكانيا.

وفي كل هذه الحالات ارتبطت الوحدات الجديدة بمدن وقواعد إدارية جديدة تتناسب مع حجمها ونفوذها، وقد كان القرن17و 18 هو العصر الذهبي وأوج العواصم الإقليمية السياسية والحضارية. وفي ألمانيا خاصة كان لكل من الدويلات الصغيرة العديدة عاصمتها وبلاطها الخاص وكل الجهاز الخاص بحكومة مستقلة ذات سيادة ولهذا فان العاصمة الصغيرة تعد من أهم ملامح المدن في ألمانيا حتى اليوم"[1] .

مرت العصور القديمة بظروف سياسية و اقتصادية بدائية، حيث أن في أوربا الغربية والوسطى أخذت شكلها في وحداتها الإدارية بالعصور الوسطى وأخذت بالتدرج، ففي البداية كان التنظيم القبلي بارزا ليخلف وراءها للانتقال إلى التنظيم السكني. ومع تطّور مفهوم المدينة من معناها الضيق والمرور بمراحل أصبح للمدينة معنى واسع يتمثل في مركز للدفاع والإدارة، والصناعة والتجارة. ومع العصور الحديثة ظهرت وحدات جديدة ارتبطت بمدن وقواعد إدارية جديدة تتناسب مع حجمها ونفوذها، وكان ذلك في القرنين 17و18 وهو العصر الذهبي، وأوجّ العواصم الإقليمية السياسية والحضارية.

تعد الصناعة منشأة للمدن، حيث أنها ظلت معظم التاريخ قليلة الأهمية وعلى نطاق متواضع، وقد كانت قائمة على الكفاية الذاتية العائلية مبثوثة ومبعثرة في الريف والمدن على السواء لكنها لم تعمل على إنشاء مدن مستقلة كاملة بل يمكن ذلك لأنها كانت تقام على نطاق بدائي محدود في مناطق معينة.

" إلى أي حد تعد الصناعة خالقة المدن؟ الصناعة حرفة قديمة، لكنها ظلت معظم التاريخ قليلة الأهمية وعلى نطاق متواضع جدا، وطالما كان نظام الحياة هو الكفاية الذاتية العائلية،كانت الصناعة الضرورية مبثوثة مبعثرة في الريف وفي المدن على السواء. وحتى في العصور الوسطى كانت تهرب من المدن إلى الريف للتخفف من وطأة قيود نظام الطوائف والحرف. Guild system. أي كانت أساسا حرفة إما ريفية غير مدنية أو مدنية تابعة ثانوية، أي لم تخلق مدنا مستقلة كاملة على الأرجح.

ولا شك أن بعض المدن الصناعية تماما ظهرت في بعض الفترات والمناطق، ولكن على نطاق بدائي محدود جدا. وصحيح أن من التجارة عنصرا صغيرا كان موجودا دائما في القرى، لكن السواد الأعظم من النشاط التجاري كان دائما في المدن وخلق في ذاته مئات المدن.

[1]- جمال حمدان، نفس المرجع السابق، ص 81-84.

وقد اختلفت الآراء بين المؤرخين والاقتصاديين فيما إذا كانت الصناعة في العصور الوسطى وظيفة أولية (primative) أو ثانوية بالنسبة للتجارة. فيرى المؤرخ "بيرين" أن الصناعة في المدن الفلمنكية في الفلاندرز نشأت كحرفة تالية مترتبة على التجارة. ولكن الاقتصادي "زومبارت" وإن اتفق على أن الصناعة حرفة ثانوية فنيا. إلا أنها لم تكن تتوقف على التجارة أو تالية لها. فهي كالتجارة خدمة مركزية من خدمات المدن لحساب الريف.

وعلى العموم ففي الوقت الحاضر، قد يرى أنه إذا كانت عملية توزيع الإنتاج – أي التجارة– تخلق هذا العدد الهائل من المدن فأحرى بالنتاج نفسه – أي الصناعة– أن يخلق عددا أكبر أو مماثلا على الأقل لكن الواقع أن الصناعة لم تخلق من المدن إلا نسبة أقل بكثير مما خلقت التجارة. لكن الواقع أن الصناعة لم تخلق من المدن إلا نسبة أقل بكثير مما خلقت التجارة. والسبب في هذا عدة عوامل تتخلص في أنواع الصناعة وطبقاتها.

فمن الناحية العامة جدا، يجب أن نميز بين صناعة المنزل وصناعة المصنع، فالأولى لا تخلق مدنا صناعية بالطبع، ولكن الثانية ليس من الضروري دائما أن تفعل، لهذا ينبغي أن نضع تصنيفا أدق، فنميز بين الصناعة اليدوية والاستخراجية والتحويلية. وقد تتداخل الصناعة اليدوية في النوعين الأخيرين وتتقاطع معهما. ومع ذلك فهذا التصنيف يحقق غرضه. فالصناعة اليدوية ترادف غالبا المنزلية، أي الصناعة المبعثرة dispersed في الريف، والاستخراجية تعني غالبا الصناعة النووية المجمعة nucleated في الريف، بينما التحويلية تعني غالبا الصناعة المجمعة في المدن"[1].

لقد اختلف كثير من المؤرخين والاقتصاديين كون الصناعة كانت في العصور الوسطى وظيفة أولية أو ثانوية بالنسبة للتجارة، فهناك من يؤيد بأنها كانت ثانوية أمثال (بيرين) والاقتصادي (زومبارت)، وهذا راجع للواقع الذي استخلص منه أن الصناعة لم تخلق من المدن إلا نسبة أقل مما خلقت التجارة.

أما من ناحية الصناعة في المنزل والصناعة في المصانع، فهما ليسا سيّان، أيضا التمييز بين الصناعة اليدوية والاستخراجية والتحويلية، فالصناعة اليدوية ترادف غالب المنزلية أي المبعثرة في الريف والاستخراجية تعني غالبا بالصناعة النووية المجمعة في الريف، بينما التحويلية تعني غالبا الصناعة المجمعة في المدن.

" قد يبدو غريبا الجمع بين هاتين الوظيفتين المتناقضتين، فهما وظيفتا المرضى والأصحاء. ولكن الواقع أن بينهما ارتباطا كبيرا. أولا لأنهما تتداخلان كثيرا من الناحية المدنية: فمشاتي (الريفييرا) مجال للسياحة والعلاج معا، (وعيون) فيشي المعدنية هي الاستفتاء والترفيه معا. ولكن من المهم جدا أن الوظيفتين تشتركان في سمات وخصائص عمرانية ودنية أساسية تجعلهما من عائلة وظيفية واحدة. فهما قبل كل شيء من وظائف الخدمات. ورغم أن بعضا من عناصرها عرف في الماضي على نطاق ضيق. إلا أنهما معا تعدلن من الناحية العملية طفرة جديدة تماما في وظائف المدن. فنحن إزاء وظيفة حديثة جدا،بنت العصر الصناعي.

[1]- جمال حمدان، نفس المرجع السابق، ص 112.

ثم هما تشتركان في أنهما أساسا من وظائف "البطالة"،-إذا جاز أن يكون للبطالة وظيفة. فالوظيفتان تخدمان حاجة سلبية وعناصر خاملة وأن يكن مؤقتا،سواء مرضى لا يعلمون أو أصحاء ينشدون الراحة والترفيه. وقد ظهرت الحاجة إلى هذه البطالة كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة للانقلاب الصناعي: فالصناعة والمدينة أبعدت الإنسان عن الريف والطبيعة، فظهرت الوظيفتان" كمصحح" لأخطاء حياة المدينة الصناعية، ولكن المتناقضة الهامة هي أنه المهرب من المدن،كأن لابد أن تنشأ لذلك مدن جديدة خاصة ! وهكذا فليس للعمل وحدة مدن،وإنما للبطالة أيضا منها...من هنا فئة كاملة من المدن الجديدة المتخصصة. على أن هذه المدن بطبيعة الحال لا يمكن تصورها إلا على هامش حياة مدنية أخرى حقيقية منتجة.كذلك تشترك الوظيفتان في أنهما وظائف موسمية مؤقتة، لا تستمر طول العام. ولهذا تمتاز مدنها بأنها من نوعين من السكان: سكان مقيمون resident، وهم الأقلية، وهم العاملون أو العنصر الموجب، وسكان عابرون pop.flottante، وهم الأغلبية، وهم الخاملون أو العنصر السالب.

ويترتب على الطبيعة الفصلية لهذه المدن أنها تجابه مشكلة خطيرة مشتركة، هي الفصل الميت –saison morte، فنشاط هذه المدن موسم قصير –أحيانا جدا– ويظل الجزء الأكبر من العام فصل بطالة فمشكلة المدن التي تتخصص في خدمة البطالة الموسمية هي البطالة الموسمية ! وتختلف أنواع هذه المدن في طول وقصر الموسم،فهو في المدن الصحية أطول عموما من الترفيهية، لهذا تحاول هذه الأخيرة بكل وسيلة إطالة الموسم بإغراء الرواد بتخفيض التكاليف والأسعار قبل وبعد قلب الموسم. كذلك قد تساعد،الموضة،حيث أصبحت مشاتي الريفييرا مثلا مصايف أيضا، وحيث أصبح الجليد في الجبال هواية في الشتاء بمثل ما أن الجبال مصايف بالطبع. ومع ذلك كله تظل مشكلة الموسم الميت قائمة. وهذا يؤدي إلى مشكلة البطالة بالنسبة للسكان المقيمين ويحاولون حلها بالاعتماد على العمل الفني الأرقى المجلوب من الخارج والذي يتحرك من مدينة إلى أخرى أثناء الموسم والاكتفاء بجمع العمل غير الفني محلي.

هذا من ناحية السكان ولكن من ناحية المدن نفسها،نجد أنها تمثل رأسمال مدنيا لا يستغل أو يستثمر استثمارا كاملا. فهي مهجورة معظم العام على أنها في الواقع تمثل رصيدا احتياطيا من المدن للطوارئ والأزمات. فليس أصلح منها للمؤتمرات والإجتماعات ومن هنا الدور البارز الذي تلعبه مدن الترفيه في المؤتمرات السياسية والدبلوماسية: مثلا سبا، سان ريمو، لوكارنو، رابللو، جنيف، مونترو،...الخ، هذا بينما كانت فيشي جاهزة بالطبع لاستقبال حكومة فرنسا بعد سقوط باريس وهنا تبدو حقيقة هامة وهي ترف حضارة المدن الحديثة،اذ أن لدينا لأول مرة عددا من المدن أكبر مما نحتاج إليه دائما في الواقع"[1] .

" العلاقة بين الوظيفة الدينية وحياة المدن علاقة قديمة وثيقة، فالدين بطبيعته عملية جماعية، ولابد من التركز النووي، ولهذا كان الدين عاملا أساسيا في نشأة الكثير من المدن،وكلما ضربنا أبعد في التاريخ،كلما اشتدت

[1]- جمال حمدان، نفس المرجع السابق، ص 158-159.

هذه العلاقة فعند السومريين–كما يرى البعض– لم تؤسس المدن لا للحكم ولا للتبادل وإنما للعبادة، فالمدينة نطاق مقدس كذلك فاللمدن صبغة دينية عند الآشوريين والمصريين. ففي مصر كانت تسمى بأسماء الآلهة: مثلا بوصير، وببسطة، برمانتو permantou (= بيت أوزيس، بيت بسط، بيت منتو على الترتيب) ونوت آمون (مدينة آمون). وحين أتى الإغريق لم يفعلوا سوى أن أحلوا أسماء الآلهة الإغريقية: أبولينوبوليس، وأفروديتوبوليس...الخ، وفي اليونان نفسها بدأت أثينا كمعبد للآلهة أثينا.

وفي العصور الوسطى في أوربا لم تفلت مدينة تقريبا من الأصل الديني،وكانت المدن مراكز إشعاع ونشر المسيحية في الوسط الوثني،فكانت المدن تقابل بالريف كنقيضين دينيين، من هنا كانت urbani هي المدن التي اعتنقت المسيحية، بينما paiens) pagani ومنها pays الريف) هي الريف الذي لم يزل وثنيا. بل إن الذي حفظ تقليد المدن لأوربا خلال فترة العصور الوسطى المظلمة وأعاد بناءها بعدها هي الكنيسة، اذ لم يستثن انحدار الحضارة وإندثار المدن إلا النوايا الكنسية التي ظلت تجمع بعض السكان حولها حتى عادت إلى النمو بعد النهضة. وقد كانت هذه القطاعات أو النوايا الكنسية تسمى cité، ولكن الكلمة وسعت فيما بعد لتشير إلى المدينة كلها. ومن هنا كلمة مدينة في اللغات الأوروبية: stadt, ciuded citta, city, cité، وحتى الآن لازال الأساس الديني هو أساس التفرقة في انجلترا بين town, city، فالأولى ما كانت مركزا لأسقفية وبها كاتدرائية، والثانية ما ليست هذا وقد كان لكل مدينة قديسها الحامي،وفي فترات الاضطرابات والاضطهادات الدينية ظهرت مدن للحماية والالتجاء الديني،كمجموعة مدن salvetats sauvetés مثلا.

أما الإسلام فهو على وجه اليقين خالق للمدن بدرجة أكبر من المسيحية كما يقول ديفونتين، و كان للمدن أيضا كما يقول بيير جورج:

« .Mais l'islam a été aussi un batisseur de villes »

فالدين لا يمارس بحق إلا في مدينة، والجمعة من التجمع وله،بينما التبعثر قد يؤدي إلى التهاون والابتعاد، ولهذا انتقدت السكنى المبعثرة: "ساكنو الكفور ساكنو القبور" وقد تحول اسم يثرب بعد الإسلام إلى المدينة، وهو اسم علم واسم نوع معا. وقد كان المسجد أول أساس يقام في المدينة الإسلامية الجديدة".

2. دراسة تحليلية للفضاءات الحضرية في ضوء المنحنيات البيانية للتغير التاريخي للأنساق الإجتماعية:

لقد قامت البنية المعرفية الخلدونية على مجموعة من الحقائق التاريخية الثابتة: على رأسها أن الإنسان مدني بطبعه، فلا يمكن أن يعيش الإنسان منعزلا لوحده ولهذا أنشأ الإنسان المدن بهدف تحقيق الأمن الغذائي والأمن الإجتماعي، لكن المدينة والإنسان في علاقة تبادلية حيث أن الإنسان المدني يتطبع بطبائع الحضر من أخلاق وعادات وتقاليد، ونمو جديد في شبكة العلاقات الإجتماعية، كما أن الإنسان من جهة أخرى يساهم بالنمو الديمغرافي الناتج عن التكاثر البيولوجي لنوعه، والنمو الفيزيقي المستمر للسكنات والبنايات تحت تأثير قانون الحاجات "لماسلوا".

» إبن خلدون واحد من المفكرين والرواد الأوائل الذين لا تزال تصوراتهم وتحليلاتهم تمثل الأسس الأولى لعلم الإجتماع لمختلف فروعه ومنها علم الإجتماع الحضري الذي ارتبط بالمدينة التي إعتبرها إبن خلدون المكان الذي يتوفر فيه العدل والأمن كونها مقرّ السلطة الحاكمة أو من يمثلها.

فالضرورة الإجتماعية والمدنية، حركت دوافع الإنسان ليستقر في عمران يحكمه سلطان عادل ويتضح هذا أكثر من خلال تناول لـ:

1- نشأة مواطن التجمع الإنساني.

2- تميز المدن عن أنماط الإقامة البشرية الأخرى،من حيث الأنماط العمرانية، النشاط الاقتصادي،الحياة الإجتماعية...الخ.

3- التمييز بين الأنماط المعيشية الحضرية والبدوية.

4- تأثيرها على سكانها:

أ- تطبعهم بطابعها الخاص.

ب- تؤثر في نشاطاتهم وعلاقاتهم الإجتماعية.

ت- تمتد وتنمو فيزيقيا (الاتساع المكاني).

ث- تشهد تزايدا سكانيا.

ج- تتطور من الناحية العمرانية.

ح- يصاحب هذا التحول والتطور تطورا مشابها في العلاقات والنظم الإجتماعية المميزة لسكان المدن،الأمر الذي دفع إبن خلدون إلى القول بأن الحضري هو خليق البيئة التي يكون قد نشأتها.

وفي نفس الوقت،يقر إبن خلدون أن نشأة المدينة تستوجب نوى كثيرة، فهناك النواة الإجتماعية والنواة الدينية، فالأولى تتعلق بأطروحة الإنسان مدني بالطبع، لابد له من الإجتماع الذي هو المدينة، أما الثانية فقد شكلت بذورا نمت فأنتجت المدينة بعد حين.

وبهذا الصدد يشير إبن خلدون إلى ارتباط معنى المدينة بسيادة الدولة فيها، مع ما تقتضيه هذه السيادة من سلطة الأمر والنهي والاهتمام بالعمران والاستقرار. وعلى هذا يبدو أن العلم الذي تأسس من الناحية الأكاديمية في العشرينات من القرن المنصرم وحدد بارك وبغرس موضوعه في المجتمع المحلي الحضري، قد كان لإبن خلدون بصماته الواضحة عندما تكلم عن المدينة فأبعادها:

1- المكانية
2- السكانية
3- التنظيم
4- السلطة الحكومية بمؤسساتها الإدارية والتنفيذية والقضائية.

وضمن هذا الإطار يركز إبن خلدون على أهمية شؤون المعاش في تطور العمران البشري، وفي عملية التطور الإجتماعي عموما، كما تعرض إلى ملامح الطبقتين الأساسيتين في المجتمع العربي، وهما طبقة خاصة (الحكام والأعيان، الموظفون، والعلماء...الخ) وطبقة العامة (الفلاحون، الصناع، التجار...الخ)، وأثار عدد من القضايا نجملها على النحو التالي:

1. العمران البشري اقتصاديا.
2. ضرورة الإجتماع البشري.
3. توزيع السكان، أثر الهواء، والمناخ في أخلاق البشر.
4. الفروق الإجتماعية بين البدو والحضر.
5. العصبية والسلطة.
6. قضية العمران الحضري (الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه).
7. العلوم والتعليم.

وبالتركيز على قضية العمران الحضري، نشير إلى أن إبن خلدون في تمييزه بين الريف والحضر، يؤكد أن أهل الحضر يشتغلون بالصنائع والتجارة، وأن الحياة في الحضر تتسم بالترف والأخذ بما هو كمالي وزائد عن الحاجة، هذا ويعطي إبن خلدون وزنا كبيرا للهجرة البدوية ودورها في نشأة المدن ونموها، مع التركيز على أهمية العامل الاقتصادي كعامل من العوامل الدافعة إلى الهجرة من المناطق البدوية إلى المناطق الحضرية.

ومن هذه الزاوية يحلل إبن خلدون حياة الحضر مركزا على نمط السكن، الملبس، وفرة القوت، مظاهر الترف والتأنق،كما استأثرت دراسة الثقافة الروحية بعناية إبن خلدون، فقد عبر بوضوح عن أثر الحضرية في انهيار النسيج المعياري والأخلاقي لسكان المدن:

أ. الإقبال على الدنيا ومحاولة إشباع الرغبات والشهوات.

ب. سوء الخلق والانحراف وتلوث أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والضر (كثرة العوائد المذمومة وقيمها).

ج. الابتعاد عن طرق الخير ومسالكه.

د. غياب وازع الحشمة (التظاهر،الفواحش قولا وعملا،الكلام الفاحش...).

هـ. الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد.

ومن خلال هذا المنظور،يؤكد إبن خلدون أن الضبط الإجتماعي في الحضر يتخذ أشكالا رسمية، يناط بها الحاكم أو السلطان ويسلك فيها مسلكا يقوم على الترهيب والتأديب إلى جانب تميز لغة الحضر بسبب تعرضهم الدائم للاختلاط بالقادمين من أمم أو شعوب أخرى لأغراض التجارة وغيرها، وربما كان ذلك هو السبب الذي جعل إبن خلدون يسير أهمية كبيرة لأثر الاتصال الثقافي والتثاقل وتغير لغة الحضر وتميزها. وفي هذا الصدد يتحدث إبن خلدون على فساد التهوية في الحضر وانتشار الأمراض، وتوصيفه لعلاقات البدو بالحضر بأنها علاقات الخضوع والسيطرة وذلك من النواحي الإجتماعية والاقتصادية والسياسية (المدينة تمارس سيطرة ونفوذا على القرية).

وليس هناك من شك في أن القضية الكبرى التي يثيرها إبن خلدون في سباق تناوله لحياة المدينة هي وجود علاقة ايجابية بين ازدهار العلم والتعليم وبين ارتفاع درجة التحضر:

أ. تكثر العلوم حيث يكثر العمران وتعظك الحضارة.

ب. اعتبر مدينة القاهرة منارة العلم.

ج. اختلاف درجة التحضر باختلاف التعليم،مدى توافر المؤسسات التعليمية،مدى تقدم الصناعة،السكان من حيث الحجم والكثافة،تقسيم العمل،انقسامية الدور...الخ.

د. تدرج المجتمعات المحلية القرى، الأمصار غير الممدنة.

هـ. تتدرج مستويا بالاستيطان البشري من البدوية إلى الحضرية.

و. خصائص الحياة الحضرية: أشكال السلوك المتعلقة بانهيار النسيج المعياري والأخلاقي لسكان المدن.

ومن هنا تزايد التأكيد عند إبن خلدون على ارتباط ارتفاع التحضير بتعقد النسق الإقتصادي وتطور الصناعة:

أ. يصاحب التباين المهني وتقسيم العمل ارتفاع درجة التحضر.

ب. هناك علاقة إيجابية بين ازدياد الحجم والكثافة، وارتفاع درجة التحضر وتعقد النسق الإقتصادي، وتقسيم العمل، والتباين المهني، والتضامن العضوي.

ج. المهن تباينها الوظيفي وارتباطها (الخياط، الحداد، النجار، الصائغ، الدهان، الطباخ، الفراش ...الخ).

د. انتشار المهن والخدمات مع زيادة العمران.

هـ. تكمل الصنائع بكمال العمران الحضري وكثرته.

وفضلا عما سبق إهتم إبن خلدون بما يشهده المجتمع الحضري من صراعات بين الدول فئات الصفوة الحضرية (الصفوة الحاكمة، أصحاب الثراء)، والتفاوت بين الدول في درجة التحضر.

ولقد أرجع إبن خلدون انخفاض التحضر في إفريقيا إلى الاستعمار والبناء الإجتماعي والنظام القرابي القائم على القبيلة والعصبية،وفي نفس الوقت نظر إلى التحضر وما يصاحبه كمتغير تابع، وإلى طبيعة النشاط الاقتصادي وحجم المجتمع كمتغيرات مستقلة.

وعلى أية حال، فلقد قدم إبن خلدون إسهامات متميزة في مجال علم الإجتماع الحضري والتي تمثلت في تأييده على أن الحضر (المدينة) هو الموضوع الملائم للدراسات الإجتماعية ومن الملائم هنا أن نحدد إسهاماته في النقاط التالية:

1. يبدأ التاريخ لقضية الفروق الريفية-الحضرية (أنظر الشكل2) على أساس علمي منظم بإبن خلدون الذي تميزت نظريته بالشمول.

فلقد تضمنت فكرة الثنائية، وفكرة المحك الواحد، وفكرة استخدام المحكات المتعددة، كما أنها تتضمن الأساس المنطقي لفكرة المتصل الريفي-الحضري.

2. قدم تصورا واضحا حول مسألة التحضر وصنف دول العالم على أساس درجة أو مستوى التحضر، مع الإشارة إلى أسباب أو عوامل الارتفاع أو الانخفاض في درجة التحضر.

3.سبق إبن خلدون منظري القرن العشرين أمثال ويرث wirth، ردفيلد redfield، بيجل beegle، وغيرهم في اعتبار الضبط الإجتماعي الرسمي سمة من سمات الحياة الحضرية.

4.كما سبق الفكر التطوري للرواد في القرن التاسع بطرحه نوعا من التطور الإجتماعي (البدو أقدم من الحضر،وأن البادية أصل العمران،...الخ). هذا ما جعل الكثير من الباحثين يقرون بأن نظرية إبن خلدون تضمنت أغلب المقولات التي وردت حول قضية الفروق الريفية الحضرية وفي نفس الوقت تمثل اتجاها في الفكر التطوري المحدث. ورغم ذلك ما زال الجدل يدور حول أطروحاته المتطرفة المتعقلة بارتباط التحضر بالفساد الذي يؤدي بالمجتمع إلى الهرم في رأي إبن خلدون إذا نزل بدولة فإنه لا يرتفع عنها[1] .

[1]- اسماعيل قيرة، نفس المرجع السابق، ص 89-92.

شكل(2): الثنائية الخلدونية في المقابلة بين الريف والحضر

الريـــــــف (البـدو)	الحضـــــــــر
1. المهنة ومصدر الإنتاج الاقتصادي الفلاحة وتربية الحيوان	1. المهنة ومصدر الإنتاج لاقتصادي الصنائع والتجارة
2. البدو أقدم من الحضر: تتسم الحياة بالحد لأدنى الضروري	2. تتسم الحياة بالترف،الكماليات
3. الهجرة تطلع أهل البدو إلى حياة الحضر	3. أهمية العامل الاقتصادي في جذب المهاجرين من الريف
4. تميز عناصر الثقافة المادية بالبساطة (المسكن،الملبس..)	4. انتشار مظاهر الترف والتأنق
5. سكان الريف أقرب إلى الفطرة الأولى،وأنهم أقرب إلى الخير من أهل الحضر	5. انهيار النسيج المعماري والأخلاق (الحضري إنسان أفسدته الحضارة وجعلته رخوا ومخادعا كذابا ...)
6. ظلت لغة البدو متحفظة بنقاوتها	6. لغة الحضر تميزها بسبب الاختلاط والاتصال الثقافي
7. قلة الأمراض(نقاء الهواء،قلة الأكل،...الخ)	7. كثرة الأمراض (إفساد الهواء،عادات الطعام ...الخ)
8. يخضع البدو للحضر (طوعا أو كرها)	8. يمارس أهل الحضر نفوذا وسيطرة على البدو
9. أكثر البدو أميين	9. العلم والتعليم زيادة التحضر
10. التشابه المهني (الزراعة) وبساطة تقسيم العمل	10. التباين المهني وتقسيم العمل زيادة التحضر
11. ينعدم الصراع لبساطة الحياة ولأن المناطق البدوية تتطور ببطء شديد وتتسم الظواهر الإجتماعية السائدة فيها بطابع الثبات والإستقرار النسبيين	11. الصراع بين الصفوة الحضرية من أجل الثروة والسلطة
إختلاف دول العالم في درجة تحضرها، تبعا لما بها من إختلاف على أساس البعدين الاقتصادي والسكاني	

لا تزال الفروق الإجتماعية بين المجتمع البدوي والمجتمع الحضري التي وضعها العلامة إبن خلدون في مقدمته موضع اندهاش الباحثين في علم الإجتماع الحضري بما تحمله من حقائق مازالت حية إلى يومنا هذا. حيث يؤكد أن المدينة–الدولة هي الأساس البنيوي لقيام السلطة السياسية في المجتمع الحضري القديم الذي يتميز بجملة من الأبعاد أهمها: المكان الفيزيقي الذي يحوي التجمعات السكانية العمرانية، والتكاثر السكاني، وتنوع النسق المعاش للجماعة، و وجود سلطة سياسية ودينية واقتصادية، من جهة أخرى فإنّ اللّحمة الإجتماعية التي تقوم عليها السلطة السياسية هي العصبية علاوة على ذلك فإن العمران الحضري يقوم على جملة من المتغيرات أهمها: البضائع والمعاش والكتب والعلوم كما أشار إبن خلدون إلى فكرة أساسية في علم الإجتماع وهي ظاهرة تقسيم العمل في المجتمع الحضري.

ومن الملاحظات الجوهرية التي أشار إليها إبن خلدون هو الترف الذي يؤدي إلى انهيار الدولة عندما يبلغ العتبة.

إنّ الدراسات التي قام بها "هارفي وكاستلز" تؤكد أن هناك شبكة من العلاقات التبادلية بين التوسع في الفضاءات الحضرية والمناخ السياسي والاقتصادي للمجتمع المدني.

إن التحضر الحديث يعطي تطورات جديدة للعلاقات بين المدينة والريف ويبرز بنية جديدة للهندسة الإجتماعية القائمة، حيث في الدول المتخلفة تتريف المدن، بينما في الدول المتقدمة يتحضرن الريف.

لكن النشأة المستحدثة والعالم الحضري المنشأ الجديد بالشركات الكبيرة وناطحات السحاب والمدن العملاقة أبرز ظواهر سوسيولوجية جديدة.

" تؤكد النظريات الإجتماعية المتأخرة حول التحضر أنّ عملية الزحف الحضري ليست سيرورة مستقلة معزولة عن غيرها،بل ينبغي تحليلها في سياق علاقتها بأنماط التغيّر الأساسية في المجالين السياسي والإجتماعي،ويتصدر جماعة من الباحثين في هذا الميدان اثنان من المحللين المتأثرين بالأفكار الماركسية وهما: ديفيد هارفي، ومانويل كاستلز، ويشدّد هارفي على أن التحضر يمثل جانبا واحداً من البيئة المستحدثة التي نشأت عن انتشار الرأسمالية الصناعية، ففي المجتمعات التقليدية، كان التمايز قائما بوضوح بين المدينة والريف، أما في العالم الحديث، فقد أوشكت خيوط التمايز على الاضمحلال بين هذين الطرفين بفعل الصناعة، حيث تمكنت الزراعة، وخضعت إدارتها لاعتبارات الأسعار والأرباح شأنها أن العمل الصناعي. وأدت هذه العملية إلى تقليص الفوارق في أنماط الحياة الإجتماعية بين الجماعات المدنية والريفية. وكان من نتائج الزحف الحضري الحديث أن تعرّض مفهوم الفضاء المكان لإعادة الهيكلة من جانب الشركات الكبيرة التي تحرص كل الحرص على اختيار ما لديها من مصانع ومراكز للبحث والتطوير وغيرها؛ ومن جانب الحكومات التي تتولى الإشراف على الأرض والإنتاج الصناعي، ومن جانب أنشطة المستثمرين في القطاع الخاص الذين يتولون بيع العقارات والأراضي وشرائها، وإذا ما قلّت كلفة الإنتاج لأحد المنتجات في مكان ما، تغلق المصانع والمكاتب من إحدى

المناطق لتنتقل إلى بقعة أخرى. وقد ترتفع مع تزايد الأرباح كلفة المكاتب في المباني العالية في أواسط المدن الكبرى. ويتحرك عندئذ أصحاب الشركات العقارية والمضاربون لبناء مواقع جديدة أو تطوير مواقع قائمة وإعادة استصلاحها للمراهنة على بيعها أو شرائها في السوق. ومع التغيرات في المناخ المالي والاقتصادي، تتقلب حركات "إعادة هيكلة الفضاءات المكانية" على فترات زمنية متفاوتة. وتصدق هذه الظاهرة على تداول المباني السكنية بصورة خاصة، غير أنها تصح-إلى حد بعيد- في حالة المنشآت الصناعية، والتجارية، والإدارية.

أما كاستلز(Castelles,1977 ;1983) فيربط بين عملية التحضر/ التحضر من جهة، وتنامي الحركات الإجتماعي من جهة أخرى. إن شكل الفضاء المجتمعي، كما يقول، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بآليات الإنماء الكلية في كل مجتمع. وإذا أردنا أن نفهم معنى المدينة، فإن علينا أن نقتضي عملية استحداث أشكال المكان وتحولاته. إن (إخراج) المدن والأحياء وملامحها المعمارية إنما تعبر عن أشكال من الصراع والنزاع بين مختلف الجماعات في المجتمع. وبعبارة أخرى، فإن البئات الحضرية تمثل التجليات الرمزية للتفاعل بين فئات عريضة من القوى الإجتماعية. فناطحات السحاب،على سبيل المثال، تتنامى؛ لأنها ترتبط بتزايد الربح، غير أن هذه المباني العملاقة المتطاولة ترمز إلى سطوة المال وهيمنة على المدينة من خلال استخدام التقانة وتأكيد الثقة بالنفس،بحيث تغدو-في آخر الأمر-أشبه بالكاتدرائيات الممثلة لتصاعد النظام الاقتصادي الرأسمالي. وخلافاً لما كانت تراه مدرة شيكاغو، فإن كاستلز يعتقد أن المدينة ليست مجرد ((موقع)) متميز في منطقة حضرية ما،بل هي،في واقع الأمر، جزء لا يتجزأ من عملية ((الاستهلاك الجماعي))،وهو من المكونات الجوهرية للرأسمالية الصناعية.وليست المدارس، وخدمات النقل والمواصلات،ومرافق الترفيه إلا وسائل يقوم من خلالها الناس باستهلاك منتجات الصناعة الحديثة بصورة جماعية،كما أن نظم الضريبة بمختلف أشكالها تؤثر في القرارات التي يتخذها الناس في ما يتصل بمعاملات الإقامة والسكن والاستثمار في مجال بيع العقارات وشرائها. وتمارس الشركات الكبرى والبنوك وشركات التأمين نفوذاً كبيراً على هذه العملية؛ لأنها هي التي تقوم بالتمويل، وتقديم رؤوس الأموال اللازمة لمشروعات البناء الضخمة. غير أن الهيئات الحكومية تؤثر تأثيراً مباشراً في العديد من أوجه الحياة في المدينة مثل: شق الطرق؛ ودعم المشروعات الإسكان العامة؛ وتخصيص مناطق وأحزمة خضراء لإقامة الحدائق؛ واستثمار المناطق الزراعية. وعلى هذا الأساس فإن الهيئة المادية الفيزيقية للمدينة هي المحصلة الطبيعية لقوى السوق وسلطة الحكومة. ويؤكد كاستلز في أكثر دراساته السوسيولوجية أن طبيعة هذه البيئات المستحدثة ليست نتيجة لأنشطة الجماعات الثرية أو المتنفذة في المجتمعات الحديثة. وينبه هذا الخصوص إلى الدور البالغ الذي يؤديه صراع المستضعفين والأقل حظاً في المجتمع لتعديل مسارات حياتهم والارتقاء بأوضاعهم المعيشية. إن المشكلات المتولدة في المراكز الحضرية تدفع إلى قيام طيف واسع من الحركات الإجتماعية التي تدعو، من جملة ما تدعو إليه، إلى تحسين الأوضاع الإجتماعية، وتطوير المواقع السكنية، والاحتجاج على

تلوث الهواء والبيئة، والدفاع عن المساحات الخضراء، ومكافحة مشروعات التطوير العقاري التي تغير من طبيعة المنطقة.

وخلاصة القول إن كلاً من "هارفي و كاستلز" يؤكدان أن المدن هي، في مجملها، بيئات مصطنعة أقامها الناس. فحتى المناطق الريفية قد أخذت تخضع بصورة متزايدة لنفوذ التدخل البشري والتقانة الحديثة، مما أدى إلى إعادة تشكيل العالم الطبيعي. ولم يعد إنتاج الأطعمة يستهدف تلبية احتياجات السكان المحليين، بل التصدير والاستهلاك في الأسواق العالمية. كما أن الأرض قد خضعت مع انتشار الزراعة الممكننة للتجزئة والاستثمار على شكل قطع صغيرة متخصصة صناعية المظهر ولا صلة لها بالخصائص الطبيعية للبيئة الأصلية بل إن القطاعات الإجتماعية التي تؤثر الإقامة في مناطق ريفية أو منعزلة ظلت مرتبطة بالمراكز الحضرية في المجتمع الأوسع في حياتها الاقتصادية، والسياسية والثقافية.

ولا شك أن ثمة اختلافاً واضحاً بين الإتجاهات التي تمثلها مدرسة شيكاغو من جهة،والتيارات الحديثة المتمثلة في المنظور الاقتصادي الإجتماعي التقاني في دراسات التحضر. غير أن بعض المحاولات التوفيقية (logan and molotch,1987) لا تجد تعارضاً كبيراً بين هذين الإتجاهين. إذ لا يختلف اثنان سواء في المجتمعات الصناعية أو النامية، على البعد اللاشخصي الذي يتغلغل في أنماط التفاعل الشخصي والإجتماعي في المدينة، وعلى درجات التمايز والاختلاف بين الشرائح الاقتصادية والإجتماعية والإثنية في المدن الحديثة، وهذه هي الخصائص التي أبرزتها مدرسة شيكاغو. غير أن هذه كلها تدخل في باب المتغيرات الجزئية التي تكتنفها وتؤثر فيها مجموعة من العوامل والقوى المتعاظمة في مجالات الهيمنة الاقتصادية، والتقدم التقاني بمفهومه العام، وبثورة المعلومات والاتصالات بصورة خاصة.

وبين هذين الإتجاهين العريضين، أصبح فمهوم (مركز المدينة) أو (قاع المدينة) من المحاور الرئيسية التي تستأثر باهتمام العلماء الإجتماعيين في الآونة الأخيرة. ومن جملة القضايا والمشكلات التي تستحوذ على اهتمامات الباحثين والمحللين في المراكز والأحياء الوسطى القديمة في أكثر المدن الكبرى، تبرز المسائل المتصلة بالانحراف، والبطالة، التشرد، الجريمة، والإدمان على المخدرات والمتاجرة بها، والتعصب العرقي والإثني، والإقصاء الإجتماعي، وتردّي الخدمات العامة والمدارس، والتوتر بين المواطنين والقوى المكلفة بتطبيق القانون وحفظ النظام.

يرى مانويل كاستلز (castelles ,1996) أن المدن (العملاقة) ستكون من المعالم الرئيسية البارزة في عملية الزحف الحضري في القرن الحادي والعشرين. وهذه المدن لا تتميز بحجمها السكاني أو الجغرافي فحسب، بل بدورها باعتبارها نقاط التقاء رئيسية بين التجمعات البشرية الهائلة من ناحية والاقتصاد المعلوم من ناحية ثانية. وستكون هذه المدن بمنزلة جيوب من النشاط والفعالية والنفوذ تتدفق فيها ومنها مؤثرات السياسة، ووسائل الإعلام والاتصالات، والمال والإنتاج. وستكون المدن العملاقة هذه أشبه بقطع مغناطيسية تنجذب إليها،

وتنشد البلدان والمناطق المحيطة بها. وينجذب الناس إلى المراكز الحضرية الكبيرة لأسباب عديدة. فهي ستكون قبلة للقوى التي تنجح في الانضمام إلى نظام الاقتصاد العالمي والانتفاع منه، وكذلك للجماعات التي لا تحقق مثل هذا النجاح. كما أن هذه المدن، التي ستمثل أطراف الاقتصاد المعلوم، ستستقطب شرائح عديدة هائلة من الناس الذين يكافحون لمجرد البقاء والاستمرار.

ويبرز هنا السؤال: لماذا تبلغ معدلات التوسع الحضري في العالم النامي والعالم الأقل نمواً مستويات أعلى بكثير من مثيلاتها في مناطق أخرى من العالم؟ في معرض الإجابة عن هذا السؤال يبرز عملا مهما؛ الأول هو نسب الخصوبة العالية أوساط السكان الذين يقيمون في هذه المدن والمراكز الحضرية أساساً، قياساً على ما نشهده في مدن العالم الصناعي. أما الثاني، فهو الهجرة الداخلية في المجتمعات النامية من المناطق الريفية إلى المراكز الحضرية إما بسبب تقهقر الزراعة التي كانوا يعتمدون عليها في معيشتهم أو لأن المدينة توفر لهم مجالات واسعة من فرص العمل. ويدفع الفقر وشح الفرص أعداداً هائلة من أهل الريف والقرى إلى إغراءات المدينة. وقد يفكر جانب من هؤلاء المهاجرين بالبقاء في المدينة نسبة قصيرة نسبياً يعودون بعدها إلى قراهم بعد أن يكسبوا بعض المال. وقد تعود قلة قليلة منهم إلى الريف بالفعل، غير أن أغلبية الغالبة منهم تضطر إلى البقاء في المدينة،إما لأنهم أفلحوا في تحقيق ما هاجروا من أجله، أو لأنهم فقد ولسبب أو لآخر علاقاتهم وأدوارهم ومواقفهم في مجتمعاتهم المحلية السابقة في مجتمع الريف"[1] .

من خلال الرؤية السوسيولوجية لهارفي نجد أنه يؤكد على أن الفوارق بين المدينة والريف تكاد تزول بفعل الصناعة، ويظهر ذلك في أنماط المعيشة من جهة أخرى يؤكد هارفي على أنّ المناخ المالي والاقتصادي للمنظمات الاقتصادية الحضرية تؤثر على إعادة هيكلة الفضاءات المكانية،من جهة أخرى يشير هارفي إلى تغيير مفهوم الفضاء/ المكان بسبب المصانع والحكومة والمستثمرون.

أمّا "كاستلنز" فيؤكد على الربط بين التحضر والتحضر، فناطحات السحاب الناشئة في المدن الحديثة تشير إلى سطوة المال في علاقة تبادلية وكلما زاد التمّرن ازداد الاستهلاك، علاوة على ذلك نجد العلاقة التبادلية بين الهيئة المادية الفيزيقية للمدينة وقوى السوق وسلطة الحكومة.

كما لاحظ "كاستلنز وجود المدن العملاقة يمثل قطعة مغناطيس جاذبة للسكان الجدد، بحيث نجد أن مركز المدينة هو وسط للجريمة وأشار كاستلنز إلى أن المدن عبارة عن بيئة مصطنعة تضعها الباترونا المالية بهدف الاستهلاك والتصدير .

وأكد "كاستلنز" على أنّ مدن العالم الثالث تمثل مراكز قوية للخصوبة الديمغرافية والهجرة من الريف إلى المدينة.

[1]- أنتوني غدنز، تر: فايز الصياغ، نفس المرجع السابق، ص604.

التنظيم الإجتماعي في المدينة يقوم على أسس موضوعية منها الفروق المعاشية حيث الريف يقوم على ،المعاش القروي يقوم على الزراعة والفلاحة، والمعاش المديني يقوم على التجارة والصناعة والسلطة والخدمات كما نجد أن عملية التحضّر تؤسس للطبقة الإجتماعية أنّ التنظيم الإجتماعي الحضري في المدينة يقوم على جملة من العمليات الإجتماعية تؤسس على العلاقات الإجتماعية التبادلية بين المنظمات الحضرية ويهدف عادة هذا التنظيم الإجتماعي في الغالب إلى تحقيق أهداف مشتركة على رأسها التنشئة الحضرية لأبناء المدينة حيث تشيع بينهم العادات والأخلاق والقيم والتقاليد والأعراف الحضرية.

"مقابل معيشة الرعي التي تسود في البادية والمعيشة الزراعية في القرية، تسود في المدينة أنماط معيشية تتمركز حول التجارة والصناعة والإدارات الحكومية والخدمات الإجتماعية والمؤسسات الثقافية والترفيهية. يستدعي كل ذلك انفتاحا على الخارج، وازدهار السوق، وقيام الإدارات البيروقراطية، ونشوء التنظيمات الرسمية وغير الرسمية والعامة والخاصة. كذلك يفترض نظرياً على الأقل حصول توجّه نحو إقامة مؤسسات ومنظمات ذات علاقات شبه رسمية وتعاقدية بالمقارنة مع العلاقات الشخصية غير الرسمية والأولية التي هي أكثر رسوخاً في القرية والبادية، وكانت حتى وقت قريب تسود أحياء المدن نفسها.

تتشكل البنية السياسية في المدينة من شبكات من العلاقات المنتظمة في مؤسسات الدولة، من تنفيذية وتشريعية وقضائية، وفي أحزاب ومنظمات وحركات سياسية موالية أو معارضة، وفي الجيش وقوى الأمن العام، وفي النقابات ومؤسسات العلمية ووسائل الإعلام...الخ. ومما يلفت النظر في المدن حضور مؤسسات الدولة وشموخها من قلاع وأسوار ومبان عامة ومتاحف وقصور ومجالس شعبية ووزارات ومحاكم.

واللافت للنظر في المدن العربية بشكل خاص المساجد وغيرها من بيوت العبادة، والمؤسسات الدينية من محاكم شرعية وجامعات ومعاهد تحتل مواقع بارزة في ساحات المدينة وأحيائها وأسواقها التجارية. ويلي هذه كلها من حيث الأهمية المؤسسات الثقافية كالجامعات والمعاهد العلمية والمدارس ودور وسائل الإعلام، وخاصة إذا كانت متصلة أو تابعة للمؤسسات الحكومية والدينية. وأصبحت المؤسسات الاقتصادية والترفيهية كالفنادق والبنوك والشركات والمطاعم والمقاهي ودور السينما توازي مؤسسات الدولة والدين في شموخها ونفوذها وتأثيرها في حياة الناس اليومية.

ونتيجة لأنماط المعيشة المذكورة هذه،نشأت في المدن تشكلات وتركيبات طبقية واضحة إذا ما جرت مقارنتها بالقرى والمدن الصغيرة، ولا يتطلب الأمر مجهوداً كبيراً كي ندرك شدة التمايز بين طبقات عليا تتمتع بثروات كبرى ونفوذ بالغ ومكانة إجتماعية رفيعة،وطبقات وسطى جديدة وقديمة، وطبقات دنيا عاملة وفقيرة، على الأغلب أن تكون من أصول فلاحية أو يدوية بحسب المدينة والبلد المعني بالأمر.

ومما يلفت النظر في العقود الأخيرة بشكل خاص تزايد الفروق الطبقية وتبلور الاستقطاب بين الأغنياء والفقراء،حتى إن الطبقات المتوسطة التي كانت قد بدأت تحتل مكانة خاصة عازلة بين قطبي البنية الطبقية

وموحية بإمكانيات الحراك الإجتماعي أخذت بالتقهقر، وأصبحت في بعض الأحوال مهدّدة بفقدان مكاسبها (راجع الفصل المتعلق بالطبقات الإجتماعية والنقاش الجاري حول هذه المسألة). وما يزيد من خطورة هذه الظاهرة أهمية الطبقات الوسطى من حيث دورها في تنشيط المجتمع المدني كشرط من شروط قيام الديمقراطية والتعددية.

ونجد من ناحية أخرى أن المؤسسات الرسمية باختلاف أشكالها ومضامينها لم تنفصل بعد عن الروابط والانتماءات و الولاءات التقليدية من عائلية وقبلية وطائفية وعرقية. تقليدياً،نجد أن بعض العائلات كانت تنتسب للحرف التي تزاولها وأصبحت تعرف باسمها، مثل آل حداد ونجار ونحاس وخياط وبيطار وصباغ ودباغ وخباز و قبّنجي وسمّان و لحام ولبّان وفران...الخ. ثم إن النشاطات الاقتصادية التي يزاولها الناس لا تنفصل عن الانقسامات الإجتماعية القائمة، إذ تقبل بعض الطوائف على مهن أكثر أو حتى دون غيرها، وتكون بعض الحرف وراثية في بعض الأسر جيلاً بعد آخر.

ومن أوجه العلاقة بين الدين والمهنة التشابه بين تنظيم النقابات المهنية والفرق الصوفية والطائفية. يذكر عالم الإجتماع اللبناني زهير خطب أن الفرق الصوفية كانت تضّم الكثير من الحرفين والصنّاع، (فقوى التيار إلى درجة انتهى فيها أكثر العاملين في بعض فروع حرفة معينة إلى طريقة صوفية واحدة. فاقتبسوا عنها الكثير،خاصة ما تعلق منها بعلاقاتهم المتبادلة، فتكرس وجود (الصنف) (أي صنف السلعة) أو (الطائفة) (جماعة العاملين في حرفة واحدة) أو ما نسميه اليوم (نقابة)،كل صنف يضم ثلاث فئات من العاملين هم: (المعلمون والصناع والمبتدئون). ويتابع زهير حطب ملاحظاً أن علاقة المبتدئ بالمعلم كانت شبيهة (بعلاقة المريد بشيخ الطريقة الذي عليه أن ينقل سره إليه وأن يعلمه تقاليد الفرقة)، وان (التركيب الداخلي للجماعة الحرفية كان يتوافق مع تركيب الأسرة من جهة باعتبار أن معظم العاملين في الحرفة هم من الأقرباء). ونتيجة لعلاقة الحرف بالطائفة والأسرة أصبح (لكل حرفة شيخ ينتخبه معلمو الصنعة)، وكانت المشيخة هذه في بعض الحرف (تنتقل بالإرث من الأب إلى الابن)، شرط أن يوافق على ذلك معلمو الحرفة. وقد لعب الدين دوراً مهماً في تنشيط التجارة كما لعبت التجارة دوراً لا يقل أهمية في تنشيط الدين، فالحج مثلا لم يكن رحلة دينية فقط بل كان كذلك رحلة تجارية إذا كان الحجاج يحملون معهم بضائع بلادهم...ليبيعوها في المدن التي يمرون فيها ويشترون مقابلها عند عدوتهم بضائع تلك المناطق، وكانوا إبان الحكم العثماني معفيين من رسوم الصادر عند توجههم إل الديار المقدّسة ومن رسوم الوارد عند عودتهم منها"[1] .

إنطلاقا مما سبق نجد أن عملية التحضّر في المجتمعات المدينة تنتج طبقتان اجتماعيتان متباينتان و هما: طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء لكل طبقة أحياؤها الخاصة بها. كما نلاحظ في المجتمعات النامية خاصة الدول العربية

[1]- حليم بركات، نفس المرجع السابق، ص 246.

علاقة تبادلية بين النسق الديني والنسق التجاري ومن الملاحظات الملفتة للانتباه في المجتمعات الحضرية المدنية العربية بقاء الولاءات العائلية والقبلية والطائفية والعرقية.

كما نجد نمط العلاقات الإجتماعية يقوم على نوعين من العلاقات: في المدينة توجد العلاقات الرسمية في الغالب،وفي الريف توجد العلاقات الغير الرسمية فقط.

وأهم المؤسسات البارزة في المدن العربية: المؤسسات الدينية والمؤسسات الإقتصادية.

الأسرة الجزائرية التي تعيش في المدينة تكتسب قيماً ومعايير حضرية جديدة تتمثل في تكوين الأسرة النووية وطغيان العلاقات الجوارية على العلاقات القرابية، والاهتمام بالهيكلة التاريخية للعلاقات وطغيان القيم والمعايير الإجتماعية القائمة على الاستهلاك.

"يعتبر الحديث عن المدينة هو حديث المجتمع الحضري بكل مراحل نطوره و مكوناته، فإذا كانت المدينة هي البناء الايكو-اجتماعي والمورفولوجي العام الذي تتشكل من خلاله النطاقات الحضرية فإن المجتمع الحضري هو الفاعل الأساسي في تشكيل نظمها وأنساقها الفرعية. لأنه في نهاية الأمر ما هو إلا انعكاس لحاجات إجتماعية واقتصادية وثقافية وعمرانية و ديمغرافية، ترتبط بأسلوب حياة معين تبلور في ضوء أفكار الناس وتقاليدهم و عاداتهم، ويؤثر بالتالي في تحديد أنماط سلوكهم وفق ما يعقدونه من قيم وما يلتزمون به من قوانين وأعراف وما يمارسونه من أنماط العيش والاستهلاك، ولهذا تختلف الحياة الحضرية الخاصة بالحياة الإجتماعية المتأثرة بمؤشرات التصنيع والتحديث والتغيير الإجتماعي، مما يؤدي إلى ظهور مفهوم حديث للحضرية متغير حسب متطلبات الحياة ومؤشراتها التحديثية.

وإزاء التبدلات والتغييرات التي طالت مجتمع المدينة الجزائرية والتي مست مختلف البنى الإجتماعية والتنظيمية الحضرية، ظهرت أساليب حياتية بديلة تعزز في مجملها صور وأشكال التماثل والتباين في مختلف الأنشطة والممارسات السلوكية، في شتى البناءات وعلى جميع مستويات الوحدات الإجتماعية والجماعات الحضرية في المدينة الجزائرية.

وتعتبر الأسرة الحضرية في الجزائر حلقة مركزية وأساسية من حلقات البناء الإجتماعي الحضري الشمولي بحيث يؤكد السياق التاريخي للظاهرة الحضرية في الجزائر، أن هذه الأخيرة طرأت عليها مجموعة من التغيرات مست جل الأنساق الرئيسية المكونة لها والمرتبطة بها.

كما أن التطور التاريخي لنمط الحياة في الأسرة الجزائرية الحضرية، خلق تغيرات كثيرة في بنيتها وتركيبتها الوظيفية والبنائية،بحيث جعلتها تشكل مجتمعا شديد التنوع،كثير التناقضات،مزدوج في نمط الحياة (التقليدي-الحضري)، بين المحافظة على أساليب الحياة القديمة والتطلع إلى الحياة العصرية،كما بدأت المناطق الحضرية بعد الاستقلال تعرف تغيرات إجتماعية تربوية وإجتماعية اقتصادية وإجتماعية مهنية،كعناصر خارجية قوية،كان لها الدور الكبير في تغيير أدوار ووظائف الأسرة الحضرية الجزائرية،والذي يسفر إجمالا عن هذه الأخيرة بدأت

تفقد وتتخلى عن الأساليب الحياتية التقليدية للجماعة الواسعة وتفضل مكانها أنماطا جديدة ومختلفة من الحياة.

وقد حدث هذا التغيير على مستويات مختلفة أهمها:

- نمط الأسرة وشكلها البنائي والوظيفي.
- تعدد مصادر الدخل وتغير أسلوب الإنفاق العائلي.
- زيادة الحراك التنقلي وتعدد الوظائف الحضرية.
- تغير العلاقات الأسرية نحو الجزيئية والتشتت والنفعية.

إن الظروف التاريخية والاقتصادية والإجتماعية التي عرفتها المدينة الجزائرية عموما جعلت مفهوم الحياة الحضرية يأخذ خصوصية وتعريفا مغايرا لما هو شائع في تعاريف أدبيات الدراسات الحضرية.

ذلك لأن أنماط الحياة التي تتبناها الأسرة الجزائرية اليوم هي مزيج بين التأثيرات بعض المتغيرات التاريخية التي نشأت ضمن النسيج القيمي والعمراني والتنظيمي الفرنسي خاصة بعد مرحلة التحضر التي عاشتها الجزائر في مرحلة الاستقلال. والتي انحدرت أغلب الأسر فيها من الريف إلى المدينة، مما يؤثر على طريقة حياة ساكنيها والتي قد تمزج كما سبق الذكر بين سمات الحياة الريفية والحياة الحضرية ضمن متصل أو ثنائية (ريفية–حضرية)، تترجم في غالب الأحيان في تغير نمط من العلاقات الإجتماعية مع الجماعات الأولية، القرابية، الجيرة و العلاقات الثانوية، وكذلك أنماط الإقامة وأنماط الاستهلاك وأشكال الحراك التنقلي وفقا لتغير البنية المهنية والوظيفة الحضرية.

خاصة بعد تزايد معدلات الهجرة من الريف إلى المدينة، فضلا عن تأثرها كما سبق الذكر آنفا بمتطلبات التصنيع والتحديث، فلقد طبقت عليها سياسات تنموية مختلفة في ميادين التربية، التعليم، الاقتصاد، الزراعة، السكن،... الخ. والتي صاحبتها عمليات مختلفة من الحراك الجغرافي والايكولوجي والإجتماعي، توفر العمل المأجور في القطاعين العام والخاص. نوفر الفضاءات الترويحية والثقافية إضافة إلى انتشار النسق التكنولوجي وتعدد استخدامه مما يولد النزعة المتزايدة لدى الفرد الحضري نحو الطلب في تنوع أنماط الاستهلاك التي أصبحت تميز الأسرة الحضرية الجزائرية. كما أصبحت هذه الأخيرة تفضل التجمعات والمرافق الحضرية التي تتوفر فيها عصرنة الأساليب الحياتية.

يضاف إلى ذلك العوامل الخارجية المتمثلة في الانفتاح على العالم المديني والتأثر بنماذجه التنظيمية والتنموية وحتى القيمية وما يفرضه من أساليب جديدة،تبدو دخيلة وغريبة على النمط الحياتي التقليدي لدى الأسرة الجزائرية.

كل ذلك يشكل متغيرات إجتماعية تؤثر في تزايد وتنوع حاجات الأسرة وفي شكلها البنائي والوظيفي، حيث ظهرت أنماط حياتية أخرى يخضع فيها الأفراد إلى مؤشرات التغير الإجتماعي الحضري وفي نفس الوقت

يتأثرون بمختلف الظروف والاختيارات والبدائل الثقافية المتاحة، والتي تفرضها البيئة الإجتماعية الحضرية المعاصرة.

وفي نفس السياق يشير "مُحَمَّد بوخبزة" في دراسته عن التحولات الإجتماعية في الجزائر "أن ميزة البناء الإجتماعي هو أن يكون متدرجا وأول مؤثر لهذا التدرج هو ظروف الوجود المتمايز". كما أسفرت إحدى الدراسات والتي قام بها مجموعة من الباحثين على مئة (100) مفردة من الأسر الحضرية سنة 1989، النتائج الآتية/(18).

1. يوجد نزوع واضح نحو نمط الأسرة النووية الذي يمثل 71% من مجموع أنماط الأسرة الجزائرية، مقابل 31.90% فقط تمثل نمط الأسرة الممتدة.

2. لم تكن تتجاوز الأسرة النووية سوى 20 في إحصاء 1966 ويعتبر هذا مؤشر هام عن التغير الذي عرفته بنية الأسرة الجزائرية منذ الاستقلال إلى اليوم.

3. أكثر من 50% من البيوت الجزائرية العادية تتكون من أسر نووية، وبدون أشخاص خارج الأسرة ويعتبر هذا مؤشرا هاما في تغير نمط الأسرة الحضرية في الجزائر.

بالاستناد غلى ما سبق يبدو جليا أن مفهوم الحياة الحضرية في المدينة الجزائرية ارتبط بظروف وديناميات داخلية وخارجية، تأثرت بها أساليب الحياة لدى الأفراد الحضريين بوصفها أهم بماء اجتماعي النسق البنائي والوظيفي العام للحياة الحضرية.

فالأولى اتسمت بالأحداث والأزمات التي خلقت تحضرا ديمغرافيا يتعلق بازدياد أعداد سكان المدن، الأمر الذي أدى إلى ظهور التحضر الجغرافي الذي يتعلق بالحركة السكانية وتوسع المدن أفقيا لتشمل محيطها الريفي ونحول القرى الريفية إلى تجمعات سكنية حضرية، والثانية متطلبات فرضتها آليات السوق المفتوحة والمتنوعة وضروريات التنمية المحلية والإقليمية.

وعلى الرغم من قبول المجتمع الحضري الكثير من التغيرات المادية التكنولوجية الحديثة، التي أصابت الجانب المادي من الثقافة بينما يظل الجانب اللامادي منها صامدا يقاوم منها صامدا يقاوم التغيير، وهذا يعني أن التغير في الجوانب المادية أسرع منه في الجوانب اللامادية مما يؤدي إلى حدوث التخلف الحضري الثقافي، ومن جهة أخرى فغن الثقافة التقليدية للمجتمع مستمرة في الظهور بطريقة أو بأخرى لكنها تبقى هامشية في الوظائف الحضرية الاقتصادية والإجتماعية والثقافية المعاصرة[1]" .

إنطلاقا مما سبق نجد أن المناخ الحضري الإجتماعي للأسرة الجزائرية يرتبط بسلم الحاجات لماسلو. حيث غن التطور الحضري الإجتماعي الحادث في المدن الجزائرية أدى إلى ظهور تغيرات في بنية الأسرة ووظيفتها بعد أن

[1]- هادفي سمية، نفس المرجع السابق، ص175-177.

تحولت إلى أسرة نووية،كما نلاحظ تعدد مصادر الدخل الأسري، وخروج المرأة للعمل وازدياد أنماط الإستهلاك.

علاوة على ذلك نجد أن انتقال الأسرة من الريف إلى المدينة وأثر في العلاقات القرابية والعلاقات الجوارية والعلاقات الاستهلاكية للأسرة الجزائرية.

إضافة إلى ذلك نجد أن ارتفاع وتيرة الحاجات في المدن يؤدي إلى تغيّر في العلاقات البنيوية والوظيفة للأسرة الجزائرية. كما نلاحظ من جهة أخرى نمو على المستوى المادي والديمغرافي وتراجع على المستوى الأخلاقي والقيمي في الأسرة الجزائرية الحضرية.

ومن دقائق الملحوظات التي لاحظها العلامة إبن خلدون وهو يجري أبحاثه ودراساته العميقة هي علم العمران: أن البدو هي مرحلة تمهيدية للانتقال إلى المرحلة الحضرية، فإذا أحترف جماعة من الناس الحرف الزراعية كان بالضرورة أن يعيشوا بالبادية، لكن لم يكتفون بالضروريات و ينتقلون إلى الكماليات فإنهم بالضرورة ينتقلون إلى الحرف الصناعية والتجارية الموجودة بالمدن والحواضر.

" أعلم أنّ اختلاف الأجيال في أحوالهم إنّما هو باختلاف نحلتهم من المعاش؛ فإنّ اجتماعهم إنّما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي. فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة؛ ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها. وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة، ولابد إلى البدو لأنّه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك. فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرا ضروريا لهم،وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من الوقت و الدفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة،ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك.

ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفت، دعاهم ذلك إلى السكون والدّعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمطار للتّحضّر. ثم تزيد أحوال الرّفة والدّعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالات البيوت والصروح وإحكام وضعها في تجنيدها، ويختلقون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون، وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون، أهل الأمطار والبلدان. ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة. وتكون مكاسبهم أنمى وارفة من أهل البدو؛ لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم.

فقد تبّين أنّ أجيال البدو والحضر طبيعية لابد منهما كما قلناه"[1] .

[1]- إبن خلدون، المقدمة، دار الهدى، ب ط، الجزائر، 2009، ص149.

إنطلاقا مما سبق نجد أن الأجيال التي تحترف في المهن الزراعية كالمفلح والفراسة والزراعة وتربية الحيوان كالغنم والبقر والمعز والنحل والدود هؤلاء يتعاونون وتضطرهم المهنة أن تكون حياتهم الإجتماعية موجودة في البادية، وعادة ما يكتفي هؤلاء القوم البدو بالضروريات في تلبية الحاجات الفيزيولوجية لكن الأجيال التي تطمح إلى أكثر من الحاجات الضرورية وإنما يذهبون إلى تحقيق الحاجات السيكولوجية والإجتماعية من أحوال الرفت والغنى فإنهم سيضطرون لا محالة إلى احتراف المهن الموجودة في الحواضر كالتجارة والصناعة.

المدن كهيكلة عمرانية وهندسية بنائية معقدة تقوم أساسا لتحقيق جملة من الوظائف المتعددة والمدن عموما هي مراكز للحكم والتعليم والعبادة والإدارة والمدن على وجه العموم خمسة أنواع: المدن الخاصة بالقوافل، مدن الهزازات، المدن الإقطاعية، مدن الفتوحات، المدن الصناعية.

" تحدد المدينة بوظائفها الاقتصادية والإجتماعية والسياسية والدينية والثقافية والإدارية والترفيهية أكثر مما تحدّد بحجمها، رغم الترابط بين الأمرين. ينسب الباحثون ظهور المدن إلى ضرورات تنظيم الري، والنمو التجاري، وإقامة مواقع دفاعية، والضبط السياسي، وتراكم فائض الإنتاج الزراعي، ونوسع النشاطات الدينية، والتواصل بين المجتمع وبقية العالم الخارجي،...الخ.

وعلى وجه التحديد، يقول "ألبرت حوراني" في معرضه تحدث عن المدينة الإسلامية، (إن المدينة تنشأ عندما ينتج الريف مزيدا من الطعام أبعد من حاجاته مما يمكن فريقا من الناس أن يعيشوا دون أن يزرعوا محاصيلهم أو يربوا مواشيهم، فينصرفون إلى صنع سلع للبيع أو تقديم خدمات لبقية البلا).

ويشير "فؤاد خوري" إلى أن مفاهيم إبن خلدون (الملك) و (العمران) و(الحكم) و(الدولة) ترتبط ارتباطاً عضوياً بالمعنى الرمزي للمدينة التي يشتق لفظها من دان ومعناه قاض أو حاكم أو حكم على. بذلك عنت المدينة في الأصل أنها المكان الذي يجري فيه الحكم والقضاء.

إن المدينة هي بالدرجة الأولى مركز الحكم أو النفوذ والقوة (فيوجد فيها مؤسسات الدولة من وزارات وجيش ومحاكم ومجالس إنتاجية وسفارات ... الخ)، ومركز التجارة العالمية والمحلية (فتوجد فيها الأسواق التجارية والصناعات والحرف والبنوك والشركات...الخ)، ومركز التعليم (فيوجد فيها الجامعات والمدارس ودور النشر والصحف والمتاحف)، ومركز العبادة (فتوجد فيها المساجد والمآذن الكبرى والكاتدرائيات والكنائس ...الخ)، ومركز الإدارات والفنون والحرف والصناعات والترفيه والخدمات العامة وغيرها.

وكثيراً ما صنفت المدن حسب وظائفها ومواقعها وتجاربها التاريخية وتنظيمها الإجتماعي. ميّز "فؤاد خوري" في دراسته المذكورة خمسة أنواع من المدن: الأول، المدن الواقعة على طريق القوافل (الرياض) وقد ظهرت في أطراف الإمبراطوريات الكبرى على طول الطرق التجارية العالمية، وتتمثل هذه المدن بتذمر في سوريا والبتراء في الأردن،ومكة قبل ظهور الإسلام، الثاني، مدن المزارات وهي ظاهرة طائفية في الأصل قائمة خارج نطاق سيطرة الدولة، وتتمثل بالنجف وكربلاء بالعراق، والمدينة في الجزيرة العربية، الثالث، المدن الإقطاعية وهي امتداد

لسلطة الدولة وتقع في السهول المفتوحة الخصبة والمروية وتتمثل بمدن حماه وحمص في سوريا وطرابلس في لبنان والموصل بالعراق وقسنطينة في الجزائر، الرابع، مدن الفتوحات (الثغور) التي كانت هدفاً حربياً للفاتحين على مر الأزمان التاريخية (فكل من يسيطر على هذا النوع من المدن يسيطر بذلك على مساحات شاسعة من الأراضي المروية والطرق التجارية العامة)، وتتمثل هذه المدن بدمشق وحلب وبغداد والبصرة والقاهرة والإسكندرية، الخامس، المدن الصناعية وهذا النوع من المدن ظاهرة حديثة نوعاً ما بالمقارنة مع المدن الأخرى. وهي لا تحدد بوجود مهارات صناعية – فمدن الفتوحات تحتوي على نشاطات صناعية- بل بكونها بنيت في المقام الأول على الإنتاج الصناعي (وهذه المدن في البلاد العربية بنيت حول صناعة النفط وتتمثل بالكويت والدوحة وأبو ظبي وينبع وجبيل في السعودية، وتتميز بوجود نسبة ضخمة من العمال الأجانب"[1] .

وعلى هذا الأساس فإن المدن كثيرة الوظائف متعددة الأدوار وأهم الأدوار التي تؤديها المدينة: الأدوار السياسية والاقتصادية والإجتماعية والدينية والثقافية والإدارية والترفيهية، وتنشأ المدن أساسا تلبية بهدف إنشاء المصانع والشركات والمحلات التجارية وبالمدن توجد مؤسسات الدولة كالمحاكم والمجالس والجيش والأسواق والبنوك والجامعات والمدارس والمتاحف والمساجد والكنائس والحرف والصناعات كما أن المدن على وجه العموم خمسة أنواع: قوافلية إقطاعية ومزاراتية وفتوحاتية وصناعية.

إن التكدس الحادث في بنية العلاقات الإجتماعية لمجتمع الحواضر والمدن العربية يجعلها عبارة عن إشغالات مكدسة لطاقات بشرية معطلة ولذلك لا نجد مجتمعا مدنيا بالمفهوم الحقيقي الذي يقصد منه قوى إجتماعية فاعلية ومعارضة للسلطة لها وجودها الحقيقي وتأثيرها الفاعل.

"إن عدم فاعلية أو انتفاء ما يسمى بالمجتمع المدني وقواه في المنطقة العربية تجاه التحولات الديمقراطية والدولة والمجتمع يعود إلى أن الإشغالات الإجتماعية المسماة "مدن" لاوجود لها قياسا على المدن وقواها وثقافتها في التجربة الأوروبية والغربية.أن تلك الإشغالات المسماة مدنا في البلدان العربية جميعها تبدو إشغالات مثقلة بالتكوينات الإجتماعية الريفية والتقليدية وقواها وثقافتها، إلى درجة أننا أمام ما يمكن تسميته "بتريف المدن". وإذا كانت تلك الإشغالات الإجتماعية (المدن)؛ وهي الحاضنة لما يسمى قوى (المجتمع المدني) وثقافته؛ "متريفة" على نحو كبير فان ذلك يعني أن مفهوم "المجتمع المدني" وقواه وثقافته وبالتالي فاعليته تبدو معطلة في أساسها وبنيتها ليس بسبب أن تلك القوى غير موجودة؛ وإنما بسبب أن "المدن العربية" وقواها على ما هي عليه من "تريف" غير قادرة أو أنها لم تستطع أن تمد ثقافتها وتنظيماتها إلى "الريف" على نحو ما يولد عملية "تمدن الريف".

وعلى الرغم من أن الأرقام تشير إلى نسب عالية من التمدن والتحضر في معظم البلدان العربية تقريباً،فإن التدقيق فيها وفي مضامينها الإجتماعية يفصح عن أن جل تلك العملية يعكس حالة واضحة لظهور "مدن"

[1]- حليم بركات، نفس المرجع السابق، ص 90.

بقواها وثقافتها على نحو يؤسس لقيام تنظيمات ثقافية قادرة على تعميمها على معظم الإشغالات الإجتماعية الريفية، سواء على مستوى الريف ككل أم على مستوى الامتدادات الريفية والمكثفة وتداخلاتها الغالبة في "المدن" العربية ذاتها. وحيث إن الامتدادات الريفية في الإشغالات الإجتماعية المسماة "مدناً" مقلة بقواها التقليدية (الأسرية والعشائرية والقبلية والدينية والمذهبية والطائفية...إلخ.) و ثقافتها ومنظوماتها القيمية، وحيث إن القوى الموصوفة بـ"المجتمع المدني" مع وجودها كماً وكيفاً غير قادرة أو غير راغبة في استقطاب تلك المجموعات الغالبة ولا تعميم منظوماتها وثقافتها عليها _ سواء في المدن ذاتها أم في الريف _ فإن الطابع العام والنتيجة الملازمة هو أن وجود تلك القوى الموصوفة بـ"المجتمع المدني" لا أهمية له في إطار إحداث تحولات باتجاه الديمقراطية، إن لم يكن جميعها،في البلدان العربية (مصر والأردن واليمن والمغرب وحتى الكويت والسلطة الفلسطينية) على اختلاف درجاتها ومستوياتها وكذلك بعض الإتجاهات الإصلاحية السياسية في بلدان الخليج، تحولات وإصلاحات مصدرها السلطة ذاتها ورغباتها، وهي متأثرة بدرجة كبيرة برؤى وتداخلات خارجية أكثر منها داخلية. إنها تحولات باتجاهات ديمقراطية محددة أو مقيدة آتية من السلطة (من أعلى) وليس بسبب ممارسة القوى الموصوفة بـ"المجتمع المدني" لدورها ووظائفها ذات الصلة نظرياً.

ومع ذلك فإن هذا القول لا يعني البتة أنه لا يوجد بعض الضغوط الداخلية باتجاه الديمقراطية وحقوق الإنسان. وفي هذا السياق، فإن إقدام عدد من البلدان العربية أو معظمها على تقديم بعض التنازلات والإصلاحات السياسية، مع أنها بالفعل من رغبة السلطات والقيادات العليا فيها، إلا أن ذلك لا يمكن أن يحدث بمعزل عن بعض الضغوط الداخلية والخارجية والتي قد تكون حفزت عدداً من القيادات السياسية العربية، في إطار تراكماتها، على الموازنة بين سلبيات الجمود وإيجابيات الإصلاح مع العقلانية لضمان استمرارها في السلطة لفترات أطول.

يضاف إلى ذلك كله أن النشاطات التي إرتبطت بتحولات ديمقراطية في بعض البلدان العربية، مثل البحرين والجزائر والأردن وحتى السعودية ما بعد أزمة الخليج، إنما قامت بها قوى إجتماعية تقليدية (دينية مذهبية أو طائفية أو قبلية وحتى مناطقية) ولم تكن صادرة بدرجة كبيرة عن القوى الموصوفة بـ"المجتمع المدني". ومن هنا فإن الملاحظة العامة على تلك التحولات تبقى بارزة واضحة. وتشير إلى أنها لم تكن وليدة أفعال ونشاطات من القوى الموصوفة بـ"المجتمع المدني" على نحو محدد.

إن العلاقة بين "المدن" و "الريف" في البلدان العربية علاقة تبدو لا فكاك منها، وذلك بسبب السياسات الحكومية غير الحميدة في البلدان العربية من تركز الخدمات وفرص العمل في ما يمكن تسميته المراكز (المدن) العمرانية دوم غيرها،مع إغفال أو إهمال الأطراف بما هي أرياف ومجتمعات سكانية ذات نمو سكاني متواصل،بما في ذلك أجزاء من "المدن" ذاتها باعتبار الأخيرة متريفة، وباعتبار أن معظم الخدمات والأبعاد التنموية إنما تحدث في أجزاء محددة من تلك المراكز العمرانية (المدن) على حساب بعض من أطرافها نفسها.

ومن هنا تلاحظ الفروقات الهائلة بين أحياء "المدن" العربية، حيث إن بعض الأحياء _ والتي غالباً ما تقطنها فئات تجارية أو مالية أو نخب حكومية متداخلة مع الطبقة الوسطى في شرائحها العليا بما في ذلك كبار موظفي الدولة– تستحوذ على خدمات ومرافق متميزة جداً، مثل سعة الطرق ونظافتها وخضرتها وتوفر الخدمات الكهربائية والمائية والصرف الصحي فيها،وكذلك المراكز الثقافية أو التجارية والصحية،فيما تفتقر الأحياء الشعبية والفقيرة غالباً إلى أبسط الخدمات. وفوق ذلك كله، فإن تلك التباينات داخل "المدينة" الواحدة وأحيائها تجد أقصى تجلياتها في الفروقات الهائلة في أبعاد التنمية بين تلك المراكز (المدن) والأطراف، وبخاصة الأرياف وقراها، وكذلك التفاوت في التنمية بين المناطق وعلى نحو يعكس خللاً واضحاً في توزيع الموارد والثروات، بما يخلق عدم التكافؤ في الفرص من حيث المساهمة المتوازنة والمتوازية في المدخلات ذات الصلة بالسياسات التنموية، والحصول على المكتسبات من مخرجاتها، وبالتالي عدم التوازي والتوازن في الترقي والتقدم، ربما لا يخدم في النهاية قضية المواطنة والتماسك بين الدولة والمجتمع"[1] .

إنطلاقا ممّا سبق نجد أنّ الثقافة السائدة في المدن العربية هي ثقافة ريفية تعكس حاله التكدس الإجتماعي في البنية التاريخية للعلاقات الإجتماعية، حيث تسود في هذه المدن القيم العشائرية والقبلية والمذهبية والطائفية أكثر من القيم الإنسانية. والتغيرات السياسية في مجال الديمقراطية في المدن العربية هو نتاج ضغوطات خارجية وأخرى داخلية ولا يرجع أبدا إلى تأثير المجتمع المدني المكدّس. وعلى هذا الأساس نجد أن هناك علاقة تداخلية بين المدينة والريف على أن هناك تريّف للمدينة تظهر في شكل ثقافة خاصة تمثل هذا التداخل.

[1]- متروك الفالح، **المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تريّف المدن**، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002، ص167.

الفصل السادس
الدراسة المونوغرافية
لمدينة الأغواط

– تمهيد :

يتعلق هذا الفصل بدراسة حالة مدينة الأغواط، حيث سنتطرق ضمنه إلى تقديم نبذة تعريفية تاريخية عن مدينة الأغواط من حيث تأسيس المدينة ومراحل تطورها التاريخي بداية من نشأتها ونهاية إلى العصر الحديث،كما نتعرض بالحديث إلى أصول سكان المدينة والقبائل التي شكلت المدينة منذ القديم فالحديث،كما سنتطرق إلى مراحل النمو السكاني والعمراني لمدينة الأغواط، ونتعرض بالحديث للبنية الإجتماعية والتركيبة السكانية والإجتماعية بطريقة تحليلية، ومن ثمة نقوم بعرض موجز للبلديات المجاورة إلى مدينة الأغواط من حيث نشأتها وتأسيسها وأصول سكانها وتاريخها بصفة عامة، وهذا بسبب أن هذه البلديات هي بمثابة مشتلة المدينة فيما يتعلق بالسكان وإنتماءاتهم العشائرية والقبلية.

أولاً : الدراسة المونوغرافية لمدينة الأغواط .

1- الموقع الجغرافي والإداري:

تقع مدينة الأغواط بالجهة الجنوبية الشرقية للبلاد على الطريق الوطني رقم 01، وتبعد عن العاصمة بـ 400 كلم وهي مركز للولاية وبوابة الصحراء. إنبثقت من خلال صدور القانون رقم 09/48 من سنة 1984 المتعلق بالتقسيم الإداري والتنظيم الإقليمي للبلاد ولتكوين البلديات ومشتملاتها وحدودها الإقليمية وهو التقسيم المعمول به حالياً.أين تشمل البلدية مدينة الأغواط ومجمعات برج السنوسي، السريجة، قنيفيد، الميلق وبوشاكر. وهي عبارة عن سهول ممتدة بين وادي مزي ووادي مساعد من الجهة الجنوبية الغربية. تقع المدينة على خطي الطول 33.8° شمالا، وخط العرض 2.883° شرقا وعلى ارتفاع 751 متر على سطح البحر، تنتمي المدينة إلى الشريط السهبي، والذي يطل على جبال الأطلس الصحراوي (جبل الأزرق والميلق) من الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية.

يحدها من الشمال بلدية سيدي مخلوف على بعد 40 لكم، ومن الشمال الغربي بلدية تاجموت، ومن الشرق بلدية العسافية على بعد 14 كلم، ومن الجنوب الغربي بلدية الخنق على بعد 07 كلم، ومن الجنوب الشرقي بلدية بن ناصر بين شهرة على بعد 26 كلم. تتربع بلدية الأغواط على مساحة 400 كلم^{2}.

2- تاريخ مدينة الأغواط (النشأة والتطور):

إن التعرف على تاريخ أصول الأغواط، وأصول السلالات والقبائل والعروش يعد من أهم العمليات التي يسعى دائما كل باحث لتحقيقها، وهو يهدف أساسا إلى ربط الماضي،المناطق وأصولها، والذي يفيد في معرفة تغيراتها وتطوراتها وتحولاتها وانتقالاتها من حال إلى حال، ومن جيل إلى جيل،وهذه العملية تعد في حد ذاتها وسيلة لمعرفة حركة التاريخ. أنه لا توجد أمة على وجه البسيطة تنحدر من أصل واحد، وإنما تكونت الأمم والمناطق من تداخل السلالات والعروش والعائلات في مختلف أطوار التاريخ حدث ذلك تحت تأثير الهجرات والانتقالات عبر الحدود الجغرافية المختلفة،وخلال حقب تاريخية متباينة، ونوع من التداخل والاختلاط بين العروش منذ العصور الموغلة في القدم، عاش الناس عيشة إجتماعية في تجمعات مختلفة في عدد أفرادها وجماعاتها،سواء هذه التجمعات من القبائل الفصائل والعشائر، أو العروش والعائلات،كونت بذلك حلات صغيرة أو قرى وبلدات ومدن، ومن ذلك أصبح التاريخ منطق الزمن ينتقل من الأبناء إلى الأجداد، ليكون منطلقا إلى الأجيال اللاحقة و روافد للرعيل الوافد ليعرف من أين؟ وإلى أين؟.

إن شواهد الآثار بالأغواط تؤكد على أنها عرفت حضارات بشرية تراكمت على أرضها، وحقبات ومراحل تبرز مدى عمقها التاريخي وجذورها الأولى بدءا من إنسان العصر الحجري وهو يبحث عن طعامه، إلى الحضارة البربرية العريقة، حتى الحضارة الإسلامية والعربية العظيمة. إن الجزائر بلد عتيق وأصيل مترامي الأطراف شاسع المساحة، تعاقبت بهذا البلد خمس حضارات،وان أول ما عرف التاريخ من سكان هذا البلد هم البربر الأمة العظيمة والحضارة العريقة وآخر ما عرف الحضارة العربية الإسلامية العظيمة. لكل منطقة تاريخ حضاري وأصول،ولكل فرد وجماعة عمق وجذور، الأغواط هي جزء من هذا الكل، حيز جغرافي له موقعه وخصائصه التاريخية والجغرافية وكذا الإجتماعية، معقد التركيبة الإجتماعية من حيث الأجناس والقبائل، والسلالات والعروش المركبة للنسق الإجتماعي المتمثل في سكان مدينة الأغواط بالخصوص. حاولنا تأليف هذه المقالة الانتربولوجية التاريخية لمعرفة أصل سكان مدينة الأغواط والسكان الأولون لها، إنه لكل منطقة أصول وقبائل وعروش وسلالات اختطها ولكل عرش نسب، أن معرفة النسب أمر ضروري وذلك أن العرب قديما اشتهروا بمعرفة الأنساب، وهو علم له قواعده فقد حاولنا معرفة السكان الأولون لمدينة الأغواط أصلهم، نسبهم، تقسيمهم، تفرعاتهم، إستقرارهم ومواطنهم، فوقفنا على بعض الوثائق والمراجع والشهادات الحية الموجود لدى الباحثين في هذا المجال والموثوق فيهم من قبل المثقفين وأعيان البلاد، فالباحث الذي يخوض في مجال التاريخ سيجد صعوبة كبيرة في جمع المعلومة سواء من حيث قلة المراجع وشحها أو أنها في أرشيف المكتبات الشخصية لأناس يضنون بها ويخفونها، السبب لماذا لا أعرف ؟ ومن المعروف أن البحث عن الأنساب صعب جدا وفيه حساسية كبيرة لذلك تجد العصبية واضحة الكل يحاول تأصيل نسبه وعرشه من أنه من سكان المدينة .فسيجد القارئ الكريم أننا قد ركزنا على القبائل والعروش الأولى التي أسست المدينة ومحيطها والطوق الحضري لها حتى من العصر الروماني حتى القرن السادس عشر ويزيد قليلا. فلو كنا نبحث عن القبائل والعروش بالأغواط المدينة وما جاورها لما استطعنا ذلك وتحتاج إلى وقت كبير وإلى دراسات فالشخص لا يستطيع أن يحصي حتى عائلته ويبحث عن أصلها. فقد حاولنا قدر الطاقة والإمكان أن نوثق التاريخ وذلك بكل موضوعية. لذلك:

– ما هي أصول سكان المدينة ومصادرها ؟ متى بدأت نشأة العمران البشري بالمنطقة؟

– كيف كانت البدايات الأولى للتمركز بالمدينة: نشأتهم، تطورهم، وكيف تقسموا؟

2-1- أصل التسمية :

لقد تضاربت الأقوال عن أصل تسمية المدينة بـ الأغواط وهي كلها افتراضات وروايات شفوية متداولة وكتابات لأصحاب التاريخ والباحثين لذلك فقد حاولنا غربلة هذه الروايات واستنباط الروايات قريبة من الحقيقة.

ترجع تسمية مدينة الأغواط حسب العلامة إبن خلدون إلى أحد القبائل البربرية "بني الأغواط" والتي كانت تقطن المنطقة،المنحدرة من قبيلة مغراوة أحد فروع القبيلة البربرية " زناتة ".كما ورد في قول إبن خلدون : وقبيلة لقواط موجودة في نواحي البيض ويقال لهم كسال ". القبيلة البربرية "لقواط" سكنت المدينة وناحية البيض في رأيه الأغواط سمي باسم سكانها، ونزعم أنه افترض ذلك أو أنه اعتمد على الروايات الشفهية ثم أنه في البداية كتبها " الأغواط "[1].

قال الشاعر "عبد الله بن كريو" في وصفه :

لقواط أقواطين في معرفتنا * لقواط المعلوم ولقواط كسال.

لقواط اللي جاي ميزوا شرقنا * واللي ناسو عايشة همة ودلال.

بينما يرجع الكاتب الفرنسي " جون ميليا Gean Melia " في كتابه " الأغواط والمنازل المحاطة بالبساتين Laghouat et les maisons en tourees de gardins)" سنة 1923 بأن الأغواط أخذت إسمها من موقعها المخضر حيث أن" الغوطة " هي المكان المنبسط الكثير الاخضرار والمياه[2] ،مثل غوطة دمشق بسوريا. نعلل ذلك بوجود العديد من الدور المحاطة ببساتين لا يزال بعضها إلى يومنا هذا مثل: (الزبارة،الصوادق،والواحات الجنوبية كشارع الطاقة والضلعة وسيدي يانس) . وهو التفسير الذي يعطيه أهل البلد المسنون.

- وهذا ما يذهب إليه الشاعر مفدي زكرياء حين قال[3] :

أبا الغوطتين بياهي الشآم * وأغواطنا بالشام استخفا ؟

كأن حدائقه العابقات * نوافح مسك تضوعن عرفا.

- إن اسم الأغواط الذي ترجم باللغة الفرنسية إلى " Laghouat" والذي يعني الحدائق والآتي من الاسم البربري الأمازيغي " غوغتى " أو" رورتي" الذي يعني حقول أشجار فواكه،ما يؤيد هذا وجود حقول بها أشجار

[1] - بمبطيلة علي ،بن صحراوي يحي : **لهجة الأغواط وعلاقتها بالفصحى**. مذكرة لنيل ليسانس في اللغة العربية وآدابها،جامعة الأغواط ،ص07

[2]- BOUALEM BESSAIL : **ABDALAH BEN KERRIOU** (poète de Laghouat et du Sahara). Alger ,éditions zyriab ,2003,p46.

[3] - مفدي زكريا : **إلياذة الجزائر**. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر ،2002 ، ص 32 .

المشمش،الخوخ، البرتقال، الكروم وغيرها مغروس ليس فقط في الحقول بل في أفنية المنازل على شكل تيندا " Tinda " وهي عبارة عن أعمدة متصالبة مسندة بدعامة من خشب[1].

بالرجوع إلى اللهجة البربرية حسب " دوران دولاكر D. Dourane" ضابط فرنسي اهتم بتاريخ المدينة أثناء احتلالها فإن معنى الكلمة هوجبل في شكل منشار،وهوموجود بالفعل شمال غرب المدينة وهوكاف الأحمر " كاف أمقران[2] ".

فهناك من يزعم أن " لقواط " جمع قوطي باللهجة العامية أي العلبة التي تصنع من الحلفاء توضع بداخلها مختلف الأشياء. والحلفاء هي نوع من أنواع النبات منتشر في المنطقة. وهذا المصطلح لا زال يستعمل إلى يومنا هذا بحيث يدجل على علبة مصنوعة من المعدن التي توضع فيها المصبرات .وهناك روايات عديدة تدور حول أصل تسمية المدينة لكنها كلها بعيدة عن الحقيقة وغير منطقية وعامية وساذجة لذلك تم تغييبها وعدم ذكرها أصلا حفاظا على علمية المقالة وتدقيقها[3].

2-2- التأسيس:

إن تأسيس مدينة الأغواط وحسب المعلومات المتوفرة أكثرها عبارة عن أساطير تحكي عن سكان المدينة وتاريخها،لأن هذه المناطق أهملت عند البحث التاريخي والأثري الذي يجسد تاريخ المنطقة بالأدلة العلمية المطلقة. إلا أننا نمتلك بعض الأدلة التي تلقي بعض الأضواء عن تاريخ المنطقة من بينها أن قبائل من زناته ومغراوة البربرية قد سكنت هذه المنطقة منذ عصور موغلة في القديم غير أن الوثائق التاريخية لم تحدد بالضبط متى تأسست. وهناك قول آخر يرى أن نشأة المدينة إلى العرب الهلاليين بعد القبائل البربرية،يقول إبراهيم مياسي :" ... ويمكن ترجيح تأسيس مدينة الأغواط إلى سنوات الأولى من قدوم بني هلال سنة 1045 إلى المنطقة [4] . يمكننا أن نستنتج من مجموع هذه الآراء أن مدينة الأغواط قد تكون نشأتها كتجمع سكاني صغير على يد مغراوة، ولما حل الهلاليين بها وسعوا عمرانها وأعطوها طابعها العربي وأصبحت بلدة تجمع بين الحضارة والبداوة.

[1]- LAZHARI LABTAR : retour à Laghouat .mille ans après béni Hilal. Alger , éditions eliktilaf ,2002 ,p07.

[2]- وثيقة صادرة عن المتحف البلدي ،بلدية الأغواط.

[3]- بميطيلة علي: نفس المرجع، ص 7.

[4]- ابراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،1999 ،ص 67.

2-3- السكان الأولون للأغواط:

إن تاريخ أصل الأغواط تاهت في أعماق التاريخ، فقد سكنها الإنسان منذ جميع الفترات التاريخية وهذا ما تشهد عليه الرسومات الحجرية بالميلق. وأطلال القصر البربري بالخنق الذي يكشف الغطاء عن بعض أضواء هذا التاريخ. وعن سكان الأولون للأغواط فقد جاء في تاريخ إبن خلدون أن بني الأغواط هم فرع قبيلة مغراوة التي هي بطن من بطون زناتة البربرية ومما أورده إبن خلدون قوله " وأما لقواط (هكذا بالقاف) هم فخذ من مغراوة أيضا،فهم في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد ولهم هنالك قصر مشهور بهم فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في الفقر، وهم مشهورين بالبخدة والامتناع من العرب وبينهم وبين الدوس أقصى عمل الزاب مرحلتان،وتختلف قصورهم إليه لتحصيل المرافق منه، والله يخلق ما يشاء ويختار[1].

لقد ذكر إبن خلدون قبيلة الأغواط في فصائل زناتة مغراوة وهي التي أنشئت المدينة وسميت باسمها.

– قبيلة زناته البربرية الأمازيغية هي ضلع من القبيلة الكبيرة والعظيمة "لواتا " فزناته من أكبر القبائل البربرية حضارة وعمرانا، ذات فروع متعددة، وثاني القبائل القوية بالمغرب العربي بعد صنهاجة وتليها كتامة وهي منتشرة في نواحي تلمسان وريغه والأغواط والزاب (بسكرة) وكانت مواطنها الأولى المغرب الأقصى والصحراء المحيطة من الجنوب[2] .

أما قبيلة مغراوة فهي بطن من بطون زناته وهم أبناء " مغراوين يصلين" وجدهم الأكبر هو" زانا إبن يحي" وهم إخوة بني ينزن وبني يرنيان وبني واسين،من أهم بطون مغراوة : سنجاس. الغمرة. بني وره. بني الأغواط[3].

ومما يدل على أثر الأمازيغ القدماء بالمنطقة عدة ألفاظ مازالت متداولة كالهضبة التي اختطت عليها المدينة وهي جبل تيزي قرارين، وبعض المناطق كـ : تاونزة، تلغيمت، تامزيغت ...الخ.ومن أسماء التمور المعروفة بالواحة نجد: تادالة – تيزاوت – تيمجهورت... والتي تشهد بأصولها البربرية[4] .

يرجع المؤرخون تاريخ إنشاء المدينة بصفة نهائية إلى بداية القرن11 ميلادي حسب العلامة إبن خلدون يعد غزو الهلاليين سنة 1045 إبتداءا من هذا التاريخ شهدت المنطقة نزوح لقبائل عربية كبني هلال وبني سليم الذين قدموا من الجزيرة العربية " الحجاز ونجد " ومن الدولة الفاطمية بمصر: وكذلك الذواودة[5]. وهذا النزوح

[1]– عبد الرحمان إبن خلدون : **تاريخ إبن خلدون**. المجلد 7 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ،1981 ،ص100.

[2]– للمزيد ينظر في : عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : **تاريخ الجزائر العام** .الجزء 1،دار الثقافة ،لبنان ، 1983، ص41.

[3]– بن بهيطيلة علي: مرجع سبق ذكره ،ص6.

[4]– مداني لبتر : **الأغواط صفحات من التاريخ والحضارة**، دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر ،ط1 ،2005 ،ص10.

[5]– وثيقة صادرة عن المتحف البلدي ،بلدية الأغواط.

العربي للأغواط حدده المؤرخون بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا حيث توافد عليها العرب الفاتحون وأسسوا بها مدينة سموها الأغواط. يقول الشيخ مبارك الميلي في كتابه " تاريخ الجزائر القديم والحديث" الذي ألفه سنة 1930 بمدينة الأغواط :" لقواط من مغراوة ولهم مدينة لم تزل تسمى بهم ذكرت في عهد بني عبيد،وهي التي ألفنا بها هذا الكتاب،والمحقق عند أهلها وأعرابها أن الهلاليين تغلبوا على أطراف مدينتهم وبها بستان يعرف اليوم باسم بني هلال[1] ".ومن بين الهجرات السكانية المعروفة آنذاك يقول الرواة أن أولاد كسال وأولاد زيد وهما من القبائل التي كانت تعيش بمنطقة الزيبان ببسكرة وأثناء الزحف الهلالي هاجروا إلى منطقة وأسسوا قصر يدعى: بن بوطا: وهو في الحقيقة النواة الأولى لمدينة الأغواط حاليا زقاق الحجاج والغربية. وكان إلى جانبهم أولاد سالم الذين قدموا من القرارة جنوبا، بالإضافة إلى المقيمين الأصليين وهم بني الأغواط البربر، وتبعهم فيما بعد عناصر أسسوا قصور وهي:

قصر ندجال لأولاد بوزيان.

قصر سيدي ميمون لأولاد بوزيان.

قصر بومندال لأولاد بوراس من شمال بسكرة في الواحات الجنوبية الشطيط حاليا.

قصبة بن فتوح في الجهة المقابلة لوادي مزي (سيدي حكوم) لأولاد يوسف.

قصر بدلة لأولاد يوسف في الواحات الشمالية (أولاد يوسف ذي الأصل المزابي الذين أسسوا قصر تاجموت حوالي سنة 1666)[2].

مما لا شك فيه أن هذه القصور والقصبات كانت في البداية مستقلة تضم كل منها قبيلة أو أكثر، يرأس كل شيخ لا يربط بينهما سوى علاقة الجوار،لكن لأسباب أمنية دفعتها للتجمع حول أكبر قصور الأغواط "بن بوطة". وفي سنة 1698 وصل الولي الصالح والشريف "الإدريسي الحسني سيدي الحاج عيسى" ذو الأصل التلمساني، وفي سنة 1700 تجمعت القصور بمشورة من الولي الصالح وتحصنت مدينة الأغواط حول أسوار وبساتين وأصبحت بمثابة القلعة،ويرى البعض أن هذا الحدث هوبداية تأسيس المدينة[3].

[1] – مبارك بن محمد الميلي : **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**. تقديم وتصحيح محمد الميلي،ج 2، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر،2004 ، ص 212.

[2] – المتحف البلدي: عن خريطة تمثل مواقع قصور الأغواط.

[3] – معلومة صادرة عن المتحف البلدي، بلدية الأغواط.

– إن تاريخ الأغواط يصبح حقيقيا إبتداءا منذ تاريخ سيدي الحاج عيسى وفي هذه الفترة الزمنية استقرت قبيلة الأرباع بالمنطقة، فيقال أن أصل الأرباع يعود إلى القحطانية اليمنية، إسمها أربعن أو أرباعن ولعل "الأجذع الهمذاني" في قوله:

أسألتني بركائب ورحالها * ونسيت قتل فوارس الأرباع.

فالأرباع هي قبيلة يمنية من لخم وجذام. ويقال أن أصل الأرباع يعود إلى الهلاليين " وهذا قول مستبعد " الذين استقروا في الخط الشمالي من الصحراء ناحية الزيبان ببسكرة، واجهوا مشاكل وحروب مع القبائل كان هذا سنة 1635. هاجروا إلى جبل "بوكحيل" "بمسعد" بولاية "الجلفة" واستقروا به 15سنة، ثم توجهوا إلى الأغواط واستقروا بها، وكانوا عبارة عن أربع قبائل أوعروش بدوية هم: (الحجاج، العمامرة أولاد صالح وأولاد زيد الذين مكثوا ببسكرة) أما اليوم فيشكل الأرباع 10 قبائل هم : الحجاج، العمامرة الزكازكة، أولاد سيدي سليمان، الحرازلية، أولاد صالح، أولاد زيان، أولاد سيدي عطا الله، العبابدة صفران مخاليف الصحراء). قسمت السلطات الفرنسية القبائل خوفا من امتداد ثورتهم إلى الأغواط[1].خططت لكل عرش منطقة رعوية خاصة بها وزراعية ملك لكل عرش بالصحراء.ظل هؤلاء العرب الرحل يمارسون تربية المواشي معتمدين على الترحال،كما أقاموا علاقات إجتماعية طيبة بالمصاهرة والمبادلات التجارية بينهم وبين سكان قصور منطقة الأغواط مما سبب ازدهار المنطقة. يتفرعون لأرباع الغرابة وأرباع الشراقة لكل منها مراعيها وحسب الفصول[2].

استقر بعض هذه العروش على حواشي المدينة واختطوا القرى كالعبابدة بالخنق،وعرش رحمان من قبيلة بني هلال بقصر الحيران والحجاج أولاد سيدي عيسى " بالمخرق " أو ببلدية بن ناصر بن شهرة من العمامرة.كما كان يترحل الحجاج في الصحراء ك " بزرب ونيلي والحرازلية بحاسي الدلاعة" وغيرهم.

لقد كان للجانب الديني دورة في تأسيس المدينة،فقد استطاع سيدي الحاج عيسى أن يجمع القبائل المتناثرة والمتنافرة تحت لوائه،ويصبح بذلك مؤسس المدينة وحاميها،ومن ذلك الوقت تأسست المجموعتين :الأحلاف وأولاد سرغين.

الأحلاف تتكون من : أولاد زيد ،أولاد سكحال ، أولاد سالم ، أولاد خريق، أولاد بوزيان ، أولاد زعنون، أولاد عبد الله ، المغاربة ، حجاج الأغواط سكنوا الجهة الشرقية من المدينة قصر الأحلاف حاليا زقاق الحجاج وحي الصفاح.

[1] – للمزيد ينظر محمد السويدي : **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،1990،ص167.

[2] – معلومة صادرة عن مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية الأغواط.

أولاد سرغين وهم : البدارة، الجماني، أولاد بلعيز، الفليجات سكنوا الجهة الغربية من المدينة وحاليا قصر أولاد سرغين جزء من الغربية،كل فرقة ترجع إلى أبرز الشيوخ المؤسسين للتجمعات الأولى ويتفرعون إلى فروع وعائلات وكان على رأس كل مجموعة شيخ يترأسها، ولكل مجموعة مسجد وسوق خاص عاشا متفاهمين في اغلب الأحيان وتحدث بينهما بعض الخصومات والمناوشات[1].

قال "هاينريش فون مالتسان" أثناء رحلته إلى شمال غرب إفريقيا سنة 1862 م واصفا الطريق اتجاه الأغواط قائلا :" كانت الأغواط منذ القديم مقسمة إلى حزبين يظل النزاع قائما بينهما ... ويتكون هذان الحزبان من الأحلاف وأولاد سرغين.[2] "

ومما سكن الأغواط : أولاد سيدي الحاج عيسى بالشطيط الشرقي، أولاد يعقوب قبيلة عمورية من بني سليم ، أولاد داود ، الجماعات "أولاد بخة" من ميزاب من غرداية .تنحدر هذه العائلات من عدة سلالات وقدموا من عدة مناطق. أما عن الحماني، البدارة فمنحدرين من قبيلة أغواط كسال، و"أولاد سكحال" قدموا من أولاد زيد من الزيبان ببسكرة ، الفليجات فيقال أنهم قدموا من أقصى الشرق الجزائري . أما عن أولاد خريق فقدموا من الشرق الجزائري ، أولاد سالم من القرارة. أولاد بوزيان فينتمون إلى حجاج الأغواط، أما المغاربة فهم من الأشراف جاءوا من الغرب الجزائري من ناحية تلمسان ومنهم أولاد عبد الله، أولاد نائل، أولاد سيدي مخلوف[3] .

-منذ سنة 1852 م أثناء فترة الاستعمارية سعت السلطات الفرنسية إلى جلب السكان البدوا للاستقرار بالمدينة وأصبحت المدينة تجمع عدة سلالات المشايخ والعائلات والقبائل وأصبحت بذلك منطقة استقرار قبلي.

[1]- الزبير بن عون، **أصل السكان والمعالم الأثرية بولاية الأغواط**، بحث انتروبولوجي، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة الأغواط، 2017، ص 8 .

[2]- ناصر مجاهد : **سبل العبور لجبل العمور**، المطبعة العربية، غرداية، 1993،ص140.

[3]- أيميل مونجا : المجلة الإفريقية 1877. ترجمه مخلوف الصادقي ،مخطوط غير منشور ،ص 43.

3- الدراسة الديموغرافية لمدينة الأغواط:

شهدت مدينة الأغواط بصفة خاصة والبلدية بصفة عامة نموا سكانيا عبر فترات زمنية مختلفة ارتأينا تقسيمها إلى أربع مراحل اعتمادا على التعدادات السكانية لـ (1998-1987-1977-1966) والنتائج الأولية لإحصاء العام الخامس 2008 نقصد بالتجمعات الرئيسية المراكز الحضرية للبلدية ، ونجد أن أكثر من 90% من مجموع سكان البلدية يقطنون في مراكز حضرية التي تمثل عاصمة البلدية أي مدينة الأغواط.

أما المناطق الثانوية فهي التي يتواجد بها السكان خارج الحدود الحضرية للمدينة وتتمثل أساسا في المراكز الريفية والقرى الفلاحية والرحل وتقدر نسبتهم في البلدية الإقليم بـ:10.13 %[1].

3-1- المرحلة الأولى 66- 77:

في سنة 1966 بلغ عدد سكان مدينة الأغواط 17200 نسمة بنسبة 63.54 % من مجموع سكان البلدية ثم تضاعف العدد في التعداد الموالي سنة 1977 بمعدل نمو وهو مرتفع مقارنة بمعدل الولاية كون المدينة رقت إلى مركز ولاية سنة 1974 ما يفسر الهجرة الكبيرة نحو المدينة التي تمثل قطب رئيسي للمناطق الريفية المجاورة باعتبارها قريبة من المنطقة الصناعية التي تشكل مركز استقطاب مهم الشيء الذي أدى إلى تزايد الطلب على اليد العاملة من مختلف المناطق ، إضافة إلى كونها قريبة من حقل حاسي الرمل الصناعي فانجر عن ذلك نزوح كبير نحو المدينة .

3-2- المرحلة الثانية 77- 87:

في سنة 1977 بلغ عدد المدينة 49646 نسمة بنسبة 85.10 % من مجموع سكان البلدية و53.84 % من مجموع سكان الولاية ليرتفع سنة 1987 ليصبح عددهم يقدر بـ 59067 :نسمة، ومقارنة بالمرحلة الأولى نلاحظ انخفاضا في معدل النمو ويرجع ذلك إلى سياسة الدولة في الحد من الانفجار الديموغرافي بتنظيم النسل تزامن هذا مع بداية تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد .على عكس الإقليم.

3- 3- المرحلة الثالثة 87- 98:

في هذه المرحلة عرف معدل النمو الوطني انخفاضا كبيرا حيث بلغ 2.16 %، ولعل أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك تردي الأوضاع الاقتصادية ، الإجتماعية والأمنية والتي أدت إلى ارتفاع سن الزواج إلى" 31 سنة للرجال و27 سنة للإناث ، فالنسبة للمدينة نلاحظ أن معدل النمو السكاني ارتفع ارتفاعا بسيطا ولعل أهم سبب

[1] – يحي بوعزير :محاضرة ألقاها في الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية بالأغواط من 23 إلى 25 ماي 1998.

أدى إلى هذا هو عامل الهجرة بسبب الظروف الأمنية خصوصا من منطقة الهضاب الوسطى ، مما أدى إلى النزوح نحو المدينة طلبا للأمن والاستقرار .

3-4- المرحلة الرابعة 98- 2008 :

في هذه المرحلة عرفت مدينة الأغواط ارتفاعا في عدد السكان[1].

4- دراسة النسيج العمراني لمدينة الأغواط:

تسعي مختلف الوظائف المدنية إلى إكتساب أكبر مساحة من المجال لتنمو وتتوسع ، وعليه فالتوسع العمراني ظاهرة حتمية لاستيعاب الاحتياجات المتزايدة ، وفي هذا الصدد سنتعرض من خلال ها فصل إلى التوسع العمراني الذي شهدته مدينة الأغواط خلال مراحل مختلفة مع إبراز مختلف المخططات العمرانية التي صاحبت ها النمو إضافة إلى إمكانيات التوسع مستقبلا.

4-1- مراحل نمو المدينة:

شهدت مدينة الأغواط تحولات وتطورات كبيرة منذ الاستقلال في مجال نموها وتوسعها الذي على حساب الأراضي الزراعية وخاصة واحات النخيل ، حيث حضيت بمشاريع وبرامج هامة أدت إلى التعجل في حركة التعمير ، وقد ارتبط نموها بموقعها الذي يعتبر همزة وصل بين مختلف جهات الوطن ، خاصة وإن الطريق الوطني رقم (01) يمر بها ، هذا ما جعل المدينة تنمو ونتطور عبر مراحل متتالية كالآتي:

4-1-1- مرحلة ما قبل الاحتلال 1852 :

كانت النواة القديمة لمدينة عبارة عن قصر محاط بسبعة أبواب تحدد التنقلات وتشغل مساحة تقدر بـ6.53 هكتار، وبها تجمعين من السكان هما "أولاد سرقين" و"أولاد لحلاف"يفصلان بين الواحات الشمالية والواحات الجنوبية[2].

4-1-2- مرحلة الاحتلال الفرنسي:

بمجيء المعمرين الفرنسيين أنشأت عدة مساكن ذات نمط أوروبي لا يتعدى علوها (ط+1) بشكل شطرنجي إضافة إلى إنشاء مستشفي وثكنة عسكرية وهذا بمحاذاة مركز المدينة وقد سميت هذه المنطقة بالغربية حيث تم التوسع في هذه الجهة ، ثم توالت عملية التوسع عن طريق شق طرق نحو الواحات بإنشاء محورين رئيسيين بمنتصف الواحات الشمالية والواحات الجنوبية ورافق هذا إنجاز سكنات على طول المحاور التي تفرعت عنها

[1] – يحي بوعزيز: نفس المصدر

[2] – النتائج الأولية لإحصاء العام الخامس ،عن مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية

عدة منافذ داخل الواحات حيث قدرت مساحة النموالعمراني آنذاك 254.66 هكتار أي بنسبة 7.52% من مجموع مساحة المدينة.

4-1-3- مرحلة مابين 1962-1974:

وهي مرحلة تميزت باستمرار النموالعشوائي داخل الواحات بإنجاز سكنات فردية إضافة إلى إقامة أحياء من الناحية الجنوبية للمدينة متمثلة في حي "الصادقية" ، حي المقدر ، حي "شطيط" وغيرها من الأحياء نتيجة للتوافد الكبير للسكان الريفيين من المناطق المجاورة نحو المدينة نظرا لما تتوفر عليه من منطقة صناعية تجلب اليد العاملة فالتوسع إذن تم نحو الواحات الشمالية والجنوبية وقد قدرت مساحة الزيادة العمرانية 338.8 هكتار بنسبة 10% من مجموعة مساحة المدنية.

4-1-4- مرحلة مابين 1975-1984:

وتمثل الانطلاقة الحقيقة للتعمير حيث تطور ونمي خلالها النسيج الحضري بشكل سريع وكثيف حيث أنتقل اتجاه التوسع نحو الغرب والجنوب الغربي للمدينة تمثل في برمجة أضخم مشروع متمثل في منطقتي السكن الحضرية 1 الجديدة (ZHUN) و (ZHUN II)ومناطق التجزنة متمثلة في حي بوعامر، حي المقام وحي الصنوبر، ورافق هذا إنجاز منطقة كبرى للتجهيزات تضم مختلف الهياكل التعليمية والإدارية والصحية فقد شكل هذا التوسع نسيج حضري جديد[1].

4-1-5- مرحلة مابين 1984- 2008:

في هذه المرحلة عرف النسيج العمراني للمدينة توسعا كبيرا في مساحة لا تستوعب هذا النموإذ نجد مدينة الأغواط وخاصة بعد التقسيم الإداري الأخير مما أدى إلى تقليص مساحتها ونجدها كذلك ذات حدود طبيعية إذ لا تستطيع التوسع في كل الإتجاهات إلا نحو بلدية "الخنق" وبلدية "بن ناصر بن شهرة". فتم خلق تجزئات سكنية جديدة تتمثل في حي الوئام باتجاه بلدية الخنق غربا وحي الواحات الشمالية عند أقدام جبل لحمر شمالا .وكذلك من الملاحظ التوسع على حساب الأراضي الفلاحية خاصة "بحمدة" إضافة إلى تداخل النسيج العمراني الحضري مع الضاحية والمنطقة الثانوية المتواجدة شرق المدينة باتجاه بلدية "العسافية" في المنطقة المسماة برج السنوسي .

وهذا راجع أساسا إلى النزوح الريفي من المناطق المجاورة إلى مركز المدينة للظفر بكل الخدمات المتوفرة بها مما أدى بالسلطات المختصة إلى إعادة تعديل مخطط التهيئة والتعمير قبل انتهاء مدته القانونية بسبب عدم

[1] -عن تقرير إداري صادر من مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية الأغواط

قدرته على تلبية نموالنسيج العمراني المتسارع وعدم وجود مناطق للتعمير المستقبلي، إلى خلف مخطط جديد ما بين البلديات المجاورة للمدينة والمتمثلة في بلدية الخنق وبلدية بن ناصر بن شهرة، من أجل إيجاد مناطق توسع للعمران المستقبلي لتغطية العجز في العقار[1].

5- البنية الإجتماعية:

إن لمجتمع مدينة الأغواط خصوصية ثقافية وإجتماعية، فالسمات البارزة في المجتمع لا تتعلق بنمط التفكير السائد في المجتمع الحضري، والذي تشكل في ظل سيرورة تاريخية وثقافية وإجتماعية معينة، جعلها هذا المجتمع يتطلع للحضارة المادية ويستثمرها في أقصى حدودها، كما يسعى في الوقت نفسه إلى الحفاظ على موروثه التقليدي الروحي الرمزي بكل ما يحمله من معاني. ولعل من بين السمات التي لا يستطيع الفرد الحضري بمدينة الأغواط على وجه الخصوص التخلي عنها، هوالعيش في ظل الجماعة، فلا يمكن تصوره يعيش بمعزل عن جماعته، فالانتماء ليس ضرورة إجتماعية فقط، وإنما هوضرورة ثقافية بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات ومعاني.

إن من أهم ثوابت الشخصية الجزائرية على العموم، ونظراً لعدة اعتبارات تؤكد أن الجماعة هي الوحدة الأساسية وليس الفرد، فاجتماعيا يعتبر الفرد الذي لا ينظَّم في جماعة يعتبر مهمش ومنبوذ من طرف المجتمع، أويكون في حالة من الانعزال الإجتماعي والاغتراب. كما أن القيم الدينية والعرفية تنص على ضرورة التزام الفرد بالجماعة، كما قد تمنع الفرد من الانزلاقات أو الخروج عن الأطر المحددة وهذا بفعل قيم الجماعة ومعاييرها وقواعدها وتنظيمها الإجتماعي. لذلك نجد أن المجال العمراني الحضري خضع لهذا الاعتبار، فالفرد حر في حياته الشخصية، وفي مجال سكنه الداخلي، بينما يخضع لمبدأ الجماعة في مجاله الإجتماعي، فهوجزء من منظومة عمرانية وإجتماعية وثقافية تفرضها الجماعة وتُراعى فيها قيمها. ونحن في حديثنا هذا لا نتحدث عن أنواع عديدة من الجماعات الإجتماعية، وإنما نحصر الحديث في جماعة الانتماء التقليدية ومن بينها الأسرة، العائلة، النزلة، العشيرة، القبيلة، والحديثة منها، جماعة الأصدقاء، وجماعات العمل وما إلى ذلك.

يمكن دراسة وتحليل الإنسان الحضري وأنشطته في الجماعات الإجتماعية إلى ثلاث أنظمة اجتماعي هي: نظام أونسق العلاقات الإجتماعية وفيه يكون الأفراد والجماعات متصلين معاً بحقوق وواجبات وتطلعات والتزامات. ونظام التصرف وإدارة السلوك، والذي يجعل الناس ميالين إلى أن يفكروا ويتصرفوا بطرق معيارية طبقاً لإدراكهم الحسي للظروف. ونظام الإدراك أوالمعرفة أوالسلوك الفردي، والذي يشكل الأساس للنظامين

[1]- عن تقرير إداري صادر عن مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية الأغواط.

الأول والثاني. إن المجتمع الحضري للمدينة تتمثل فيه جميع هذه النظم، بحيث نجد القيم الفردانية حاضرة وذلك بفعل التباين واللاتجانس من جراء حجم وكثافة المجتمع، بحيث نجد أن عناك أفراد ينعزلون عن المجتمع في سبيل تحقيق حريتهم الشخصية والانسلاخ من قيم المجتمع الأصلي، وهذا بسبب عدم عوامل منها انتشار قيم الحداثة والعولمة التي تنادي بتحرر الفرد من كل الضوابط والمعايير المجتمعية السائدة ومحاولة الخروج عنها، كما نجد كذلك من يعيش في مزيج ومزاوجة في السلوك بين نمطين من الثقافة المادية والرمزية داخل المجال الحضري، بل جعل المجال الحضري نفسه يخضع لهذه الازدواجية في السلوك (ثقافة تقليدية وثقافة حديثة) تمثلت في أقصى درجاتها في وجود نمطين من الحياة داخل المدينة، نمط يطمح إلى تبني قيم الحداثة ومعايير التقدم المادي، ونمط يتشبث بقيمه وتقاليده الأصلية، والرجوع دوماً إلى قيم المجتمع الأصلي، ولا نستطيع التمييز بين هذين النمطين لأنهما متداخلين في البنية الإجتماعية للمجال الحضري، كما يتجليان في نمط العمران والعمارة التي أصبحت تعيش نفس الشكل (التقليدي والحديث).

لا نستطيع من خلال تحقيقات ميدانية بسيطة، أومن خلال ملاحظات ميدانية أن نحدد شكل البنية الإجتماعية بالحقيقة الكاملة والشاملة، بل ومن خلال الاستنتاجات والمعايشة الدائمة للميدان نشهد أن هناك وجود عديد من البنى الإجتماعية التقليدية والحديثة، تتمثل الأولى في استمراريتها داخل المجال الإجتماعي والثقافي والعمراني ونعني بهذا البنى التقليدية (أي القبائل المكونة للمدينة) بحيث لا تظهر بجلاء في شكل مادي وتقسيم للمجال بل تظهر بجلاء عند حاملي الثقافة التقليدية من كبار السن والكهول وحتى استمرت لتصل إلى تفكير الشباب الحديث، بحيث لا زالت البنى التقليدية فاعلة في المجال الإجتماعي والعمراني والثقافي بالرغم من مظاهر العمران الحديثة والتطورات في كل المجالات وخاصة مجال الاتصال والإعلام، إلا أنه مازال الفرد والجماعة الحضرية كما وان سبق وان حللنا يتصل بجماعاته القرابية وينتمي إليها. كذلك نجد عديد من الأنماط الزواجية وأنماط العائلة من العائلة الكبيرة التقليدية إلى نمط الأسرة النواة. وبالموازاة مع هذا نجد قيم الفردانية حاضرة في المجتمع الحضري كذلك.

وتظهر العلاقات في نمطين: نمط من العلاقات الأولية والمتضامنة والمتحدة والمتناصرة، ونمط من العلاقات المصلحية والربحية والمنفعية، وعلاقات ثانوية وخاصة منها في مركز المدينة ووسطها بفعل ارتفاع حجم السكان وانخفاض وقلة التعارف الإجتماعي بين السكان. وبدافع مسايرة الأفراد والجماعات للقيم المادية والرأسمالية الحديثة التي تدعوا إلى التحرر من كل الروابط والعلاقات التقليدية البسيطة. فبقدر ما يرتبط التصنيع بالتحضر، بقدر ما تُشكَل الحياة الحضرية بوصفها أسلوباً للحياة إذا ما استخدمنا تعبير لويس ورث.

ومن الملاحظ أن تقسيمات المجال العمراني والإجتماعي الحضري لمدينة الأغواط متنوع ومتعدد، أي أن هناك ظاهرة التمايز الطبقي وذلك حسب طبيعة السكن ومستوى المعيشة، أي على أساس العامل الاقتصادي، وهذا ما يظهر في طبيعة الأحياء السكنية للطبقات متوسطة الدخل والطبقات الدنيا، فالأولى تختط لنفسها أحياء وتسكن في فيلات وسكنات فاخرة، أما الثانية فتختط هي الأخرى أحياء شعبية في سكنات ذاتية بسيطة وهذا ما يظهر بجلاء على حواشي المدينة كما يقسم المجال العمراني على الأساس القبلي، إلا أن هذا لا يظهر بجلاء واقعياً ولكن الباحث السوسيولوجي المشاهد لبعض المظاهر والسلوكات وقراءة العقلية والثقافة الحضرية يبدوا له أن مدينة الأغواط مقسمة على أساس قبلي وعشائري، وهذا ما يظهر في أن بعض الأحياء تسيطر عليها قبائل معينة تعيش رمزياً في تضامن كحي الصادقية وحي المحافير والتجمع الشعبي برج السنوسي، وهذين الأخيرين يمثلان مجال خصب لدراستنا ذلك لأنها أحياء حديثة النشأة وأن اغلب سكانها هم من الأسر والأفراد المهاجرين حديثاً إلى المدينة ومن ولايات مجاورة في غالب الأحيان، أما باقي أحياء المدينة فهي مختلطة التركيبة السكانية وتتعدد فيها الأنساب والانتماءات القبلية كوسط المدينة مثلاً وحي الواحات الشمالية وحي الوئام والمصالحة الوطنية. نفهم في الأخير أن تقسيم المجال يكون على أساس العامل الاقتصادي وعلى أساس العامل القرابي (الانتماء إلى الجماعة القرابية).

تتكون مدينة الأغواط من عدة قبائل وعشائر وعائلات متعدد ومتفرعة منه أولاد زيد، أولاد سكحال أولاد سالم، أولاد خريق، أولاد بوزيان، أولاد زعنون، أولاد عبد الله، المغاربة، حجاج الأغواط، أولاد سيدي الحاج عيسى أولاد يعقوب، أولاد داود، أولاد بخة، والبدارة، الجماني، أولاد بلعيز، الفليجات، وقبيلة الأرباع المتكونة من ثلاث قبائل كبرى هي: "الحجاج (أولاد الونيس وأولاد ورقلة)، المعامرة (أولاد سي عيسى والزكازكة)، أولاد صالح. هذا بالإضافة إلى قبائل منظمَّة إليها أولاد سيدي سليمان، الحرازلية، أولاد زيان أولاد سيدي عطا الله، العبابدة صفران، المخاليف وكثير من العائلات المتفرعة الوافدة إليها من ولايات الوطن بغرض العمل. وبذلك تتشكل المدينة باعتبارها مركز حضري كبير من عدة قبائل وعائلات استقرت مؤخراً بالمدينة من أجل العيش بها أوالعمل وتخصيص لقمة العيش، هذا بالإضافة إلى النزوح والزحف الريفي أوالهجرة الريفية والبدوية المتواصلة على المدينة سواء في شكل هجرات عائلية أوهجرات فردية من أجل طلب العيش والعمل. وأن المدينة تعتبر مركز جذب ومنطقة استقرار نظرا لأن المجتمع الأغواطي مجتمع يقبل للغير ويرحب به ويتوادد معه.

6- لمحة شاملة لمونوغرافية ضواحي (بلديات) مدينة الأغواط:

6-1-العسافية:

تقع العسافية شرق ولاية الأغواط وتبعد عن عاصمة الولاية حوالي 14 كلم. يحدها شمالا جبل العسافية وسيدي مخلوف، وجنوبا بلدية بن الناصر بن شهرة وشرقا بلدية قصر الحيران وسد رحال . وغربا بلدية الأغواط.

- أصل التسمية:

يستمد اسم العسافية حسب بعض الكتابات إلى عصر "غانم بن ذياب بن غانم " هذا القائد العظيم لنواحي مدينة الأغواط ومالك للمواشي، وكانت ماشيته ترعى بمنطقة تاونزة " وادي مزي " ويسقي الإبل والأغنام من ينبوع للمياه بوادي العسافية والمعروفة بالنقارة اليوم. أقام بينها حراسة وهكذا راج الخبر بين الرحل وقطاع الطرق ينذرون أنفسهم بـ" العسا- فيها " لهذا تعرف اليوم بالعسافية. كان هذا في زمن غير قريب وغير محكوم، ولكنه قديم .وهناك رويات عديدة لأصل التسمية[1].

- أصل السكان:

تحكي الروايات أن أصل سكان العسافية هم أولاد سي عيسى القوم الرحل المالكون للماشية ، اختطوا العسافية ببعض المنازل، وكانوا قوم يتنقلون، صيفهم في التل (جبل العمور) وشتائهم بالعسافية ، وبما أن المنطقة عرفت بخصوبتها إنتقلت إليها قبيلة " ميغازي" القادمة من بسكرة ومن رواية أخرى من القرارة واستقرت بها فبنيت المنازل وأنشئت الحدائق والحقول سنة 1660م [2]. فيذكر بعض شيوخ المنطقة أن بعض المنازل اشتريت من أولاد سي عيسى والبعض الآخر أخذ عنوة ، رحل أولاد سي عيسى من القصر واستقروا بمنطقة الفتحة ببلدية بن الناصر بن شهرة.

الجد الأول لقبيلة ميغازي من منطقة " دمد " ببسكرة ، تتفرع المغازي إلى أولاد سليمان ، أولاد رزوق.

- أولاد زروق : يتفرعون إلى عائلات وهي : قويدري ، قميتي .
- أولاد سليمان : الصولي.كانت العائلات تسكن القصر القديم.

---

[1] - الديوان السياحي لبلدية العسافية: **العسافية حضارة وتاريخ**، دليل سياحي، 2000، ص47.

[2] - جون ميليا : **الأغواط والمنازل المحاطة بالبساتين** .ترجمه بالعابد دليلة وقنة مليكه ،مذكرة لنيل الليسانس في اللغة العربية وآدابها ،جامعة الأغواط دفعة 1999،ص 43

كما توافد على المنطقة للاستقرار بالقصر القديم بالعسافية عائلات من مناطق مختلفة تعايشت مع الميغاري واندمجت معها ودخلت تحت اسم العرش ونظرا لمبدأ قابلة الغير والتعاون والتبادل بين أفراد البلدة الأمر الذي جعل منها مقصدا لتوافد العائلات من كل الأصقاع للاستقرار بالقص منهم: العقاقنة ويوسفي الذين قدموا من درا الشيوخ ، الخنافرية وغانم من جبل العمور (التل) ، البطيمات والصحاورية من الصحراء. البداوة، الرمان بورحلة ، النقراوي ، الجعامات ، بن الحرمة، حجوجة ، العبازيز ، أولاد نايل[1].

ومن بين العائلات التي كانت تقطن بقصر العسافية والتي عوضت الميغازي فرع عرش الزكازكة التابعة لقبيلة الأرباع وهي " المشارى" التي تنحدر من سلالة الحاج المشري بن حرزالله الذي عاش بالعسافية وتناسل فيها. رحلت عائلة المشارى من القصر واختطت قرية بالشرقية غير بعيد عن قصر واستقرت بها إلى يومنا هذا[2].

– يقول المؤرخ الفرنسي "جون ميليا" :"... يذكر أن قبيلة "ميغازي" عاشوا سعداء مدة نصف قرن قبل أن تحطم عاصفة هوجاء العسافية ، مما اضطر سكانها إلى الرحيل والبحث عن مكان آخر .. ". وتقول الروايات أن القبيلة سكنت مدة من الزمن على بعد 18 كلم من القصر بمنطقة تدعى"بالفج" عمروا بها مع قبيلة رحمان، وكما يزعم "جون ميليا" أن القبيلة عاودت بناء القصر سنة 1706 م، وما فتئ سكان القصر إلى الفرار بسبب الفتن والحروب مع العروش المجاورة، وخلال سنة 1825 م عاودوا بناء المنازل وعرفت العسافية أياما سعيدة[3].

6-2- بلدية قصر الحيران:

تقع قصر الحيران جنوب شرق مقر ولاية الأغواط وتبعد عنها بحوالي 35 كلم يحدها من الشمال الأغواط وسيدي مخلوف، ومن الجنوب حاسي الدلاعة وحاسي الرمل، ومن الشرق بلدية سد رحال بولاية الجلفة ومن الغرب بلدية الخنق وحاسي الرمل.

– أصل التسمية:

حسب المصادر والروايات المتداولة والمتوفرة التي نقلها لنا الآباء عن الأجداد، أن قصر الحيران استمدت اسمها من بناء شاسع ، واسع الأرجاء كان صاحبه "ذياب بن غانم" الملك للمواشي والإبل .كانت إبله ترعى بمنطقة

[1]– عن أهل البلدة المسنين.

[2]– جون ميليا: نفس المرجع، ص45.

[3]– نفس المرجع: ص46

تاونزة وصغار الإبل (الحيران) يحجزها في القصر لحمايتها، لم يجد الرحمانيون أحسن تذكار من تسمية المنطقة بقصر الحيران[1].

– أصل السكان:

حسب الروايات المتداولة من أهل البلدة أن قصر الحيران منذ زمن "ذياب بن غانم" سكن أولاد شناف(الشنافات) القصر، قدمت قبيلة الرحمن من القرارة بولاية غرداية. ورحمن هي فرع من قبيلة بني سليم الهلالية من الجزيرة العربية ويحكى أن قبيلة رحمان إستقرت بالقصر فبنيت المنازل وأنشئت الحدائق وكان هذا منذ 03 قرون فأكثر،أما الكاتب الفرنسي "جون ميليا"فيرى أن القبيلة سكنت القصر سنة1801.

يتكون عرش رحمان من عدة فروع منها الشويخات ، التوانسية ، أولاد براهيم ومن عائلات مكثت في القصر كما توافد على القصر الحيران عدة عروش وعائلات (كالحرازلية والحجاج وأولاد نايل البواعج ، أولاد سي أحمد).

6–3– بلدية سيدي مخلوف :

هي إحدى بلديات ولاية الأغواط، تقع في الجزء الشمالي من الولاية يحدها من الجنوب الأغواط ، ومن الشمال الشرقي والغربي الجلفة، ومن الجهة الجنوبية الشرقية العسافية وعلى الحدود الجنوبية الغربية لبلدية تاجموت، تبعد عن مقر ولاية الأغواط بـ 45 كلم.

– أصل التسمية:

ترجع تسمية سيدي مخلوف إلى الجد الأول والولي الصالح سيدي مخلوف ذو الأصل العربي وأحد سلاطنة الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، جاء ليستقر بجبال الأزرق بالشمال الغربي للأغواط سنة 1660 م ،وينشئ زاوية بخيمته حيث كان يحتكم إليه القبائل والعروش ، ولم يلبث طويلا حيث عاد من حيث أتى وهو مقبور بفاس بالمغرب . تاركا أبناء وبناة من بينهم الابن أحمد والمعروف باسم سيدي مخلوف الذي تمركز بالمنطقة 29.

– أصل السكان:

سكنت سيدي مخلوف في مرحلة ما قبل التاريخ أين كان الإنسان يعيش في الكهوف ويرسم على جدرانها طقوس حياته اليومية، وهذا ما يتجلى في النقوشات الصخرية بالحصباية والرمايلية.

سكان سيدي مخلوف من سلالة أحمد بن سيدي مخلوف الذي ولد سنة 1620 م بالمغرب ، وقدم من الجبل الأزرق واستقر في أواخر القرن السابع عشر على ضريحة قبة بيضاء تعتبر من أقدم البنايات بالمنطقة[1].

[1]– معلومة صادرة عن مقر بلدية قصر الحيران.

ينقسم عرش المخاليف إلى فرقتين كبيرتين الأولى مخاليف الصحراء (الجنوب) من سلالة عبد الرحمن أو عبدالله الذين نزلوا الصحراء . ومخاليف الأزرق (الزرق)، والعائلات التي تنحدر من سلالة أحمد بن مخلوف والتي تقطن تراب البلدية مخاليف الزرق وهم : أولاد قويدر، أولاد عيسى، أولاد عيدة، أولاد أبوبكر، أولاد براهيم، أولاد دهينة أولاد سعد. والمخاليف الزرق كانو قوم بدو يقومون على الترحال وتربية المواشي وخدمة الأرض.

6-4- بلدية تاجموت:

تقع بلدية تاجموت على بعد 48 كلم في شمال غرب مدينة الأغواط يحدها شمالا ولاية الجلفة، وجنوبا الحويطة والخنق، غربا وادي مزي وعين ماضي ،سيدي بوزيد والبيضاء، شرقا سيدي مخلوف والأغواط.

- أصل التسمية:

هناك عدة تأويلات لأصل التسمية ، فتقول بعض الروايات أنه في زمن قديم جدا وفي ظل السيطرة البربرية كانت تحكم البلد ملكة فاسية (العدا) من عاداتها أن تحكم بين رعيتها وتعدم الظالمين، فكانت لا تزيد على لفظ الموت إذا أرادت حكم الإعدام، وكانت تحمل التاج رمز عضمتها ، فتقاربت الكلمتين (تاج - موت) وربما يعود أصل الاسم إلى (الصيغة) الكلمة البربرية "تقمونت" والتي تعني القرية أو القصر ، وما يعزز هذا وجود قرية بالأوراس تحمل اسم تاجموت بالقرب من أريس، وتوجد في جنوب شرق عين صالح وعلى بعد230 كلم بلدة تسمى تاجموت. وقيل أن تاجموت تعني بالبربرية (الأمازيغية) الحظ الأخضر الذي يدل على الإخضرار الذي يحد وادي مزي ، وقيل أن معناها المكان المرتفع. وفي رواية أخرى أنه توجد على قمم التلال القربة من القصر مقابر كثيرة لا تزال منتشرة بالمنطقة ومن ثمة سميت تاجموت، كما قيل أن تاجموت (الأولى) أطلقت على عدة مواقع وأن تاجموت الأولى غير القصر القديم حيث عرفت تحول موقعها عبر العصور.

- أصل السكان:

المعروف أن القصر الحالي بنسيجه المميز أسس سنة 1666 م من طرف أولاد يوسف، الذين كانوا يسكنون قصر البدلة بالأغواط بالواحات الشمالية (القابو-الصوادق حاليا) حيث تذكر الروايات أنه بعد مناوشات حدثت بينهم وبين سكان بلدة الأغواط ، هجروا قصرهم بالأغواط وأقاموا بتاجموت نهائيا[2] . وقد تلاحقت عدة قبائل بأولاد يوسف، حتى أصبح من حكم القصر يقول وتزعم " أوديت بوتي ". أن رجل ثري قدم من جبل لعمور يدعى "أبوبكر" بن سعيد اشترى "تاجموت" واستولى على الحكم كما جاءت عدة قبائل مجاورة اختلطت مع قبيلة أولاد يوسف.

ففي سنة 1794 م سقطت تاجموت تحت سيطرة قائد يسمى " فريزة" الذي دخل في عراك مع "الباي عصمان" الذي حكم تاجموت ودخل الحويطة منتصرا "[3].

---

[1] - الزبير بن عون،مرجع سابق ،ص 22.

[2] - مصلحة التراث الثقافي: مديرية الثقافة لولاية الأغواط.

[3] - نفس المصدر.

كما تلاحقت بعض العائلات من شتى القبائل خاصة من جبل لعمور مثل أولاد سيدي مُحَمَّد من أولاد"سيدي عطاءالله" يروي أحد الكتاب الفرنسيين " أن "سيدي عطاء الله" هو أحد الأبناء الثلاثة لسيدي عابد الولي الصالح، قدم من العرب وينحدر من السلالة النبوية الشريفة مُحَمَّد ﷺ.كما استقر بالقصر بعض سكان "متليلي" وأولاد سيدي عطا الله وقد أخذ هذا التجمع اسم السفاين جمع سفينة التي تعني قبيلة،كما تشكلت فرقة ثانية بقيادة شيخ من أولاد سيدي بركات.

فحسب تقسيم مياه السد التقليدي بتاجموت والحصص (الدور) الذي يمنح لـ 22 عائلة والذين ينحدرون من عدة سلالات وهذا بداية من القرن 18 م وهم : أولاد عيسى، أولاد الزاوي، أولاد المكي، أولاد دهينة، أولاد أبوبكر ، أولاد عيسى ، أولاد البركة ، أولاد أحمد ، أولاد النوي ، أولاد العمارنية ، أولاد بن سالم ، أولاد رويشد ، أولاد التيني ، أولاد زعنون[1].

6-5- حاسي الدلاعة:

تقع بلدية حاسي الدلاعة بالجهة الجنوبية الشرقية من الولاية الأغواط ويحدها من الشرق والشمال الشرقي ولاية الجلفة ،وبالحدود الشمالية بلدية قصر الحيران ومن الجهة الجنوبية الشرقية ولاية غرداية ، أما من الجهة الجنوبية الغربية بلدية حاسي الرمل.

- أصل التسمية:

كان عرش الحرازلية من أكبر الشعوب البدو والرحل، يعتمدون على تربية المواشي والرعي،كثيري التنقل والترحال بين التل ونواحي تيارت والظهرة صيفا، وبين جنوب الأغواط وقصر الحيران إلى بريان وواد زقرير،ومن أهم محطات الراحة منطقة الأعشاش جنوب الأغواط التي تبعد عن قصر الحيران بـ 65كلم،وهي عبارة عن أودية وضايات سميت بالدلاليع لانتشار نبات الدلاع فيها (البطيخ يمكن إرجاع أصل التسمية حسب المصادر والمشايخ القدامى إلى وجود دلاعة كبيرة بضاية إشتهرت بكثرة البطم والسدر فسميت في وقتها بـ : ضاية الدلاع، أما الحاسي المدعوبـ " حاسي البايلك " سنة 1919 م الذي تم بناءه من طرف الاستعمار الفرنسي لجمع قبيلة الحرازلية المنتشرة بهذه المنطقة . وكان الحرازلية بخيمهم السوداء المشهورة يحطون الرحال بها فيشربون ماء الحاسي ويأكلون الدلاع ،فهذا سر تسمية بلدية حاسي الدلاعة.

-التأسيس:

لم يعرف عرش الحرازلية التوطن والاستقرار إلا بفضل الحاج سليمان غزال، وذلك سنة 1932. إذ قام بجمع أبناء الحرازلية في المدرسة القرآنية، وبنى أول بيت له سنة 1934 م والمسجد سنة 1937 م. فمنذ ذلك الحين تأسست المدينة وتوافد عليها أبناء الحرازلية وإستقرو بها فيمكننا تقسيم المراحل المعاشية بالمنطقة إلى المرحلة

[1] - عن سجل لتعداد السكان ،مقر بلدية تاجموت.

البدوية أي قبل الاستقرار شبه كلي للسكان في المنطقة ، والتي يمكن حصرها فيما بين 1917– 1962 والمرحلة الحضرية أين أنشأت القرية واعتمرت بالسكان[1].

– أصل السكان:

أما عن أصل قبيلة الحرازلية حسب الشجرة العرقية لهم فيقال أنهم منحدرون من الأصل الإدريسي الشريف ومن آل الشيخ سيدي حرز الله القادم من الساقية الحمرا بالمغرب ، قيل سنة (770 هـ) وفي رواية أخرى 780 هـ) قدم إلى ناحية الصحراء بجنوب الأغواط فمكث بها . رزق بولدان منهم أحمد بن حرز الله الذي ترك ثلاث أولاد وهم بن شاعة، سليمان وبلقاسم. وتفرع العرش على أسماء الأولاد الثلاثة.

– أولاد بن شاعة : أولاد يحى– أولاد الشارف – أولاد عبد الرحمن ولقد سار أولادهم في الصحراء ، ولا زال عدد كبير منهم في بلدية حاسي الدلاعة.

– أولاد بلقاسم : الرخوي – السعدي المعرفين بأولاد خاوة

– أولاد سليمان : أولاد الجنيدي– أولاد المسعود – أولاد الميهوب– أولاد عزوز– أولاد الصديق – أولاد معمر الذين سكنوا بناحية الأغواط.

نستنتج من هذا أن الحرازلية متفرعين إلى عائلات فهم في حالة ترحال دائم .فقد سكنوا التل والشمال والصحراء فقد أقيم نفر من العائلات في حاسي الدلاعة[2].

هذا بالنسبة للتقسيم العرفي للشجرة، أمل عن حالتهم السكنية فقد كانت في الصحراء بنواحي بسكرة ، وانتقلوا إلى مسعد حيث توفي جدهم أحمد بن حرز الله ودفن بها، ثم هاجروا وانزووا بمنطقة ما بين الأغواط وقصر الحيران ومكثوا بها لمدة 40 سنة واستقروا أخيرا واستوطنوا بعين البلدية إلى غاية يومنا هذا.

6–6– الحاج المشري:

تقع بلدية الحاج المشري في الشمال الغربي من جبل العمور، يحدها شمالا بلدية عين سيدي علي، جنوبا ولاية البيض، شرقا بلدية البريدة وتيارت الشمال الغربي، غربا ولاية البيض.

– أصل التسمية:

تحمل البلدية اسم الولي الصالح الحاج المشري بن الحاج المختار بن منصور،الذين تنتهي نسبه إلى الولي الصالح سيدي الناصر، عاش الحاج المشري في منتصف القرن 18 م.

–أصل السكان:

السكان الأصليون فهم من سلالة الولي الصالح سيدي الناصر بن عبد الرحمن الذي نشأ بالمغرب لأقصى ما بين القرنين 08 و09 للهجرة والذي يؤول نسبه الشريف إلى فاطمة الزهراء والحسن السبط. خلف المترجم له

[1] – بوداود بومدين ،كعبوش بن حرزالله : الحاج سليمان غزال (الدرة الغزالية في ذكر أصول الحرازلية).بدون مكان ودار للنشر ،1999،ص20–21.

[2] – نفس المرجع: ص 21.

ثمانية أولا صالوا وجالوا في أنحاء البلد شرقا وغربا شمالا وجنوبا. منهم عبد الرحمن بن الناصر الذي استقر بجبل لعمور. والعائلات التي تنحدر من سلالة عبد الرحمن بن الناصر والتي تقطن تراب البلدية هي: أولاد سيدي براهيم بن بوعلي بن عمر، أولاد سيدي عوطيطة أولاد الجازية)، أولاد سيدي مُحَّد الكبير، أولاد سيدي بركات، أولاد مؤمن [1].

اندمجت مع هذه العائلات بالمصاهرة على مر السنين عائلات توافدت على المنطقة أغواط كسال – السعيد عتبة لعجلات– أولاد يعقوب رزارة وأولاد زيان.

6–7– بلدية عين سيدي علي :

تقع بلدية عين سيدي علي في الناحية الشمالية الغربية للولاية تبعد عن مدينة الأغواط بـ 125 كلم، يحدها من الشمال الشرقي والشرق قلتة سيدي سعد، ومن الجنوب بلدية الحاج المشري ، ومن الغرب بلدية الشحيمة بتيارت، ومن الشمال بلديتي عين الذهب وتيارت.

– أصل التسمية:

ينسبونها إلى إحدى القبائل الزناتية التي فيها وهي قبيلة " دمر "التي من أبنائها أولاد علي بن عمر بإعتبارهم إستوطنوا بجبال لعمور وشمالها لذلك تسميت عين سيدي علي نسبة لأحد أبناء القبيلة. وهناك رواية أخرى تنسب تسميتها إلى جبل بالمنطقة يسمى علي بوعافية . أولاد سيدي علي من أحفاد سيدي الناصر[2].

–التأسيس:

اختطت هذه البلدية على وادي سيدي علي، وهو من أحفاد سيدي الناصر بن عبد الرحمن. كانت العين ملكية لمقدم زاوية سيدي الناصر، وأثناء ثورة بوعمامة اجتاحت السلطات الفرنسية المنطقة وأوجدت بها مركزا سكنت المنطقة منذ عصور عابر بحيث تشهد القبور الجنائزية التي تعود إلى فجر التاريخ. والقصور التقليدية البربرية لسكان بني راشد.

–أصل السكان:

يدرك الباحث في سكان بلدية عين سيدي علي أن أصلهم ينحدر من قبائل بني هلال العربية ، إذ لا زال السكان يحملون هذا الاسم بالرغم من تسميتهم أحيانا بأولاد يعقوب. يقول إبن خلدون :" ... وجاء العرب الهلاليين وغلبوا على الضواحي كل من كان بها من صنهاجة وزناتة، وتحيزهم إلى الحصون والمعاقل وضربت عليهم المغارم إلا من كان بلاد الفقر مثل جبل راشد، فإنهم لبعدهم عن المنازل الملك لا يعطون مغرما إلآ أنهم غلب عليهم هناك العمر، من بطون الهلاليين، ونزلوا معهم وملكوا عليهم أمرهم فصاروا لهم فيئة "[3].

سكان المنطقة هم من قبيلة أولاد يعقوب زرارة التي هي بطن من بطون بني هلال : (الأثبج، رياح، رغبة،

[1]– ناصر مجاهد: نفس المرجع، ص 40،43.

[2]– عن سجل تعداد السكان: مقر بلدية عين سيدي علي.

[3]– عبد الرحمن إبن خلدون: **تاريخ إبن خلدون**، المجلد7، مجلد سابق، ص97.

قارع) حيث يشير إبن خلدون إلى بني يعقوب بن عامر بن زغبة من بني هلال . أما مصطلح زرارة فهو مشتق من زغبة أومن فزارة وهي بطن دخلت مع العرب الهلاليين . أولاد يعقوب رزارة قوم بدو رحل ينتقلون بين التل والصحراء منتشرة في كل نواحي جبل لعمور والصحراء . ظل السكان في حالة الترحال حتى سنة 1908م إلى 1911م حيث تم إقتراح من آغا العرش " **بن آفغول** " لتحديد مساحة من الأرض الإستقرار ،كما أجبر الاستعمار الفرنسي القبيلة للاستقرار بالمنطقة بتاريخ 30 جويلية 1919 م وشجعت على بناء المساكن وحفر الآبار بحيث عدت بتراب البلدية 25 منزلا سنة 1956م

أولاد يعقوب عرشهم من فرقتين : أولاد يعقوب الغرابة وعدد العائلات به عشرة مضاف إليها أولاد سيدي يعقوب القاطنين بناحية تاجرونة . وأولاد يعقوب الشراقة وتتكون من : بني هلال زرارة وهم أولاد يعقوب أعواج –أولاد منية– أولاد عطاء الله – أولاد مبارك – الجعافرة– أولاد موسى– السبايل– أولاد يعقوب– أولاد عيسى[1].

أما حاليا فسكان البلدية من عرش واحد المذكور آنفا حيث يتكون هذا العرش من 11 دوار بحيث كل دوار يمثله عضوفي جميع الحالات الاستشارية للحياة الإجتماعية.

6–8– بلدية البيضاء:

تقع بلدية البيضاء بالحواشي السهبية من جبل العمور،يحدها شمالا النعيمة والفايحة ولاية تيارت، وجنوبا تاجموت وسيدي بوزيد، شرقا الإدريسية من ولاية الجلفة وغربا قلتة سيدي ساعد.

– أصل التسمية:

سميت بالبيضاء نسبة إلى فرس بيضاء اشتهرت بالمنطقة، فهي منطقة حديثة العهد تتميز بقصرها العتيق ومقبرتها العتيقة.

–التأسيس:

أسس قصر البيضاء القديم أولاد علي بن عمر، مكثوا فيه مدة من الزمن ونظرا لعدم الاستقرار لهذه القبيلة ونتيجة الغارات المتكررة توجهوا إلى جبال القعدة بوادي مرة واستقروا بها . باعت القبيلة منازلها وأراضيها لقبيلة لعجلات كان هذا منذ 03 قرون.

– أصل السكان:

منذ ذلك الحين استقر أولاد سيدي لعجال (لعجالات)،وأولاد سيدي براهيم بالمنطقة كلاهما من سلالة واحدة ترجع لأبيهم سيدي أحمد بن السعيد وللعجالات قصر قديم بترابهم يدعى قصر الرحامنة الذي بقي في ذاكرة الزمن . وسيدب لعجال هومن أشراف الساقية الحمراء بالمغرب الأقصى ، ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر انتقل إلى الأدارسة بالجزائر في الفترة ما بين القرن 15–17 م بقي للعجالات نفر قليل منهم في معسكر. كانت لهم

[1]– ناصر مجاهد: نفس المرجع،ص58–60.

علاقات متوترة بين جيرانهم من الأحرار من سكان جبل الناظور تؤدي في غالب الأحيان إلى حروب على حدود المراعي. فبعض العائلات القاطنة بالقصر فهي سلاله كل من : سيدي بلقاسم – سيدي الناصر – سيدي براهيم، أما أولاد سيدي بلقاسم هم : أولاد بن قلولة ، أولاد سيدي يحي ، أولاد عبد الله ، أولاد الطاهر.

-أولاد سيدي الناصر هم : درقانة ، لعبيدات ، أولاد العيد ، و أولاد بن عمر.

-أولاد سيدي براهيم فمن نسله : أولاد مرابط، أولاد سعيد، أولاد مزيان، أولاد عبد القادر، أولاد بن عيدة، الرزيقات[1] .

6-9- بلدية بريدة:

تقع بريدة في الناحية الشمالية لولاية الأغواط بجبال العمور يحدها شرقا بلدية سبقاق وقلتة سيدي ساعد جنوبا بلدية تاويالة، غربا بلدية بوعلام لولاية البيض ، وشمالا بلدية الحاج المشري وعين سيدي علي.

- أصل التسمية:

إستمدت إسمها من عين بريدة التي تتركب من عين شفاية المرضى والعين البرانية والتي مائها شهريا أي يعود إلى كل شهر،وإسم بريدة مشتق من برودة المنطقة.

- أصل السكان:

سكان البريدة ينتسبون إلى الولي الصالح سيدي حمزة الذي قدم إلى جبال لعمور مع صديقه علي بن مُحَّد. ومن سلالة علي بن مُحَّد: الخرارزة وزرارتية . أما سلالة سيدي حمزة فهم : أولاد بلقاسم، الدرورة، الحجاجي، الحموشات، أولاد بوشمال. كانوا عروش رحل ينزلون الصحراء مع حلول شهر سبتمبر[2] .

بريدة القديمة كانت مقر للبلدية تضم بلديتي تاويالة والحاج المشري كما أنها كانت ملك للقبيلة الناصرية والتي عودرت أثناء الهجرة مع قافلة بوعمامة،وتظهر هناك مقبرة عتيقة لأجدادهم . إختطت البلدية الحديثة سنة 1974م بخنق الرمل وسكانها أولاد حمزة و أولاد علي بن مُحَّد وبعض العائلات.

6-10- بلدية سبقاق:

تقع على السفوح العلوية لجبل بين جبل قرن عريف وجبل سيدي عقبة المطل على آفلوا، ويحدها من الشمال الشرقي بلدية الغيشة آفلوا ومن الشمال الغربي قلتة سيدي ساعد وعين سيدي علي، مع الحدود الجنوبية لبلدية بريدة.

[1] - ناصر المجاهد : مرجع سابق ،ص.ص 54-56.

[2] - ناصر مجاهد: نفس المرجع،ص65-66.

– أصل التسمية:

أصل كلمة سبقاق تعود إلى جبل سوقجج، ولعل أن هذا اسم حرف إلى سبقاق، ولقد أثرت على إسم وادي سبقاق في مذكرات الكولونيل " سكوت" بإسم وادي سبقاج ، إستمدت إسمها من وادي سبقاق أحد روافد واد شلف.

– أصل السكان:

أصل سكان سبقاق من قبيلة لعمور الهلالية التي سكنت جبل راشد قديما الذي كان ملك للبربر. اندمجوا مع بني راشد البرابرة السكان الأصليين للجبل. ينحدر من عمور أولاد ميمون الشراقة وأولاد الغرابة. وسكان سبقاق هم من أولاد ميمون الغرابة الذين يتفرعون إلى أولاد التخيل ، أولاد رياب، الفرشيش والقصاورة[1].

–ينتمي إلى العمور أولاد داود ، أولاد عدة وأولاد فرحات ، أما أولاد داود فهي الفرقة الحاكمة لجبل لعمور منذ عهد بايات الأترال .

كل فرع من هذه الفروع يتفرع إلى عائلات، بلغ عدد سكان سبقاق سنة 1984م حوالي 3682 سنة.

–المناطق الأثرية لا تخلوا من تراب المنطقة منها الآثار القصر القديمة لقبائل بني راشد البربرية، القبور الجنائزية التي تعود إلى فجر التاريخ.

6–11– بلدية واد مرة:

يحد بلدية وادي مرة من الجنوب الشرقي بلدية تاجموت ومن الشمال آفلوا ومن الشرق بلدية سيدي بوزيد والإدريسية، ومن الجنوب الغربي بلدية واد مزي، نقع في الأجزاء المرتفعة من جبل لعمور.

–أصل السكان:

السكان الأصليون بوادي مرة هم أولاد علي بن عمر وهم أقدم سكان جبل لعمور تذكر الروايات أن أولاد علي بن عمر ولقمامتة هم من سلالة واحدة ،لكن يصعب الجزم إن قلنا أن أولاد علي بن عمر ولقمامته هم " سنجاس " القبيلة البربرية التي ذابت وسط المجتمع الدخيل وهي قبيلة العمور الهلالية النازحين من الشرق العربي.

في عصور غابرة أولاد علي بن عمر ملكوا الجبال في شخص جدهم " القليل " الذي ملك الضواحي . تحكى الروايات أنه شن حملة على عين ماضي وحزبها ونقل أبواب حصنها إلى تاوياله. زال ملك القليل وتفرق أهله بسبب ظلمه . كان هذا قبل الإسلام، أين كان الناس يعبدون الشمس والهلال. في عصور غابرة أولاد علي سكنوا السهوب بقصر البيضاء الذين أسسوه ، ونظرا لعدم توفر الأمن والاستقرار باعوا بيوت قصورهم

[1] – ناصر مجاهد: نفس المرجع، ص67–68.

ومياههم لقبائل لعجالات منذ قرون بـ(4000 درهم إسباني قدي) لجئوا إلى حصن الجبال بالقرب من جبال القعدة والتحموا مع بني عمومهم القمامتة وأسسوا وادي مرة[1] .

تواجدت عائلات من أولاد الصديق الذين قدموا من نواحي الجلفة وقطنوا مع أولاد علي بن عمرو ذلك سنة 1878 -1879 م. فمن خلال البنايات التي أنشأت قرب المجاري المائية يستنتج أن عائلات أخرى استقرت بالمنطقة كأولاد الناصر وعزارة بوادي مرة وأولاد فريحة والسعيدي بمجرى وادي مزي .وعائلة حياالله وغيرهم 1859 م إلى سنة 1864 م بلغ عدد الخيم بتراب البلدية 284 خيمة ،وحسب إحصائيات لتعداد السكان لسنة 1954 م بلغ عدد السكان 2777 نسمة.

حسب روايات الشيوخ المسنين أن قبائل الأرباع كانت تتوجه إلى التل وخاصة بالمنطقة وتقضي فصل الربيع من كل عام. هذا عن بعض القبائل والعروش التي توافدت على بلدية وادي مرة حتى يومنا هذا.

6-12-آفلوا:

مدينة آفلوا هي القلب النابض لجبال لعمور وعاصمته ،تقع بأعلى جبال لعمور يحدها من الشمال بلدية سيدي بوزيد والشمال الغربي بلدية واد مرة، أما من الجنوب الغرب قلتة سيدي ساعد وبريدة ومن الجنوب الغيشة ومن الجنوب الغربي بلدية سبقاق.

- أصل التسمية:

حسب الأقوال المتداولة والروايات تسمية آفلوا جاءت من الفلاء أي الإستلاء والتسمية صيفة فعل أمر ،جاءت آفلوا بفعل الواد المدسوس الذي يخترق المنطقة ،والحي تغذيه ينابيع رأس العين والمهيئ للمروج والمزارع فأحد السكان المزارعين المالكين لقطيع البقر ،قال مخاطبا :" آفلوا يابقرات " وبتكرار هذا الكلام وتداوله حملت المنطقة هذا الاسم.

-التأسيس:

مدينة آفلوا إختطتها قبيلة الرحامنة من أولاد ميمون ،وهم قبيلة من العمور والتي هي بطن بني هلال ،تذكر المصادر أنها بنيت سنة 1785 م حسب إحصائيات 1844 م كان بآفلوا حوالي 20 منزل فمع مرور الزمن تهدمت المنازل بسبب الهجرة إلى قصر بوخروف بجبل " الزلق " الذي يحده الأفق جنوب آفلوا ،هدم هو الآخر هذا القصر من قبل الجنرال يوسف (ضابط فرنسي) ما بين سنة1864-1860م من جراء هذا عاد الحينن لتجديد آفلوا، وبني على أنقاض القصر القديم 15 منزلا وتوسع العمران إلى غاية يومنا هذا[2].

[1] - نفس المرجع: ص120-121.

[2] - ناصر مجاهد: نفس المرجع،ص97.

– أصل السكان:

سكان البلدية الأصليين من أولاد ميمون الشراقة وهم : الشراكة ، الرحامنة ، الفراشيش، أولاد سعد ومنهم فرقة لا تنتمي إلى العمور هم العبادلية، فقد توافدت على المنطقة عروش عدة وعائلات، فآفلوا كانت كمركز إداري واقتصادي للقبائل والعروش الجبلية.

6-13- تاويالة :

تقع تاويالة بشمال غرب مدينة الأغواط على بعد 152 كلم، لم تفقد تاويالة موقعا الإستراتيجي الهام إلا بعد نشوء مدينة آفلوا، حيث كانت تتمو قع بالمحور القديم الهام الذي يربط التل بالصحراء،والذي يرتاده بدو المنطقة كثيرا، وتتميز بموقعها بسفح جبل لعمور في موقع غائر بالنسبة لمحيطها المتكون من سلاسل جبلية ذات المناظر الخلابة والجذابة.

-أصل التسمية:

"تاويالة" كلمة قد تكون ذات أصل بربري أمزيغي يراد بها الموقع ووصفه كما هو مرجح في أغلب كلمات القصور القديمة كتعظيمت ،تاجموت . ويروى أن كلمة تصيف لـ تاويالة ذات الأصل البربري وهي تسمية أولية[1].

-التأسيس:

تشاع أساطير بالمنطقة أن تاويالة كانت مخبأ لملكة تدعى " كارصفا " كانت تحكم في جبل لعمور المسمى قديما جبل راشد ،وأن كنوزا لا تزال مدفونة بالجبال.

والمرجح أن قصر تاويالة قديم قد يعود تأسيسه لقدوم الهلاليين، وربما كان قبلها مكان تجتمع سكان المنطقة البربر بسبب توفر ظروف المعيشة وهذه الفرضية تختبر بعد دراسة الأطلال والآثار الموجودة. كقصر القليل، وقصر التوميات. والمقابر الجنائزية القديمة.

نشأت تاويالة حسب طراز بناء القصر إلى القرن 17م. كان مؤسسه الأول هو أحد أحفاد أولاد سيدي الشيخ وهوالشيخ بن الدين ويروي أن القصر الأصلي كان يوجد غرب القصر الحالي بمكان يدعى التوميات والقصر القديم كان يدعى " تساهية "،رحل الشيخ المذكور آنفا إلى القصر الجديد وأسس تاويالة وهذا لطيب مياهها وتوفر كل متطلبات الحية.

– أصل السكان :

لا شك أن التركيبة المتنوعة والمتجانسة لسكان تاويالة الأوائل تدل على مبدأ قابيلية الغير والتعاون والتبادل بين أفراد البلدة،الأمر الذي جعل منها مقصدا لتوفر الناس من كل الأصقاع للاستقرار بها وبسبب تأسيسها على

[1] – مصلحة التراث الثقافي ،مديرية الثقافة لولاية الأغواط.

مبدأ قبلي أو تحالف عرشي،كانت تاويالة أم القصور لجبال لعمور، لا شك أن هذا جعلها تستقطب قبائل شتى.

6-14- الغيشـة:

تقع الغيشة على سلسة الأطلس الصحراوي بسفوح جبال القعدة التي تنتمي إلى جبال العمور، أي بين جبال القصور من الجنوب الغربي وجبال أولاد نايل من الجهة الشرقية. تقع على وادي يحمل إسمها، يحده شمالا آفلوا وسبقاق، جنوبا عين ماضي وتاجرونة ومن الشرق وادي مزي.

- أصل التسمية:

كلمة غيشة ترجع تسميتها إلى حقب تاريخية بعيدة، وهنا يختلف الناس في اشتقاق الكلمة :إذ يرجع بعضهم أنها مشتقة من كلمة غشيان الحجيج إليها أثناء ذهابهم وإيابهم خاصة المغاربة ومكوثهم بالاستراحة بها ويرجع بعضهم أنها مشتقة من " أغشى " نسبة إلى فرس ذالون أحمر وأبيض كثيرا ما كان يرعى بالمنطقة[1].

-التأسيس:

الغيشة أسستها قبيلة "الزناخرة" منذ حوالي 03 قرون بقصر قديم الذي يعتبر كقطعة واسعة،"فالزناخرة" هي قبيلة صحراوية غامضة النسب لكنها تبدوا بربرية تعربت حسب الرواية المتداولة، سكنت منطقة الجريد،ودفعت نحو الغرب ثم الشمال بمرتفعات السهوب، ثم إنهزت في القرن 19 م من طرف أولاد ماضي بن مقرب.

- أصل السكان:

أما عن القبائل التي تقطن بقصر الغيشة والتي عوضت قبيلة الزناخرة المشار إليها آنفا فهي تنحدر من عدة سلالات وهي: أولاد سيدي الحاج سليما ، أولاد سيدي مُحَّد بن منصور ،أولاد براهيم ،النقبة وتنحدر عنهم ما يسمى المناصير النقابى ومنهم الرحالة وأهل القصر ،المحاميد ،البلة ،أولاد سرور وهم بطن من قبيلة العمور الهلالية ،أولاد سيدي خالد وهم من سلالة سيدي خالد بن زكريا الدفين بغرب فرندة ،أولاد عون[2].

حسب إحصائيات 1863 م فإن قصر الغيشة اشتمل على 20 إلى 60 منزل ،كان القصر حيويا منذ قرن ونصف من الزمن ، يرتاده قبائل المخاليف الأحرار،كما كانت قبيلة الأرباع الصحراوية تجلب الحبوب والتمور وتقايض بالأقمشة.

إن منطقة الغيشة تشهد على ثلاث عهود تاريخية والتي تشمل في الفترة ما قبل التاريخ والتي يشهد حضورها في الجداريات الأثرية ،كما نتحدث عن مدن وقصور لقبائل سكنت المنطقة كالقصر الأحمر (الطريفية) لأولاد عون حوالي سنة 1450 م وأطلال القصور البربرية القديمة.

[1] - مقالات في التاريخ الحضاري لمنطقة القيشة: جمع وتنظيم اسطنبول الناصر، جامعة وهران ،1999.

[2] - ناصر مجاهد: نفس المرجع، ص 73-79.

6-15- تاجرونة :

تاجرونة كانت تابعة إداريا إلى بلدية آفلوا حتى سنة 1976 م،وقد بنيت قرية حديثة شمال القصر القديم تشمل على سكنات حديثة،وعدة مرافق، تاجرونة هي بلدية منذ 1984 م ، حدودها الإدارية غربا بريدة وشرقا عين ماضي، شمالا الغيشة وتاويالة وجنوبا عين ماضي وبريدة، تقع البلدة من قدم لجبل العمور بحوالي 20 كلم، وتبعد عن عاصمة الولاية بحوالي 82كلم.

- أصل التسمية :

هناك عدة تأويلات لأصل تسمية تاجرونة ، تتركب من كلمة من " تاج " وهو معروف إطار يكلل به الملوك و" رونة " كلمة تستعمل في المغرب العربي يراد بها قصعة. قيل أن ضاية (أرض منبسطة) كانت توجد بالمنطقة، يتجمع بها الماء وينبت على حافتها شجر البطم، وكأن شكلها تاج، الإسم تاج قصعة من الشجر. وفي أسطورة أخرى تذكر أن "رونة" إسم لملكة أصلها من الساقية الحمراء، وأن تاجها سقط بهذه الضاية حيث تتجمع المياه، فسميت المنطقة بتاجرونة[1].

-التأسيس:

يعود تأسيس تاجرونة إلى السنوات ما بين 1613 م إلى 1616 م إلى الشيخ الولي الصالح سيدي مُحَّد بن يوسف الذي اشتهر بعمله وصلاحه،حيث كانت له زاوية متنقلة،تقلد القضاء بمصر ثم استقر بـ "لالماية" ودفن بها،نقل رفاته إلى الحويطة وتم تأسيس القصر.

-أصل السكان:

سكان تاجرونة هم من سلالة سيدي مُحَّد بن يوسف، حيث خلف ثلاث أبناء وهم :أولاد الشناف يسكنون الغرب،وضريح سيدي شناف موجود بمنطقة كبالة بتاجرونة، أولاد ميهوب بالشرق وأولاد بم عيسى بالوسط[2].

بينت الإحصائيات القديمة أن تاجرونة كان لها في سنة 1844 م عدد من المنازل يقدر بـ 63 مسكنا يسكنها 44 ساكن وفي سنة 1956 م بها 42 عائلة تجمع 326 ساكن ولا شك أن سنوات المجاعة كان لها اليد في هجرة السكان إلى آفلوا والأغواط[3]. لقد كان نمو السكان في القصر مستمر،كما شهدت تاجرونة قدوم واستقرار بعض سكان البدوا الذين كانوا بضواحي المنطقة، وأما السكان الذين مازالوا يقيمون بالقصر فأغلبهم استقروا حديثا،فهم يتجمعون بمنازل حديثه موجودة جهة السور الشمالي والشرقي للقصر.

شاركت تاجرونة في الحياة البدوية، حيث كانت تسلهم في تخزين حبوب الرحل مقابل خمس المخزون، خاصة قبيلة أولاد يعقوب زرارة التي إندمجت معهم إجتماعيا وإداريا في الخمسينات .سكنت المنطقة قبيلة الماية البربرية . يقول إبن خلدون :" وأما ألماية فهم من البرابرة البتر كانوا طواغن بإفريقيا والمغرب وكان جمهورهم بالمغرب

[1]- مصلحة التراث الثقافي: مديرية الثقافة لولاية الأغواط.

[2]- مصلحة التراث الثقافي: مديرية الثقافة لولاية الأغواط.

[3] - ناصر مجاهد: نفس المرجع،ص 126-127.

الأوسط موطنهم بتخومه مما يلي الصحراء ... وأما المایة فاندثروا وهلكوا بهلاك مصرهم الذي اختطوه...".
شيدت القبيلة قصر معروف بها لكن ما لبث الاستعمار إلا ومحي آثار القصر،ولما دفع المخاليف الرحل المذابيح السكان الحاليين من بريان بقي بعضهم بضاية بن ضحوة وهاجر البعض الآخر إلى المایة فعمروها ومعهم اليوم فئة من أهل الوكال وأولاد سيدي طيفور[1].

6-16- بلدية وادي مزي:

تقع بلدبة وادي مزي في الجهة الجنوبية من جبال لعمور " بقدم الجبل " يحدها من الجهة الشمالية الغربية بلدية وادي مرة ،ومن الجهة الشمالية بلدية تاجموت ومن جهة الشرق عين ماضي أما جنوبا بلدية الغيشة.

- أصل التسمية:

وادي مزي استمدت اسمها من وادي مزي الذي يمر بالمنطقة،والذي يتوغل بالصحراء تغذيه ينابيع جبل العمور والذي يمر بمدينة الأغواط حتى بسكرة . للبلدية اسم آخر وهو" الربيق"

- أصل السكان:

السكان الأصليون ببلدية وادي مزي هم لقمامتة، وهم أقدم سكان جبل لعمور تذكر بعض الروايات أن لقمامته وأولاد علي بن عمر هم من سلالة واحدة .فيصب الأمر إذا قلنا أن لقمامتة من قبيلة سنجاس التي هي بطن من بطون مغراوة البربرية التي سكنت جبل راشد (العمور) وجبل مشتل، والتي ذابت وسط المجتمع الدخيل وهم العمور الذين هم بطن من قبيلة بني هلال النازحة من المشرق العربي[2].

لقمامته كانت قبيلة متنقلة تصول وتجول جبل راشد، وعلى مقربة من منابع وادي مزي، كان عرش القمامته عازم على إنشاء قصر لكن الأعمال توقفت به قبيل الثورة. وأما القصر المنشود هو اليوم بالربيق التي بنيت سنة 1970م بدأت بـ20 منزل، وهي بلدية منذ 1985 م. كان سكان المنطقة أكثر فقرا بسبب الجفاف وقلة المساحات الزراعية جبال قعدة لقمامته نشهد لها أنها كانت مصرحا وحصن حصينا للمجاهدين أثناء حرب التحرير ومكان انطلاق الفصائل إلى كافة المناطق للقيام بالعمليات العسكرية.

الآثار التاريخية بالبلدية متعددة نذكر منها قصر الناموس بسكلافة والمالكية وقصر الفروج وغيرها التي تعود إلى الحضارة البربرية الأمازيغية.

6-17- عين ماضي:

تقع عين ماضي على بعد 05 كلم من قدم جبال العمور على صفية بيضاوية الشكل مما جعل السكان يقولون أن عين ماضي بيضة النعامة شقت طولا،تبعد عن عاصمة الولاية بأكثر من 60 كلم يحدها من

[1] - طالبي عطاالله : محاضرة " موجز عن منطقة المایة عبر العصور.مدونة أشغال الملتقى الأول لتاريخ منطقة المایة وعرش المذابيح ،المایة. يومي 09-10 جويلية 1998.

[2] - ناصر مجاهد: نفس المرجع،ص 123-124.

الشمال الشرقي تاجموت ومن الشمال الغيشة وبلدية واد مزي مع الحدود الغربية للغيشة وتاجرونة ،أما من الجنوب الغربي ولاية البيض،ومن الشرق الحويطة وحاسي الرمل.

– أصل التسمية:

تجمع بعض الروايات والمصادر في إشارتها التاريخية وتحكي عن أزمة غابرة فحسب الأقوال المتداولة عن أصل التسمية وما جاء في كتاب " وشاح الكتائب "لقدور بن رويلة أن عين ماضي نسبة إلى ماضي بن مقرب ويروي أنه من أقيال العرب ومن سلاطينه زمن ذاك في أيام الدولة العبيدية،فالظاهر أنه حفر عين ماء بالمنطقة، ومن ذلك سميت بعين ماضي أما الكاتب الفرنسي "جون ميليا" jeon melia في كتابه الأغواط والمنازل المحاطة بالبساتين سنة 1923 يقول " كأن يوجد بالجنوب الجزائري موقع خصيب بسبب ضيع المياه، الذي كان يتدفق منه بكثرة امتلكه المدعو سي احمد في وقت كأن فيه الإخوة بربروس يحكمون الجزائر العاصمة ويبنون المنازل كان لسي أحمد معلما لم يكن يعرف إلا تحت اسم الماضي أي "القاطع" وذلك نظرا لحله القاطع للمشاكل المطروحة عليه بدون رجعة .....[1]".

يرى جون ميليا أن المنطقة استمدت اسمها من هذا المنطلق ويبقى القول الأول في التسمية قابل للمناقشة.

– التأسيس:

يذكر أن مؤسس عين ماضي هو ماضي بن مقرب* هذا الذي قال في شأنه "إبن خلدون" وكأن هؤلاء العرب لعهد دخولهم افريقية رجالات مذكورون وكان من أشرافهم حسن بن سرحان وأخوه بدر وفضل بن ناهض وينسون هؤلاء في دريد بن الاثبح وماضي بن مقرب وينسبوه في قرة .... وذياب بن غانم وينسبوه في بني ثور فلما زحف إخوانهم الهلاليين من زغبة ورياح إلا ثبح وأتباعهم إلى افريقية كان ممن زحف معهم وكان من شيوخهم ماض بن مقرب المذكور في أخبار الهلال... ومن مزاعمهم أن الجازبة لما مارت إلى افريقية وفارقت الشريف خلفه عليها منهم ماضي بن مقرب .....[2]".

تذكر بعض الروايات أن قصر عين ماضي أسس أولا عند " سيدي معين " بقدم جبل العمور وشمال القصر القديم بعين ماضي ولعل أسباب هجرته تعود إلى البعوض الخبيث وأدى إلى هلاك السكان إلتجاؤا إلى الجبال وإلى قرية بوسمغون[3]. إلى أن قدم التجاجنة من قبيلة بني توجين واختطوا قرية تبعد بحوالي 05 كلم عن جبل عمور والتي تمثل القصر الحالي بعين ماضي وهناك رواية مدونة عن سيدي احمد التيجاني (1150هـ/1737م-/1214-1815) يقول سيدي مُحَمَّد الكبير نجل سيدي العرابي[4]: " سمعت عن سيدي أحمد التيجاني يذكر أن

---

[1] – جون ميليا: نفس المرجع، ص 53.

* – في نسخة أخرى ماضي بن مغرب.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون: **تاريخ إبن خلدون**، المجلد6، مرجع سبق ذكره، ص35-45.

[3] – ناصر مجاهد : مرجع سابق ، ص 133.

[4] – الوثيقة صادرة عن مقر خلافة الزاوية التجانية بعين ماضي.

عمارة عين ماضي فيما وصل إليه من أخبار من تقدمه من ثقات أهلها بأول من بني هذه القرية السيد الأجل الصالح سدي مُحَّد الذي أتى من القبيلة المعلومة بني توجين من الشلف تزوج امة الله الحرة أمباركة بنت عيسى وولدت له السيدين الكريمين السيد احمد والسيد عيسى وله ولد أخر مع ابنة عمه وذهب إلى بلاد القبائل بقسنطينة كأن يقال له آنذاك سيدي مُحَّد الرحمان وله أولاد كبيرهم يقال له احمد أمقران بلغة البرابرة فخرج منه أولاد يسكنون بأولاد مقران وهم إلى الآن بتلك البلاد، أما سيدي مُحَّد الذي عمر هذه القرية أول مرة فلما شب أولاده فاخبرهم بأنه (توحش) اشتاق بلاده التي أتى منها وأراد الرجوع إلى وطنه، قال له أولاده لما تركتنا هنا قال لهم تركتكم في حجر الشيخ عبد القادر والشيخ معروف الكرخي وذهب إلى بلاده ومات بها وهذا ما سمعته عن سيدي أبي العباس احمد التيجاني.

– السكان الأولون لعين ماضي: ومما تقدم أن السكان الأولون لعين ماضي والذين اختطوا قصر عين ماضي فخذ من قبيلة بني توجين من شعوب ببني بادين بطن من بطون زناته البربرية الأمازيغية ،يقول فيهم إبن خلدون:" وغلب الهلاليون قبائل زناته على جميع الضواحي،وزاحوهم على الزاب وما إليه من بلاد افريقية وأنشمر بني واسين هؤلاء من بني عبد الواد وتوجين عن الزاب إلى مواطنهم بالصحراء بالمغرب الأوسط من مصاب وجيل راشد ...." وكان بني بادين من الجهة الشرقية قبيلة المعزب الأوسط مابين فيكيك وميدونة إلى جبل راشد ومصاب.كانت شعوبهم أكثر عددهم ،فأنهم كأنوا أربعة شعوب بني عبد الواد ،بني توجين،بني رزدال وبني مصاب وكأن معهم شعب أخر من اخوانهم بني راشد .....[1]".

سكن فرع من قبيلة بني توجين القادمين من الشلف وهم التجاجنة " تصحيف لتوجين " أول من عمر عين ماضي واستقر بها فبنو المنازل وأنشؤا الحدائق ويتفرع عرش التجاجنة إلى عائلات منهم : الدهص، الدلاسات، العويسات، أولاد سيدي عبد الله، الحقاقي، الكنادرية، تذكر بعض الروايات أن التجاجنة أصلهم من الساقية الحمراء بالمغرب الأقصى والظاهر أن بعض العائلات ذات الأصل العربي انتسبوا إلى التجاجنة واستظلوا تحت ظل العرش، فالتجاجنة هم بربر تعربوا مع مرور الزمن.

ومن العائلات التي قطنت قصر عين ماضي والتي عوضت عرش التجاجنة، التجانيين من سلالة الوالي الصالح سيدي احمد بن مُحَّد التيجاني، والتيجاني تصحيف لتوجين لقب بالتيجاني نسبة لأخواله من التجاجنة، أما نسبه فهو شريف محقق ويرفع نسبه إلى مولانا مُحَّد الملقب بالنفس الزكية ابن مولانا الحسين المثنى بن الحسن البسط ابن مولانا على ﷺ وإلى فاطمة الزهراء عن سيد الوجود سيدنا مُحَّد "ﷺ"[2] يعود إلى جده الخامس سيدي مُحَّد(بفتح أوله) بن سالم القادم من قرية "عيدة" من إقليم دوكالة بالمغرب الأقصى أنتقل إلى الصحراء الغربية ثم استقر بعين ماضي لأسباب، أما أنه مشى للحج ورجع واستوطن بعين ماضي وأما وهو في طريقه إلى

[1] – عبد الرحمن بن خلدون: **تاريخ إبن خلدون**، المجلد، مرجع سبق ذكره، ص319.

[2] – علي حرازم بن العربي برادة : **جواهر المعاني وبلوغ المالي في فيض سيدي احمد التجاني** . ضبطه وحققه عبد اللطيف عبد الرحمان ،جزء 1، بيروت، دار الكتب العلمية ،ط1 ،1997،ص26

الحج انقطعت به السبل واستقر بها وتناسل بها وسلالته باقية حتى يومنا هذا[1]. كما استقر بعين ماضي عرش أولاد زيان التي تذكر الروايات أن جدهم الأول " محاد بن زيان" من عين الملح بـ بوسعادة ولاية المسيلة، وفي رواية أخرى أنهم قدموا من سهل الزاب ببسكرة كأن عرش أولاد زيان من اكبر العروش البدو الرحل يعتمدون على تربية المواشي والرعي،كثيري التنقل والترحال، فيحكى أنه كانت لهم علاقة طيبة مع سيدي أحمد التيجاني تعلقوا به وطيفوه أثناء تنقلاته بـ بسكرة، وقعت لهم مشاكل واضطرابات فتوجهوا إلى الولي الصالح بعين ماضي ومنذ ذالك استقروا بالمنطقة وعاشو بها ومن الملاحظ أنهم اندمجوا وتصاهروا على مر السنيين.

مع أهالي عين ماضي .ينقسم عرش أولاد زيان إلى فرق وهي[2] :

- القسم : بومقواس ، بن إبراهيم.
- الخنانقة : بن قشوة ، الزاوي.
- المازيز : الداودي ، مايدي ، هازل، بن نعيجة.
- أولاد الجودي : بن الصحراوي.
- أولاد الحيمر : مسعودان، لغزال، العيدي، لوعيل، البهاليل، ويقولون أن أولاد الحيمر من أولاد نايل وأنتسبوا إلى أولاد زيان.
- لقياط : بن قيط – أولاد بن عروس : بوزياني ، قيساري.

كما توجد عائلات كاولاد سيدي موسى الذي كأن إمام المسجد العتيق آنذاك وفرقة من أولاد داود من عرش أولاد صالح فرع من فروع قبيلة الرباع، الجوادات، المخاليف الزرق– وبعض العائلات القادمة من جبال العمور مثل : البوازيد.

ونظرا لأن عين ماضي مهد الزاوية التجانية توافد عليها الأفراد والجماعات وسكنوا بها قدموا من شتى أنحاء البلاد وخاصة من الغرب الجزائري منهم : أولاد ستت (من البيض) – قيبوب من الغرب.

[1] – الزبير بن عون، مرجع سابق، ص 36.

[2] – نفس المرجع، ص 37.

– خلاصة :

قدمنا في هذا الفصل نبذة تعريفية تاريخية حول مدينة الأغواط والبلديات المجاورة لها حيث تطرقنا إلى تاريخ هذه المناطق وأصول سكانها وتركيباتها السكانية والقبلية وذلك بغية اماطة اللثام والتمهيد على أن منطقة الأغواط تنوء بالتنوعات والاختلافات القبلية ذات الأصول المتنوعة والمتعددة،وهذا كاثبات ميداني واقعي على إن ما يحدث من تعصب قبلي في وقتنا الحالي ما هو سوى استمرارية للبني التقليدية والقديمة التي لا زالت مستمرة إلى يومنا هذا.

الفصل السابع
الدراسة الميدانية

تمهيد :

نقول في هذا الفصل بعض البيانات والمعطيات والمتمثلة في عدد من الجداول الإحصائيات البسيطة ذات المتغير الواحد. ومحاولة تحليلها إحصائيا وذلك عن طريق قراءة للأرقام الواردة في الجداول الإحصائيات ومقارنة بعضها ببعض، بغية إستخلاص نتيجة من كل جدول تبعا للأرقام الواردة فيه، ومن ثمة نقوم بالقراءة السيوسيولوجية وذلك اعتمادا على الأرقام والإحصائيات الواردة في كل جداول، حيث نقوم بالتحليل والتفسيرات للأرقام والمقارنة بين الجانب النظري من دارسات سابقة وقراءات وبين الواقع الإجتماعين وبين الواقع الميداني كما أشارت إليها إجابات المبحوثين.

كما قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى أربع عناصر عريضة تطرقنا في أولها إلى عرض وتحليل البيانات الشخصية للمبحوثين ،أما ثانيها فإقتصرناها على تحليل وتفسيرها بيانات الفرضية الأولى التي إفترضنا فيها بأن وضعية الإقامة في الوسط الحضري من خلال اندماج الفرد وتفاعله مع جماعته القرابية، تؤثر في ارتباط الفرد وتمسكه بإنتماءه القبلي في المجتمع الحضري، وثالثها فخصصناها إلى عرض وتحليل الفرضية الثانية التي افترضنا فيها أن للتنشئة الأسرية دور فعال في تنمية النزعة القبلية في المجتمع الحضري، وأربعها و التي خصصت لعرض وتحليل الفرضية الثالثة القائلة بأن الحراك السياسي أثناء الحملات الانتخابية يؤثر على التضامن القبلي وزيادة حدة النزعة القبيلة الأفراد في المجتمع الحضري، وخامسها و التي جعلناها خصيصا لعرض وتحليل الفرضية الرابعة و التي صغناها على النحو التالي في أن للموروث الثقافي التاريخي للأفراد التاريخي لأفراد من قيم وعادات وتقاليد دور في تشبثهم بإنتماءاتهم القبيلة وزيادة تعلقهم بنظامهم القبلي.

أولا: الإجراءات المنهجية للدراسة.

1- المنهج المستخدم في الدراسة:

إن كل دراسة لبحث تتم وفق مراحل وخطوات يتخذها الباحث لتقصي بحثه، إلا أن هذه المراحل وصيرورة البحث تتوقف على منهاج وتقنيات للبحث فهو الوسيلة التي نتوصل بواسطته إلى مظهر من مظاهر الحقيقة، مع مراعاة طبيعة الموضوع ، كما أننا اختصينا في بحثنا هذا إلى اختيار المناهج التالية:

1-1- المقاربة التاريخية:

فالجانب التاريخي يأخذ حيزا هاما في البحث السوسيولوجي لأن دراسة أي ظاهرة اجتماعية لابد للرجوع إلى الماضي ، بحيث لا يمكن دراستها إلا بعد وقوعها ثم يقوم الباحث بتسجيلها في المجال التاريخي وهي من أهم المناهج التي تعول عليها العلوم التي تدرس الماضي ويعتمد هذا المنهج على الانتقاد والجمع والتصنيف وتأويل الواقع ومن ثم كان العمل الأول للباحث هو الأصداء للواقعة، وقد استعملنا هذه المقاربة لإبراز مدى فاعلية النظام القبلي والعوامل المؤدية الى تشكله وظهوره في مجتمع مدينة الأغواط.

1-2- المنهج الوصفي التحليلي:

يعتمد على التحليلات الكمية فهو يهدف إلى اكتشاف الوقائع ووصف الظواهر وصفا دقيقا وتحديد خصائصها تحديدا كيفيا وكميا وهي تقوم بكشف عن الحالة السابقة للظواهر وكيف وصلت إلى صورتها الحالية وتحاول التنبؤ بالمستقبل. فهي فهم لماضي الظاهرة وحاضرها ومستقبلها ، وكذلك يركز هذا المنهج على وصف للظواهر وتلخيص الأرقام المجمعة حول موضوع معين وتفسيرها على شكل نتائج[1].إن استخدام واختيار المنهج يختلف باختلاف طبيعة المواضيع والظواهر التي تتناولها العلوم الاجتماعية ,فالباحث بحاجة إلى منهج يتبعه في كل مراحل بحثه و المنهج هو عبارة عن مجموعة العمليات و الخطوات التي يتبعها الباحث بغية تحقيق بحثه وبالتالي فالمنهج ضروري للبحث . حيث هو عبارة عن مجموعة من الطرق تطبق من أجل الكشف عن الظواهر و العلاقات التي تربط بين بعضها البعض وتتوقف عملية اختيار منهج معين دون سواه.

وانطلاقًا من موضوع الدراسة الذي نحاول من خلاله معرفة العوامل المؤدية الى زيادة الانتماء والولاء القبلي في مجتمع مدينة الاغواط. استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي والذي يعني طريقة من طرق التحليل و التفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية ومشكلة اجتماعية[2].

[1]- رشيد زرواطي، تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية) الطبعة الأولى.المسيلة، الجزائر2 .ص 112.

[2]- عمار بحوش، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص125.

و الهدف من استخدامنا لهذا المنهج هو وصفنا لظاهرة محل الدراسة، ومحاولتنا تسليط الضوء عليها وتوضيحها بشكل دقيق، وذلك من خلال جمع البيانات و تحليلها وبالتالي الوصول إلى استنتاجات عامة في نهاية البحث، إضافة إلى استعانتنا ببعض المبادئ الإحصائية لمعالجة البيانات التي تم جمعها عن طريق المقابلات التي أجريت مع المبحوثين.

2- أدوات جمع المعلومات:

مما ذكرنا سابقا أنه البحث العلمي لضمان نجاحه ونجاعته لابد له من مراحل يستوفيها لبلوغ الأهداف فنجد أنه من خلال البحث والدراسة يتراكم كم هائل من المعلومات فيستوفي لنا ذلك من خلال تقنيات لجمع هذه المعطيات وفي دراستنا هذه حول النظام القبلي داخل الوسط الحضري استعملنا التقنيات التالية:

2-1- الاستبيان:

وهي من أهم التقنيات وأكثرها شيوعا في العلوم الاجتماعية والتي "بكل بساطة وسيلة رئيسية للاتصال بين الباحث والمبحوث والتي تحتوي على مجموعة من الأسئلة تخص المشكلة المراد من الباحث معالجتها" تعرض على عينة من الأفراد ويطلب منهم الإجابة عليها كتابيا. وقد تم توزيع الاستبيان على عينة قدرت بـ **273** مفردة من كلى الجنسين حيث تم توزيعها باليد او عن طريق باحثين متعاونين معنا ، كما تم استرجاعها في مدة لا تكثر عن شهر وقبل هذا كنا قد قمنا بالتحقق من صحة الاستبيان بحيث قمنا بالتطبيق الاولى له ومن ثم تطبيقه الفعلي.

2-2- الملاحظة :

فهي من شأنها أن تكشف للباحث خبايا قد لا يمكنه الوصول إليها لما تمكنه من الحصول على معلومات دقيقة وحقائق التي يمكن أن يستخرجها من خلال الاستنباط فهي تعتبر من أصعب الوسائل استعمالا لأنها تفرض على الباحث التمتع بالمرونة الكافية للسماح له بالتكيف مع المبحوثين، فنرى أن لها دور هام في البحث العلمي. وفي دراستنا تم استعمال تقنية الملاحظة بغية مشاهدة بعض من ملامح ومظاهر التحضر في المدينة وكذا بعض الممارسات والسلوكات التي تنم عن النزعة القبلية في الوسط الحضري وكذا ملاحظة مظاهر العمران الحضري للمدينة وغيره من المظاهر التي تستدعي المشاهدة وقد تم الاستفادة من هده التقنية في التحليل السوسيولوجي للدراسة الحالية.

2-3- السجلات والتقارير والوثائق الإدارية:

استخدمنا هذه الأدوات في جمع المعلومات المتعلقة بالتعريف بمجال الدراسة المكاني والبشري، فبالإضافة إلى الملاحظة والاستبيان، تم استعمال الوثائق والمصادر المختلفة (المطبوعة وغير المطبوعة والالكترونية) التي تضم المعلومات والصادرة عن المصالح الإدارية غالباً. لأنها قدمت لنا الكثير من البيانات والإحصائيات والمعلومات والمعطيات المهمة حول الدراسة، بحيث قمنا بجمع كافة المعلومات المدونة عن حالة المدينة كمجال عمراني واجتماعي حضري.

تم جمع المعلومات المتعلقة بالمدينة من خلال التقارير الإدارية والإحصائيات السنوية التي تكون بحوزة المصالح البلدية للتعريف بالمدينة كمجال عمراني واقتصادي واجتماعي وثقافي، وتتضمن هذه الوثائق والتقارير والسجلات الرسمية ملفات وصفية بها معلومات عامة (الحدود، التأسيس، الهياكل الإدارية، المقاطعات، الأحياء السكنية)، السكن والسكان ، الشغل والنشاط الاقتصادي، مساحة الأراضي الرعوية والفلاحية ومناطق النشاطات الصناعية، البنية القاعدية، التربية، التعليم والتكوين، الصحة، الشؤون الاجتماعية والثقافية، التركيبة الاجتماعية، نمط البنية الاجتماعية وشبكة العلاقات والتفاعلات الاجتماعي بالمجتمع المحلي الحضري ...

كما تم الاعتماد على الوثائق والمقالات والكتب في مجال تاريخ المنطقة وسيرورتها التاريخية، والتي تم اقتناؤها من المكتبات البلدية داخل المركز الحضري، ومراكز الثقافة وغيرها من المؤسسات.وقد تم الرجوع إلى العديد من الوثائق والمستندات والاستفادة من محتوياتها، ونذكر منها ما كتب في تاريخ، وبيانات التعداد السكاني والسجلات الخاصة بالمنطقة، وتجميع الإحصائيات، وهذه كلها تساعد في إعطاء صورة سليمة للموضوع المعالج، كما أنها تساعدنا في عقد مقارنات بين ماضي المدينة الحضرية وحاضرها، وفقاً على معايير ومقاييس لا نتحصل عليها إلا في التقارير الإدارية.

3- مجالات الدراسة:

إن تحديد مجتمع البحث من أهم الخطوات المنهجية في الدراسات العلمية والسوسيولوجية، وهي تتطلب منا دقة متناهية وبالغة، حيث يتوقف عليها إجراء الدراسة وتصميمها وكفاءة نتائجها، ونحاول في هذا العنصر الإجابة على ثلاث أسئلة رئيسة وهي: أين تجرى الدراسة؟، ومن سيجري عليهم البحث؟، ومتى؟.

3-1- المجال المكاني:

والمقصود به هو ذلك المجال الجغرافي والإقليم الذي يقوم الباحث بتحديده والدراسة في محيطه، ويكون هذا وفقاً لطبيعة المشكلة التي نقوم بدراستها، وطبيعة الميدان وخصائصه، والأهداف التي نسعى إلى تحقيقها. وفي

سبيل تحقيقنا لأهداف الدراسة بموضوعية تم اختيار مدينة الأغواط كمجال مكاني تجرى ضمنه الدراسة الميدانية، فاختيارنا لهذه المدينة ليس اعتباطاً أو بمحض الصدفة، وإنما كان بدافع عدة عوامل وأسباب منها ما هي ذاتية وما هي موضوعية نذكر منها:

– لكوننا من المنطقة ونقيم بمدينة الأغواط، أين تسهل علينا عملية الحركة والتنقل بسهولة أثناء الدراسة الميدانية وهذا مع الدراية الكافية بالحياة الاجتماعية العامة، وبالأنماط الثقافية، والأساليب المعيشية بالمجتمع المحلي وهذا ما يستدعي زيادة الفهم للمشكلة المدروسة، ومقدرتنا على تحليلها وتفسيرها وفهمها.

– أن مدينة الأغواط مصنفة إداريا، فعلى حسب معايير ومقاييس الحكومة الجزائرية تعتبر بأنها مدينة متوسطة الحجم والكثافة السكانية، وتعتبر مقر لولاية الأغواط، يبلغ تعداد سكان البلدية إجمالا بـ: 150527 نسمة حسب إحصائيات سنة 2008، تضم تعداد السكان مستقرين بالمركز الحضري 139714 نسمة، وبالمنطقة الثانوية (قرية برج السنوسي) 7046 نسمة، تتوزع على 24496 عائلة. بما نسبته للسكان المستقرين بالمراكز الحضرية 97.50%. أما تعداد السكان بالمناطق المبعثرة "البداوة المستقرة" والبدو الرحل فيبلغ تعدادهم 3767 نسمة، بعدد الذكور 76468 نسمة، وعدد الإناث 74059 نسمة. وبنسبة الكثافة السكانية تقدر بـ 37632 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد. فإذا أخذنا بمقياس عدد السكان جاز لنا اعتبار مدينة الأغواط مدينة حضرية، لان هناك اتفاق الهيئات الدولية على أن مكان يعيش فيه 20.000 نسمة فأكثر يعتبر مدينة. وإذا أخذنا بمقياس التقسيم الإداري والقانوني، انبثقت من خلال صدور القانون رقم 09/48 لسنة 1984 المتعلق بالتقسيم الإداري والتنظيم الإقليمي للبلاد ولتكوين البلديات والمدن ومشتملاتها وحدودها الإقليمية وهو التقسيم المعمول به حالياً. أما من جانب المقياس الإداري فتوجد بها المؤسسات باختلاف أشكالها وأنواعها ووظائفها، خدماتية وصناعية وما الى ذلك ، تظهر فيها سمات التحضر وتتمتع ببعض المرافق الحيوية ومؤسسات الخدمات، تمتاز بالحجم والكثافة السكانية المعتبرة، التنوع والتعدد في كل مجالات الحياة مؤسسات ادراية مؤسسات ترفيهية وشركات صناعية، محلات تجارية، مقاهي، سكنات اجتماعية شعبية قديمة وحديثة، السيارات، والحركة والنشاط العمراني المتزايد والسريع، ووسائل المواصلات والتكنولوجيا الحديثة...

– أن مدينة الأغواط بطابعها الايكولوجي، وموقعها الجغرافي الذي يجمع بين النمط الايكولوجي السهبي، والنمط الايكولوجي الصحراوي، أي تتعدد فيها أنماط عديدة من الحياة، وأساليب الحياة والمعيشة، وتتنوع بها البنى الاجتماعية من بنى اجتماعية قبلية مهيمنة ومسيطرة على الحياة الاجتماعية والتنظيمية، وبين بنى اجتماعية عشائرية وعائلية وأسرية وعلاقات اجتماعية فردانية. وكذلك بنى اجتماعية حديثة وعصرية، هذا ما يدخلنا في

المتغير السوسيولوجي للتحليل والتفسير، وهذا ما أحالنا إلى وضع احتمالات رؤانا من خلال الواقع الاجتماعي إلى بناء فرضيات للتحقق من صدقها وثباتها. ووضع مشاهداتنا وتحليلاتنا السوسيولوجية.

3-2- المجال البشري:

هو ذلك المجتمع الذي يقوم الباحث بتحديده، وتحديد نوعية وخصائص هذا المجتمع البشري الذي يقوم بمجمع المعلومات والبيانات اللازمة عنه ومنه، يهدف من خلاله إلى الوصول إلى نتائج يمكن تعميمها. ومجتمعنا البشري هو جميع العناصر أو الأفراد الذي يتكون منه المجتمع المجري الدراسة بشأنه، ولأنه يستحيل علينا دراسة مجتمع البحث ككل والمتمثل في عينة من المبحوثين من كلى الجنسين وكذا من أصول اجتماعية متعددة فقد تعيّن علينا انتهاج طريق العينة بدلا من دراسة كل المجتمع المدروس، لان العمل بدراسة العينة يستطيع الباحث فيما بعد بتعميم نتائج بحثه على كل العناصر التي لم يتم دراستها بعد وعلى المجتمع المدروس.

ونحن في دراستنا وفي توخينا للصدق والموضوعية العلمية في كل مرحلة من مراحل البحث، فقد سعينا قدر الطاقة والإمكان إلى إجراء البحث بالعينة ذلك لانتهاجنا الطريقة العلمية في البحث، فقد قصدنا البحث بالعينة لضرورة منهجية وعلمية وموضوعية منها لعدم تمكننا من الحصر والدراسة لكل المهاجرين للمدينة.

3-3- المجال الزمني :

تم القيام بالدراسة الميدانية في السنة بين 2018/2017 حيث قمنا بالدراسة الاستطلاعية للمدينة وكذا تجريب الاستبيان في النصف الأخير من السنة، وأيضا بجمع المعلومات من خلال الاطلاع على التقارير الإدارية عن طريق زيارة الإدارات العمومية، وتوزيع الاستبيان واسترجاعه في بداية سنة 2018 وتفريغ وتحليل المعلومات والخروج بالنتائج مع منتصف عام 2018 .

4- وحدة العينة: الأفراد أو الأشخاص ذوي المستوى العمري في مرحلة الشباب والكهولة ومن كلى الجنسين.

4-1- حجم العينة وكيفية اختيارها:

تم اختيار عينة من **273** مفردة من كلى الجنسين والذين يقيمون بمدينة الأغواط وتم اختيارهم بطريقة قصديه ومع مراعاتنا لكافة الخصائص والفروقات التي يتميز بها كل مجتمع، خاصة فئة الشباب لما لها تأثير بأشكال مختلفة، ولذلك وجب على العينة أن تشمل هذه العناصر:

- تباين المستوى التعليمي وهذا لمعرفة هل هذا التباين يقابله تباين في التمسك بالروح القبلية أم أن النظام القبلي مجرد شعارات وانتماءات عشائرية عند الطبقة المتعلمة.

– تأثير المحيط الحضري ومدة الإقامة في المدينة بين الشباب على النظام القبلي بحيث أننا سنفصل بين التوجهات لأسر أصيلة في المدينة وأسر أخرى وافدة إليها قد نزحت إليها حديثا.

– التمازج بين أنساب المنطقة محل الدراسة ومدى تأثيره على النظام القبلي وكذا التطرق للتناسب بين قبائل المنطقة المجاورة لها من ولايات الوطن بحكم التجارة..، فهل من شأن هذا التمايز أن يعزز أو يذيب النزعة القبلية.

– فالفئة العمرية وقد حددناها من 20 إلى 40 سنة لأنه الحد الأول يمثل بداية فترة الشباب في أن الحد الثاني يمثل دخول الأدوار الاجتماعية كاكتساب الوظيفة وامتلاك مسكن ودخل.

– الجنس وتم اخذ عينة من كلى الجنسين إلا أن الاتصال بالمبحوثات كان أمر صعب في مجتمع حديث العهد بالحياة الحضرية.

4-2- نوع العينة:

وفقاً لطبيعة الدراسة وتماشياً مع الإمكانيات المادية والزمنية، تم استخدام طريقة العينة بدلا من طريقة الحصر الشامل لمجتمع الدراسة ككل. أي استخدام طريقة تعميم الجزء على الكل، كما وقع الاختيار على العينة غير الاحتمالية بالقصد (قصديه) إذ هي العينة المريحة والملائمة، من أجل تضمين الموضوع المحدد مسبقاً، واختيار مفردات العينة بالصورة التي تحقق الهدف من المعاينة والدراسة والمفردات التي بإمكاناتها توفير المعلومات المناسبة والمفيدة لنا.

وقد تم اعتماد هذا النوع من العينات، نظراً لعدم وجود قاعدة سبر نعتمد عليها، بل وأن مجتمع الدراسة غير متجانس وغير متكامل، يتميز بالتبعثر وعدم التجمع الفيزيقي والمعنوي، ونظراً لهذا فقد تم اختيار عينة الدراسة بالقصد من كل حي سكني بالمدينة نظراً لوجود خصائص ومميزات تتميز بها هذه العينة تدخل في اهتمام مجال البحث، وتعتبر متغيرات ومؤشرات ميدانية للدراسة، والتي تم تفرعها من فرضيات الدراسة أبعادها ومؤشراتها.

ثانيا : تحليل البيانات الشخصية للمبحوثين .

الجدول رقم 01 : بين الجنسين المبحوثين .

الجنس	التكرار	النسبة
ذكر	231	84.62
أنثى	42	15.38
المجموع	273	100

يوضح الجدول أعلاه جنس المبحوثين، حيث تبين النسب أن 84.62% من مجموع المبحوثين هم من جنس الذكور وأن نسبة 15.38% فقط من مجموع المبحوثين هم جنس الإناث وظهرت هذه النسب لأننا عمدنا إلى الاتصال والتواصل مع الجنس الذكوري باعتبار أن المجتمع الأغواطي مجتمع متحفظ نوعا ما بالتالي يصعب علينا إجراء مقابلات مع جنس الإناث، كما أن الأخير نجد ها تعرف عن هذه المواضيع و لا تتدخل ضمن اهتماماتها. فصعوبات الاتصال بهن والتواصل معهن هذا نظر لطبيعة المجتمع المدروس الذي لازالت القيم والعادات التقليدية والمعايير الإجتماعية التقليدية تفرض نفسها عليه، مع شيوع القيم الإجتماعية مثل الحياء والحشمة والاحترام والعلاقة المغلقة في التواصل بين الجنسين ، وخاصة عندما كانت أصولهن من البادية والريف. كما أن تواصلنا مع جنس الذكور قد أتى بثماره وذلك للسهولة والبساطة في توزيع الاستبيانات و في إجراء المقابلات،وطرح الأسئلة والإجابة عليها من قبلهم.بالإضافة إلى فأن جنس الذكور لديهم بعض الخصائص التي تميزهم عن جنس الإناث من بينها الديناميكية والمرونة والحركة الدائم ة بدون راقب أو دليل ، على العكس من جنس الإناث اللواتي يسيطر عليهن ضوابط أضوابط إجتماعية تقليدية من عدم من حنهن الحرية الكاملة من قبل الأسرة المتشبثة بالأصالة والحياة البسيطة والتقليدية ولانغلاق الإجتماعي وعدم التفتح مع الغير نظر لعدم الثقة في المرأة وتحركاتها في المدرسة أو العمل أو أشياء من هذا القبيل، لذلك تكون الرقابة الكاملة وعدم إعطائها الحرية المطلقة في شخصيتها و في سلوكياتها وأفعالها الإجتماعية.

– الجدول رقم 02: يبين المستوى العمري للمبحوثين .

المستوى العمري	التكرار	النسبة
30 –25	82	30.05
35 –31	103	37.72
40 –36	63	23.07
45 –41	25	09.15
المجموع	273	100

تبين من خلال الجدول أعلاه أن أكبر نسبة تمثيلية هو المجموع ثلاثة وسنتين المجموع المبحوثين هو نسبة 37.72% و التي تمثل الفئة العمرية ذات المجال المغلوق (31-35) تليها النسبة الأقل تمثل المجموع المبحوثين هي 30.05% و التي تمثل الفئة العمرية ذات المجال المغلق (25-30) وهذا ما يدل على أن أغلبية المبحوثين هم من فئة الشباب .

و في دراستنا هاته من خلال استنطاق واستجواب الفئة المبحوثة في محاولة سبر آراء وأفكار وتصورات العيش في المجتمع ومدى الحفاظ على الأنظمة التقليدية الأصلية، أو السعي للتغير في أساسياتها بوعي أو بدون وعي، ومحاولة التساؤلات هل يؤثر نسق المدينة وبمختلف آليات على زعزعة شوكة القبيلة، أم أن هناك مؤثرات ومتغيرات أخرى تؤثر في انتقال الأفراد والجماعات من بيئة تقليدية منغلقة إلى بيئة حضرية متفتحة بفعل ميكانزمات التحضر في البيئة الحضرية وتنامي ظاهرة التكنولوجيا الحديثة وتعدد الوسائل والطرق والتقنيات الجديدة التي تتروح لقيم العولمة والثقافة الجماهيرية من جانبها السلبي ولايجابي. ونحن بطبيعة الحال نتبع الفكرة القائلة بتأثير ايكولوجية المدينة وثقافتها الحديثة على البناء القبلي وتشكيل الأفراد الوافدة إليها حديثا لسلوكات وأفكار جديدة بفعل الإندماج الحاصل .

– الجدول رقم 03: يبين المستوى التعليمي للمبحوثين .

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة
بدون مستوى	**03**	**01.09**
إبتدائي	**18**	**06.59**
متوسط	**79**	**28.93**
ثانوي	**75**	**27.47**
جامعي	**98**	**35.89**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول والذي يبين المستوى التعليمي للمبحوثين نلاحظ أن أكبر نسبة تمثيلية بالنسبة المجموع عينة البحث هي النسبة 35.89% و التي هي مستوى جامعي وهذا بتكرار 98، تليها النسبة 28.93 % و التي تمثل المستوى المتوسط وهذا بتكرار 79، ثم تليها النسبة 27.47% والذي تمثل مستوى الثانوي وهذا بتكرار 75 ، تليها النسبة 06.59% و التي تمثل مستوى الابتدائي وهذا بتكرار 18، و في الأخير أقل نسبة تمثيلية بالنسبة المجموع عينة البحث هي النسبة 01.09% و التي بدون مستوى تعليمي وهذا بتكرار 03 لذا تمثيلية نلاحظ أن المستوى التعليمي لعينة البحث كأن يتمثل جميع المستويات العلمية حيث وأن هذه النسب كانت في تمثيلها متقاربة ولعل النسبة الأكثر تمثيل هي المستوى الجامعي لأن نوع العينة كأن تلقائيا بطريقة قصدية ، هذا ما نفسره بالمقارنة بالفئات العمرية في الجداول رقم 02 التي تمثل 8.75% بتكرار 14 في الفئة العمرية 36 سنة فما فوق ، أما تحت 35 سنة فيعادلون تكرار 77 بنسبة 48.13% فنلاحظ هنا أن زيادة الوعي الفكري والتعليمي للأفراد قبل أكثر من 30 سنة في مدينة الأغواط كانت مستويات التعليمية الأفراد تصل إلى مستوى محدود و غير عالي، حيث كانت المستوى التعليمي الأعلى يصل إلى غاية التعليم المتوسط ومن ثم مزاولة الحياة العلمية ، فظلت آنذاك القدرات الفكرية والمستويات العلمية محدودية .إلا أن الحال، لم يبقى ما هو عليه وخاصة في عصرنا هذا في حرص الآباء على تعليم الأولاد ومساعدتهم في الوصول إلى مراتب عليا من التعليم والتثقيف والتكوين .ذلك لتيقنهم بأهمية التعليم وخاصة عند تبدل الأحوال وتتغير أساليب العيش والحياة وتتغير الثقافة وذلك بعد الانتقال من المجال اجتماعي واحد وتقليدي إلى مجتمع متعدد المجالات الإجتماعية لذلك تصبح الأمور ملحة على مسايرة العصر والتطور التكنولوجي والثقافي المتسارع بفعل تطور الوسائل و الأساليب و في تحليلات لاحقه نبين أثر المستوى التعليمي والثقافي للمبحوثين على المحافظة على الثقافة التقليدية أو

مدى التخلي عنها والإنسلاخ منها وتغييرها، هل هذا بفعل الرفع من المستوى التعليمي والثقافي، أم أنه شيء آخر نجهله .

-الجدول رقم 04: يبين وطن نشأة و أصل المبحوثين .

موطن النشأة	التكرار	النسبة
البادية	**14**	**05.12**
الريف	**19**	**06.95**
القرية	**28**	**10.25**
مركز شبه حضري	**86**	**31.50**
المدينة	**126**	**46.15**
المجموع	**273**	**100**

نلاحظ من خلال الجدول والذي يبين الأصل الجغرافي للمبحوثين نلاحظ أن اكبر تمثيلية بالنسبة المجموع عينة البحث هي النسبة 46.15% و التي تمثل الذين أصلهم الجغرافي الحضري وهذا بتكرار 126 ، تليها النسبة الأقل تمثيل بالنسبة المجموع عينة البحث هي النسبة 31.50% و التي تمثل المبحوثين الذين أصلهم الجغرافي شبه حضري وهذا بتكرار 86، تليها النسبة الأقل تمثيل بالنسبة المجموع عينة البحث هي النسبة 10.25% و التي تمثل المبحوثين الذين كانوا يقطنون بالقرابة وهذا بتكرار 28، تليها النسبة الأقل تمثيلا لعينة البحث وهي النسبة 06.90% التي تمثل المبحوثين الذين أصلهم الجغرافي من أرياف وهذا التكرار 19 تليها النسبة الأقل تمثيلا أقل تمثيلا بالنسبة لمجموع عينة البحث وهي النسبة 05.12% و التي تمثل المبحوثين الذين أصلهم الجغرافي من البادية .

لذا يمكن القول مما لاحظناه من خلال هذه النسب المسجلة على الجدول أن الأصل الجغرافي الأكبر نسبة تمثيلية بالنسبة المجموع عينة البحث أصلهم جغرافي حضري باعتباره أن مدينة الأغواط مدينة قديمة النشأة حيث تضرب جذور نشأتها الأولى في القرن 10 للميلاد وكانت في بداية نشأتها عبارة عن قصور تقطنها عائلات توافدت إليها من عدة مناطق من المعمورة إلى حين توافد القبائل ذات الأصول العربية مثل قبائل "بني سليم " وبني رياح " وبني سواغ " واستوطنت فيها إلى أن أصبحت مدينة حضرية بتسميتها الأغواط كما أن النسبة الأقل تمثيل هي من أصل جغرافي ريفي لأن مدينة الأغواط هي مدينة صحراوية تتميز بشساعة أراضيها الصالحة للفلاحة ومنطقة رعوية ونظر لعوامل عدة من بينها عوامل الطرد والمتمثلة في جفاف وقسوة الطبيعية مما

جعل هؤلاء المهاجرين ينزحون نحو مدينة الأغواط باحثين عن عمل بديل، كما أن الوضع الأمني في ما يعرف بالعشرية السوداء يعتبر أهم عامل أجبر سكان الريف للجوء إلى الحضر .

– الجدول رقم 05 : يبين مدة الإقامة بالمدينة .

مدة إقامة المبحوثين	التكرار	النسبة
0– 10	**55**	**20.15**
11– 20	**52**	**19.05**
20– فأكثر	**166**	**60.80**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه والذي يوضح مدة الإقامة بالمدينة بالنسبة المجموع عينة البحث نلاحظ أن أكبر نسبة تمثيلية بالنسبة لمجموع عينة البحث هي النسبة 60.80% و التي تمثل مدة الإقامة بالنسبة لهذه النسبة وهي 20سنة فما فوق بتكرار 166 ، تليها النسبة 20.15 % و التي تمثل مدة الإقامة بالنسبة لهذا .

وهي النسبة 10% سنوات بتكرار 55 ، تليها النسبة الأقل تمثيل بالنسبة لمجموع عينة البحث هي النسبة 19.05%و التي تمثل مدة الإقامة بالنسبة لهذه النسبة وهي 15 سنة بتكرار 52.

وهذا مما يوضح أن أكبر عينة تمثيلية بالنسبة المجموع عينة البحث كانت مدة إقامتهم بالمدينة من 20 عينة فما فوق وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عراقة هذه المدينة الحضرية فأغلبية ساكنيها يتميزون بأقدمية الإقامة، تليها أقل نسبة تمثيلها هي النسبة إلى كانت مدة إقامتهم 15 سنة وهذا النسبة إذا ما قمنا بعملية حسابية نجد أنها كانت مدة إقامتها في التسعينيات حيث كان الوضع الأمني آنذاك مترديا ويعتبر لجوؤها لمدينة (الأغواط) هو الخوف والهروب من العزلة واللاأمن، إذ أن المدينة هي أكثر أمنا وأمانا. إن هذا المتغير مهم في الدراسة خاصة عندما نربطه بمتغير آخر وندرس علاقة هذا بذاك لأن كثير من الدراسات أشارت بأن التكيف مع الحياة الحضرية المدينية يتوقف على مدة الإقامة بها فكلما طالت مدة الإقامة والسكن كلما اقترب الإنسان استدراج أساليب الحياة الحضرية والعيش، والتطبع والثقافة الحضرية بصفة كبيرة.

– الجدول رقم 06: يبين الحالة المدينة للمبحوثين .

الحالة المدنية	التكرار	النسبة
أعزب	**170**	**62.27**
متزوج	**91**	**33.33**
أرمل	**05**	**01.83**
مطلق	**07**	**02.56**
المجموع	**273**	**100**

يتبين من خلال هذا الجدول والذي يبين الحالة المدينة للمبحوثين أن أكبر نسبة تمثيلية هي النسبة 62.27% و التي تمثل المبحوثين الذين حالتهم الإجتماعية أعزب وهذا بتكرار 170 تليها النسبة الأقل تمثيل بالنسبة المجموع عينة البحث هي نسبة 33.33% و التي تمثل المبحوثين في حالتهم الإجتماعية متزوج وهذا وبتكرار91، تليها النسبة الأقل تمثيل بالنسبة المجموع عينة البحث هي النسبة 02.56% و التي تمثل المبحوثين حالتهم الإجتماعية مطلقين وهذا بتكرار 07، لتليها النسبة الأقل تمثيلا بالنسبة المجموع عينة البحث بنسبة 01.83% و التي تمثل المبحوثين حالتهم الإجتماعية أرامل وهذا بتكرار05.

لذا يمكن القول أن أغلبية المبحوثين حالتهم الإجتماعية أعزب وهذا نظر لما تعاني منه المجتمعات العربية قاطبة والمجتمع الجزائري خاصة إذا أن العزوبة تعتبر شبح يهدد البنى الإجتماعية وهذا مما أظهرته معظم الدراسات التي أقيمت في هذا المجال حيث أن أكبر النسب المتمثلة في هذه الدراسات توحي و توضح مخاطر العزوبة و التي هي بدورها لها أسبابها ومسبباتها التي فرضتها كظاهرة وواقع معاش ينخر البنى التحتية. فهذه الإحصائيات التي تمثل النسبة العليا للعزاب تعكس الظروف الإجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الفرد في مدينة الأغواط، والمجتمع الجزائري ، فإن تكلمنا عن الواقع الاقتصادي نجد أن هناك مشاكل ومعوقات يتلقاها الفرد من بينها عدم توفر فرص العمل وغلاء المعيشية مما يجعل هناك عائق في تحقيق مستلزمات الحياة، من سكن وملبس لسد حاجيات المسكن الإجتماعي، أما على الصعيد الإجتماعي إيجاد صعوبات في إختيار شريك الحياة، ففي السابق كان الأولياء هم من يزوّجون أبناءهم، ضف إلى ذلك أن الأبناء كانوا يعكسون شخصيات آبائهم ، فمثلا يقولون (بنت فلان أو ابن فلان) حيث لا يكون هناك عناء في البحث عن الزواج أو الزوجة ، فكل هذا يختصر في أولياء الأمور، مما هناك عزوف الشباب عن الزواج ،من خلال بعض الأسباب نتطرق إليها في ما يلي:

وهذا التراجع في السن، راجع إلى عدة العوامل نذكر منها ما يلي :

– صعوبة الحياة المعيشية، جراء غلاء الأسعار في مجتمع المواد خاصة المواد الغذائية .

– نقص فرص العمل، خاصة ارتفاع تكاليف خدمة الأرض من فلاحتها وزراعتها وكذا ارتفاع أسعار الكهرباء وبالتالي نقص المياه .

– هجرة الشباب إلى المدن، خاصة المدن الكبرى، وبذلك قلت فرص الاستقرار الإجتماعي لدى الشباب .

– أزمة السكن التي تعرفها الجزائر منذ سنوات ، رغم أنها لا توجد بالحدة التي تعرفها المراكز الحضرية .

– الأزمنة الأمنية وما خلفته من هجرة الشباب وعدم استقرارهم في الوسط الريفي. وكل هذه العوامل كانت وراء انتقال سن الزواج من 26.8 سنة، إلى 30 سنة .

ثالثا: تحليل وتفسير بيانات الفرضية الأولى .

تؤثر وضعية الإقامة في الوسط الحضري من خلال اندماج الفرد وتفاعله مع جماعته القرابية في ارتباط الفرد وتمسكه بانتمائه القبلي في المجتمع الحضري

– جدول رقم 07 : يوضح علاقة مكان إقامة المبحوثين و شعورهم بالأمان والسلام في الرابطة القرابية .

مكان إقامة	الشعور بالأمان والسلام في الرابطة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
وسط المدينة	60	77.93	17	22.07	77	100
حواشي المدينة	142	76.75	43	23.25	18	100
ريف المدينة	11	100	–	–	11	100
المجموع	273	78.02	60	21.97	273	100

يتضح لنا من خلال الجدول 76.75% من مجموع المبحوثين المقيمين على حواشي المدينة يشعرون بالأمان والسلام في رابطتهم القرابية بالمقارنة مع نسبة 22.07% من مجموع أفراد العينة والمقيمون بوسط المدينة صرحوا بأنهم لا يشعرون بالأمان والسلام أثناء العيش في المدينة.كما نلاحظ من خلال الجدول السابق أنه يتكون من الفئات التالية :

– الفئة الأولى : هي فئة القاطنين بوسط المدينة ولهم شعور بالأمان والسلام في الربطة القرابية وعددهم 60 ونسبتهم 77.93% .

– الفئة الثانية : فئة القاطنين في حواشي المدينة ولهم شعور بالأمان والسلام في الرابطة القرابية وعددهم 142 ونسبتهم 76.75%

– الفئة الثالثة : فئة القاطنين في ريف المدينة ولهم شعور بالأمان والسلام في الرابطة القرابية وعددهم 11 ونسبتهم 10% .

– الفئة الخامسة : وهي فئة الذين يسكنون في حواشي المدينة ولا يشعرون بالأمان والسلام في الرابطة القرابية وعددهم 43 ونسبتهم 23.25%.

– الفئة السادسة : وهي فئة الذين يسكنون في ريف المدينة ولا يشعرون بالأمان والسلام في الرابطة القرابية وعددهم 00 ونسبتهم 00%.

من خلال الجدول نلاحظ أن اكبر عدد من المبحوثين يقيم بحواشي المدينة ويحقق الشعور بالأمان والسلام في الرابطة القرابية وعددهم 142 ونسبتهم 76.75% وهذا يرجع إلى ما يلي : السكن في الحواشي المدينة يؤدي إلى إستقرار السكان من نفس القبيلة في حاشية وهذا يؤدي بدوره إلى زيادة التفاعل إجتماعي بين عائلات الأقارب مما يؤدي بدوره إلى زيادة التضامن والتعاون بين الأقارب وهذا يعمل بدوره علي تلبية الحاجات المتجددة للجماعات القرابية وهذا يساعد على تقوية الشعور بالاتحاد القرابي مما ينتج عنه الشعور بالأمان والسلام في الرابطة القرابية .لأن من المعروف خاصية الاستئناس والقرب بين أفراد الجماعات القرابية يزيد من وتيرة النعرة القرابية وثبات القيم والعادات والتقاليد بينهم من خلال الاحتكاك بينهم من خلال الاحتكاك الدائم والمتواصل، وعدم وجود وجوه جديدة بينهم يشعرهم بالتماسك والإلتحام، فمن الملاحظ آليا أن حواشي المدن الحضرية يقطنها أفراد ذوي القرابة الواحدة أو بالأحرى الانتماء القبلي الواحد، فهم عند دخولهم للمدن يرون أنفسهم غرباء أو دخلاء على الأوساط الحضرية فيشكلون هذه المجموعات المترابطة لتقوية شوكتهم وكسبها داخل النسق الإجتماعي للحضر .

– الجدول رقم 08 : يوضح علاقة تفضيل الإقامة بالمدينة وإستحباب الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية

تفضيل الإقامة بالمدينة	القرب من الإقامة مع الأفراد الجماعة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
وسط المدينة	57	52.30	52	47.70	109	100
حواشي المدينة	72	88.88	09	11.11	81	100
ريف المدينة	69	83.14	14	16.86	83	100
المجموع	198	72.52	75	27.47	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 6 فئات :

– الفئة الأولى : الذين يسكنون بوسط المدينة ويتميزون بقرب من الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 57 بنسبة 52.30%.

– الفئة الثانية : الذين يسكنون في حواشي المدينة ويتميزون بقرب الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 75 بنسبة 88.88%

– الفئة الثالثة : الذين يسكنون بريف المدينة ويتميزون بقرب الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 69بنسبة 83.14%

– الفئة الرابعة : الذين يسكنون بوسط المدينة وليس لديهم قرب الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 52 بنسبة 47.70%

– الفئة الخامسة : الذين يسكنون بحواشي المدينة وليس لديهم قرب الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 09 بنسبة 11.11%

– الفئة السادسة: الذين يسكنون بريف المدينة وليس لديهم قرب الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 14 بنسبة 16.86%

من خلال التحليل الإحصائي نجد أن الفئة الأولى حيث نجد أن 142 مبحوث يسكنون في وسط المدين ويتميزون بقرب الإقامة مع الجماعة القرابية ، والفئة الدنيا هي الفئة الخامسة حيث نجد 09 مبحوثين يسكنون في حواشي المدينة ولا يتميزون بقرب الإقامة مع الجماعة القرابية ونسبتهم 11.11%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين يسكنون في حواشي المدينة ويحققون قرب الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 72 بنسبة 88.88% ما يلي :

إن السكن في حواشي المدينة يؤدي بالأفراد إلى بحث عن الخريطة القبلية الحضرية للمجتمع وهذا ليتسنى لهم معرفة مختلف القبائل أو البناء الإجتماعي للمدينة لاستنتاج مكان تواجد أبناء القرابة والعصبة داخل المجتمع الحضري مما يؤدي إلى عملية التواصل مع بعض أفراد القبيلة لمساعدته في الحصول على الإقامة بقربهم على شكل كراء أو شراء سكن قصد تحقيق إشباع حاجة الانتماء القبلي، هذا مما يزيد التفاعل الجدي لكل أبناء القبيلة في حصول الوافد الجديد من أبناء قبيلتهم على سكن في وسطهم وبقربهم لهدف تقربه شوكة النزعة القبيلة مما يترتب على ذلك تحقيق القرب من الإقامة مع أفراد الجماعة القرابية .كما ذهب "ماكس فيبر " إلى أن الجماعة الإجتماعية هي نسق من العلاقات الإجتماعية يترابط الأفراد فيها بوحدة من الإحساس والشعور العاطفي ولوحدة المعالج ، ويشتركون في ثقافة معينة لتحديد أدوارهم الإجتماعية والمسؤوليات التي تميز أعضائها فالأفراد ينتمون إلى جماعة الانتماء لعدة عوامل ودوافع منها حماية الحقوق وامتيازات الأفراد كالحاجة إلى الأمن والحماية وإشباع حاجاتهم الانتماء والتقدير ، أو بهدف المحافظة على ثبات واستمرارية الثقافة وقد تنضوي الأفراد تحت شعارها بهدف مساعدتها في تحقيق ذواتهم لتصبح ذاتا جماعية أو بهدف روابط قوية ما بين التناهي بالجماعة وإكتساب قيمتها وبين مفهوم الذات ، ويرى دوركهايم أن التطورات الجمعية من أعظم شكل للحياة النفسية يرسمها العقل لكي يسير عليها الأفراد فهي أشبه بقوالب يصب فيها الأفراد سلوكاتهم وأفعالهم وأعمالهم فالأفراد ذوي الإخوة التقليدية يشكلون جماعات تكون في غالبها فراسة معنويا و فيزيقيا .

– الجدول رقم 09: ما هو نوع السكن الذي يقيم فيه.

نوع السكن	التكرار	النسبة
في لا	**12**	**04.39**
حوش	**149**	**54.57**
شقة	**107**	**39.19**
بناء قصديري	**02**	**0.73**
بناء فوضوي	**03**	**1.09**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ انه يتكون من الفئات التالية :

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين يسكنون في الفيلات وعددهم 12نسبتهم 04.39%

–الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين يسكنون في الأحواش وعددهم 149نسبتهم 54.57%

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين يسكنون في شقة وعددهم 107 نسبتهم 39.19 %.

الفئة الرابعة: وهي فئة المبحوثين الذين يسكنون في البيوت الفوضوية وعددهم 03 نسبتهم 01.09%. من خلال الجداول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين يسكنون في الأحواش وعددهم 149 بنسبة 54.47 % وهذا راجع إلى العوامل التالية :

إن السكن في حوش يقوي النزعة القبيلة من خلال تواجد العائلة الممتدة وكثرة زيارات الأقارب حيث أن الحوش يمثل مركز جذب لأبناء العمومة والأقارب، كما أن السكن في الحوش يؤدي إلى زيادة التفاعلات الإجتماعية القبلية في مختلف المجالات بين أبناء العائلة الممتدة وأقاربهم إضافة إلى ذلك فان السكن في الأحواش يعمل على المحافظة على التراث التاريخي للقبيلة عن طريق الاتصال والواصل المستمر بين الأحفاد والأجداد، وكما أن السكن في الحوش يؤدي إلى التداخل في الروابط. القرابية بين أبناء العمومة وكذا المحافظة على الكيان القبلي لأفراد القرابة من نفس القبيلة التي تقوي نزعتهم اتجاه أفراد القبيلة.

– الجدول رقم 10 : بين الوضعية القانونية لسكان المبحوثين .

الوضعية	التكرار	النسبة
تملك خاص	**128**	**46.88**
تأجير عن الحكومة	**107**	**39.19**
تأجير عن الخواص	**22**	**08.05**
السكن مع الأقارب	**07**	**02.56**
إستحواذ غير قانوني	**09**	**03.96**
المجموع	**273**	**100**

نلاحظ من خلال الجدول السابق أنه يتكون من الفئات التالية :

– الفئة الأولى : هي فئة المبحوثين الذين لديهم ملكية لسكن خاص وعددهم 128 بنسبة 46.88%.

– الفئة الثانية: هي فئة المبحوثين الذين لديهم سكن حكومي وعددهم 107بنسبة 39.19%

– الفئة الثالثة: هي فئة المبحوثين الذين لديهم سكن مؤجر وعددهم 22 بنسبة 02.56%

– الفئة الرابعة: هي فئة المبحوثين يسكنون مع الأقارب وعددهم 07 بنسبة 2.56 %

– الفئة الخامسة: هي فئة المبحوثين الذين لديهم سكن غير قانوني وعددهم 09 بنسبة 03.96%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين لديهم سكن خاص وعددهم 128 نسبتهم 46.88% وهذا نظر لعدة عوامل وهي : إن الذين لهم ملكية خاصة لهم حرية التصرف في الفضاء الحضري للسكن من حيث تغيير أو إعادة في معمارية السكن ليكون له الحق في جلب الأقارب للسكن معه وإسكانهم خاصة الأب والأم والإخوة وكذا طبقة أبناء العمومية ،كما يتميز السكن خاص في زيادة الإجتماعات و برمجتها في أي وقت للجماعة القرابية لمناقشة القضايا والمسائل المتعلقة بمصير الجماعة القرابية ، كما يكفل المسكن الخاص إحتضان مراسيم طقوس الأفراح والأتراح المتعلقة بالجماعة القرابية بالإضافة إلى هذا يساعد على اللقاءات المتكررة للجماعات القرابية بالمناسبات الدينية بحكم أن الجماعات القبيلة مازالت متشبثة بالمناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف والأعياد الدينية كل هذا يعزز من النزعة القبلية .

– الجدول رقم 11: علاقة وجود أقارب قرب سكن المبحوثين بوجود روابط قوية مع أفراد جماعتهم القرابية.

وجود الأقارب	الروابط الأفراد الجماعة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
نعم	171	92.43	14	07.56	185	100
لا	43	48.86	45	51.13	88	100
المجموع	214	78.38	59	21.61	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ انه يتكون من 4 فئات :

– الفئة الأولى : وهي فئة الأفراد المبحوثين الذين يمثلون أقارب لهم روابط مع أفراد لهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 171 بنسبة 92.43 %.

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين يتمثلون عدم وجود الأقارب مع وجود روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 43 بنسبة 48.86 %.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين لديهم أقارب مع عدم وجود روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 14 بنسبة 07.56%

– الفئة الرابعة : وهي فئة المبحوثين الذين ليس لديهم أقارب وليس لديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 45 بنسبة 51.13%

ومن خلال الجداول نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين لديهم أقارب لهم روابط مع جماعتهم القرابية وهذا راجع لعوامل وهي: إن وجود أقارب بجانب سكن المبحوثين يؤدي بضرورة حتمية إلى تبادل الزيارات والتضامن القبلي الآلي ما يسمى الجبرية القبيلة في إطار الحاجات المطروحة بحكم قرب أماكن السكن وكذا معالجة المشاكل الإجتماعية العارضة في الأسرة هذا يؤدي إلى زيارة التفاعلات الايجابية بين الجماعة والقرابية كروح التعاون والمؤازرة فهذه الآليات من شأنها تعمل علي ترسيخ القيم الثقافية والايجابية المتمثلة في تحمل المسؤولية والواجب نحو الآخر في إطار العلاقة القرابية فبهذا توثق العادات والأعراف بين أبناء الجماعات القرابية مما

يؤدي إلى تقوية شبكة العلاقات الإجتماعية بين أبناء القبيلة الوحدة مما يزيد في وحدة الروابط بين أفراد الجماعات القرابية .كما يمثل التضامن القبلي وسيلة الدفاع الأساسية ضد كل أشكال القهر المسلط من الخارج كما كانت الخيمة تمثل الوحدة السكينة التي ظلت تصاحب البناء القبلي بصيغة جديدة داخل الوسط الحضري ما يعرف (دار الشيخ) أو (البيت الكبيرة)، فقد أصبحت رمزا لتماسك القبيلة ووحدة بنائها القاعدية باعتبارها أن بيت شيخ القبيلة يمثل الوحدة الإجتماعية الصغرى ممثلة في الأسرة الزوجية التي ينبثق عنها الأولاد والأحفاد عبر أجيال متعاقبة .

– الجدول 12: يوضح طبيعة العلاقات مع سكان الأحياء التي يقيم فيها المبحوثين .

العلاقة	التكرار	النسبة
حسنة	**43**	**15.75**
جيدة	**186**	**68.13**
عادية	**29**	**10.62**
فاترة	**15**	**05.49**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 4 فئات :

– الفئة الأولى : هي فئة المبحوثين الذين يمثلون سكان الحي الذين لديهم علاقات حسنة في ها بينهم وعددهم 43 ونسبتهم 15.75 %

– الفئة الثانية :هي فئة المبحوثين الذين يمثلون سكان الحي الذين لديهم علاقات جيدة فيما بينهم وعددهم 186 ونسبتهم 68.13%

– الفئة الثالثة : هي فئة المبحوثين الذين يمثلون سكان الحي الذين لديهم علاقات عادية مع سكان الأحياء الذين يقيمون فيها وعددهم 29 ونسبتهم 10.62%

– الفئة الرابعة : هي فئة المبحوثين الذين يمثلون سكان الحي الذين لديهم علاقات فاترة مع سكان الأحياء الذين يقيمون فيها وعددهم 15 ونسبتهم 05.49%

ومن خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين لديهم علاقة جيدة مع سكان الحي الذين يقطنون فيه وعددهم 186 ونسبتهم 68.13% وهذا راجع لأسباب هي: أنه وبحكم التاريخ العريق لمدينة الأغواط والذي مرّ عليه ما يزيد عن 7 قرون حيث رسخت فيه عادات وقيم ومبادئ إحترام الجار مما ينتج عنه

علاقات جيدة زيادة على ذلك القيم الدينية الراسخة في المجتمع الحضري الأغواطي والتشبث بها يحقق بذلك روح المآخاة والألفة بين أفراد المجتمع .كما نجد أيضا المستوى التعليمي المرتفع في مختلف طبقات المجتمع يؤثر على الوعي الأخلاقي عند الأفراد والجماعات، ومما هو معروف إنتشار النزعة القبلية عند سكان مدينة الأغواط يبقي على الحفاظ واستقرار البناء الإجتماعي للمدينة وينتج عنها علاقات التعاون وينفي علاقات الصراع ، كما أن المستوى المعيشي اللائق المختلف لطبقات المجتمع يجنب أفراد المجتمع آفات ومظاهر من شأنها أن تفسد العلاقات الإجتماعية كالسرقة والتشرد وتفكك المجتمع .

– الجدول رقم 13 : يوضح علاقة وجود جيران من نفس صلة القرابة مع وجود تعاطف مع أفراد الجماعة القرابية .

الجيران من نفس صلة القرابة	التعاطف مع أفراد الجماعة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
موجود	151	94.96	08	05.03	195	100
غير موجود	24	21.05	90	78.94	114	100
المجموع	175	64.10	98	35.89	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 4 فئات:

– الفئة الأولى : هي فئة المبحوثين للجيران من نفس القرابة ولديهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 151 ونسبتهم 94.96%

– الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين عدم وجود جيران من نفس القرابة ولديهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 24 ونسبتهم 21.05%

– الفئة الثالثة : هي فئة المبحوثين للجيران من صلة القرابة وليس لديهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 08 ونسبتهم 05.03%

– الفئة الرابعة : هي فئة المبحوثين لجيران ليسوا من نفس القرابة وليس لديهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 90 ونسبتهم 78.94%

نلاحظ من الجدول السابق أن أكبر عدد من المبحوثين هم الجيران من نفس صلة القرابة لهم التعاضد مع جماعتهم القرابية وهذا راجع لعدة أسباب منها : أن الجيران الذين يكونون من نفس صلة القرابة يتكون لديهم نوع من التعاون والتكافل بين أفراد الجماعة القرابية في إطار عملية الاتصال والتواصل القائمة على الانتماء الإثني الذي يحدث تجاذب طبيعي بين الأشباه والنظائر مما يؤدي إلى تبادل المصالح والمنافع في إطار النزعة القبلية الواحدة التي تستدعي حماية الأقارب بعضهم بعض ، وهذا عن طريق حل المشاكل المطروحة على العائلات والأقارب وإشباع الحاجات البيولوجية والإجتماعية والسيكولوجية لأعضاء المنظمة (القبيلة) مما يخلق عنه نمو قنوات وشبكات القرابة والنزعة بين أفراد الجماعة القرابية الواحدة مما يترتب عليه زيادة العلاقات التعاونية القائمة على التكاثف لتبادل الحقوق والواجبات بين أفراد الجماعات القرابية فبذلك تنمو ثقافة التعاضد والتلاحم مع الجماعة القرابية .

-الجدول رقم 14: يوضح أساس بناء العلاقات الإجتماعية في الحي الذي يقيم فيه المبحوثين .

أساس بناء العلاقات	التكرار	النسبية
على أساس الجوار	**61**	**22.34**
على أساس القرابة	**169**	**61.90**
على أساس الصداقة	**27**	**9.89**
على أساس الزمالة	**07**	**2.56**
على أساس المصلحة والمنفعة	**09**	**3.29**
المجموع	**273**	**10**

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 4 فئات:

- الفئة الأولى: وهي فئة المبحوثين الذين تبنى علاقاتهم على أساس الجوار وعددهم 61 ونسبتهم 22.37%.
- الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين تبنى علاقاتهم على أساس القرابة وعددهم 169 ونسبتهم 61.90%.
- الفئة الثالثة: وهي فئة المبحوثين الذين تبنى علاقاتهم على أساس الصداقة وعددهم 27 ونسبتهم 09.89%.
- الفئة الرابعة: وهي فئة المبحوثين الذين تبنى علاقاتهم على أساس الجوار وعددهم 61 ونسبتهم 02.56%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين يبنون علاقاتهم الإجتماعية على أساس القرابة نظرا لعوامل هي : أن مجتمع مدينة الأغواط مجتمع عضوي بلغة (دور كايم) هذا يؤدي إلى التضامن العضوي المؤسس للعلاقات القرابية كما نجد أيضا التوزيع الجغرافي القبلي داخل مدينة الأغواط يؤدي إلى حتمية قيام العلاقات الإجتماعية على أساس القرابة زيادة على ذلك الثقافة العائلية الراكدة و التي تقوم على ترسيخ قيم النزعة القبلية في الأبناء والأحقاد وكذا العلاقات الزوجية تقدم أغلبها على تفضيل الزواج الداخلي على الزواج الخارجي مما يعزز قيام العلاقات الإجتماعية على أساس القرابة .كما أن المساجد والكتاتيب هي المراكز الإجتماعية الدينية التي تغذي روح النزعة القبلية لأن الوافدون إليها أغلبهم من جماعات قرابية واحدة .هذا لأن خصائص مجتمع الأغواط يفرض على الأفراد مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والأعراف التي مازالت تتقيد بها المدينة على الرغم من النسق الإجتماعي العام للمدينة الحضرية التي لا تزال تنطوي تحت الخلفيات الفكرية للنظام القبلي التي تعمل على إشباع النزعة القبلية لدى الأفراد وتغذيتها من حين آخر على حسب التقلبات الإجتماعية والتغيرات التي تطرأ على المدينة. فبقاء النظام القبلي داخل المدينة من شأنه يحافظ على صلات القرابة بين الأفراد وتوسع نطاقها وتقوية العلاقات الإجتماعية بين الأسرة والأصهار، فهذه الأخيرة تصبح كعصب فعال للقبيلة فبذلك يتوسع المجال الذي تعيش في ه القبيلة من خلال العلاقات الإجتماعية المترابطة و التي تعمل القبيلة على المحافظة عليها كشيء مقدس تستمد منه قوتها .

– الجدول رقم 15 : يبين علاقة عدد عوائل المبحوثين من نفس صلة القرابة مقيمين في الأحياء السكينة التي يقيمون فيها، مع رؤية المبحوثين إن كانت القبيلة ذات قوة ونفوذ في المجتمع .

عدد العوائل	القبيلة ذات قوة ونفوذ في المجتمع				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
05 عوائل	02	5.00	02	5.00	04	100
10عوائل	17	94.45	01	05.55	18	100
20عوائل	158	96.93	05	03.06	163	100
لاوجود لعائلة	17	19.32	71	80.68	88	100
المجموع	194	54.57	79	28.93	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 4 فئات:

– الفئة الأولى: وهي فئة المبحوثين الذين لديهم 5 عوائل لكن قبيلتهم ذات قوة ونفوذ في المجتمع وعددهم 02 ونسبتهم 5 %

–الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين لديهم 10عوائل لكن قبيلتهم ذات قوة ونفوذ في المجتمع وعددهم 17 ونسبتهم 94.45 %

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين لديهم 20 عوائل لكن قبيلتهم ذات قوة ونفوذ في المجتمع وعددهم 158 ونسبتهم 96.93 %.

– الفئة الرابعة : وهي فئة المبحوثين الذين لديهم لا وجود أي عائلة لكن قبيلتهم ذات قوة ونفوذ في المجتمع وعددهم 17 ونسبتهم 50 %

– الفئة الخامسة : وهي فئة المبحوثين الذين لديهم 5 عوائل لكن قبيلتهم ذات قوة ونفوذ في المجتمع وعددهم 02 ونسبتهم 5 %.

– الفئة السادسة :وهي فئة المبحوثين الذين لديهم 10عوائل لكن قبيلتهم ذات قوة ونفوذ في المجتمع وعددهم 01 ونسبتهم 05.55 %.

– الفئة السابعة : وهي فئة المبحوثين الذين لديهم 20 عائلة فأكثر لكن قبيلتهم ذات قوة ونفوذ في المجتمع وعددهم 05 ونسبتهم 03.06 %.

– الفئة الثامنة : وهي فئة المبحوثين الذين لديهم عائلة في نفس الصلة القرابية وليس لديهم قبيلة ذات قوة ونفوذ في المجتمع وعددهم 71 ونسبتهم 80.68 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين الذين لديهم 20 عائلة وأكثر من قبيلة ذات قوة ونفوذ نظرا للعدد الكبير للعوائل الذين يتجاوز عددهم أكثر من 20 عائلة لهم نفس العلاقة القرابية راجع للزيادة في عدد المواليد وعدم تنظيم النسل نظر للزواج المبكر ، وكذا نقص الوفيات نتيجة المنظومة الصحية في المجتمعات التقليدية إضافية إلى تعدد الزوجات مما يزيد في وتيرة النمو الديموغرافي المتسارع من جراء التنافس بين العائلات في التكاثر البشري. وستظل المجموعة السكانية تتزايد حتى مع إنخفاض معدلات الخصوبة والتكاثر كما أن أكثر العائلات في المجتمعات النامية والتقليدية. والى حد بسيط جدا في المجتمعات الغربية ، تفضل أن يتزايد عدد الأولاد في الأسرة لأنهم يمثلون مصدر للعمل في الزراعة أو فلاحة أرض العائلة .كما أن بعض الديانات لا تشجع على التنظيم العائلي أو الحد من النسل. بل أنها تحفز على التكاثر .من جهة أخرى، فإن بعض الدول قد استحدثت سياسات صارمة لضبط النسل والحيلولة دون الإنفجار السكاني ،الصين مثلا التي يقرب عدد سكانها (1.25مليار نسمة) من ربع سكان المعمورة ، واحدة من هذه الدول فهي تقدم نوعا من الامتيازات لأسرة الطفل الواحد مثل المعالجة الطبيبة، والتعليم المجاني، بينما تعاني العائلة بعض المشقة عند ولادة طفل ثان، وقد تصل هذه المعانات حد إقتطاع جانب من الأجر الشهري عند ولادة الطفل الثالث (Mirski .1982)[1].

[1] انتوني غدنز : (ترجمة فايز الصياغ)، مؤسسة ترجمان مركز دراسات الوحدة العربية، عمان (الأردن) ، الطبعة الرابعة ، ص 632.

– الجدول رقم 16: يوضح العلاقة بين تغيير مكان الإقامة من أجل مناصرة أفراد الجماعة القرابية والإجتماع إليهم .

تغيير مكان الإقامة	المناصرة و الإجتماع مع القبيلة				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
يفكر	45	42.45	61	57.54	106	100
لا يفكر	159	95.20	08	04.79	167	100
المجموع	204	74.72	69	25.27	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 4 فئات :

– الفئة الأولى: وهي فئة المبحوثين الذين يفكرون في تغيير مكان إقامتهم من أجل المناصرة والإجتماع مع القبيلة وعددهم 45 ونسبتهم 42.45 %

–الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين لا يفكرون في تغيير مكان إقامتهم من أجل المناصرة والإجتماع مع القبيلة وعددهم 159 ونسبتهم 95.20 %.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين يفكرون في تغيير مكان إقامتهم ولا يهدفون إلى المناصرة والإجتماع مع القبيلة وعددهم 61 ونسبتهم 57.54 %.

– الفئة الرابعة : وهي فئة المبحوثين الذين لا يفكرون في تغيير مكان إقامتهم ولا يهدفون إلى المناصرة والإجتماع مع القبيلة وعددهم 08 ونسبتهم 04.79 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين لا يفكرون بتغير مكان إقامتهم من أجل المناصرة والإجتماع مع القبيلة من خلال عوامل نذكر منها : أن مكان إقامتهم داخل الجماعة القرابية تزيد من حدة التماسك والإلتحام مع أفراد قبيلتهم وهذا يؤدي به إلى التخطيط لجلب عناصر أخرى من أفراد جماعتهم القرابية إلى مكان التجمعات السكانية للقبيلة الواحدة مما يزيد منسوب العلاقات التعاونية والتعاضدية والتشاركية بين الأنسجة القبيلة . فبذلك ترتفع قوة النزعة القبيلة داخل هذا النسيج القبلي المتنامي بالاستمرارية التاريخية ، مما يؤدي في الأخير إلى تحقيق وظيفة المناصرة والإجتماع مع القبيلة .

رابعا: تحليل وتفسير بيانات الفرضية الثانية .

للتنشئة الأسرية دور فعال في تنمية النزعة القبلية في المجتمع الحضري

– الجدول رقم 17: يوضح وجود صلة قرابية بين الوالدين وشعور المبحوثين بأن هناك روابط قوية مع أفراد جماعاتهم القرابية.

صلة القرابة بين الوالدين	روابط مع أفراد الجماعة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
موجودة	188	95.91	08	04.08	196	100
غير موجودة	26	33.38	51	66.24	77	100
المجموع	214	78.38	59	21.61	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 4 فئات:

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين لديهم صلة قرابة بين الوالدين ولديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 188 ونسبتهم 95.91 %.

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين ليس لديهم صلة قرابة بين الوالدين ولديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 26 ونسبتهم 33.76 %.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين لديهم صلة قرابة بين الوالدين وليس لديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 08 ونسبتهم 04.08 %.

– الفئة الرابعة : وهي فئة المبحوثين ليس لديهم صلة قرابة بين الوالدين ولا روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 51 ونسبتهم 66.24 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين لديهم صلة القرابة للوالدين ولهم روابط مع جماعتهم القرابية من خلال التنشئة الإجتماعية للأبناء على أساس ترسيخ قيم ومعايير القبلية لخلق مناخ أسري يمثل بيئة خصبة تاريخية أسرية لثقافة النزعة القبلية مما يعزز ويرسخ روح القبلية عند أبناء الأسرة الواحدة والولاء لها ، كل هذا يؤدي إلى تنامي شبكة العلاقات الإجتماعية القبيلة وكذا زيادة قوة التعاضد والتلاحم والتضامن

العقلاني بين أفراد العائلة و القبيلة الواحدة فيترتب بدورها إلى التحام الروابط القرابية مع أفراد الجماعات القرابية. هذا إذا رجعنا إلى أن كبراء العائلات وشيوخ القبيلة في العقود الماضية هم من كانوا يزوجون أبناء القبيلة بداعي الحكمة والدراية بالأمور الإجتماعية، وكانت مواقفهم بمثابة التبريكات بين الزوجين ، فعند تشكيل هذه الروابط بين أفراد القبيلة عن طريق شيوخها الذي يترتب عليه خلق علاقات إجتماعية من خلال رابطة الزواج يقوم بدورهم الآباء على توريث هذه الروابط وتوطيدها عبر الأبناء وغرسها في نفوسهم ، وحثهم على التقيد بها والالتزام بها كقانون قبلي يجب السير عليه وعدم مخالفة على سبيل أنه موروث ثقافي واجتماعي يجب المحافظة عليه .

– الجدول رقم 18 : توضح حث الوالدين إلى زيارة الأقارب وعلاقته بذهاب المبحوثين إلى المناسبات والإحتفالات التي تقيمها القبائل المن تمون إليها .

صلة القرابة بين الوالدين	الذهاب إلى المناسبات التي تقيمها قبيلة الانتماء						المجموع	
	دائما		أحيانا		أبدا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
دائما	111	52.36	94	44.33	07	03.30	212	100
أحيانا	15	44.11	07	20.58	12	35.29	34	100
أبدا	02	07.40	08	29.62	17	62.98	27	100
المجموع	128	46.88	109	39.92	36	13.18	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 09 فئات:

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين يزورون دائما أقاربهم ويذهبون إلى المناسبات والإحتفالات التي تقيمها القبيلة وعددهم 111 ونسبتهم 52.36 %.

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين يزورون أقاربهم أحيانا ويذهبون إلى المناسبات والإحفالات التي تقيمها القبيلة وعددهم 15 ونسبتهم 44.11 %.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين لا يحثهم الوالدين على زيارة أقاربهم ويذهبون إلى المناسبات والإحتفالات التي تقيمها القبيلة وعددهم 02 ونسبتهم 07.40 %.

– الفئة الرابعة : وهي فئة المبحوثين الذين يزورون دائما ويحثهم الوالدين على زيارة أقاربهم و أحيانا ما يذهبون إلى المناسبات والاحتفالات التي تقيمها القبيلة وعددهم 94 ونسبتهم 44.33 %.

– الفئة الخامسة : وهي فئة المبحوثين الذين دائما ما يحثهم الوالدين على زيارة أقاربهم وأحيانا ما يذهبون إلى المناسبات والاحتفالات التي تقيمها القبيلة وعددهم 07 ونسبتهم 20.58 %.

– الفئة السادسة: : وهي فئة المبحوثين الذين لا يحثهم الوالدين على زيارة أقاربهم وأحيانا ما يذهبون إلى المناسبات والاحتفالات التي تقيمها القبيلة وعددهم 08 ونسبتهم 29.62 %.

– الفئة السابعة: وهي فئة المبحوثين الذين دائما ما يحثهم الوالدين على زيارة أقاربهم ولا يذهبون إلى المناسبات والاحتفالات التي تقيمها القبيلة وعددهم 07 ونسبتهم 03.30 %.

–الفئة الثامنة: وهي فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يحثهم الوالدين على زيارة أقاربهم ولا يذهبون إلى المناسبات والاحتفالات التي تقيمها القبيلة وعددهم 12 ونسبتهم 35.29 %.

– الفئة التاسعة: وهي فئة المبحوثين الذين لا يحثهم الوالدين على زيارة أقاربهم ولا يذهبون إلى المناسبات والاحتفالات التي تقيمها القبيلة وعددهم 17 ونسبتهم 62.98 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين من يحثهم الأولياء على الزيارة الدائمة للأبناء لأقاربهم من أجل الاحتكاك والتفاعل بين الوافد والمستقبل بغية زيادة الرابطة القرابية والتعرف على الأحوال والمشاكل الإجتماعية عند الآخرين للمساهمة في تحمل المسؤولية اتجاه الأقارب بمشاركتها في معالجة المشاكل والقضايا العالقة داخل الجماعة القرابية في سبيل خلق الذات الفاعلة القرابية المساهمة في صناعة الحياة الإجتماعية القرابية التي تؤدي إلى توطيد عادات التفقد والتزاور بين الجماعة القرابية الواحدة التي تعمل إلى التعود والاستمرارية في الذهاب دوما للمشاركة في المناسبات والاحتفالات الخاصة بالجماعة القبلية الواحدة .

– الجدول رقم 19: يوضح العلاقة بين إصطحاب أحد الوالدين إلى الولائم وعلاقته بوجود روابط قوية بين المبحوثين وأفراد جماعتهم القرابية .

الإصطحاب إلى الولائم	وجود روابط قوية مع جماعتهم القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
على الدوام	101	99.01	01	00.99	102	100
أحيانا	93	94.89	05	05.10	98	100
أبدا	20	27.39	53	72.60	73	100
المجموع	214	78.38	59	21.61	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 06 فئات :

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين يصطحبونهم أوليائهم إلى الولائم على الدوام ولديهم روابط قوية مع جماعتهم القرابية وعددهم 101 ونسبتهم 99.01 %.

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يصطحبونهم أوليائهم إلى الولائم ولديهم روابط قوية مع جماعتهم القرابية وعددهم 93 ونسبتهم 94.89 %.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين لا يصطحبونهم أوليائهم إلى الولائم ولديهم روابط قوية مع جماعتهم القرابية وعددهم 20 ونسبتهم 78.38 %.

– الفئة الرابعة: وهي فئة المبحوثين الذين يصطحبونهم أوليائهم إلى الولائم على الدوام وليس ولديهم روابط قوية مع جماعتهم القرابية وعددهم 01 ونسبتهم 00.99 %.

– الفئة الخامسة: وهي فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يصطحبونهم أوليائهم إلى الولائم وليس لديهم أي روابط قوية مع جماعتهم القرابية وعددهم 05 ونسبتهم 72.60 %.

– الفئة السادسة: وهي فئة المبحوثين الذين لا يصطحبونهم أوليائهم إلى الولائم و ليس لديهم روابط قوية مع جماعتهم القرابية وعددهم 53 و نسبتهم 72.6 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين هم من يصطحبونهم أوليائهم إلى الولائم بشكل دائم من خلال التفاعل الدائم والمستمر واللقاءات الدائمة بين أفراد مجموعتهم القرابية و التي تشكل من خلالها علاقات جديدة مع أفراد مجموعتهم القرابية و التي بدورها تعمل على الزيادة والتشبث والانغماس داخل المجموعة القرابية ، مما يترتب عليها فتح جسر أو قنوات اتصال دائمة عن طريق الزيارات مما يؤدي إلى تعزيز روابط قوية ومترابطة مع مجموعتهم القرابية هذا التفاعل الإجتماعي الحاصل بين المبحوثين والجماعات القرابية يؤدي إلى ارتفاع منسوب النزعة القبلية كثقافة إجتماعية راسخة يتبناها المبحوثين من خلال مجموعاتهم القرابية.

– الجدول رقم 20 : يوضح العلاقة بين حديث الوالدين عن الأجداد وعن العمومة وعلاقته بقيام المبحوثين بالنعرة و الدفاع عن حقوق الجماعة القرابية .

الحديث عن الأجداد	النعرة و الدفاع عن حقوق الجماعة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
دائما	208	92.04	18	07.96	226	100
أحيانا	35	92.10	03	07.89	38	100
أبدا	01	11.12	08	88.88	09	100
المجموع	244	89.37	29	10.62	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 06 فئات :

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين يحدثونهم أوليائهم دائما عن الأجداد ولديهم النعرة اتجاه الجماعة القرابية وعددهم 208 ونسبتهم 92.04 %.

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يحدثونهم أوليائهم عن الأجداد ولديهم النعرة اتجاه الجماعة القرابية وعددهم 35 ونسبتهم 92.10 %.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين لا يحدثونهم أوليائهم إطلاقا عن الأجداد ولديهم النعرة اتجاه الجماعة القرابية وعددهم 01 ونسبتهم 11.12 %.

– الفئة الرابعة : وهي فئة المبحوثين الذين دائما يحدثونهم الأولياء عن الأجداد وليس لديهم النعرة اتجاه الجماعة القرابية وعددهم 18 ونسبتهم 07.89 %.

– الفئة الخامسة : وهي فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يحدثونهم أوليائهم عن الأجداد وليس لديهم النعرة اتجاه الجماعة القرابية وعددهم 03 ونسبتهم 07.89 %.

– الفئة السادسة: وهي فئة المبحوثين الذين لا يحدثونهم الوالدين إطلاقا عن الأجداد وليس لديهم النعرة اتجاه الجماعة القرابية وعددهم 8 ونسبتهم 88.88 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين هم من يحدثونهم أوليائهم عن الأجداد وبني العمومة من خلال سرد أخبارهم وتلقينهم من قصص بطولية للأجداد أو أبناء العمومة هذا يؤدي إلى توطيد العلاقات القرابية بين المبحوثين وجماعتهم القرابية مما يمكن من ترسيخ القيم القبلية والتشبث بالنسيج القبلي هذا يعمل على توريث النسق القبلي للمبحوثين من خلال الإرث التاريخي الأسري للعائلة وكذا الأجيال المتعاقبة للأسرة وقصصها وأخبارها وبطولاتها مما يتكون لديهم نعرة على بني جلدتهم و الدفاع عن القبيلة الذي بدوره يعمل على زيادة النزعة القبيلة ، كل هذا متوقف على تاريخ الأجداد وأبناء العمومة وما حملوه من إرث تاريخي من شأنه له تأثيره بالغ في حياة أفراد الأسرة و الجماعة القرابية على حد سواء. إن الموروث القبلي لدى تعاقب الأجيال يعطي لأفراد القبيلة الشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء إلى القبيلة في اعتقادهم إنما هي تاريخ حافل بالبطولات والانجازات الكبرى ، فنجد أن الإرث التاريخي هو كنز يجب المحافظة عليه والتشبث بقيمه ومبادئه التي تعتبر كعنصر حياة في الحياة الإجتماعية للأفراد ولا يمكن التخلي عنه والانسلاخ عن النظام القبلي باعتباره هوية الفرد ومنهج يجب السير عليه والتقيد به .

– الجدول رقم 21 : يوضح تشبث أولياء المبحوثين بولائهم للقبيلة، وعلاقته بتودد المبحوثين والقرب من أفراد جماعتهم القرابية .

تشبث الوالدين بالولاء والانتماء	الاقتراب من أفراد القبيلة				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
دائما	192	81.70	43	18.30	236	100
أحيانا	05	20.83	19	79.17	24	100
أبدا	01	07.14	13	92.85	14	100
المجموع	198	72.52	75	27.47	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ انه يتكون من 06 فئات :

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين أوليائهم يتشبثون دوما بولائهم وقربهم من أفراد القبيلة وعددهم 192 ونسبتهم 81.70%

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين يتشبث أوليائهم أحيانا بانتمائهم القبلي وقربهم من أفراد القبيلة وعددهم 05 ونسبتهم 20.83%.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين أوليائهم لا يتشبثون بولائهم وقربهم من أفراد القبيلة وعددهم 01 ونسبتهم 07.14%.

– الفئة الرابعة: وهي فئة المبحوثين الذين يتشبث أوليائهم بانتمائهم القبلي وليس لديهم قرب أفراد القبيلة وعددهم 43 ونسبتهم 18.30%.

– الفئة الخامسة : وهي فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يتشبثون بولائهم بانتمائهم القبلي وليس لديهم قرب من أفراد القبيلة وعددهم 19 ونسبتهم 79.17%.

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين لا يتشبث أوليائهم بولائهم القبلي وليس لديهم قرب من أفراد القبيلة وعددهم 13ونسبته92.85 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن نلاحظ أن أكبر عدمن المبحوثين هم من يتشبثون أوليائهم لولاء ولانتماء القبلي يؤدي هذا الأخير إلى عملية التأثر بين الوالدين والأبناء كتأثير الأبناء بعادات وقيم ويمارسها الوالدين في الحياة الإجتماعية القبلية ، على أنها نسق اجتماعي يجب التقليد والعمل به من خلال تعليم وتلقين وحث الأبناء عن القيم القبلية السائدة والمتعامل بها داخل النسيج القبلي وهذا يعمل على ترسيخ روح القبلية والعلاقات القرابية والأسرية لأفراد الأسرة الوحدة مما يؤدي إلى زيارة النزعة القبيلة وتقوية شبكة القبيلة لدى افردها مما يترتب على ذلك قرب المبحوثين من أفراد جماعتهم القرابية والتودد إليهم .

– الجدول رقم 22: يبين علاقة مناقشة الوالدين لقضايا تخص القبيلة وعلاقتها بانحياز المبحوثين تجاه موقف تخص أفراد جماعتهم القرابية .

مناقشة الوالدين للقضايا والأحداث التي تخص القبيلة	الانحياز إلى المواقف الخاصة بأفراد القرابية				المجموع	
	ينحاز		لا ينحاز			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
يتناقش	203	84.93	36	15.06	239	100
لا تناقش	04	11.76	30	88.23	34	100
المجموع	207	75.82	66	24.18	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من 04 فئات :

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين يناقش الوالدين للقضايا والأحداث وينحازون اتجاه مواقف تخص أفراد جماعتهم القرابية وعددهم 203 ونسبهم 84.93 %

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين لا يناقشون أوليائهم للقضايا والأحداث وينحاز اتجاه مواقف تخص أفراد جماعتهم القرابية وعددهم 04 ونسبهم 11.76 %

– الفئة الثالثة: وهي فئة المبحوثين الذين يناقشون أوليائهم للقضايا ولأحداث وليس لهم انحياز اتجاه مواقف تخص أفراد جماعتهم القرابية وعددهم 36 ونسبهم 15.06%

– الفئة الرابعة: وهي فئة المبحوثين الذين أوليائهم للقضايا ولأحداث وليس لديهم انحياز اتجاه مواقف تخص أفراد جماعتهم القرابية وعددهم 30 ونسبهم 88.23%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر عدد من المبحوثين الذين أوليائهم يناقشون القضايا والأحداث التي تخص القبيلة للاستشارة وإبرازهم قيم النظام القبلي في نفسية أبناء القرابة القبلية مما يؤدي الشعور بالانتماء للمجموعة القرابية والقبلية وهذا يترتب عليه التفاخر ولاعتزاز بهذا الانتماء الذي يصبح يراه أفراد القرابة على أنه شيء مقدس ويدعوا للفخر ولاعتزاز في سبيل على انه قيمة إجتماعية ومعتقد راسخ يجب التحلي به والتمسك به ، هذا الأخير يؤدي إلى زيارة الروح القبيلة وتشييعها من خلال العمليات والإجتماعية التي تقوم بها القبيلة من عادات وتقاليد وطقوس من شانها ترسيخ النظم القبيلة وتوريثها للأجيال ، هذه العمليات من شانها تعمل على انحياز أفراد القرابة القبيلة اتجاه الموقف التي تخص الجماعة القرابية القبيلة .

– الجدول رقم 23: يبين علاقة تعريف الوالدين لأبنائهم بأفراد القبيلة وعلاقاتهم بالشعور بوجود روابط قوية بين المبحوثين وأفراد القبيلة .

تقديم النصح والتعريف بأفراد القبيلة	الروابط تقوية أفراد القبيلة				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
دائما	194	94.17	12	05.82	206	100
أحيانا	18	38.29	29	61.70	47	100
أبدا	02	10.00	18	90.00	20	100
المجموع	214	78.38	59	21.61	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون ما يلي :

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين دائم ا يقدمون لهم أوليائهم النصح والتعريف بأفراد قبيلتهم ولديهم روابط قوية مع أفراد قبيلتهم وعددهم 194ونسبهم 94.17%.

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين دائما يقدمون لهم أوليائهم النصح والتعريف بأفراد قبيلتهم ولديهم روابط قوية مع أفراد قبيلتهم وعددهم 12ونسبهم 05.82%.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يقدمون لهم أوليائهم النصح والتعريف بأفراد قبيلتهم ولديهم روابط قوية مع أفراد قبيلتهم وعددهم 18ونسبهم 38.29%.

– الفئة الرابعة: وهي فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يقدمون لهم أوليائهم النصح والتعريف بأفراد قبيلتهم و ليس لديهم روابط قوية مع أفراد قبيلتهم وعددهم 29 ونسبهم 61.70%.

– الفئة الخامسة : وهي فئة المبحوثين الذين لا يقدمون لهم أوليائهم النصح والتعريف بأفراد قبيلتهم ولديهم روابط قوية مع أفراد قبيلتهم وعددهم 02 ونسبهم 10%.

– الفئة السادسة : وهي فئة المبحوثين الذين لا يقدمون لهم أوليائهم النصح والتعريف بأفراد قبيلتهم وليس ولديهم روابط قوية مع أفراد قبيلتهم وعددهم 18ونسبهم 90.0%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر نسبة من المبحوثين الذين يقدمون لهم أوليائهم النصح والتعريف بأفراد قبيلتهم من أجل زيادة الارتباط بشبكة العلاقات الأسرية والقرابية للقبيلة وتوطيدها هذا يؤدي إلى توطيد النسيج الإجتماعي القبلي وربط أفراد المجموعة القرابية مع بعضهم ما يعمل على زيادة عمر القبيلة والمحافظة على بقائها وديمومتها. هذا يأتي من خلال الموروث الثقافي للقبيلة ومدى مكانه أفراد القبيلة وشيوخها وأثرها التاريخي على إنسياق القبيلة ودوارهم التي قدموها للقبيلة ، هذه الأخيرة تمكن أفراد الجماعة القرابية من تقوية الروابط والعلاقات الإجتماعية في ما بين أفراد الأسرة و الجماعة والقرابية التي تتعدد به الأنساق الإجتماعية بحيث أن القبيلة تعد نظام اجتماعي لما يحتويه من مجموعات بشرية تحت ظل النظام الإجتماعي المدني العام .

الجدول رقم 24 : يوضح نصح الوالدين لأبنائهم بالارتباط الزواجي وعلاقته بتودد المبحوث والقرب من أفراد وعائلات جماعتهم القرابية .

تقديم النصح بزواج الأقارب	التقرب من أفراد القبيلة				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
ينصح	178	98.34	03	01.65	181	100
لا ينصح	20	21.72	72	78.26	92	100
المجموع	207	72.52	75	27.47	273	100

من خلال الجدول نلاحظ أن هي تكون ما يلي:

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين ينصحهم أوليائهم بزواج الأقارب وتقربهم من أفراد قبيلتهم وعددهم 178 ونسبهم 98.34%.

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين ينصحهم أوليائهم بزواج الأقارب ولا يتقربون وتقربهم من أفراد قبيلتهم وعددهم 03 ونسبهم 1.65%.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين لا ينصحهم أوليائهم بزواج الأقارب ويتقربون من أفراد قبيلتهم وعددهم 20 ونسبهم 21.72%.

– الفئة الرابعة : وهي فئة المبحوثين الذين لا ينصحهم أوليائهم بزواج الأقارب ويتقربون من أفراد قبيلتهم وعددهم 72 ونسبهم 78.26%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر نسبة من المبحوثين هي الفئة الدين ينصحهم الوالدين بزواج الأقارب ما يسمى بالزواج الداخلي (الأندوغامي) وهو الزواج بين اثنين ترابطهم رابطة الدم الذي يؤدي إلى المحافظة على بقاء واستمرار الجماعة وعدم اختلاطها بغيرها الذي يحمل خطر الاندماج أو الذوبان في جماعات أخرى .مما يراه الانثروبولوجي "لويس هنري مورغان" أن العلاقات القرابية تسيطر على تاريخ الإنسان ولهذه العلاقات تاريخها ومنطقا وهذا يؤدي إلى المحافظة على التماسك الأسري والنسل البيولوجي خشية تفكك العلاقات القرابية وبالتالي زواج الأقارب يراه بعض الآباء أنه يقوي العلاقات الإجتماعية والذي نرى أن

العلاقات الإجتماعية تقل في المدن بحيث يكون منزل زواج الأقارب كمحطة للتزويد بالحميمة والقرابة وصلة الرحم ويعتبران سفيران للربط بين العائلات المتفككة والمتباعدة وهذا يؤدي القرب من أفراد وعائلات جماعتهم القرابية .

– الجدول رقم 25 : يوضح تشبث أسر المبحوثين بولائهم القبلي .

العلاقة	التكرار	النسبة
متمسكة جدا	**237**	**86.81**
أمر عادي	**24**	**08.79**
لا تبالي	**12**	**04.39**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول التالي نلاحظ أن هناك 03 فئات :

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين لديهم تشبث كبير لأسرهم بولائهم القبلي وعددهم 273 ونسبتهم 86.81%.

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين لديهم تشبث عادي لأسرهم بولائهم القبلي وعددهم 24 ونسبتهم 08.79%.

– الفئة الثالثة: وهي فئة المبحوثين الذين لا يبالون بارتباطهم القبلي وعددهم 12 ونسبتهم 04.39%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر نسبة من المبحوثين هي الذين يتمسكون بولائهم القبلي بحكم أن مدينة الأغواط تأسست استنادا إلى بناء قبلي قوي. فالقبيلة تلعب دورا اجتماعيا وسياسيا مهما في مجتمع الأغواط لأن لدينا قيم ومفاهيم فرضت نفسها على المجتمع الحضري ولها عادات وتقاليد تندمج ضمن النسق الإجتماعي العام للمدينة. فالقبيلة باتت نظام يفرض نفسه على النظام المدني وعلى الجماعات المحلية بما يتميز من تلاحم ومؤازرة وتعاون وتعاضد مما أدى بأفراد المجتمع بالتشبث والتمسك بالنظام القبلي لأنه يتيح له فرص العيش ومتطلبات الحياة الإجتماعية. فالمبحوثين الذين أسرهم يتشبثون بولائهم للقبيلة يسكنون إقليما مشتركا يعدونه وطنا لهم ولديهم ثقافة مميزة ولهجة واحدة وتمثل لهم رابطة القرابة أهم الروابط والعلاقات الإجتماعية فيجدون أن القبيلة توفر لهم الأمن والسكينة داخل المجتمع .

– الجدول رقم 26 : يوضح دفع أحد الوالدين للمبحوثين للحضور للأفراح والأتراح التي يقيمها أفراد القبيلة التي ينتمون إليها .

الحضور من عدمه	التكرار	النسبة
دائما	**106**	**38.82**
أحيانا	**97**	**35.53**
أبدا	**70**	**25.64**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول التالي نلاحظ أن هناك 03 فئات:

– الفئة الأولى : وهي فئة المبحوثين الذين يدفعهم أوليائهم لحضور المناسبات التي تقيمها القبيلة التي ينتمون إليها وعددهم 106 ونسبتهم 38.82 %

– الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يدفعهم أوليائهم لحضور المناسبات التي تقيمها القبيلة التي ينتمون إليها وعددهم 97 ونسبتهم 35.53 %.

– الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين لا يدفعهم أوليائهم لحضور المناسبات التي تقيمها القبيلة التي ينتمون إليها وعددهم 70 ونسبتهم 25.64 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر نسبة من المبحوثين هي الذين يدفعهم أحد الوالدين للحضور للمناسبات التي تقيمها القبيلة التي ينتمون إليها، هذا راجع لأن المناسبات تعتبر منطقة التقاء واحتكاك بين أفراد القبيلة لخلق قنوات اتصال وتعارف على أقارب جدد. كذلك لترسيخ فكرة التضامن القبلي والعشائري من أجل تقوية شوكة النزعة القبيلة بين أفراد القرابة و الجماعة القبلية، فالمناسبات التي يتلاقى فيها أفراد القرابة و القبيلة سواء كانت أقراح أو أفراح من شأنها تعزز العلاقات والممارسات الإجتماعية بمختلف صيغتها.فبالتالي تعمل على خلق صور التعاون والتكاتف وبناء العلاقات الحميمة وتوطيدها والتمسك باللحمة الإجتماعية للقبيلة للحفاظ على صلة الترابط والتمسك بالنزعة القبيلة والعشائرية .

– الجدول رقم 27 : يوضح إن كان الوالدين يشكلون قدوة بسبب الانتماء والولاء للقبيلة .

الاقتداء	التكرار	النسبة
نعم	**212**	**77.65**
لا	**61**	**22.35**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول التالي أن هناك فئتين وهما :

– الفئة الأولى : هي فئة المبحوثين الذين يعتبرون أوليائهم قدوة لهم من خلال انتمائهم وولائهم للقبيلة وعددهم 212 ونسبتهم 77.65 %.

– الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين الذين يعتبرون أوليائهم ليسوا قدوة لهم من خلال انتمائهم وولائهم للقبيلة وعددهم 61 ونسبتهم 22.35 %.

نلاحظ من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر نسبة من المبحوثين هم من يرون أن أوليائهم قدوة لهم بسب الانتماء والولاء للقبيلة وهذا من خلال أن المبحوثين يعيشون داخل محيط قبلي وبيئة أسرية من إخوة وأبناء العمومة الذين يقرون بهذا النسق الإجتماعي ، ألا وهو القبيلة في تأثر بهم ويصبح يتحلي بروح القبيلة لأن الإبن تترسخ في شخصيته قيم النزعة القبيلة بقوة حيث أن الأسرة هي اللبنة الأولى للأبناء في حياته الإجتماعية في تعلم من ها العادات والتقاليد والمبادئ والقيم التي تنطوي تحت ظل العشيرة أو القبيلة . فبحكم انتماء الوالدين إلى القبيلة فبالضرورة الحتمية المطلقة يتقلد الأبناء بتعاليم الوالدين ، فهنا تحصل عملية التأثير والتأثر بين الوالدين والأبناء، زيادة على ذلك احتكاك الأبناء الدائم بأبناء العشيرة من خلال المناسبات واللقاءات لأفراد القبيلة يجد نفسه الفرد يتقيد بالنظام القبلي ويسير على مناهجه. في الأخير أن والديه هم قدوة بالنسبة له بخصوص الحياة الإجتماعية.

خامسا : تحليل وتفسير بيانات الفرضية الثالثة .

الموروث الثقافي و التاريخي و النزعة القبلية

– الجدول رقم 28: يوضح زيارة المبحوثين الأضرحة الزوايا التابعة للقبيلة .

زيارة الأضرحة	التكرار	النسبة
دائما	**61**	**22.34**
أحيانا	**26**	**09.52**
أبدا	**186**	**68.14**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول سابق نجد أن انه يتكون من الفئات الآتية :

– الفئة الأولى : هي فئة المبحوثين الذين يزورن الأضرحة والزوايا التابعة للقبيلة دائم ا وعددهم 61 ونسبتهم 22.34%.

– الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين الذين يزورن الأضرحة والزوايا التابعة للقبيلة أحيانا وعددهم 26 ونسبتهم 09.52%.

– الفئة الثالثة : هي فئة المبحوثين الذين لا يزورن الأضرحة والزوايا التابعة للقبيلة أبدا وعددهم 186 ونسبتهم 68.14%.

نلاحظ من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكبر نسبة من المبحوثين لا يزورون الأضرحة والزوايا التابعة للقبيلة أبدا وعددهم 186 ونسبتهم 68.14 % ، حيث أن عدم زيارة المبحوثين للأضرحة والزوايا التابعة للقبيلة يرجع إلى ارتفاع الوعي الثقافي والديني عند أهل المدن وارتفاع المستوى التعليمي عند أهل الحضر ، وكذا تقسيم العمل وكثرة الاشتغال اليومي لأهل الحضر المدينة مما يؤدي إلى ارتفاع الانغماس الإجتماعي اليومي وتأثير وسائل الإعلام والاتصال والانترنت والحراك الإجتماعي بين الولايات وتبادل الخبرات والأفكار والايجابية أي تأثير الأنساق الإجتماعية المفتوحة، مما يعني أن التفاعلات الإجتماعية داخل المدينة من بينها تكوين العلاقات الإجتماعية كالأصدقاء والزمالة من خلال مؤسسات المدينة التي تعمل علي توسيع نطاق الاحتكاك بالغير وهي بدورها نجد ها ضرورة حتمية بحكم آلية الوسط الحضري التي يخلق من جرائها الدخول في عالم

المدينة ، لذا نجد أفراد القبيلة الوافدين للمدينة تتلاشى عندهم بعض الأعراف القبلية وليس كليا على حسب نمط النظم القبلية .

الجدول رقم 29: يوضح علاقة الحضور للوعدة والطعم وعلاقته بالشعور بوجود روابط قوية بين المبحوثين وأفراد جماعتهم القرابية أثناء الإجتماعات والمناسبات.

الحضور للوعدة والطعم	روابط مع أفراد الجماعة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
دائما	107	93.04	08	06.95	115	100
أحيانا	102	83.60	20	16.39	122	100
أبدا	02	11.76	15	88.24	17	100
القبيلة لا تحضر	03	15.78	16	84.22	19	100
المجموع	214	78.38	59	27.47	273	100

من خلال الجدول سابق نجد أن انه يتكون من الفئات التالية:

– الفئة الأولى : هي فئة المبحوثين الذين يحضرون بشكل دائم للولائم والطعم ولديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 107 ونسبتهم 93.04 %.

– الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين الذين يحضرون أحيانا للولائم والطعم ولديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 102 ونسبتهم 83.60 %.

– الفئة الثالثة : هي فئة المبحوثين الذين لا يحضرون للوعدة والطعم ولديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 103 ونسبتهم 15.78 %.

– الفئة الرابعة : هي فئة المبحوثين الذين يحضرون للوعدة والطعم ولديهم روابط ولديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 08 ونسبتهم 6.95 %.

– الفئة الخامسة : هي فئة المبحوثين الذين يحضرون للوعدة والطعم أحيانا وليس لديهم ولديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 20 ونسبتهم 16.39 %.

–الفئة السادسة : هي فئة المبحوثين الذين لايحضرون إلى الوعدة والطعم ولديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 15 ونسبتهم 88.24 %.

– الفئة السابعة : هي فئة المبحوثين الذين لا تحضر مثل هذه أمور ولديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 03 ونسبتهم 15.78 %.

– الفئة الثامنة : هي فئة المبحوثين لا تحضر مثل هذه الأمور وليس لديهم روابط مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 16 ونسبتهم 84.22 %.

نلاحظ من خلال الجدول السابق نلاحظ أن الفئة الغالبة هي التي تحضر إلى الوعدة والطعم ولديها روابط مع أفراد الجماعة القرابية حيث أن الحضور إلى وعدة والطعم تؤدي إلى اللقاء مع أفراد الجماعة القرابية وهذا يؤدي بدوره إلى المجالسة مع أفراد الجماعة القرابية على مائدة الطعام والأكل واللحم ويؤدي بدوره إلى المحادثات وتبادل الأخبار والأحداث الماضية للقبيلة ومناقشتها وتاريخ أبطالها وهذا يؤدي بدوره إلى غرس القيم العصبية في الحضور ويؤدي بدوره إلى ارتفاع منسوب المعايير القبلية عند الجماهير الحضور من أعضاء الجماعة القرابية وهذا يؤدي بدوره إلى ممارسة قيم التعاون والتعاضد والتشارك بين أبناء الجماعة القرابية مما يترتب عليه في النهاية إلى نمو روابط بين أفراد الجماعة القرابية .هذا ما يسمي بدور القبيلة أي استحداث القيم القبلية لدى النشأ الجديد للقبيلة لتوريث المبادئ والقيم وجعلها كأساسيات في الحياة الإجتماعية وجعلها من الأولويات العشائرية وتوطيد العلاقات الإجتماعية بينها وخلال التقارب والاحتكاك الدائم بفعل هذه الطقوس والمراسيم القبلية.

– الجدول رقم 30: يوضح حضور المبحوثين لاحتفالات الفنطازيا التي تقوم بها القبيلة كل عام .

الحضور من عدمه	التكرار	النسبة
دائما	**21**	**07.52**
أحيانا	**26**	**09.52**
أبدا	**128**	**46.88**
القبيلة لا تقوم بهذا	**98**	**35.89**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول سابق نجد أن انه يتكون من الفئات الآتية:

– الفئة الأولى: هي فئة المبحوثين الذين يحضرون للاحتفالات الفنطازيا التي تقوم بها القبيلة بشكل دائم وعددهم 21 ونسبتهم 07.69 %.

– الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين الذين يحضرون الاختلافات الفنطازيا التي تقوم بها القبيلة بشكل دائم وعددهم 26 ونسبتهم 09.52 %.

– الفئة الثالثة : هي فئة المبحوثين الذين لا يحضرون أبدا الاحتفالات الفنطازيا التي تقوم بها القبيلة بشكل دائم وعددهم 128 ونسبتهم 46.88 %.

– الفئة الرابعة : هي فئة التي تمثل قبيلة لا تقوم بهذه الاحتفالات الفنطازيا التي تقوم بها القبيلة بشكل دائم وعددهم 98 ونسبتهم 35.89 %.

من خلال التحليل الإحصائي للجدول السابق نجد أن النسبة الغالبة هي فئة المبحوثين الذين لا يحضرون الاحتفالات الفنطازية أبدا، وعليه هذا امتناع عن الحضور للاحتفالات الفنطازية يرجع إلى انقراض بعض العادات في المجتمعات الحضرية منها الاحتفالات الفنطارية، والسبب الآخر هو الهروب من التكاليف المادية لأن أهل الحضر يمتازون في الغالب بالبخل والشح أكثر من البدو، ومن جهة أخرى نجد أن أهل الحضر يعيشون في حالة انغماس إجتماعي شديد لكثرة الواجبات اليومية، كما أن الاحتفالات الفنطازية ، عادة تكثر عند أهل البدو وتقل عند أهل الحضر، علاوة علي ذلك فان تربية الخيل والحيوان عموما تكون في الأرياف

وتنعدم في غالب والأحيان في المدن .المدينة وما تحمله من زخم كبير لتعدد أنساقها الإجتماعية فلا نجد أن هناك متسع لهذا المناسبات ، فنجد أن هذه الأخيرة تنصهر داخل الوسط الحضري .

– الجدول رقم 31 : يوضح العلاقة بين التباهي بالأصل العرقي للقبيلة وبين رؤية المبحوثين أن القبائل التي ينتمون إليها ذات قوة وعدد ذات حظوة في المجتمع .

التباهي بالأصل العرقي	القبيلة ذات حظوة وقوة في المجتمع				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
نعم	193	71.74	76	28.25	269	100
لا	1	25.00	03	75.00	04	100
المجموع	194	54.57	79	28.93	273	100

من خلال التحليل الإحصائي أن الجدول السابق يتكون من الفئات التالية :

– الفئة الأولى: هي فئة المبحوثين الذين يمارسون التباهي بالأصل العرقي للقبيلة وقبيلتهم تملك القوة والحظوة في المجتمع وعددهم 193 ونسبتهم 71.74 %.

– الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين الذين لا يمارسون التباهي بالأصل العرقي للقبيلة وقبيلتهم تملك القوة والحظوة في المجتمع وعددهم 1ونسبتهم 25.00 %.

– الفئة الثالثة: هي فئة المبحوثين الذين يمارسون التباهي بالأصل العرقي للقبيلة وقبيلتهم تملك القوة والحظوة في المجتمع وعددهم 76 ونسبتهم 28.25 %.

– الفئة الربعة : هي فئة المبحوثين الذين لا يمارسون التباهي بالأصل العرقي للقبيلة وقبيلتهم لا تملك القوة والحظوة في المجتمع وعددهم 03 ونسبتهم 75 %.

من خلال التحليل الإحصائي السابق نلاحظ أن فئة المبحوثين الذين يمارسون التباهي بالأصل العرقي للقبيلة وقبيلتهم تمتلك القوة والحظوة في المجتمع وعددهم 193 ونسبته 71.74 %.

وعلى هذا أساس التباهي بالأصل العرقي للقبيلة يؤدي إلى الشعور بالفخر أمام بقية القبائل ويؤدي إلى زيادة تقرب القبائل من هذه القبيلة وربط العلاقات معها يؤدي إلى مصاهرة أبناء القبيلة وتزويجها ويؤدي هذا بدورها

إلى التكاثر الديمغرافي وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة عدد أبناء هذه القبيلة في العدد والشكيمة العصبة وهذا يؤدي أن القبيلة تزداد سلطتها الإجتماعية في مختلف مجالات المجتمع الحضري وهذا يؤدي بدورها إلى زيادة القوة والحظوة الخاصة بالقبيلة في المجتمع .لأن من خصائص القبيلة هي الفخر بالأنساب كما هو معهود في القبائل إلى يومنا هذا، لأننا نجد أن لكل قبيلة مورثوها التاريخي من قصص و أساطير وبطولاتها خاضها شيوخها في الماضي، فيبقى هذا الإرث بمثابة كنز يجب المحافظة عليه، والتباهي به وقت الحاجة .

- الجدول رقم 32: يوضح إعتقاد المبحوثين بصدق الأساطير والحكايات البطولية عن القبيلة .

صدق الأساطير والحكايات	التكرار	النسبة
صحيحة	**164**	**60.07**
مجرد خرافة	**07**	**02.56**
لا أساس لها من الصدق	**102**	**37.36**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول السابق نجد أنه يتكون من الفئات التالية :

- الفئة الأولى: هي فئة المبحوثين الذين يعتقدون بصدق الأساطير والحكايات البطولية عن القبيلة وعددهم 164 ونسبتهم 60.07 %.

- الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين الذين يعتقدون الأساطير والحكايات البطولية عن القبيلة مجرد خرافات وعددهم 07 ونسبتهم 2.56 %.

- الفئة الثالثة : هي فئة المبحوثين الذين يعتقدون الأساطير والحكايات البطولية عن القبيلة لا أساس لها الصدق ولم يسمعوا بذلك أصلا وعددهم 102 ونسبتهم 37.36 %.

من خلال التحليل الإحصائي السابق نجد أن الفئة الغالبة هي فئة المبحوثين الذين يرون أن الأساطير والحكايات البطولية عن القبيلة صحيحة وعددهم 164 ونسبتهم 60.04 % ومنه فان صدق أساطير صدق والحكايات البطولي عن القبيلة وترسخه عند المبحوثين يرجع إلى العقل السوسيولوجي المتخلف القبائل للخرافات ولأساطير، وكثرت التكرار للحكايات في كل مجالس القبيلة خاصة أمام الأطفال ووجود كتابات تاريخية و وثائق حول الموضوع، كما أن الأساطير والحكايات البطولية تقوي الهوية القبلية للفرد والتباهي مع تاريخه،كما أن شجرة القبيلة تؤكد وتدعم هذه الحكايات والأساطير البطولية لوجود الأحفاد من الأحياء الذين ينحدرون من سلالة هذا البطل القبلي مثل بن ناصر بن شهرة الذي سميت عليه بلدية من بلديات الأغواط.

كل بحكم كما ذكرنا سالفا أن الطابع الإجتماعي لمدينة الأغواط أغلبيته نسيج قبلي، لذا نجد كل بلدية من بلديات تحوي على نسبة كبيرة من قبيلة واحدة هذا إن قلنا بلدية بأكملها من قبيلة واحدة ، فهذا أمر طبيعي إن وجدنا تلك الأساطير والحكايات راسخة في أذهان أفراد المجتمع بحكم الطابع القبلي الذي فرض نفسه على المجتمع المتمدن .

- الجدول رقم 33 : يوضح العلاقات بين إعتقاد المبحوثين بأن للأجداد تاريخ حافل بالبطولات وبين أن تأخذهم الحمية في المواقف التي يكون فيها جماعتهم القرابية في نزاعات وصراعات .

تاريخ الأجداد الحافل بالبطولات	الحمية في موقف نزاع وصراع خاص بالقبيلة				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
بالطبع	169	96.02	07	03.97	176	100
لا	05	55.55	04	44.44	09	100
لا علم لي	43	48.86	45	51.13	88	100
المجموع	217	54.57	56	20.51	273	100

من خلال الجدول السابق نجد أنه يتكون من الفئات التالية:

- الفئة الأولى: هي فئة المبحوثين الذين لهم تاريخ الأجداد الحافل بالبطولات والحمية في مواقف نزاع وصراع خاص بالقبيلة وأجابوا بالجواب : طبعا عددهم 169 ونسبتهم 96.02 %.

- الفئة الثانية : وهي فئة المبحوثين الذين ليس لهم تاريخ الأجداد الحافل بالبطولات ولهم حمية في مواقف نزاع وصراع خاص بالقبيلة ، وعددهم 5 ونسبتهم 55.55%.

- الفئة الثالثة : وهي فئة المبحوثين الذين أجابوا ب : لا علم لي في مسالة تاريخ الأجداد الحافل بالبطولات ولهم الحمية في موقف نزاع الصراع خاص بالقبيلة ،عددهم 43 ونسبتهم 48.86 %.

- الفئة الرابعة : وهي الفئة المبحوثين الذين لهم تاريخ الأجداد الحافل بالبطولات وليس لهم الحمية في موقف نزاع صراع خاص بالقبيلة ، وعددهم 07 ونسبتهم 3.79 %.

– الفئة الخامسة: وهي فئة المبحوثين الذين ليس لهم تاريخ أجداد حافل بالبطولات وليس لهم حمية في مواقف نزاع وصراع خاص بالقبيلة ، وعددهم 04 ونسبتهم 44.44 %

– الفئة السادسة: وهي فئة المبحوثين الذين لا علم لهم بفكرة تاريخ الأجداد الحافل بالبطولات وليس لهم حمية في موقف نزاع وصراع خاص بالقبيلة وعددهم 45 ونسبتهم 51.13 %.

ومنه تاريخ الأجداد الحافل بالبطولات عند الأبناء القرابة القبيلة يؤدي إلى زرع قيم الافتخار والاعتزاز بالانتماء العرقي العصبي القبلي ويؤدي إلى إنغراس القيم المتعلقة بالشهامة والفخر والفروسية القبيلة في خيال والضمير والشعور للفرد و الجماعة القبلية ويؤدي إلى ظهور معايير النزعة القبلية في أبناء القرابة القبلية المتعلقة بالفخر والاعتزاز والشهامة القبلية يؤدي إلى التحمس الدائم للدفاع عن شرف القبيلة كأنه شرف العائلة ويؤدي إلى التماشي مع شبكة الانتماء العرقي القبلي في المجال السوسيولوجي الجمعي والفردي ويؤدي في النهاية إلى حمية في موقف نزاع وصراع خاص بالقبيلة .

الجدول رقم 34 : يوضح الاعتقاد بأن قبيلته بنيت عليها مدينة الأغواط ولديها الغيرة و الدفاع عن حقوق الجماعة القرابية

الاعتقاد بأن قبيلته بنيت عليها مدينة الأغواط	الغيرة و الدفاع عن حقوق الجماعة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
صحيح	138	93.24	10	06.75	148	100
غير صحيح	47	95.92	02	04.08	49	100
لا علم لي	59	77.63	17	22.36	76	100
المجموع	244	89.37	29	10.62	273	100

من خلال الجدول السابق نجد أنه يتكون من الفئات التالية:

– الفئة الأولى: هي فئة المبحوثين الذين يعتقدون بأن قبيلتهم بنيت عليها مدينة الأغواط أن هذا اعتقاد غير صحيح ،كما لديهم النعرة والدفاع عن حقوق الجماعة القرابية وعددهم 138 ونسبتهم 53.24 %.

– الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين الذين يعتقدون بأن قبيلتهم بنيت عليها مدينة الأغواط أن هذا اعتقاد غير صحيح ،كما لديهم النعرة والدفاع عن حقوق الجماعة القرابية وعددهم 47 ونسبتهم 95.92 %.

– الفئة الثالثة : هي فئة المبحوثين الذين يعتقدون بأن لا علم لهم بأن قبيلتهم بنيت عليها مدينة الأغواط ويتمسكون بالنعرة والدفاع عن حقوق الجماعة القرابية وعددهم 59 ونسبتهم 77.63 %.

– الفئة الرابعة : هي فئة المبحوثين الذين يعتقدون بأن قبيلتهم بنيت عليها مدينة الأغواط ولكنهم لا يتمثلون بقيمة النعرة والدفاع عن حقوق الجماعة القرابية وعددهم 10 ونسبتهم 06.75 %.

– الفئة الخامسة : هي فئة المبحوثين الذين يعتقدون بأن قبيلتهم بنيت عليها مدينة الأغواط أن هذا اعتقاد غير صحيح،كما أنهم لايتمثلون بقيمة الغيرة والدفاع عن حقوق الجماعة القرابية وعددهم 02 ونسبتهم 04.08%.

– الفئة السادسة : هي فئة المبحوثين الذين يعتقدون بأن لا علم لهم بأن قبيلتهم بنيت عليها مدينة الأغواط كما أنهم لا يتمثلون بقيمة الغيرة الدفاع عن حقوق الجماعة القرابية وعددهم 17 ونسبتهم 22.36 %.

من خلال التحليل الإحصائي السابق نجد أن الفئة الغالبة هي فئة الذين يعتقدون بأن قبيلتهم بنيت عليها مدينة الأغواط ولديهم الغيرة و الدفاع عن حقوق الجماعة القرابية ، وعليه اعتقاد المبحوثين بأن قبيلتهم بنيت عليها مدينة الأغواط يؤدي إلى التشبث التاريخي بالانتماء القبلي وهذا يؤدي إلى الدفاع عن العادات والتقاليد القبيلة الموروثة عن الآباء والأجداد وهذا يؤدي إلى تعميق الهوية القبلية عند الأفراد والجماعات من أبناء الجماعة القرابية وهذا يؤدي إلى التباهي مع التراث القبلي في عالم الألبسة و الفنون والشعر والتأليف وهذا يؤدي إلى ترسيخ القيم القبيلة والنزعة العصبية بشكل أكبر مما يؤدي إلى ترسيخ سلوك الغيرة و الدفاع عن الحقوق الجماعة القرابية ، لأننا نجد أن كل قبيلة من قبائل المجتمع الأغواطي لها اعتقاد صحيح في تكوين البنية الإجتماعية للمدينة من خلال تسميات بعض الأحياء و المداشر على شيوخ وأبطال من قبائلهم وهذا ما وجدناه في الواقع ، فنعطي على سبيل المثال المخاليف لهم بطولات وصولات وجولات إبان الحقبة الاستعمارية في التصدي للاستعمار الفرنسي ولهم الفضل في صده زيادة على ذلك على تشكيلة المجتمع لربوع ولاية الأغواط كل بلدية تختص بعرض من العروش مثلا نجد أن بلدية سيدي مخلوف أغلبهم سكانها إن لم نقل كل سكانها مخاليف ، وبلدية بليل اغلبهم سكانها من قبيلة الحجاج وبلدية حاسي الدلاعة جل سكانها من قبيلة الحرازلية ، وبلدية قصر الحيران أغلبهم من عرش رحمان ، وبيد أن هذه القبائل وغيرها كلها نجدها بمراكز الولاية ، فهذا يجعلنا نقول أن مدينة الأغواط وضواحيها تتميز بطابع قبلي .

– الجدول رقم 35 : يوضح علاقة جمع أفراد الجماعة القرابية الأموال بقصد المساعدة وعلاقتها بتعاطف المبحوثين مع الموقف التي يتطلب التعاطف مع أفراد الجماعة القرابية .

جمع الأموال من عدمه	التعاطف مع الجماعة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
دائما	05	05.61	84	94.38	89	100
أحيانا	169	93.37	12	06.62	181	100
أبدا	01	33.33	02	66.66	03	100
المجموع	175	64.10	98	35.89	273	100

من خلال الجدول السابق نجد أنه يتكون من الفئات التالية:

– الفئة الأولى: هي فئة المبحوثين الذين يرون أن جمع الأموال لمساعدة أبناء والقرابة يحدث دائم ا ولديهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 05 ونسبتهم 05.61 %

– الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين الذين يرون أنه يحدث أحيانا ولديهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 169 ونسبتهم 93.37 %

– الفئة الثالثة : هي فئة المبحوثين الذين يرون أنه لا يحدث أبدا جمع أموال لصالح أبناء والقرابة يحدث دائم أولادهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 01 ونسبتهم 33.37 %

– الفئة الرابعة : هي فئة المبحوثين الذين يرون أنه يحدث دائما جمع أموال لمساعدة أبناء والقرابة ليس ولديهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 84 ونسبتهم 94.38 %

– الفئة الخامسة : هي فئة المبحوثين الذين يرون أنهم يجمعون أحيانا أموال لمساعدة أبناء والقرابة ولديهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 12 ونسبتهم 06.62 %

– الفئة السادسة: هي فئة المبحوثين الذين لا يجمعون أموال لصالح أبناء والقرابة ليس ولديهم تعاطف مع الجماعة القرابية وعددهم 02 ونسبتهم 66.66 %

الفئة الغالبة في الجدول السابق هي الفئة التي تمثل جمع الأموال لأبناء القرابة ولها تعاطف مع الجماعة القرابية كيف يحدث ذلك ؟

جمع الأموال لصالح أبناء الجماعة القرابية تؤدي إلى توزيع الأموال على ذوي الحاجات من أبناء الجماعة القرابية وهذا يؤدي إلى سد كثيرا من الحاجات البيولوجية ثم الحاجات السوسيولوجية لأبناء الجماعة القرابية انطلاقا من هرم الحاجات (لماسلو) وهذا يؤدي إلى زيادة العلاقات الإجتماعية التبادلية والتعاونية والتعاضدية بين أبناء الجماعة القرابية ويكون هناك على دراية شاملة بالأحوال الإجتماعية والاقتصادية والمعيشة للأفراد والجماعة القرابية ، كما هو معلوم تلك التفاعلات والاحتكاك المستمر يخلق نوع من الإخاء والتعارف بينهم مما يجنب أفراد صلة القرابة الوحدة و الجماعة المعوزة المشكلات الإجتماعية والاقتصادية ، فالعجز والعوز تغطيه العصبة من أفراد الجماعة القرابية من خلال جمع الأموال والإعانات لمساعدة أفراد من نفس جماعتهم القرابية تحت لواء القبيلة الواحدة .

– الجدول رقم 36 يوضح قيام المبحوثين وأفراد جماعتهم القرابية بإحياء المناسبات الدينية .

الأحياء	التكرار	النسبة
دائما	**222**	**81.31**
أحيانا	**33**	**12.08**
أبدا	**18**	**06.59**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول السابق نجد أنه يتكون من الفئات التالية:

– الفئة الأولى: هي فئة المبحوثين الذين يقومون دائما مع أفراد جماعتهم القرابية بإحياء المناسبات الدينية وعددهم 222 ونسبتهم 81.31 %.

– الفئة الثانية : هي فئة المبحوثين الذين يقومون أحيانا مع أفراد جماعتهم القرابية بإحياء المناسبات الدينية وعددهم 33 ونسبتهم 12.08 %.

– الفئة الثالثة : هي فئة المبحوثين الذين لا يقومون أبدا مع أفراد جماعتهم القرابية بإحياء المناسبات الدينية وعددهم 18 ونسبتهم 06.59 %.

نلاحظ أن الفئة الغالبة تؤكد على أن الجماعة القرابية تمارس إحياء المناسبات الدينية لأن إحياء المناسبات الدينية يساعد على الالتقاء والتجميع ، كما أن إحياء المناسبات الدينية يساعد على تقوية الروابط الدينية

لأبناء الجماعة القرابية، كما أنها تساعد على تذكر المبادئ الدينية التي تحث على الإحسان إلى الأقارب كما أن المشاركة في الاحتفالات الدينية تساعد على تفقد أحوال الجماعة القرابية. يرون كذلك على أن المناسبات الدينية هي شعارات القبيلة ورموزها لأن القبيلة اكتسب موروثها التاريخي واستمدت من القيم الدينية كما التاريخي والتعاون والمحبة والحشمة والطاعة كلها مستقاة من القيم الدينية ،كذلك نجد أن الزوايا نشأة من خلال القبيلة وهذه الزوايا هي عبارة عن تنظيمات شعبية تهتم بتدريس القرآن وتعليمة ، بدورها القبيلة تعمل على دعمها ، فنجد أن اغلب المناسبات الدينية في مدينة الأغواط تقام علي أساس الزوايا وتحت لوائها غير أنها تغيرت صيغتها في شكل رسمي ، فالعادة والتقاليد هي من تجعل أفراد القبيلة لا يزالون متشبثين بإحياء المناسبات الدينية مع بعضهم بعض ، فالمرجعية الدينية للقبيلة لها طابع خاص وكل قبيلة لها مرجعها الخاصة بها لما تختلف العادات والتقاليد والقيم من قبيلة لأخرى.

– الجدول رقم 37 : يوضح احتفال المبحوثين مع جماعتهم القرابية بمناسبات تاريخية خاصة ببطولة الأجداد .

الاحتفال	التكرار	النسبة
دائما	**11**	**04.02**
أحيانا	**169**	**61.90**
أبدا	**93**	**34.06**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجداول السابق نلاحظ أنه يتكون من الفئات التالية :

الفئة الأولى: فئة المبحوثين الذين يحتفلون دائما مع جماعتهم القرابية بمناسبات تاريخية خاصة ببطولات الأجداد وعددهم 11 ونسبتهم 04.02 %.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين يحتفلون أحيانا مع جماعتهم القرابية بمناسبات تاريخية خاصة ببطولات الأجداد وعددهم 169 ونسبتهم 61.90 %.

الفئة الثالثة : فئة المبحوثين الذين لا يحتفلون أبدا مع جماعتهم القرابية بمناسبات تاريخية خاصة ببطولات الأجداد وعددهم 93 ونسبتهم 34.06 %.

نلاحظ أن الفئة الغالبة يؤكد على أنه أحيانا يتم الاحتفال التاريخي ببطولات الأجداد بين أبناء الجماعة القرابية ،لماذا ؟ لأن ذلك الاحتفال يذكرهم بتاريخ أجداد القبيلة ، من جهة أخرى في هذا الاحتفال يتم الالتقاء في

هذه من أسباب الاحتفالية التاريخية ، إضافة إلى ذلك فان هذه الاحتفالات التاريخية ببطولات الأجداد تساعد على زيادة التماسك بين أبناء الجماعة القرابية ، من جهة أخرى فان الاحتفال ببطولات الأجداد التاريخية تساعده في تجديد العهد القرابي بين الأحفاد والأجداد ،كما أن هذه الاحتفالات التاريخية ببطولات الأجداد تعمل على تبادل الأخبار والمعلومات بين أبناء الجماعة القرابية . كما أن هذه الاحتفالات تعتبر كتذكير لأفراد القبيلة بالولاء الدائم والمستمر وعدم الاستغناء عن القبيلة في اعتقادهم أنها تحقق لهم الأمان والطمأنينة زد على ذلك التفاخر بالأجداد بين القبائل والذي هو سمة من سمات القبيلة .

– الجدول رقم 38: يوضح استمرارية القيام بمساعدة أفراد الجماعة القرابية عن طريق ما يسمى بالتويزة.

القيام من عدمه	التكرار	النسبة
نعم	**19**	**06.95**
لا	**254**	**93.04**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من الفئات التالية:

الفئة الأولى:وهي فئة التي تمثل استمرارية القيام بمساعدتهم أفراد الجماعة القرابية عن طريق ما يسمى التويزة والذين أجابوا بنعم وعددهم 19 ونسبتهم 06.95 %.

الفئة الثانية :وهي فئة التي تمثل عدم استمرارية القيام بمساعدتهم أفراد الجماعة القرابية عن طريق ما يسمى التويزة والذين أجابوا بنعم وعددهم 254 ونسبتهم 93.04 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن الفئة الغالبة من المبحوثين تؤكد أن عادة التويزة قد اختفت بين أبناء الجماعة القرابية .لماذا ؟

لأن بعض العادات الإجتماعية التي كانت تمارسها المجتمع الجزائري سابقا قد إختفت خاصة في المجتمعات الحضرية والمدن ، كذلك فان العمل في الوسط الحضري يقوم على الأجر في الأغلب ولا يقوم على أساس التطوع ، علاوة على ذلك فان الإنسان الحضري يعاني من مشكل الانغماس الإجتماعي في مشاكله اليومية وليس له وقت للتطوع ،إضافة إلى ذلك نجد ترسيخ ثقافة القيم المادية أكثر من ثقافة القيم الروحية في المناطق الحضرية ،كما أن العمل التطوعي في الأوساط الحضرية تقوم به من منظمة الجمعيات وليس منظمة الجماعات القرابية .

سادسا : تحليل وتفسير بيانات الفرضية الرابعة .

الحراك السياسي والنزعة القبلية

– الجدول رقم 39: يوضح مشاركة المبحوثين في التصويت أثناء الانتخابات المحلية .

المشاركة بالتصويت	التكرار	النسبة
يصوت	**226**	**82.78**
لا يصوت	**47**	**17.21**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من الفئات التالية:

الفئة الأولى: فئة المبحوثين الذين يصوتون في الانتخابات وعددهم 226 ونسبتهم 82.78%.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين لا يصوتون في الانتخابات وعددهم 47 ونسبتهم 17.21%.

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن أكبر عدد المبحوثين هم الذين يصوتون أثناء الانتخابات السياسية ما يسمى بالمشاركة السياسية ، هذا بسبب تنوع الأحزاب الذي ينشأ من واقع أن أفراد يدخلون الصراعات الإجتماعية من خلال البني الفوقية والأشكال السياسية والقانونية والفكرية وتتحول هذه الصراعات الأساسية الطبقية إلى مجموعة واسعة من الجدالات السياسية والمحددة في المجتمع بصيغة أخرى يكون هناك مواجهة للطبقات الأساسية التي بدورها تطرح معضلات إجتماعية متعددة وعى أساسها تشكل ميول وسنن نضاله معينة و في ظل هذه الميولات أحزاب سياسية متنوعة جدا لتعلب في كل فترة دور منظم في طليعة النشاط السياسي للأفراد على أساس هذه السنن بمفردها أو مجموعتها ومن جهة أخرى تمثل الأحزاب السياسية أدوات الميول الإجتماعية والطائفية والعشائرية لتعبئة كل قواتها الطبقية تحت راية وأهدافها الخاصة لتحقيق سيادة كل هذه الأهداف والآفاق على صعيد المجتمع . فالمجتمع المدني ليس جديدا بل قديما ، أما الجديد هو اتساع نطاق التنظيمات الإجتماعية التي كان الانتماء إليها طبقا لمعايير الانتماء القبلي ، التي أصبحت مؤسسات إنتاجية أو خدماتية أو سياسية فالنظام القبلي بات بدخل ضمن النسيج الإجتماعي للمدينة ويتغلغل في جميع جوانبها الحياة الإجتماعية لأننا نجد كذلك القبيلة تتشكل وفق معايير ومقومات تمكنها من التحكم في العصب الأساسي الإجتماعي .

– الجدول رقم 40 : يوضح علاقة تقديم المساعدة لمترشح القبيلة وعلاقته بمن أسرة المبحوثين الأفراد جماعتهم القرابية

المساعدة من عدمها	من أسرة الجماعة القرابية للقبيلة				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
يقوم بالمساعدة	191	91.38	18	8.61	209	100
لا يقوم بالمساعدة	13	20.31	51	79.68	64	100
المجموع	204	74.72	69	25.27	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من الفئات التالية:

الفئة الأولى: فئة المبحوثين الذين يساعدون مترشح القبيلة ويحققون في نفس الوقت المناصرة للجماعة القرابية للقبيلة وعددهم 191 ونسبتهم 91.38 %.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين لايساعدون مترشح القبيلة ويحققون في نفس الوقت المناصرة للجماعة القرابية للقبيلة وعددهم 13 ونسبتهم 20.31%.

الفئة الثالثة : فئة المبحوثين الذين يقومون بمساعدة للجماعة القرابية للقبيلة ولا يحققون مناصرة للجماعة القرابية للقبيلة وعددهم 18 ونسبتهم 08.61 %.

الفئة الرابعة : فئة المبحوثين الذين لا يقومون بمساعدة مترشح القبيلة ولا يحققون المناصرة للجماعة القرابية للقبيلة وعددهم 51 ونسبتهم 79.68 %.

نلاحظ أن النسبة الغالبة في الجدول السابق هي فئة المبحوثين الذين يقومون بمساعدتهم مترشح القبيلة ويحققون مناصرة أفراد الجماعة القرابية ،كيف ذلك ؟

مساعدة مترشح القبيلة يؤدي إلى الدعم المادي والمعنوي و التشاركي في الحملة الانتخابية وهذا بدوره يؤدي إلى المشاركة في الفعاليات الانتخابية المناصرة لمرشح القبيلة ويؤدي بدوره إلى المساهمة في تعليق الصور وتواريخ اللقاءات العامة و الجوارية والدعوات ويؤدي إلى التجنيد والتخندق في المعارك الانتخابية لصالح مرشح القبيلة ويؤدي إلى تسخير كل الوسائل المتاحة والشرعية من أجل إقناع الآخرين بجدارة واستحقاق ابن القبيلة النجاح

في الانتخابات لخدمة المصلحة العامة ويؤدي في النهاية إلى مناصرة المبحوث لأفراد الجماعة القرابية .فالمناصرة هي آلية من آليات التي تقوم عليها القبيلة .

– الجدول رقم 41 : يوضح علاقة حضور الإجتماعات والولائم التابعة لمترشح القبيلة أثناء الحملات الانتخابية وعلاقته بانحياز المبحوثين تجاه الموقف التي تخص الجماعة القرابية .

الحضور للولائم و الإجتماعات	الانحياز اتجاه المواقف الخاصة بالجماعة القرابية				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
دائما	201	84.81	36	15.18	237	100
أحيانا	05	62.50	03	37.50	08	100
أبدا	01	03.57	27	96.42	28	100
المجموع	207	75.82	66	24.18	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من الفئات التالية:

الفئة الأولى: فئة المبحوثين الذين يؤكدون على حضورهم الولائم والإجتماعات دائما والانحياز اتجاه المواقف الخاصة بالجماعة القرابية وعددهم 201 ونسبتهم 84.81%.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين يؤكدون على حضورهم الولائم والإجتماعات أحيانا والانحياز اتجاه المواقف الخاصة بالجماعة القرابية وعددهم 05 ونسبتهم 62.50%.

الفئة الثالثة : فئة المبحوثين الذين لا يحضرون الولائم والإجتماعات أبدا والانحياز تجاه المواقف الخاصة بالجماعة القرابية وعددهم 01 ونسبتهم 03.57%.

الفئة الرابعة : فئة المبحوثين الذين يحضرون دائما الولائم والإجتماعات ولا ينحازون اتجاه المواقف الخاصة بالجماعة القرابية وعددهم 36 ونسبتهم 15.18%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن الفئة الغالبة هي الفئة التي تمتاز بحضورهم الولائم والإجتماعات التابعة لمرشح القبيلة ولها انحياز اتجاه الموقف الخاصة بالجماعة القرابية ، كيف يحدث ذلك ؟

حضور الولائم والإجتماعات التابع لمترشح القبيلة يؤدي إلى اللقاء التفاعلي مع أبناء الجماعة القرابية وغيرهم من الفئات الإجتماعية وهذا يؤدي إلى تبادل المحادثات والخطابات والورشات السياسية القائمة على ترسيخ القيم العصبية و القبيلة لصالح مرشح القبيلة التي يحكمها المثل الشعبي " دابنا ولا عود الناس " وهذا يؤدي إلى ترسيخ ثقافة الولاء لصالح مرشح القبيلة وهذا يؤدي بدوره إلى الانغماس الكلي في النشاطات السياسية الانتخابية لصالح ابن القبيلة وهذا يؤدي إلى التضحية بكثير من المصالح الشخصية من وقت ومال لصالح التفرغ الكلي للحملة الانتخابية لإبن الجماعة القرابية وهذا يؤدي إلى لانحياز اتجاه الموقف الخاصة بالجماعة القرابية .فنجد أن الاعتبارات الإجتماعية تسقط أمام النزعة القبيلة مهما كلف ذلك أفراد الجماعة القرابية في سبيل النصرة لابن القبيلة بمعني آخر حتى أن شوكة القبيلة تقوى في مثل هذه المحافل بداعي النعرة القبيلة ، فمترشح القبيلة يعتبر كبطل يجب الالتفاف حوله والتضحية من اجل من اجل إعلاء اسم القبيلة وكذا تسخير كل أفراد القبيلة في خدمته ، فالنظام القبلي هو من يتحكم في سلوكات أفراد القبيلة .هذا يترتب عليه زيادة النزعة القبيلة والولاء التام القبيلة .

- الجدول رقم 42 : يوضح الاهتمام بالحملات الانتخابية لمترشح القبيلة وعلاقته بمناصرة أسر أفراد الجماعة القرابية التي تتطلب المناصرة والإجتماع .

الاهتمام بالحملات الانتخابية	الانحياز والمناصرة والإجتماع				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
يهتم	196	91.58	18	08.42	214	100
لا يهتم	08	13.55	51	86.44	59	100
المجموع	204	74.72	69	25.27	273	100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنه يتكون من الفئات التالية:

الفئة الأولى: فئة المبحوثين الذين لهم اهتمام بالحملة الانتخابية لصالح ابن القبيلة ويعملون على تحقيق الانحياز والمناصرة والإجتماع مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 196 ونسبتهم 91.58%.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين لهم اهتمام بالحملة الانتخابية تحقيق ونال انحياز والمناصرة والإجتماع مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 08 ونسبتهم 13.55%.

الفئة الثالثة : فئة المبحوثين الذين لا يهتمون بالحملة الانتخابية لصالح ابن القبيلة وليس لديهم الانحياز والمناصرة والإجتماع مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 18 ونسبتهم 08.42%.

الفئة الرابعة : وهي فئة المبحثوين الذين لا يهتمون بالحملة الانتخابية لصالح ابن القبيلة ولا يعلمون على انحياز والمناصرة والإجتماع مع أفراد الجماعة القرابية وعددهم 51 ونسبتهم 86.44%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن الفئة الغالبة هي فئة المبحوثين الذين يهتمون بالحملة الانتخابية لصالح ابن القبيلة ويعلمون على الانحياز ومناصرة أبناء الجماعة القرابية ، كيف يحدث ذلك ؟

الاهتمام بالحملة الانتخابية لمرشح ابن القبيلة يؤدي إلى وضع برنامج إخطبوطي للحملة الانتخابية وهذا يؤدي إلى تسخير كل الوسائل المادي والمعنوية لصالح الحملة الانتخابية لابن القبيلة وهذا يؤدي إلى المشاركة في كل الفعاليات واللقاءات الجوراية والتجمعات الشعبية لصالح مرشح إبن القبيلة وهذا يؤدي إلى العمل على إقناع أكثر شريحة من الشعب لتنتخب لصالح إبن القبيلة وهذا يؤدي إلى توسعة الوعاء الانتخابي الخاص بابن القبيلة وهذا يؤدي إلى المناصرة والاحتشاد والانحياز لأفراد الجماعة القرابية بحيث نجد أن أفراد القبيلة اهتمامهم الكامل بمساندت إبن القبيلة بغض النظر عن النشاط السياسي .

– الجدول رقم 43: يوضح أساس اختيار المترشح المناسب في الانتخابات

أساس إختيار المترشح	التكرار	النسبية
حزبي	**02**	**03.29**
عرشي	**177**	**64.83**
كفاءة وخبرة	**28**	**10.25**
نفعي مصلحي	**33**	**12.08**
أخرى	**26**	**09.52**
المجموع	**273**	**100**

نلاحظ من خلال الجدول التالي أن هناك 5 فئات وهي :

الفئة الأولى: فئة المبحوثين الذين يختارون مرشحهم للانتخابات على أساس حزبي وعددهم 09 ونسبتهم 03.29%.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين يختارون مرشحهم للانتخابات على أساس عرشي وعددهم 177 ونسبتهم 64.83%.

الفئة الثالثة : فئة المبحوثين الذين يختارون مرشحهم للانتخابات على أساس كفاءة وخبرة وعددهم 28 ونسبتهم 10.25 %.

الفئة الرابعة : فئة المبحوثين الذين يختارون مرشحهم للانتخابات على أساس نفعي ومصلحي وعددهم 33 ونسبتهم 12.08 %.

الفئة الخامسة : فئة المبحوثين الذين يختارون مرشحهم للانتخابات على أساس آخر وعددهم 26 ونسبتهم 09.52 %.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن الفئة الغالبة هي فئة المبحوثين الذين يختارون مرشحهم للانتخابات على أساس قبلي وعددهم 177 ونسبتهم 64.83 % هذا يحكم أن البنية السياسية احد الأبعاد الأساسية لتشكيل السلوك الانتخابي ، كونها تضم مجموعة المحددات المتفاعلة والمترابطة و التي تعتبر كمدخلات للسلوك الانتخابي للفرد .

بناء على ذلك فإن عملية التنشئة السياسية إضافة إلى الثقافة السياسية وكذا الفعالية الوظيفية للمؤسسات السياسية باعتبارها جزاء أساسيا من البيئة السياسية تعبر بشكل أساسي عن بيئة السلوك الانتخابي فالتنشئة

السياسية كما عرفها أنطوني أوريم بأنها عملية يتم من خلالها إكتساب الأفراد كل نسق المعتقدات والقيم والمعايير و الإتجاهات التي توجد في المجتمع[1].

فهذا الأنساق نستخلصها من الأسرة وبدورها القبيلة هي الصمام لبث هذه الأنساق في نفوس وسلوكيات والأفراد، فالتنشئة الإجتماعية عموما والسياسية على وجه الخصوص هي عملية يتم من خلالها تشكيل الإتجاهات السياسية لدى الأفراد في القبيلة هي مؤسسة من مؤسسات التنشئة السياسية ، فنرى أن أفراد المجتمع الأغواطي اغلبهم يختارون مرشحهم على أساس قبيل بحكم أن عروق القبيلة مازالت تسري في النسق الإجتماعي العام للمدينة وكما أسلفنا الذكر حول القبيلة أنها تتميز بالتعاون والتكاثف والتآزر مستبعدة المعايير العلمية والأكاديمية في اختيار المرشح في الانتخابات للحراك السياسي .

– الجدول رقم 44: يوضح انخراط المبحوثين في أحزاب سياسية .

الانخراط من عدمه	التكرار	النسبة
منخرط	**68**	**24.90**
غير منخرط	**205**	**75.10**
المجموع	**273**	**100**

نلاحظ من خلال الجدول التاليان هناك فئتين:

الفئة الأولى : فئة المبحوثين المنخرطين في الأحزاب السياسية أو لديهم مشاركة سياسية وعددهم 68 ونسبتهم 24.90 %.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الغير المنخرطين في الأحزاب السياسية ولا ينخرطون ضمن المشاركة السياسية وعددهم 205 ونسبتهم 75.10 %.

من خلال الجدول السابق نجد أن أكبر نسبة للمبحوثين هم لا ينخرطون في الأحزاب السياسية وعددهم 205 ونسبتهم 75.10 % وهذا برغم بذل السلطات مجهودات لإقناع الناخبين من المشاركة والانخراط السياسي لوجود ما يسمي بالمسرحية السياسية لان بعض أفراد المجتمع يرى أن الحراك السياسي في الجزائر يعيش انغلاقا سياسيا لان العملية السياسية فالجزائر تستمر تحت ما يسمى بالغطاء السياسي لما يراه أفراد المجتمع أن قضية مصالح والوصول للسلطة فقط، عكس ما يبرمج على الأوراق ويقال في الندوات والمؤتمرات الأحزاب السياسية .هذا ما خلق إحباط كبير لدى أفراد المجتمع كما وصف "الدكتور بوكروح" هذا العزوف

[1]– عبد الله محمّد عبد الرحمان : علم الإجتماع السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ،2001، ص 444.

بأنه: يأس في العمق المجتمعي الجزائري اتجاه الأحزاب السياسية حيث لا يجد فيها الشباب أنفسهم ممثلين في الهياكل والمجالس المنتجة بل أكثر من ذلك رؤية الكثيرين إلى أنهم مطلية أو وسيلة في يد بعض الأحزاب التي تجندهم في كل مناسبة انتخابية ،وتسقطهم لتحرير مشاريعها الآتية .كما يجدون أن جل ممثلي الأحزاب غير مؤهلين أكاديميا لتولي مقاليد السياسية الإجتماعية وكذلك يعتبرون أن الأهداف المطروحة الجديدة لا تختلف عن سابقتها فالمشاركة السياسية على العموم أصبحت في وضع يتسم بعدم الاستقرار والتوازن وحالة من التوتر على المجتمع والنظام .

– الجدول رقم 45: يوضح حدوث صراعات كلامية بين أعضاء مترشح من القبيلة ومترشحين آخرين وعلاقته بظهور حمية المبحوثين أثناء الصراعات والنزعات وتتداخل فيها الجماعة القرابية .

المشاركة في الصراعات الكلامية حين الحملات الانتخابية	موقف النزاع والصراع خاص بالقبيلة				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
يشارك	203	89.82	23	10.07	226	100
لا يشارك	11	27.50	29	72.50	40	100
محايد	03	42.85	04	57.15	07	100
المجموع	217	79.48	56	20.51	273	100

نلاحظ من خلال الجدول التالي أن هناك 3 فئات:

الفئة الأولى: فئة المبحوثين الذين يشاركون في الصراعات الكلامية أثناء الحملات الانتخابية لصالح مرشحهم ويحققون الحمية في الموقف النزاع ولصالح ابن القبيلة وعددهم 203 ونسبتهم 89.82 %.

الفئة الثانية: فئة المبحوثين الذين لا يشاركون في الصراعات الكلامية أثناء الحملات الانتخابية لصالح مرشحهم و الحمية في مواقف النزاع ولصالح أبناء القبيلة وعددهم 11 ونسبتهم 27.50 %.

الفئة الثالثة: فئة المبحوثين المحايدين أثناء الصراعات الكلامية بين المترشحين لكنهم يحققون الحمية في مواقف النزاع ولصالح أبناء القبيلة وعددهم 03 ونسبتهم 42.85 %.

الفئة الرابعة: فئة المبحوثين الذين يشاركون في الصراعات الكلامية بين المترشحين لكنهم يمثلون الحمية في مواقف النزاع ولصالح أبناء القبيلة وعددهم 23 ونسبتهم10.17 %.

الفئة الخامسة : فئة المبحوثين الذين لا يشاركون في الصراعات الكلامية بين المترشحين ولا يتمثلون الحمية في مواقف النزاع ولصالح أبناء القبيلة وعددهم 29 ونسبتهم 72.50 %.

الفئة السادسة: فئة المبحوثين الذين يطبقون مبدأ الحياد أثناء النقاشات الكلامية بين مناصري مرشحين ويتمثلون الحمية في الموقف النزاع و لصالح أبناء القبيلة و عددهم 203 ونسبتهم 89.82 %.كيف يؤدي الصراع الكلامي إلى الحمية في الموقف النزاع والصراع ؟

المشاركة في الصراعات الكلامية في الحملة الانتخابية لصالح مرشح ابن القبيلة يؤدي إلى استعمال كل الأدلة الخطابية والحججية والمغالطات والمهاترات أثناء الصراع الكلامي وهذا يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة النقاش يفقد فيها العقل في الغالب قواعد المنطق والتفكير وهذا يؤدي إلى الدخول في الكلام السوقي أثناء الحجاج والخصام السياسي عن طريق التراشق بالكلمات وهذا يؤدي إلى التعصب في الموقف تحت شعار "دابنا ولا عود الناس " وهذا يؤدي إلى ارتفاع منسوب قيم العصبية والقبيلة أثناء هذه المهاترات السياسية بين المرشحين وهذا يؤدي إلى الحمية في الموقف النزاع والصراع لصالح مرشح الجماعة القرابية وقد تكون هذه الصراعات قديمة لتتجدد مع مثل هذه المواقف .

– الجدول رقم 46 : يوضح الأمور التي تحكم الأحزاب السياسية .

الأمور	التكرار	النسبة
السياسة والقانون	**09**	**03.29**
التنظيم الإداري	**02**	**00.73**
النزعة القبلية	**179**	**65.56**
المال والأعمال	**83**	**30.40**
المجموع	**273**	**100**

نلاحظ من خلال الجدول التالي أن هناك 4 فئات وهي:

الفئة الأولى : فئة المبحوثين الذين يرون أن السياسة والقانون هي من تحكم الأحزاب السياسية وعددهم 09 ونسبهم 03.29%.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين يرون أن السياسة والإداري هو من تحكم الأحزاب السياسية وعددهم 02 ونسبهم 00.73%.

الفئة الثالثة : فئة المبحوثين الذين يرون أن النزعة القلبية هي من تحكم الأحزاب السياسية وعددهم 179 ونسبهم 65.56%.

الفئة الرابعة : فئة المبحوثين الذين يرون أن المال والأعمال هما من تحكمان الأحزاب السياسية وعددهم 83 ونسبهم 30.40 %.

من خلال الجدول السابق نجد أن أكبر نسبة للمبحوثين هم من يرون أن النزعة القلبية هي من تتحكم في الأحزاب السياسية وعددهم 179 ونسبهم 65.56 % فالقبيلة هي مكون أساسي المجتمع مدينة الأغواط وعاملا مهما في مختلف التركيبات السياسية والإجتماعية فبقاء البنية القبيلة وتماسكها تاريخيا قد يلغي الأحزاب السياسية واستبدال منها العامل القبلي، لما له نفوذ وقيادة داخل المجتمع المدني وتتجلي مظاهر القبيلة في فترات متباينة مع حلول موعد الانتخابات حيث يلحظ بشكل واضح حضور هذا الانتماء كإطلاق أسماء قبائل على جماعات ودوائر إنتخابية. تظهر النزعة القبيلة بشكل جلي وتراهن الأحزاب السياسية على هذه العصبية لكسب أصوات المنتخبين كما أن وصول الأحزاب إلى أصوات هؤلاء يكون عن طريق أعيان القبائل وكبرائها الذين يتمتعون باحترام العشيرة وهو احترام يمثل نوعا من السلطة والمعنوية على أفرادها. ويمكن أن تكتسب الأحزاب وهؤلاء الأعيان لتكسب رهان الانتخابات في قبائلهم وعشائرهم وتستغل الأحزاب المتنافسة

خلال حملتنا الانتخابية الغيرة القبلية لإذكاء العصبية القبيلة واستغلالها في تلك الحملات .كما تحتال الأحزاب الأخرى على أفراد القبائل لجعلهم يشعرون بان لانتخابات عبارة عن معركة تشبه معركة حقيقة يجب أن تخاض من اجل شرف وكرامة القبائل التي لا يمكن أن تقبل بالهزيمة في حين نجد أن أفراد القبائل لا يبالون بالانتماء السياسي أو الحزبي أو الإديولوجي للحزب الذي يناصرونه انتصار العصبية القبلية اقتناعا به .

- الجدول رقم 47: يوضح رؤية المبحوثين حول مشاركتهم في الانتخابات المحلية وهدفهم في المشاركة .

الهدف من المشاركة	التكرار	النسبة
خدمة للصالح العام	**07**	**02.56**
خدمة لمصالح شخصية	**47**	**17.21**
خدمة مصالح مترشح القبيلة	**18**	**06.59**
خدمة أفراد الجماعة القرابية	**201**	**73.62**
المجموع	**273**	**100**

نلاحظ من خلال الجدول التالي أن هناك 03 فئات:

الفئة الأولى : فئة المبحوثين الذين يرون مشاركتهم في الانتخابات من أجل الصالح العام وعددهم 07 ونسبتهم 02.56 %.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين يرون مشاركتهم في الانتخابات من أجل المصالح الشخصية وعددهم47 ونسبتهم17.21 %.

الفئة الثالثة : فئة المبحوثين الذين يرون مشاركتهم في الانتخابات من أجل خدمة مصالح مترشح وعددهم 18 ونسبتهم 06.59 %.

الفئة الرابعة : فئة المبحوثين الذين يرون مشاركتهم في الانتخابات من أجل أفراد الجماعة القرابية وعددهم 201 ونسبتهم 73.62 %.

من خلال الجدول السابق نجد أن أكبر نسبة للمبحوثين هم من يرون مشاركتهم في الانتخابات من أجل خدمة أفراد الجماعة القرابية وعددهم 201 ونسبتهم 73.62 % هذا راجع لترسيخ قيمة ثقافية سليمة المسماة مصلحة القبيلة قبل وبعد كل شيء، لأن كما ذكرنا سالفا أن النسق الإجتماعي الحضري العام تقوده القبيلة في مدينة الأغواط نظرا لتعدد نظر لتعدد النظم القبلية والعشائرية فالتشكيلات السياسية في الأغواط تنبثق من رحم القبيلة فيرى أفراد القبيلة أن التفافهم حول مرشحهم من أجل إبراز مكانة القبيلة وتقوية روح

النزعة القبلية من جهة وخدمة أفرادها والعمل على تحقيق متطلباتهم الإجتماعية من جهة أخرى .مما يرون أن النسيج الإداري للسلطات المحلية في مدينة الأغواط يبنى على عروشية كذا تضارب القبائل في خدمة أفراد عشيرتهم عند تولي السلطة والمهام الإدارية فهنا يجب على مترشح القبيلة للمشاركات السياسية الالتزام بخدمة أفراد القبيلة كعنصر هام وأساسي في برنامجه الانتخابي متحاشيا مصالحة والخدمة العمومية والمصالح الشخصية للبعض فقط .كقول أفراد القبيلة "ننتخب بن عمو باش نقضي صوالحي " فأفراد القبيلة يرون في اعتقادهم أن المجال الحضري يعتمد على البناء القبلي في جميع الجوانب الإجتماعية كفرض العمل الاستفادة من الإعانات المالية ليجار السكنات الإجتماعية وعليه يجب تقديم مرشح من نفس قبيلة ودعمه لتحقيق المصالح والمتطلبات الإجتماعية.

– الجدول رقم 48: يوضح حالة المبحوثين إزاء فوز المترشح الذي يساندوه من أصل القبيلة التي ينتمون إليها .

الحالة في حالة فوز المترشح	التكرار	النسبة
تفرح فرح شديد	**220**	**80.58**
تفرح بشكل عادي	**24**	**08.79**
لا تفرح	**07**	**02.56**
تحزن بقوة	**10**	**03.66**
محايدة	**12**	**04.39**
المجموع	**273**	**100**

نلاحظ من خلال الجدول التالي أن هناك 05 فئات:

الفئة الأولى: فئة المبحوثين الذين يفرحون بشدة في حالة فوز المترشح الذي يساندوه من أصل القبيلة التي ينتمون إليها وعددهم 220 ونسبتهم 80.58 %.

الفئة الثانية: فئة المبحوثين الذين يفرحون بشكل عادي في حالة فوز المترشح الذي يساندوه من أصل القبيلة التي ينتمون إليها وعددهم 24 ونسبتهم 08.79 %.

الفئة الثالثة: فئة المبحوثين الذين لا يفرحون بشكل عادي في حالة فوز المترشح الذي يساندوه من أصل القبيلة التي ينتمون إليها وعددهم 07 ونسبتهم 02.56 %.

الفئة الرابعة: فئة المبحوثين الذين يحزنون بشكل عادي في حالة فوز المترشح الذي يساندوه من أصل القبيلة التي ينتمون إليها وعددهم 10 ونسبتهم 03.66 %.

الفئة الخامسة: فئة المبحوثين الذين يفرحون هم حياديون في حالة فوز المترشح الذي يساندوه من أصل القبيلة التي ينتمون إليها وعددهم 12 ونسبتهم 04.39 %.

من خلال الجدول السابق نجد أن أكبر نسبة للمبحوثين الذين يفرحون بشدة في حالة فوز مرشحهم من نفس القبيلة وعددهم 220 ونسبتهم 80.58 % وهذا في اعتقادهم على أنها حرب وخرجوا منتصرين منها بدافعه اعتقادهم .لأن في اعتقادهم أن الانساق الإجتماعية يجب أن تتماشى والنظام القبلي في حراك اجتماعي يجب أن يكون تحت سلطة القبيلة ومشايخها وهم من يفصلون من القرارات المصرية التي يجب أن تخدم مصالح القبيلة وأفرادها ،فالنعرة أصبحت تمثل كعامل فطري يختلق مع أفراد القبيلة وبالتالي كبراء القبيلة يعمدون إلى ترسيخ وتوطيد شبكة العلاقات الإجتماعية و القرابية بين الأفراد على السبيل التلقين منذ الصغر لغرس في نفوس الأفراد روح القبلية والنزعة القبلية وجعل النظام القبلي كشيء مقدس لا يجب التخلي عنه فنصرة ممثل القبيلة في المحافل الرسمية يعتبر كواجب يجب تأديته وهذا مما يشعر أفراد القبيلة بالفخر لتأديتهم هذا الواجب وكما يعتبرونه نجاح باهر لفوز ممثلهم أمام القبائل والعشائر ولأخرى وهذا بدوره يؤدي إلى تعزيز شوكة النزعة القبيلة وترسيخها .

– الجدول رقم 49: يوضح وجود أشخاص من ذوي القرابة المبحوثين في السلطات المحلية وعلاقته بمناصره أفراد الجماعة القرابية في الموقف التي تتطلب المناصرة ولانحياز .

وجود أقارب في السلطة المحلية	موقف النزاع والصراع خاص بالقبيلة				المجموع	
	نعم		لا			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
يوجد	201	94.81	11	05.19	212	100
لايوجد	03	04.91	58	95.08	61	100
المجموع	203	74.72	69	25.27	273	100

نلاحظ من خلال الجدول التالي أن هناك 4 فئات:

الفئة الأولى : فئة المبحوثين الذين لديهم أقارب يعلمون في منظمة السلطة المحلية ويتمثلون في الانحياز والمناصرة والولاء لصالح أفراد القبيلة وعددهم 201 ونسبتهم 94.81%.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين ليس لديهم أقارب يعلمون في منظمة السلطة المحلية ويتمثلون قيمة الانحياز والمناصرة والولاء لصالح أفراد القبيلة وعددهم 03 ونسبتهم 04.91%.

الفئة الثالثة : فئة المبحوثين الذين ليس لديهم أقارب في منظمة السلطة المحلية ولا يتمثلون قيمة الانحياز والمناصرة والولاء لصالح أفراد القبيلة وعددهم 11 ونسبتهم 05.15%.

الفئة الرابعة : فئة المبحوثين لا يوجد لديهم أقارب يعلمون في منظمة السلطة المحلية ولا يتمثلون قيمة الانحياز والمناصرة والولاء لصالح أفراد القبيلة وعددهم 58 ونسبتهم 95.08%.

من خلال الجدول السابق نلاحظ فئة الغالبة هي فئة المبحوثين الذين لديهم أقارب ومنفذين بمنظمة السلطة التنفيذية ولا يتمثلون قيمة الانحياز والولاء والمناصرة لصالح الجماعة القرابية .كيف يؤدي وجود أشخاص من يؤدي الجماعات القرابية من منظمة السلطة المحلية إلى انحياز للمناصرة والولاء لأفراد الجماعة القرابية .إن وجود أشخاص من ذوي قرابة المبحوثين في المنظمة السلطة المحلية يؤدي إلى بناء شبكة مصالح بين أبناء الجماعة القرابية الوحدة داخل منظمة السلطة المحلية ويؤدي إلى النفوذ والتغلغل أكثر في منظمة السلطة المحلية ويؤدي هذا إلى استفادة أعضاء الجماعة القرابية من المشاريع والتوظيف وهذا يؤدي إلى زيادة الزبانية والمصاحبة لأبناء

الجماعة القرابية داخل السلطة المحلية وهذا يؤدي إلى تنفيذا أكثر لأبناء الجماعات القرابية داخل منظمة السلطة المحلية وهذا يؤدي إلى زيارة منسوب الانحياز والمناصرة والولاء لصالح أفراد القرابية .

– الجدول رقم 50: يوضح أي من المبحوثين يتدخلون لحل الخلافات والنزاعات مع أناس آخرين في قضايا تهم القبيلة وأفراد جماعتهم القرابية .

التدخل من عدمه	التكرار	النسبة
يتدخل	**157**	**57.50**
لا يتدخل	**116**	**42.50**
المجموع	**273**	**100**

نلاحظ من الجدول السابق أنه يتكون من فئتين:

الفئة الأولى : فئة المبحوثين الذين يتدخلون لحل العلاقات والنزعات ومع أناس آخرين في قضايا تهتم وأفراد جماعتهم القرابية وعددهم 157 ونسبتهم 57.50%.

الفئة الثانية : فئة المبحوثين الذين لا يتدخلون لحل العلاقات والنزعات ومع أناس آخرين في قضايا تهتم وأفراد جماعتهم القرابية وعددهم 116 ونسبتهم 42.50%.

يتضح لنا من خلال الجداول أعلاه والمتعلق بالتدخل لحل النزعات مع الجماعات أخرى لأناس منتمين للقبائل التي تنتمي إليها لأفراد .حيث أن الانتماء والولاء يبديه أفراد لجماعاتهم القرابية وبخاصة في المجتمعات التقليدية والصحراوية ،ذلك لأنهم يكسبون من انتمائهم لقبيلة الحظوة والقوى المعنوية والمادية ،لدرجة أن يندمجون معها وبالتالي يصبحون ويمسكون يدافعون هن أي شيء أو أمر يتعلق بالقبيلة أو منتمين لها أو موضوعاتها أو قضاياها أو الموقف والأحداث التي يمر بها الأفراد المنتمين لها .حيث وجدنا بان غالبية المبحوثين يتدخلون لفض النزعات التي تخص أعضاءها من جماعتهم القرابية وهذا أن أمها يدل على تنامي درجة الولاء لانتماء للقبيلة .

-الجدول رقم 51: يوضح اعتقادهم المبحوثين حول العوامل الأكثر تأثير في زيادة النزعة القبلية .

العوامل	التكرار	النسبة
اجتماعي	318	47.89
ثقافي	54	08.13
سياسي	72	10.84
ايكولوجي	201	30.27
أخرى	19	02.86
المجموع	[1]664	100

نلاحظ من الجدول السابق أنه يتكون من فئات التالية :

الفئة الأولى : فئة المبحوثين الذي يعتقدون أن العامل الإجتماعي هو الأكثر تأثيرا في زيادة النزعة القبلية وعددهم 318 ونسبتهم 47.89%.

الفئة الثانية: فئة المبحوثين الذي يعتقدون أن العامل الثقافي هو الأكثر تأثيرا في زيادة النزعة القبلية وعددهم 54 ونسبتهم 08.13%.

الفئة الثالثة: فئة المبحوثين الذي يعتقدون أن العامل السياسي هو الأكثر تأثيرا في زيادة النزعة القبلية وعددهم 72 ونسبتهم 10.84%.

الفئة الرابعة : فئة المبحوثين الذي يعتقدون أن العامل ايكولوجي هو الأكثر تأثيرا في زيادة النزعة القبلية وعددهم19 ونسبتهم 02.86%.

الفئة الخامسة : فئة المبحوثين الذي يعتقدون أن العوامل أخرى هي الأكثر تأثيرا في زيادة النزعة القبلية وعددهم 19 ونسبتهم 02.86%.

نستنتج من خلال المعطيات الإحصائية الوارد في الجداول أعلاه والذي يوضح اعتقادهم المبحوثين حول العوامل الأكثر تثير في زيادة السرعة القبلية، إن العوامل الإجتماعية احتلت المرتبة الأولى تليها العوامل الايكولوجية ثم تليها الثقافي والسياسي حيث أن النزعة القبيلة تقوم بتغذيتها عدة العوامل ودوافع وأسباب، حيث أن العوامل الإجتماعي مثل التجمع التعاون والتضامن والتكافل والتكاتف والعادات والتقاليد والقيم والأعراف هي العوامل التي تزيد من النزعة القبلية لدى الأفراد .

[1] - تم تضخيم العينة لأن المبحوثين قاموا بالإجابة على كم من بديل في هذا السؤال

سابعا: تحليل وتفسير بيانات الفرضية الخامسة

يشكل عامل الولاء القبلي دور مهم في تعزيز الضبط الإجتماعي للأفراد داخل المجتمع الحضري الأغواطي.

– جدول رقم 52: يوضح الحالات التي تستدعي اشتراك كبار القبيلة في إطار المعاملات التجارية

حالات المعاملات	التكرار	النسبة
البيع	05	1.83
الشراء	21	7.69
البيع والشراء	247	90.48
المجموع	273	100

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ انه يضم ثلاث فئات :

– الفئة الأولى : الذين صرحوا بضرورة اشتراك كبار القبيلة خلال المعاملات التجارية المتعلقة بالبيع وعددهم 05 ونسبتهم 1.83%.

–الفئة الثانية: الذين صرحوا بضرورة اشتراك كبار القبيلة خلال المعاملات التجارية المتعلقة بالشراء وعددهم21 ونسبتهم7.69%.

– الفئة الثالثة: الذين صرحوا بضرورة اشتراك كبار القبيلة خلال المعاملات التجارية المتعلقة بالبيع والشراء معا وعددهم247 ونسبتهم 90.48 %.

بالرجوع إلى فئات الإحصائية السابقة الذكر يتأتي واضحا أن اغلب المبحوثين المقدرين ب 247 وبنسبة 90.48 % يرون ضرورة حضور كبار وأحيانا القبيلة أثناء عمليات البيع والشراء التي تتم بين أفراد المجتمع الحضري في مدينة الأغواط .

مما لاشك فيه أن المعاملات التجارية بين الأفراد واحدة من أهم عناصر العمران البشري امتدت منذ القدم أي قبل اختراع العملاء إلى غاية عصرنا الحالي والمجتمعات المدينة والحضرية أي أصبحت كل المعاملات التجاري بين أفراد المجتمع الواحد تكاد لا تخرج عن ثنائية البيع والشراء هاته الثنائية التي تختلف باختلاف ثقافة المجتمعات وتواضعهم الجمعي بيدا أن الشائع أن ثنائية البيع والشراء غالبا ما تتم بواسطة العملة أو النقود .نظرا لما تكتسبه المعاملات التجارية من أهمية على كافة الأصعدة الإجتماعية والاقتصادية الثقافية وكذا السياسية فكان لابد من تأطير وضبطها بمجموعة الضوابط القانونية بخلاف تحديد الأسعار والرضا بين أطراف العملية

والمكاتبة أن اقتضت الضرورة يبدأ أن النظام القبلي وثقافته شان آخر في هذا الصدد حيث يضمن هامش من التأطير والمسايرة للعمليات التجارية بين أفراد بغض حماية الحقوق وتجنب عدة مشاكل سواء في البيع على غرار الربا والمساواة الغير الشرعية ومشاكل على الصعيد الإجتماعي والتي تعرف اغلب لاحيانا إلى الصراع اللفظي والجسدي وما يختلف خللا داخل شبكة القبيلة وبين أفرادها .

– إن توجه أغلب أفراد المجتمع الحضري في مدينه الأغواط إلى ضرورة اشتراك كبار القبيلة وأحيانا في المعاملات التجارية ما هو التشبع بثقافة واحدة منبثقة عن امتلاءات وتوجهات القبيلة ككل فلا يحق لأي كان من أفرادها التصرف بفردانية وبعيدا عن إطراء القبيلة إذا أراد أن يضمن حقوقه وان تحدد ما عليه وماله ويتفادى بذلك الصراعات بمختلف أشكالها. بيد أن اللجوء إلى البيع والشراء بعيدا عن هاته الأطر لا ينفي أن هذا الفرد معارض لثقافة القبيلة أو ناقم عن أوانه لا يجوز ولاء لجماعته الأم غير أنه قد تصرف في إطار معاملات بعيدا عن كبار القبيلة التي تنتمي إليها لكي يختفي عن الحاقدين والناقمين عليه من أهله أو جيرانه أو أقاربه ما يتعامل به من سيولة مادية أو ما اشتراه من أمور عينية وغيرها .

– الجدول رقم 53: يوضح اشتراك كبار القبيلة في منح ديون لأحد أفراد المجتمع .

اشتراك كبار القبيلة في منح ديون لفرد ما	تكرار	نسبة
نعم	250	91.58
لا	23	8.42
أحيانا	00	00
المجموع	273	100

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن هناك ثلاث فئات:

– الفئة الأولى : الذين صرحوا بضرورة اشتراك كبار القبيلة أثناء منح ديون أحد أفراد المجتمع الحضري لمدينة الأغواط والبالغ عددهم 250 بنسبة 91.58%.

– الفئة الثانية : الذين يرون عدم وجوب اشتراك كبار القبيلة أثناء منح ديون أحد أفراد المجتمع الحضري لمدينة الأغواط والبالغ عددهم 23 بنسبة 8.42%.

يأتي من هاته المعطيات إحصائية أن أغلب المبحوثين والمقدر عددهم 250 من أصل 273 يجمعون على وجوب اشتراك كبار وعقلاء القبيلة أثناء منح احدهم دينا لشخص آخر في المجتمع الأغواطي .

لعل من إفرازات المجتمع الصناعي والتعاملات النقدية التي مارسها اغلب المجتمعات وخاصية غمارها ونشوء العملاء كوسيلة للتبادل التجاري والبيع بين أفراد المجتمع الواحد فإن هاته السيولة المادية اليوم أصبحت بمثابة أحد أوجه المجتمع الحضاري الذي تجاوز فكرة المقايضة في المجتمع البدائية فصارت اليوم النقود بمثابة القوة الثالثة للنفوذ أو ما يعتبر عليها "**الفن توفلر**" بالثروة كعنصر أخير للثالوث بعد معرفة والعنف وهاته الثروة بقدر ما تتيح لصاحبها هامش من النفوذ والقوة فإنها تكسبه مكانة إجتماعية في المجتمع الحضري كما تتيح له صيتا عالي التوتر بين كباره وأحيانا القبيلة .

مما لاشك فيه أن هاته الثروة أو المال من الناحية المادية والوظيفية تعتبر سيولة للمعاملات والمبادلات التجارية وفي الوقت ذاته تشكل جانب اجتماعي آخر يصيب لفائدة أفراد القبيلة من خلال ما يدعى بالقرض أو الدين الذي يشكل وجه من أوجه التضامن الإجتماعي بين أفراد القبيلة من ساكنة المجتمع الحضري وهاته القروض في الغالب لا تخرج عن إطار أفراد القبيلة الواحدة عن أهل والأقارب والجيران .

أحيانا من أن هاته القروض محفوظة مادامت في إطار أفراد القبيلة الواحدة وفي نفس وقت فإنها تحافظ على تماسك أفراد المجتمع الواحد ولعل هاته الأخيرة أهم ما ميزت المجتمع الحضري بمدينة الأغواط اليوم أين مازالت التعامل بالدين أو القرض بين أفراد القبيلة الواحدة، بيد أن هاته الأخيرة لا تتم إعتباطيا بل تتوجب في الغالب حضور أحد كبار القبيلة أو بحضور بعض الأعيان بين الدائن والمدني وهذا الأخير في حقيقة الحال ما هو إلا تجسيدا لمنظومة القرض في الإسلام التي تتطلب حضور شاهد أو كاتب وكتابة الدين لتجديد المبلغ والمهلة بين الدائن والمدين حفاظا على حقوق الأفراد .

على غرار ذلك قد نجد بعض الأفراد يلجؤون إلى المعاملات القرضية بعيدا عن اشتراك كبار القبيلة أو أي شخص آخر خصوصا إذا ما كانت هاته القروض بين شخصين من عائلة واحدة أو تربطهما صلة قرابة في الدم أو الجوار فيكتفي كل من الدائن والمدين بالتعامل على حدى مع اشتراك عنصر الثقة والوفاء بالعهد.

– جدول رقم 54: يوضح تسديد الديون لأصحابها في الآجال .

تسديد الديون في الآجال	تكرار	نسبة
نعم	**160**	**58.61**
لا	**35**	**12.82**
أحيانا	**78**	**28.57**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أنه يضم 3 فئات إحصائية وهي :

– الفئة الأولى: الذين يسددون ما عليهم من ديون في الآجال المحددة وعددهم 160بنسبة قدرها 58.61%.

– الفئة الثانية: الذين صرحوا أنهم لا يسددون ما عليهم من ديون في الآجال المحددة وعددهم 35 بنسبة قدرها 12.82%.

– الفئة الثالثة: الذين يسددون ما عليهم من ديون بيد أنهم يلتزمون بذلك أحيانا في الآجال المحددة وأحيانا لا بتكرار 78 وبنسبة قدرها 28.57%.

نلاحظ من النتائج الرقمية أعلاه أن أغلب المبحوثين يقرون بتسديد ما عليهم من ديون في الآجال المحددة وعدم المماطلة في سدادها حيث بلغ عددهم 160 فرد من أفراد المجتمع المبحوث المقدر ب 273.

لا يخفي على الكثير منا أن مسالة الديون باتت من المسائل المعاصرة الشائكة التي تؤرق الأفراد والمجتمعات والدول على حد سواء لاسيما إذا كانت ضخمة والآجال قصيرة وخبراء الاقتصاد في هذا المجال يرون أن مسألة الديون من بين المسائل التي ترهق كاهل العديد من الدول والمجتمعات خصوصا إذا لم تسدد في آجالها وتراكمت لسنوات فيمارس من يملك الثروة كامل قوته واستحواذه على من يفتقر للثروة يلجا للإستدان. ولعل الحديث عن المجتمع الحضري وشروط الإقلاع الحضاري تتطلب الاكتفاء الذاتي وعدم اللجوء إلى المديونية الخارجية تفاديا لأي تحكم خارجي أو تدخل في الشؤون الداخلية، بيد أنه من المرجح والمسلم به أن التعامل في إطار القرض أو الدين لا يمكن تجاوزه بأي حال من الأحوال بين أفراد المجتمع الواحد أو القبيلة الواحدة كون السيولة المادية تطالب استفادة أفراد المجتمع الواحد منها في إطار التضامن القبلي وشكل من أشكال الانتماء

والولاء القبلي الذي يحتم على أفرادها التعاون والتكاتف حفاظا علي بنية القبيلة وتماسكها. وبالعودة إلى النص القرابي في موضوع الدين أو القرض وتحديد المدة أو أجل ما هو إلا شكل من أشكال تنظيم حياة الأفراد وتفادي الوقوع في اللبس والمغالطة وعدم تسديد الديون التي تحمل بُعد عقائدي وديني بالغ الأثر لا يجب المساس به لعاقبة ذلك دنيويا وأخرويا أن صح التعبير (الدنيا والآخرة).

ومن هنا هذا المنطلق كان سعى أفراد المجتمع الحضري في مدينة الأغواط إلى ضرورة تسديد الديون في آجالها دونما مماطلة أو مغالطة سعيا منهم للحفاظ على مكانة الفرد في مجتمعهم من ناحية وحفاظا على النسق العام للقبيلة الذي يملى على كل الفاعلين ضمنهم ضرورة التقيد بالمسؤوليات والواجبات واحترام المواعيد والعهود ،غير أننا لا ننفي أنه وفي كثير في الأحيان لا يلتزم بعض الأفراد بتسديد ما عليهم من ديون في الآجال المحددة ليس خروجا عن ضوابط الجماعة ومبادئ القبيلة واملاءاتها لكن لعدم إستطاعة ذلك الفرد تسديد ما عليه من ديون في تلك المدة فيطلب تمديدا للآجال ويتقدم باعتذار لصاحب الدين يشرح فيه سبب عدم تسديد ما عليه من دين وتنظر القبيلة من خلال كبارها وأعيانها في مثل هاته القضايا كوسيط لضمان أي صراعات داخلية قد تسبب في إحداثها مسالة الديون لاسيما وأن المال في الكثير من الأحيان يكون سببا مباشرا للقطيعة والعداوة سواء في إطار قروض أو غيرها مما يفرز حالة من عدم الامتثال لضوابط الجماعة .

– جدول رقم 55: يوضح الأمور التي تلزم صاحبها التقيد بشروط ومواعيد المعاملات في إطار القبيلة

سبب الالتزام بشروط ومواعيدها المعاملات	تكرار	نسبة
مقاطعة الآخرين لك	85	31.14
عدم الاستفادة من قروض مستقبلا	50	18.32
التشهير بك أمام الكبار وأعيان القبيلة	138	50.55
المجموع	273	100

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أنه يضم 3 فئات إحصائية :

– الفئة الأولى : يرون أن التزامهم بشروط ومواعيد المعاملات في إطار القبيلة نتاج خوفهم من مقاطعة الآخرين لهم من أفراد المجتمع الحضري والبالغ عددهم 85 بنسبة قدرها 31.14%.

– الفئة الثانية : يرون أن مدد هذا التزامهما تجاه المعاملات الخوف من عدم استفادة من قروض مستقبلية إذا اقتضت الضرورة لذلك عددهم 50 بنسبة قدرها 18.32 %

– الفئة الثالثة : يرون أن السبب التزامهم بشروط مواعيدها المعاملات في إطار القبيلة من أفراد المجتمع الحضري والبالغ عددهم 138بنسبة قدرها 50.55%.

مما لا شك فيه أن فكر الخضوع والالتزام بقيم ومبادئ الجماعة ولتكن القبيلة أو المجتمع الحضري بشكلها العصري كانت ولا زالت محور البحث الإجتماعي لدى الباحثين والمنظرين على امتداد أطروحاتهم وفرضياتهم وإسهاماتهم في خضم السوسيولوجيا وان كانت هاته الفكرة قد طرحت من عدة زوايا ومنافذ على غرار مسميات التضامن والعصبية والنسقية والصراع كشكل من أشكال التضاد إلا أن وفي وقت ذاته ونقصد بالنظرية السوسيولوجية لازالت تولي أهمية بالغة لعنصر الضمير الجمعي كونه المحرك الأساسي للأفراد والحاضنة الأساسية لثقافة القبيلة بشكل آلي وعليه فان التزام كل فرد بما تمليه ثقافة القبيلة وان كان في إطار حضري في خضم العمران بالشكل يستبعد أي شكل من أشكال التصدي الداخلي أو الصراع الضمني داخل المجتمع الواحد .

ومن النتائج المتحصل عليها يتضح جليا أن هناك التزام شبه واضح بأفراد المجتمع الحضري لمدينة الأغواط بثقافة القبيلة في إطار شبكة المعاملات المادية أو العينية التي تحدد سلفا بعدة شروط ما بين طرفي المعاملات ولعل

لهذا الالتزام عدة قناعات فردية قد تكون نابعة من الولاء والالتزام القبلي في أغلب الأحيان إلا انه وفي الوقت ذاته مقيد بعدة أمور قد تجعل الفرد الغير ملتزم فيها محل قطيعة ونفور من أفراد قبيلته ومجتمعة الحضري ولعل أقصاها التشهير به أمام الملا من كبار وأعيان القبيلة وأفراد المجتمع المدني على أنه خالف أحد مبادئ ومسلمات ثقافة القبيلة التي تلزم الجميع بالتقيد بها خلال العاملات، كما أن الخوف من عدم الاستفادة من ديون مستقبلية إذا اقتضت الحاجة في قادم الأيام والسنوات يدفع صاحبها إلى ضرورة الالتزام بشروط ومواعيد المعاملات في إطار المجتمع الحضري بما تمليه ثقافة القبيلة .

- الجدول رقم 56: يوضح الالتزام بتأدية عبادة الصلاة في إطار الجماعة .

الصلاة جماعةً	تكرار	نسبة
نعم	**206**	**75.46**
لا	**00**	**00**
أحيانا	**67**	**24.54**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أنه يضم فئتين إحصائيتن:

- الفئة الأولى : تعتبر عن ضرورة تأدية عبادة الصلاة في إطار الجماعة و المعبر عنها 206 ونسبة قدرها 75.46 %.

- الفئة الثانية : تضم الإجابات بأحيان مقابل الالتزام بتأدية عبادة الصلاة في إطار الجماعة والمعبر عنها 76 ونسبة قدراها 24.54%.

مما لاشك فيه أن الحديث عن عبادة الصلاة هو حديث عن أحد أهم أركان الإسلام ووجه بارز من أوجه العقيدة الإسلامية وتتجلى هاته العبادة لدى المسلمين واضحة جلية لاسيما وأنها تأخذ أبعادا تتصل بالبعد الروحي من الجهة والبعد الإجتماعي من جهة أخرى فبخلاف أنها – الصلاة – تعتبر الصلة بين العبد وخالقه ومظهر من مظاهر عبادة الله عز وجل وطاعته والتقرب إليه في بعدها الروحي فأنها في الوقت تمثل العصب المحوري في هيكل الجماعة وان فضل صلاة الجماعة عن صلاة الفرد الواحدة سبعا وعشرين ضعفا ما يعكس البعد الآخر للصلاة التي تحتفظ بموجب تماسك الجماعة وتضامن وتقوية عضد الفرد بجماعته. على غرار ذلك فان الشاهد في الحقبات التاريخية العربية والإسلامية منذ نزول الرسالة المحمدية للتجمعات البشرية على اختلاف أشكالها أن تزامنت وتشييد المساجد كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الإجتماعية بخلاف أنها مكان

للعبادة والتقرب الله عز وجل ومن هنا يرى أغلب علماء الإجتماع أن المساجد كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الإجتماعية لازالت تؤدي أدوارها كما كانت من قبل سواء تعلق الأمر بالمجتمع المدني (الحضري) أو مجتمعات قبل التمدن حيث شكل المسجد دورا محوريا في تقريب المجتمع الواحد لتأدية عباد الصلاة من جهة وعرض أهم ما ينوط بالحياة الإجتماعية للأفراد أو القبيلة وكذا لتجاوز الخلافات وحل النزاعات والتضامن بين الأفراد ....

وبالعودة إلى أبعاد الثقافة و ثقافة القبيلة يتأتي البعد الديني والإجتماعي مناصفة مع باقي الأبعاد الأخرى التي تترجم بشكل عبادات وممارسات دينية على غرار الصلاة وبالأخص الصلاة في إطار الجماعة أي في المسجد إذ أن القبيلة تستمد قوتها وتماسكها في الإطار الديني الذي يعد المرجعية الثقافية الأسمى لضبط سلوكات وممارسات الأفراد والجماعات. وكما هو معلوم فان المجتمع الحضري بمدينة الأغواط من بين المجتمعات الحضرية المحافظة في ما يخص الوازع الديني والالتزام لثقافة القبيلة بخلفية إسلامية متأصلة تكاد لا تميز ولا تفصل بين ما هو ديني وما هو اجتماعي كون الأول يصب لفائدة الثاني والثاني يعكس مد التشبع بالأول لهذا نجد أن أكثر المبحوثين إن لم نقل أغلبهم من أفراد القبيلة يحبذون الالتزام بعبادة الصلاة في إطار الجماعة لما من بالغ الأثر في تعزيز الولاء القبلي من جهة والحرص على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف من جهة أخرى.

- الجدول رقم 57: يوضح المحافظة على حلقات العلم وتدارس القران الكريم .

المحافظة على حلقات العلم	تكرار	نسبة
نعم	**136**	**49.82**
لا	**41**	**15.02**
أحيانا	**96**	**35.16**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أنه يضم فئتين إحصائيتين :

الفئة الأولى: ممن يحافظون على حلقات العلم وتدريس القرآن الكريم بتكرار 136 ونسبتهم قدرها 49.82%.

الفئة الثانية : يرون عدم المحافظة حلقات العلم وتدريس القرآن الكريم مبكرا 41 ونسبتهم قدرها 15.02%.

الفئة الثالثة : تعبر عن أحيانا مقابل المحافظة على حلقات العلم وتدريس القران الكريم بتكرار 96 ونسبتهم قدرها 35.16%.

لا يختلف عاقلان على أن الإسلام دين العلم فأول آية نزلت من القران الكريم تحث على القراءة والتدبر في خلق الله مصداقا لقوله تبارك وتعالى "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (سورة العلق 1-5)وتنويها بمقام العلم والعلماء استشهد الله العلماء على وحدانيته فقال سبحانه " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " (سورة عمران 18)ولأن الأمم والمجتمعات تقاس بما تملكه من علماء فان مكانة العلم في المجتمع مكانة رفيعة وقيمة بارزة لدى القاصي والداني وأن العلوم والنظريات قبل أن تعرض ويغوص فيها الباحثين من أهل الاختصاص فأنها تعرف بأصحابها وتسمى بمسمياتهم فلو تناولنا موضوع العمران والعصبية لأشرنا لعبد الرحمن بن خلدون ولو تطرقنا لموضوع الحضارة و الإقلاع الحضاري لنسبناها لمالك بن نبي ولو أردنا الخوض في الانتحار لقلنا إميل دوركايم .... وغيرهم من العلماء الذين قدموا إضافتهم بأحرف من ذهب ولازالوا مخلدين في الذاكرة الجمعية فما بالك إذا تكلمنا عن كلام الله. وخير الرسالات وأفضل الكتب السماوية القران الكريم أكيد أن قدوسيته واحدة باختلاف المجتمعات والتجمعات البشرية فتدارس القران الكريم لا زال واحدا. في المجتمعات الحضرية على غرار المجتمعات قبل التمدن ولتكن مدينة الأغواط نموذجا عن هاته الحلقات العلمية وتلك الكتل الروحانية التي تتشرب من تعاليم ديننا الحنيف وتضفي كما تماسكا لنسق القبيلة كما تتيح لثقافتها المرور بسلاسة من جيل لآخر. لا ننفي أن أفراد القبيلة الواحدة اليوم في مدينة الأغواط مقتنعين بأهمية الحضور لحلقات العلم ومجالس تدارس القران الكريم القران الكريم لما لها من بعد ديني وآخر اجتماعي فعلى قدر تشبع وتشرب الفرد من تعاليم الدين الإسلامي فانه في الوقت ذاته ينهل من هاته الحلقات لبناء حياة مدنية التعايش فيها يتسم بالتضامن والتماسك واحترام ثقافة الجماعة والخنوع للضمير الجمعي. عدا بعض الأفراد الذي لا يرون خاجة في حضور هاته الحلقات من منطلق أن الزمن الإجتماعي المتاح لهم لا يسع لحضور تلك الجلسات العملية والقرآنية ومن ثم فإننا نقف صراحة على أن المجتمع الحضري بمدينة الأغواط بقدر تمدنه وتحضره ومسايرته لكل التغيرات المدنية والحضرية الحاصلة إلا أنه وفي الوقت ذاته لا زال متمسكا بكتاب الله عز وجل وحلقات العلم كثقافة قبلية تشرب من الجميع .

- جدول رقم 58: يوضح أسس التعامل مع الآخرين .

أسس التعامل مع الآخرين	تكرار	نسبة
أسس القرابة	140	51.28
أساس الجوار	11	4.03
أساس القبيلة	122	44.69
المجموع	273	100

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ انه يضم 3 فئات إحصائيةوهي:

الفئة الأولى : ترى أن التعامل بين أفراد المجتمع الحضري يتعلق بنزعة القرابة ما يقابل تكرار 140ونسبة مئوية قدرها 51.28%.

الفئة الثانية : ترى أن التعامل بين أفراد المجتمع الحضري يتعلق بنزعة الجوار أكثر من شيء آخر بنسبة التكرار 11ونسبة مئوية قدرها 4.03%.

الفئة الثالثة : ترى أن التعامل بين أفراد المجتمع الحضري يتعلق بنزعة القبيلة ما يقابل تكرار 122ونسبة مئوية قدرها 44.69%.

إن الحديث عن بنية المجتمع وما يرتبط بها وما سايرها خلال الحقبات التاريخية منذ البداوة إلى التحضر لايدع شكا في أن النظرية الخلدونية أقرب النظريات الإجتماعية من حيث قراءة المجتمعات الراهنة وما تعلق بها من مفاهيم على غرار القرابة والجوار والجهوية وغيرها في إطارها الحضري مقارنة بما تستمد منه القبيلة ثقافتها. ولعل الشاهد في بنية القبيلة أنها سايرة البعد السياسي أكثر في علاقتها بباقي القبائل وهو ما حادت عليه في مراحل تاريخية لاحقة أين اكتفت بعناصرها الأساسية على غرار القرابة والجوار والمصلحة لضبط طبيعة العلاقات بين أفرادها حفاظا على التضامن الداخلي وضمانا للحد الأدنى من الولاء القبلي لدى لأفراد .

إن المتأمل لواقع المجتمعات الحضرية اليوم يجد أن هناك عدة مسلمات في إطار الثقافات الفرعية تملي على الأفراد أي الأشخاص أو الأفراد أولى وأحق بالتعامل في إطار العلاقات الإجتماعية فالكثير يكتفي بأقاربة فقط من منطلق فكرة شبكة القرابة أين لايدع مجالا للتواصل مع أي غريب عن الأسرة الصغيرة أو العائلة الكبيرة ففي حالات قليلة جدا نجد أن للجوار نصيب من هاته العلاقات التي باتت اليوم أقل إن لم نقل نادرة أي أن أصبح الصراع أو النزاع السمات التي تميز الجوار في المجتمعات الحضرية اليوم عدا ذلك فان النزعة القبلية بين أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط نصيب واضح من شبكة العلاقات الإجتماعية والتعامل بين الأفراد من

مسلمة أن أفراد القبيلة في الغالب تربطهم رابطة القرابة أو الدم ما يجعل التواصل بينهم والتعامل العضوي تحصيلا حاصلا كما انه وجد آخر لما لم يتمتع به المجتمع الحضري في ولاء قبلي والتزام بثقافة القبيلة .

مما لاشك فيه أن للروابط السابقة الذكر على غرار القرابة والجوار والقبيلة بعدا اجتماعيا واحدا يصب في خانة تقوية شبكة العلاقات الإجتماعية ويخطط للقبيلة موروثها الثقافي في ظل ما يميز المجتمع الحضري اليوم هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن كل من القرابة والجوار وجهان لعملة واحدة مادام أفراد القبيلة الواحدة يفضلون الإقامة بجنب بعضهم البعض ما يعكس حالة من القرابة الجوارية من إطار القبيلة وهذا كله بغية تفعيل الضبط الإجتماعي كموجه ومقوم لسلوكات وممارسات الأفراد داخل المجتمع الحضري .

– الجدول رقم 59: يوضح سبب التحلي بأخلاق حميدة في المجتمع الحضري ومع أفراد القبيلة .

سبب التحلي بأخلاق حميدة	تكرار	نسبة
التنشئة الأسرية	**153**	**56.04**
الثقافية القبلية	**120**	**43.96**
إدراك الخاصية	**00**	**00**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أنها تضم 3 فئات إحصائية وهي:

– الفئة الأولى : ترى أن سبب التحلي بالأخلاق الحميدة في المجتمع الحضري ومع أفراد القبيلة هو نتاج التنشئة الأسرية بتكرار 153 ونسبة قدراها 56.04%.

– الفئة الثانية : ترى أن السبب التحلي بالأخلاق الحميدة في المجتمع الحضري ومع أفراد القبيلة راجع إلى الثقافة القبيلة بتكرار120ونسبةقدراها43.96%.

إن الحديث عن أي تجمع بشري في المجتمعات الحضرية المعاصرة هو في حقيقة الحال لن يخرج عن إطار الأسرة كون الأسرة النواة الأساسية لأي مجتمع بل أن جزيئات أي المجتمع هي مجموعة اسر تشترك وتتداخل في عدة عناصر ثقافية وتربوية وإجتماعية ودينية تميل في مجملها ثقافية مجتمع أو ثقافة قبلية أو ثقافة عشيرة. ومهما يكن فإن أهمية الأسرة تتأتى لكونها أحد أهم مؤسسات التنشئة الإجتماعية والخاصية الأولى لمراحل حياة الفرد بيولوجيا واجتماعيا وأن الدور الأبوين في ذلك بالغ الأثر لما لهما من فضل كبير في تمرير الموروث الثقافي أباً عن جد بما يخدم ثقافة الجماعة دونها خدش أو تحريف ولعل النظريات الإجتماعية كانت ولازالت تنتظر الأسرة كأحد أهم الموضوعات البارزة في خضم الحديث عن القبيلة أو المجتمعات الحضرية وغيرها وكل عالم اجتماع إلا

وأثار موضوع الأسرة من زاويتة الخاصة، لكن الشاهد في تلك النظريات أنها تستلم بأهمية " دور الأسرة كمؤسسة إجتماعية تعتني بالتنشئة والتربية ونقل الموروث الثقافي والمحافظة عليه .

ومن زاوية أخرى فإن الهدف الأسمي للتربية هو البلوغ بهذا الفرد الجديد إلى أعلى مستويات الفاعلية المجتمعة والولاء الجماعة الأم في إطار منظومة من القيم والعادات والتقاليد تترجم كلية بشكل أخلاق تعكس مدى تمكن الأسرة ومن ثم المجتمع إلى إفراز مواطنين صالحين مؤهلين يتمتعون بالولاء من جهة واحترام ثقافة الجماعة من جهة أخرى على غرار ذلك فإن الأسرة هي الأخرى قد طرأت عليها تحولات عدة مست بعض جوانبها أبرزها هاته التغيرات هو تحولها من الأسرة الممتدة التي ميزت المجتمع الجزائري على غرار المجتمع الحضري بمدينة الأغواط لسنوات غابرة لتصبح اليوم أكثر إنقساما أو ما يطلق عليه بالأسرة النواة وعلى كل فإن هاته التغيرات لم تفرغ الأسرة من جوهرها والمتمثل في التنشئة الإجتماعية ومسايرة ثقافة القبيلة من جهة أخرى .

وعلية فإن التنشئة الأسرية والثقافة القبلية وجهان لعملة واحدة تسعى إلى خلق وغرس الأخلاق الفاضلة في المواطن بمدينة الأغواط على النحو الذي يعزز عنصر الضبط الإجتماعي ويفرز حالة من الولاء القبلي اتجاه كل الأفراد في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط ومن ثم فإن الأسرة بشكلها الحالي من الناحية الوظيفية ما هي إلا وحه آخر للقبيلة في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط .

– الجدول رقم 60 : يوضح التنشئة للأبناء والإخوة على الأخلاق الجماعية وإملاءات القبيلة .

التنشئة على الأخلاق الجماعية	تكرار	نسبة
نعم	**273**	**100**
لا	**00**	**00**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول 59 أعلاه نلاحظ أنه يضم فئة إحصائية واحدة ممثلة بتكرار 273 ونسبة المئوية 100تيقن فيها الجميع على ضرورة تنشئة الأبناء والإخوة على الأخلاق الجماعية وإملاءات القبيلة .

يعتبر المفهوم من بين أهم الركائز النظرية عامة والسوسيولوجيا خاصة فلو نظرنا لكل مفهوم من بين المفاهيم سوسيوثقافية على سبيل المثال لا على سبيل الحصر نجد أن هاته المفاهيم متعددة ومتداخلة وفي ذات الوقت فإنها تضيق وتتوسع حسب وجهات نظر المنظرين وفرص توظيفها في البحوث الإجتماعية ولعل مفهوم الأخلاق أحد أهم المفاهيم ذات الأبعاد المتداخلة التي كانت ولازالت مادة دسمة لدى الباحثين وعلماء الإجتماع لا سيما وأنها مرنة تضيق تارة لتصب في خانة بعض الضوابط السلوكية التي يلتزم بها أفراد المجتمع

الواحد وقد تتسع لتشير إلى كل ضوابط السلوك التي تلتزم بها الأفراد وعلى كل فالأخلاق هي الوجه الواضح لفاعلية التنشئة الأسرية والمجتمعية عامة. كانت ولا زالت الحضارية المتعاقبة والنظريات المتتالية تبحث في موضوع الأخلاق وتشكل حقلا من حقول المعرفة لاسيما وأنها لا ترفض التداخل وتشكل بعدا يدل عن درجة الوعي والولاء لدى الأفراد ولما يحملونه من قيم ومعايير مشتركة وهو ما جعل الكثير من الباحثين والمنظرين يصفون الأخلاق المجتمعية ب " الشفرة القهرية " كونه واحدة بين أفراد المجتمع الواحد أو القبيلة لا يحيد عنها أي فرد مادام عضوا في هاته الجماعة ؟ ولعل أهم ما إستوقفنا في هاته الدراسة هو أن كل المبحوثين من أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط يتفقون على ضرورة أن تكون التنشئة الأسرية موجهة بالأخلاق الجماعية وتصب لصالحها حفاظا على عنصر الولاء القبلي ومن جهة أخرى فإن هاته الأخلاق الجماعية بمفهومها الواسع تؤسس إلى تعزيز الضبط الإجتماعي بين الأفراد ضمانا لتمساك الجماعة وحفاظا على الثقافة القبلية .

– جدول رقم 61: يوضح سبب الإمتثال لإملاءات كبار القبيلة وجماعة الحي .

سبب الإمتثال للجماعة	تكرار	نسبة
قناعة شخصية منبعثة عن الولاء القبلي	**153**	**56.04**
شعور بضرورة تفعيل التضامن القبلي	**107**	**39.20**
خوفا من العقوبات التي قد تتعرض لها	**13**	**04.75**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول 60 أعلاه نلاحظ أنها تضم 03 فئة إحصائية التالية :

– الفئة الأولى : يرون أن سبب الإمتثال لإملاءات كبار القبيلة وجماعة الحي هو نتاج قناعة شخصية منبعثة عن الولاء القبلي بتكرار 153 ونسبة قدرها 56.05%.

– الفئة الثانية : يرون أن سبب الإمتثال لإملاءات كبار القبيلة وجماعة الحي هو نتاج شعور بضرورة تفعيل التضامن القبلي بتكرار107 ونسبة قدرها 39.20%.

– الفئة الثالثة : ترجع سبب الإمتثال الإملاءات كبار القبيلة وجماعة الحي هو الخوف من العقبات القبلي في المجتمع الحضري بتكرار13 ونسبة قدرها 04.76%.

مما لا شك فيه أن كل من العقاب والولاء يشكلان أحد ركائز الضبط الإجتماعي وإن كان الأول إضطراريا والثاني إختياريا إلا أنهما يحددان منظومة قيمية و معيارية تلتزم بالقيم والمعايير تارة في إطار الولاء الجمعي وتتجنب خدش القيم والمعايير لعدم استثارة العقاب الذي يأخذ في الغالب بعدا رمزيا معنويا حينما تمارس

الجماعة إرادة القطيعة والنبذ بالنسبة للفرد الذي لم يلتزم بقيمها ومعاييرها، فيجد نفسه قد استفاد من عزلة جبرية تحرمه من حقوقه في إطار جماعته أو قبيلته وحتى في إطار المجتمع الحضري أن يتعايش القريب والبعيد التعامل معه أو معاشرته ما دام قد أظهر حالة من الأنوميا التي تتعارض وقيم القبيلة. إن الحديث عن منظومة القيم والمعايير في إطار الثقافة القبلية هي ذاتها عندما نستعرض مفهوم الضمير الجمعي الذي يحدد كل الأطر الثقافية التي تحدد العلاقات الإجتماعية بين الأفراد، فكل فرد ضمن هذا النسق تمثيل الثقافة القبلية في إطار الضمير الجمعي، كما أن الأمر يتولد عنه قناعة شخصية في لحظات تاريخية لاحقة، فبمجرد أن يستشعر الفرد إنتماءه وولائه لهذا النسق القبلي فإنه إراديا سيمتثل لمجموع القيم والمعايير المحددة للثقافة القبلية بالشكل الذي يفرز من فردا صالحا متحضرا مساهما في تقوية شبكة العلاقات الإجتماعية من خلال التضامن مع الآخر في الإطار تمثلات الدور وهو ما لمسناه خلال الدراسة هاته أين لمسنا تفعيل التضامن والولاء القبليين في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط نتاج تنشئة سليمة ونتائج قناعات شخصية إرادية بعيدة تماما عن أي جبرية أو ضغط قبلي رمزي كان أو غيره ما يفسر لنا عدم التفكير بعنصر العقاب للامتثال إلى إملاءات كبار القبيلة وجماعة الحي ما يظهر صورة نمطية من اللحمة والتضامن بين أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط وثقافة قبيلة متجذرة عن قناعة وولاء لهذا الانتماء .

ثامنا : تحليل وتفسير بيانات الفرضية السادسة

يسمح الانتماء القبلي بتجاوز مختلف أشكال الصراع بين الأفراد في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط.

– جدول رقم 62 : يوضح تجنب إثارة الفوضى والخصام مع أفراد القبيلة .

تجنب إثارة الفوضى والخصام	الحفاظ على صلة القبيلة		تفادي العداوة		الراحة النفسية		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
نعم	132	48.35	98	35.90	43	15.75	273	100
لا	00	00	00	00	00	00	00	00
المجموع	132	48.35	98	35.90	43	15.75	273	100

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ الفئات الإحصائيات التالية :

– الفئة الأولى : الذين يتجنبون إثارة الفوضى والخصام والحفاظ على صلة القبيلة بتكرار 132 ونسبة مئوية قدرها 48.35%.

– الفئة الثانية : الذين يتجنبون إثارة الفوضى والخصام والحفاظ التفادي الزرع العداوة بين الأفراد القبيلة بتكرار 98 ونسبة مئوية قدرها 35.90%.

– الفئة الثالثة : الذين يتجنبون إثارة الفوضى والخصام بغية الراحة النفسية بتكرار43 ونسبة مئوية قدرها 15.75%.

يشكل مفهوم التماسك الإجتماعي أحد أبرز المفاهيم السوسيوثقافية ذات الأهمية البالغة لاسيما وأنه يهتم بالارتباط الوثيق بين أفراد الجماعة الواحدة ولتكن تلك المنتمية للقبيلة في أهدافهم وتطلعاتهم ونظرتهم المشتركة للحياة الإجتماعية، فهو (التماسك) وسيلة لتعزيز الحس المشترك بالمسؤولية الإجتماعية لدي جميع الأفراد مع تعظيم الشعور بالانتماء للجماعة أو القبيلة بالرغم من أماكن تواجدها بين الريف أو المدينة فالحياة المدنية أو المجتمع الحضري يقتضي مستوى عالي من التعاون والتكاتف لتحقيق متطلباته واحتياجاته الآنية والمستقبلية فتكون بذلك الجماعة أكثر تماسكا وتبتعد كلية عن كل ما ينوط بالصراع من إثارة للفوضى وخصام وعداوة فالتماسك بين الأفراد يستجيب هاهنا إلى إذعان الجماعة ولتكن القبيلة أي أنه كلما زاد الولاء القبلي والضبط الإجتماعي إرتفع مستوى الانتماء ومن ثم قلة حدة الصراع الداخلي بين الأفراد .

إن أهم ما ميز أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط على إختلاف أجناسهم وأعمالهم ومستوياتهم التعليمية ووظائفهم فإنهم يؤمنون إيمانا جازما بضرورة تجنب إثارة الفوضى والخصام من منطلق أن الأخير لا يخدم مصالح الجماعة ويمس بالصالح العام فالحفاظ على استقرار ورتابة نسق القبيلة أحد أهم الأسباب التي لا تدع مجالا للفوضى والخصام بين أفراد المجتمع المجتمع الحضري لمدينة الأغواط لا لشيء سوى لأنه يضعف شبكة العلاقات الإجتماعية من خلال تعزيز العداوة بين أفراد المجتمع الحضري كما أن الراحة النفسية لكل فرد في القبيلة لا تأتي في ظل الفوضى المجتمعية والخصام بل أن حاضنتها الوحيدة هي الاستقرار و الإذعان لثقافة القبيلة ومسايرة قيمتها معاييرها وضوابطها .

والمعروف أن التماسك بين أفراد الجماعة الواحدة يزداد ويقل حسب الجماعة فتزداد كلما كانت صغيرة ويقل كلما كانت كبيرة وهي ما وقفنا عليه حقيقة فأفراد الحي الواحد داخل المدينة ممن تربطهم روابط القبيلة والقرابة والجوار يتمتعون بمستوى عالي من التماسك ونبذ التعصب والعنف بينما يقل هذا التماسك نوعا ما كلما اتسعت دائرة البحث لتشمل عدد من الأحياء إذا نجد أن هذا التماسك الإجتماعي يقل مستواه حين المزاوجة بين جماعتين صغيرتين كل منها تمثل حي حضري .

على غرار ذلك فان كثافة وتكرار التفاعل بين أفراد القبيلة في المجتمع الحضري لمدينة الأغواط يعكس تماسك واضح داخل الجماعة ما يفسر حالة من الإنتماء القبلي الذي يرفض وينبذ كل أشكال الصراع سواء تتعلق الأمور بإثارة الفوضى أو الخصام أو العداوة ضف إلى ذلك فإن كبار و أعيان القبيلة محل البحث عن جاهزين للفصل في مثل هكذا قضايا قد تضعف في شبكة العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع الأغواطي .

– الجدول رقم 63: يوضح كيفية التصرف مع شخص من أفراد القبيلة بدرت منه إساءة

التعامل مع التصرفات السيئة	تكرار	نسبة
تهدئ الوضع وتتفادى الصراع	86	31.50
تثور في وجهه	00	00
تتحكم لأحد أعيان القبيلة	187	68.50
المجموع	273	100

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ انه يضم 02 فئة إحصائية التالية :

– الفئة الأولى: يرون أن تهدئة الوضع وتفادي الصراع أنسب كيفية للتصرف مع شخص من أفراد القبيلة بدرت منه إساءة بتكرار 86 ونسبة مئوية 31.50%.

– الفئة الثانية: يرون أن الإحتكام لأحد أعيان القبيلة أنسب كيفية للتصرف مع شخص من أفراد القبيلة بدرت منه إساءة بتكرار 187ونسبة مئوية 68.50%.

يكاد يكون الصراع بمختلف أشكاله السمة المميزة للتجمعات البشرية على اختلاف أشكالها منذ أن خلق الله عز وجل الدنيا و من بين الأمثلة على الصراع والقتل هي أول جرعة في البشرية (قتل قابيل لهابيل) ما هي إلا حصيلة صراع من أجل البقاء والاستحواذ كانت بين أخوين وإمتدت لاحقا لتأخذ أبعاد أكثر حدة لتشمل العشيرة القبيلة والأسرة والمجتمع والدولة... ومن هنا يكاد يغدو الصراع جزاء لا يتجزأ من كيان أي نسق كان ولعل القبيلة هي الأخرى تكاد لا تفرغ من الصراع في جوهرها لما للأرض والثروة من دلالتين ذواتا هيمنة ونفود بيد أن الشاهد في كينونة القبيلة وثقافتها التنظيمية تظهر مستوى عالي من التعامل والخلافات المتوغلة بين أفرادها حفاظا على النسق العام من جهة وعدم تشويه البناء العام للثقافة القبلية من جهة أخرى، لذا كان ولابد من تدخل الأعيان وكبير القبيلة لفض النزعات ذات مستوى الحدة العالي وغرس ثقافة السلم والتواصل الإيجابي في أفراد القبيلة ما يسمح بتهدئة الأوضاع في أفراد القبيلة ما يسمح بتهدئة الأوضاع حينما يتعكر مزاج أحدهم ويبادر بالإساءة للآخر هنا نقول أن الانتماء القبلي يضفي على الأفراد مستوى عالي من المسؤولية و الروح الجماعية لتفادي أي وجه من أوجه الصراع .

وبالرجوع إلى المادة الإمبريقية والقراءة الرقمية يتضح جليا تمتع أفراد المجتمع الحضري لمدينة الأغواط بالانتماء قبلي عالي يدفعهم إلى التعامل بايجابية في حل النزاعات الفردية التي قد تنشأ بينهم والاحتكام إلى كبار وأعيان القبيلة أو المجتمع للنظر في النزاعات الجماعية المتفرعة والممتدة وعلى كل فإن موضوع الصراع من بين المواضيع

الطابو والمرفوضة ثقافيا واجتماعيا من طرف أفراد المجتمع الواحد كونه لا يحمل أي طابع ايجابي بل يضر نسق القبيلة وشبكة العلاقات الإجتماعية بين الأفراد .

– الجدول رقم 64: يوضح التخاصم مع أحد أفراد القبيلة بسبب عدم تسديد ما عليه من دين

التخاصم مع احد أفراد القبيلة بسبب الديون	تكرار	نسبة
نعم	**07**	**2.56**
لا	**266**	**97.44**
المجموع	**273**	**100**

نستنتج من الجدول أعلاه ما يلي :

– الفئة الأولى : يرون أن التخاصم مع أحد أفراد القبيلة من ساكنة المجتمع الحضري بمدينة الأغواط راجع لعدم تسديد الديون في أجالها بتكرار 07 ونسبة مئوية قدرها 2.56%

– الفئة الثانية : يرون أن التخاصم مع احد أفراد القبيلة من ساكنه المجتمع الحضري بمدينة الأغواط ليس بسبب عدم الديون بل تعود لأمور أخرى بتكرار266 ونسبة مئوية قدرها 97.44%.

كانت ولازلت المجتمعات الإنسانية منذ الأزل وعلى اختلافات أشكالها النسقية والثقافية منوطة بشبكة العلاقات الإجتماعية التي تربط بين أفرادها وتعمل على تعزيز قيم الجماعة وتمرير الموروث الثقافي وكذا جسر مهم للتنشئة الأسرية وكذا المجتمعية لذا فإن الإهتمام بهاته الشبكة العلائقية وتعزيزها وتثمينها ذات الأهمية البالغة في السيرورة الثقافية للمجتمعات ولا سيما منها تلك التي ترتبط بالمدينة أين تتشابك وتتشعب فيها العلاقات بين أفرادها كما تتأصل بما يتعلق بثقافة تعود في الأصل إلى ما يجمعها من رابطة القبيلة وعليه فإن نبذ التعصب والتزمت والرجعية والعداوة والبغضاء حلقه وجب تفاديها لعدم إضعاف شبكة العلاقات الإجتماعية بين الأفراد وتمسك وحدتهم القبلية وما ينطو بها من ثقافة الجماعة. بيد أن الواضح في المجتمع الحضري لمدينة الأغواط أن النزعات التي قد تحدث بين أفراد القبيلة تكاد لا ترتبط بمسائل الديون وأوجه سدادها بالقدر الذي يجعلها ترتبط بنزاعات عينية كمشاكل الأرض أو التراب بالمصطلح الشائع بين العوام ومشاكل ونزاعات أخرى قد تأخذ طابعا معنويا كالملاسنات وسوء التفاهم ومشاكل الجيرة وخصامات الأبناء التي قد تشتد حدتها إضافة إلى الخلافات القرابية المتعلقة بالأهل .

على كل فإن حياة الحضر أو المدينة تكاد لا تخلوا من بعض أوجه الخصام الروتيني نظر لتعقد حياة المجتمع الحضري والكثافة السكانية ما يتيح مجالا من الصراع بين الأفراد تسعى القبيلة من خلال ثقافتها إلى تضييقه

والعمل على ضمان النسق العام وعدم المساس بشبكة العلاقات الإجتماعية كونه الحلقة الأهم لعنصر الانتماء القبلي مقابل نبذ أشكال الصراع بين أفراد المجتمع الحضري .

– الجدول رقم 65: يوضح كيفية التصرف اتجاه من لم يقم بتسديد الديون .

كيفية التصرف اتجاه المدين	تكرار	نسبة
تمدد له أجل التسديد	**97**	**35.53**
تشرك أحد أعيان القبيلة كوسيط	**153**	**56.04**
تلجأ للقضاء لإسترداد حقك	**23**	**08.43**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أنه يضم 03 فئات إحصائية :

– الفئة الأولى: يرون أن تمديد أجل التسديد أفضل تصرف إتجاه من لم يقم بسديد الديون بتكرار 97 ونسبة مئوية 35.53%

الفئة الثانية: يرون أن تمديد إشراك أحد أعيان القبيلة كوسيط أفضل تصرفا إتجاه من لم يقم بتسديد الديون بتكرار 153 ونسبة مئوية 56.04%.

الفئة الثالثة: يرون أن إشراك القضاء أفضل السبل لإستيراد والحقوق اتجاه من لم يقم بتسديد الديون بتكرار23 ونسبة مئوية 08.43%.

مما لا شك فيه أن المجتمعات المعاصرة اليوم أو الصناعية كما يطلق عليها البعض أصبحت هي النموذج الأعم و الأشمل في مختلف التجمعات البشرية نظرا لتوسع رقعة الصناعة والبحث أكثر في عامل الحرية وإدراج مفهوم العمل بمعناه الحديث إضافة إلى توسع إلى استحواذ مفهوم التمرن عن الجزء الأكبر للبعد الإجتماعي الثقافي لدى الأفراد بعيدا عن البداوة لبيان البعد القبلي التقليدي لا زال يبنى علي نمط السلوك الجمعي الثقافي الإجتماعي هذا النمط التقليدي يغذي كافة جوانب الحياة الحضرية والعلاقات الإجتماعية بين الأفراد المجتمع الحضري ،كما أن البحث في المسالة الثقافة القبيلة يعد بجد ذاته مرجعية تحكم سلوك الأفراد والجماعة وتذيب الفرد في طاقية الجماعة كما أنها تولي أهمية بالغة من حيث المدخل السوسيولوجي إلى عنصر التأطير والتمثل لكيان القبيلة كوسيط بين الأفراد وهنا فإن أي تعاملات عالقة أو يشوبها سوء فهم على غرار مسألة الديون فان اللجوء إلى أحد أعيان القبيلة للنظر في الديون التي لم تسدد في الآجال لتجاوز نزعات أو صراعات قد تأخذ شكلا موسعا يمتد إلى أبعد من النزاع الفردي. على غرار ذلك فإن أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط

على مستوى عالي من الوعي المستمد من ثقافة القبيلة ما يعكس حالة من الانتماء التي تلغي كل الاعتبارات التي من شأنها أن تبث الصراع بين الأفراد وعليه إتضحت جليا سبب اللجوء إلى تمديد آجال سداد الدين لدي الكثيرين كبدائل لأزمة الديون بين أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط، عدا ذلك فان اللجوء إلى القضاء لإسترداد الحقوق المتعلقة بمسألة الديون محل رفض شبة مطلق كونه غير نابع وغير منبثق عن ثقافة القبيلة بمدينة الأغواط.

– الجدول رقم 66: يوضح تمديد آجال الدين للمدين قصد تفادي الصراع داخل القبيلة .

تطلب تمديد آجال تسديد الدين	تكرار	نسبة
نعم	273	100
لا	00	00
المجموع	273	100

يتضح جليا من خلال الجدول أعلاه وجود فئة إحصائية وحيدة إذا يرى كل المبحوثين 273 ونسبة 100% إتجاه تمديد آجال الدين للمدين قصد تفادي الصراع داخل القبيلة .

مما لا شك فيه أن القبيلة ظاهرة إجتماعية وتاريخية وسياسية وثقافية عرفتها المجتمعات ما قبل الدولة أو المدينة وتعد تنظيما محكما بأعراف وتقاليد وتوازنات ومبنية على الانتماء والولاء القبلي قصد تعزيز مفهوم الوعي الذي يعتبر الوجه الآخر للبعد الثقافي إمبريقا بما يتماشى وثقافة القبيلة ويفرض سلطتها. ومما شك فيه أن الجماعة الصحراوية من بين أبرز المجتمعات القبلية التي تمكنت من أن تحافظ على نمطها التقليدي رغم التمدن والتحضر وهو ما لمسناه حقيقة لدى أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط فثقافة تفادي الصراع نلمسها واضحة ومشتركة بين أفراد القبيلة حفاظا على استقرار النسق العام ولو تعلق الأمر بالتعاملات المادية المنوطة بآجال والتي تترجم بشكل ديون تلزم المدين بدفع المبلغ المستدان في آجاله المتفق عليه لفائدة الدائن فيجمع كل المبحوثين هاهنا على ضرورة منح آجال جديدة كتمديد قصد تحصيل الديون في وقت لاحق لا لشيء سوى تفادي لأي صراع قد يتولد من داخل القبيلة ويتسبب لها في مشاكل نسقية ماكروسوسيولوجية أو ميكروسوسولوجية لتترجم لاحقا ثقافة فرعية مضادة من شأنها تسوية ثقافة القبيلة .

وعليه فإن عنصر الانتماء يظهر جليا لدى أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط ما يظهر حالة من الوعي الثقافي والإجتماعي الذي لا يسمح بأي شكل من أشكال الصراع .

– الجدول رقم 67: يوضح الحضور في جماعات الصلح لفك الصراع بين المتخاصمين داخل القبيلة مع المبادرة بعقدة جلسات صلح .

جماعات الصلح	حضور جماعات صلح		المبادرة بعقد جلسات صلح		الجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%
نعم	84	30.77	70	25.64	154	56.41
لا	41	15.02	21	7.69	62	22.71
أحيانا	37	13.55	20	7.33	57	20.88
المجموع	162	59.34	111	40.66	273	100

من خلال الجدول أعلاه نستنج الفئات إحصائية التالية :

– الفئة الأولى: يرون ضرورة عقد جلسات صلح وحضورها بغية فك الصراع بين متخاصمين داخل القبيلة بتكرار 84 و نسبة 30.77%.

– الفئة الثانية: يرون ضرورة المبادرة بعقد جلسات صلح وحضورها بغية فك الصراع بين متخاصمين داخل القبيلة بتكرار70 ونسبة 25.64 %.

– الفئة الثالثة : لا يهتمون بحضور الجماعات الصلح بيدا أنهم يرون ضرورتها عقد جلسات عقد جلسات صلح وحضورها بغية فك الصراع بين متخاصمين داخل القبيلة بتكرار41 ونسبة 15.02%.

– الفئة الرابعة: لا يهتمون بحضور الجماعات الصلح بيدا أنهم يسعون عقد جلسات عقد جلسات صلح وحضورها بغية فك الصراع بين متخاصمين داخل القبيلة بتكرار 21 ونسبة 7.69 %.

– الفئة الخامسة : بحضورهم غير دائم جلسات الصلح بيدا أنهم يرون ضرورتها لفك صراع بين متخاصمين داخل القبيلة بتكرار37 ونسبة 13.55%.

– الفئة السادسة : بحضورهم غير دائم جلسات الصلح بيدا أنهم يرون سيعون لعقد جلسات لصلح كطرف مبادر لفك صراع بين متخاصمين داخل القبيلة بتكرار 20 ونسبة 7.33%.

يقول الله عز وجل في محكم التنزيل « لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » سورة النساء 144.

إن من خير كلام الإنسان السعي لإصلاح ذات البين والجمع بين المتخاصمين إنهاءاً لحالة الصراع القائمة بين أطراف النزاع أو بالأحرى طرفي النزاع وفي هذا يقول الله عز وجل « وان طائفتين من المؤمنين إقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما عن الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما

بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » سورة الحجرات 09. وهنا فعل الأمر « أصلحوا » يقتضي الوجوب والفورية والمبادرة بعقد جلسات صلح لحل المشاكل الواقعة بين أفراد المجتمع وهو ما لمسناه حقيقة لدى ساكنة المجتمع الحضري بمدينة الأغواط ذلك لتشبعهم بالإيمان القوى والثقافة القبلية التي تكاد لا تنتقل عن بعضها البعض لا سيما وأن الثقافة والقبلية ذات مرجعية دينية محضة تحمل من القيم والمعايير ما يصب من خانة التعاون والتضامن والتكافل ونبذ التعصب والصراع داخل أفراد المجتمع كما تعزز مبدأ الصلح لدى فئات المجتمع وتتيح لهم مستوى عالي من الوعي والانتماء القبلي الذي يستبعد كل أشكال الصراع ويؤسس إلى قاعدة مجتمعة قوامها جلسات الصلح والجمع بين المتخاصمين بحضور كبار القبيلة وأعيانها وفي هذا الصدد نستذكر واقعة زمن النبي صل الله عليه وسلم عن أبي هريرة أن رجلا شتم أبو بكر والنبي جالس وجعل النبي يعجب ويتبسم ،فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي وقام فلحقه أبو بكر فقال : يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت قال " إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان " ثم قال يا أبو بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها لله إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة زاده الله كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة " وهذا فيه تأصيل لخلق الصفح عن الناس والمداومة على حضور جلسات الصلح وعقدها من منطلق الانتماء القبلي ورفضا لكل الصراع بين الأفراد.

– جدول رقم 68: يوضح استخدام العنف الجسدي لإسترداد قطعة أرض أو عقار تم الإستيلاء عليه بدون وجه حق .

اللجوء إلى العنف الجسدي لإسترداد حق صاحبه	التكرار	النسبة
نعم	27	9.89
إشراك أعيان القبيلة لفض النزاع	231	84.62
اللجوء إلى القضاء	15	5.49
التنازل عن الحق	00	00
المجموع	273	100

من خلال الجدول أعلاه نستنج الفئات الإحصائية التالية:

– الفئة الأولى : يرون أن إستخدام العنف الجسدي ضروري لإسترداد قطعة أرض أو عقار تم الاستيلاء عليه بدون وجه حق بتكرار 27 ونسبة مئوية قدرها 9.89%.

– الفئة الثانية : يرون أن إستبعاد العنف الجسدي لإسترداهم قطعة أرض أو عقار تم الاستيلاء عليه بدون وجه حق وذلك بإشراك أعيان القبيلة بعض النزاع بتكرار 231 ونسبة مئوية قدرها 84.62%.

– الفئة الثالثة : يرون اللجوء للقضاء ضروري لإسترداد قطعة أرض أو عقار تم الاستيلاء عليه بدون وجه حق التكرار 15ونسبة مئوية قدراها 05.49%.

مما لا شك فيه أن لمفهوم العنف أبعادا ومداخل متعددة فبالرغم من أنه تعبير عن القوة الجسدية بيولوجيا فإنه ذا طابع رمزي يتجسد في الألم نتيجة الأذى نفسيا فإنه في الوقت ذاته يأخذا أبعادا إجتماعية حينما يصدر عن النفس ضد شخص آخر أو جماعة ما وفي الغالب يأخذ طابع مادي أو جسدي حينما يتطور مداه، كما أن العنف الجسدي يعتبر من الأمور التي تحظى باهتمام القانون الوضعي والضمير الجمعي سواءا في الدولة المدنية أو في القبيلة ما يفسر حالة من الثقافة الجماعية التي تحفظ استقرار النسق من جهة والحق في التعايش من جهة أخرى وتعبير القبيلة لفظ اجتماعي لتنظيم أفراد مجموعة معينة للتعارف بينهم مع التمتع بثقافة القبيلة التي ترى ضرورة الابتعاد عن العصبية والأفتخار البشري لا للتعصب للجنس واللون والمذهب والطائفة والحزب ومحل الإقامة وغيرها كما أنها ترفض كل أشكال الصراع بما في ذلك العنف الجسدي لا سيما وأنه يسهم في تفكك المجتمع وغرس التفرقة بينهم هذا ما يجعل القبيلة وحدة تكوين اجتماعي تتميز بالأصل الواحد فمقياس الانتماء إليها هو النسب أما الطور القبلي فهو طور التكوين الإجتماعي الذي لا تتميز فيه القبيلة عن غيرها

بالأرض المعينة لحركتها من مكان إلى مكان ومن ثم فإن مسألة الانتماء القبلي والتشرب بثقافة القبيلة كفيلة لوحدها بنبذ فكرة العنف الجسدي وكذا الرمزي بين أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط. ومن المؤكد أن حالات العنف لا يمكن تجنبها نهائيا لما تتميز به خصوصية الحياة الحضرية وتعقدها، بيدا أن الأغلبية يجتمعون على ضرورة الإبتعاد عن العنف الجسدي في حال تسلط إحدهم وإستحوذاه على ممتلكات عينية ولتكن قطعا أرض أو عقار ووجوب اللجوء إلى وسيط خير للفصل في النزاع بين الطرفين وفي الغالب يكون كبير القبيلة أو بعض أعيانها عدا بعض الحالات التي ترى في القانون أو القضاء حلا للبث في مثل هكذا حالات نزاع على كُلٍ يمكن القول أن عنصر الانتماء القبلي نتيجة التشرب بثقافة القبيلة لدى ساكنة الحضر بمدينة الأغواط واضح وجلي لدى أغلب المبحوثين كما أنه مفعل في كونه ينبذ العنف الجسدي على غرار اللفظي ويحتكم لقرارات كبار القبيلة وأعيانها تفاديا لأي صراعات داخلية قد تمس بالنسق الكلي للنظام القبلي بمدينة الأغواط .

تاسعا : تحليل وتفسير بيانات الفرضية السابعة

تمثل الثقافة القبلية حاضنة الوعي الشبابي كأداة للتغيير الايجابي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط.

– الجدول رقم 69: يوضح إدراك الشباب لأهميتهم في بناء المجتمع

إدراك الشباب	التكرار	النسبة
نعم	**149**	**71.06**
لا	**28**	**10.26**
نوعا ما	**51**	**18.68**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ الفئات الإحصائية التالية :

– الفئة الأولى : يرون أن الشباب عنصر مهم في بناء المجتمع تكرار 194 ونسبة مئوية قدرها 71.06%.

الفئة الثانية : يرون أن بناء المجتمع لا يقتصر على الشباب فقط ولا يرون أي أهمية لهذا العنصر في بناء المجتمع تكرار 28 ونسبة مئوية قدرها 10.26%.

الفئة الثالثة : يرون أن الشباب عنصر غير ثابت في بناء المجتمع تكرار 51 ونسبة مئوية قدرها 18.68%.

إن قوة المجتمعات والدول بل الأمم تقاس اليوم وبالأمس وغدا بما تملك من طاقات شبابية فهم وقود الحضارة وإقلاعها بل أن أكثرهم ما تخشاه بعض الأمم والدول اليوم هو افتقارها لهذا العنصر الحيوي (الشباب) إذا ما فتئت حتى حررت برامجا ومغريات وفتحت حدودها وأبوابها وأسواق عملها لا لشيء سوي لإستقطاب أكبر عدد ممكن من الشباب الطموح وتجنسيهم قصد الاستفادة من قدراتهم الجسدية والعقلية، ولعل خير دليل على أهمية الشباب في المجتمعات والحضارة المتعاقبة إحتضان الشباب للدعوة المحمدية والرسالة الربانية في الوقت الذي غض الطرف عنها الكثير من كبار السن كما أن شعلة الثورة الجزائرية حملت بسواعد شابة وسائر حركات التحرر عبر العالم فئة الشباب ما يؤكد على أهمية هاته الفئة على كافة الأصعدة الدينية والإجتماعية والسياسية والنضالية والثقافية والتربوية وغيرها ...

والواضح اليوم في ظل هاته الحركات الشعبوية والشبابية في المجتمعات العربية على غرار الجزائر أهمية الشباب ودوره في تحديد الوضع الحالي للمجتمع الحضري وذلك من خلال القيادة والابتكارات والمهارات على أن

يتماشي هذا التغير والتجديد مع الحفاظ على ثقافة المجتمع وقيمه الممتدة إلى ثقافة القبيلة في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط .

والملاحظ أن اغلب المبحوثين محل البحث الميداني يجمعون على أهمية الشباب في بناء المجتمع الحضري وإمداده بعناصر التجديد والتطور في ظل التغيرات الحاصلة على أن لا يخرج كل هذا عن إطار الثقافة القبلية عدا ذلك فإن على الشباب في مدينة الأغواط أن يقدم صورة جيدة عن جيلهم بيد أن حالات من المراهقة التي يتخللها الطيش والتسرع قد تظهر نمطية مناقضة لثقافة الجماعة أو معارضة وقد يمتعض منها الكثير من كبار السن ما يجعلهم يسخطون عن تصرفات بعض الشباب ونعتهم بالتهور والطيش وفقدان الثقة على أنهم سيساهمون في بناء المجتمع، لذا وجب على الثقافة القبلية أن تحتضن هاته الحالات والعمل على مساعدتهم في حل المشاكل الإجتماعية والتعليمية والنفسية والعاطفية التي قد يواجهها المراهقون في الحياة وهو ما يتيح للثقافة القبلية بأن تكون حاضنة للوعي قصد دفعهم إلى بناء المجتمع والمساهمة في تجديد بعض عناصره الحضرية بمدينة الأغواط .

– الجدول رقم 70: يوضح التزام الشباب بواجباتهم اتجاه مجتمعهم وأفراد قبيلتهم

الالتزام بالواجبات	التكرار	النسبة
نعم	**154**	**56.41**
لا	**48**	**17.58**
نوعا ما	**71**	**26.01**
المجموع	**273**	**100**

من الجدول أعلاه يبين الفئات الإحصائية التالية :

– الفئة الأولى: يرون إلتزام الشباب بواجبهم اتجاه مجتمعهم وأفراد تبسليهم بتكرار 154ونسبة مئوية قدرها 56.41%.

– الفئة الثانية: يرون عدم إلتزام الشباب بواجب أهم اتجاه مجتمعهم وأفراد قبيلتهم بتكرار 48 ونسبة مئوية قدرها 17.58%.

– الفئة الثالثة: يرون إلتزام نسبي الشباب واجب أهم اتجاه مجتمعهم وأفراد قبيلتهم فيما يخفي واجباتهم بتكرار71ونسبة مئوية قدرها26.01%.

مما لاشك فيه أن مرحلة الشباب من بين أبرز وأهم مراحل حياة الإنسان نظرا لما تمركز من جبرية ونشاط على كافة الأصعدة يزامنها رغبة ملحة في الإبداع والتجديد والمساهمة في التغير الايجابي اتجاه أفراد المجتمع الواحد

ولان القبيلة ليست لمبادئ عن عنصر الشباب فإنها كانت ولازالت تنهل من هذا العنصر الفعال كون المادي الرمادية في قمة عطاءها خلال هاته المرحلة ما يجعل الاستثمار فيه خير إستثمار من شأنه الحفاظ على المورث الثقافي من جهة الذهاب نحو مستقبل أفضل من جهة أخرى ،فأحلام الشباب وطموحها تسعى بين أهم الأطروحات بالإضافة للقبيلة لاسيما وأن النظرية في متطلبات الشباب يسمح بتحديد ثنائية الحق والواجب في تفعيل دور الشباب إضافة إلى أنه يحد من أزمات الشباب التي تعاني من أغلب المجتمعات اليوم كنتاج الثقافة الغبية المتفتحة على التكنولوجيا و وسائل التواصل الرقمي وعليه يتضح جليا وعي أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط على أهمية الثقافية القبيلة كخاصية للوعي الشبابي والواجبات الشبابية كونها تمثل القاطرة للإقلاع الحضاري من خلال التغير الإيجابي في الوسط الحضري الذي يظهر حالة من الوعي الشبابي بضرورة القيام والإلتزام بواجباتتهم إتجاه مجتمع وأفرادهم قبيلتهم وهو نمط النمط السائدة في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط بين أننا لا ننفي بعض الحالات من الشباب اليوم الذي همه الوحيد توفر حاجياته ومتطلبات اليومية دوما المساهمة في المجتمع والذي يشكلون عباءا لأسرتهم والمجتمع على حد سواء بيد أن نشرهم ثقافية القبيلة يجعلهم يساهمون ولو بجزء قليل في مجتمعهم ما يسمح لهم بإستشعار ما عليهم من وجبات مجتمعية

– الجدول رقم 71: يوضح الأدوار التي يستوعبها الشباب في مجتمعهم وغيرها من أفراد القبيلة محل الدراسة الميدانية .

الأدوار المؤداة من طرف أفراد المجتمع	التكرار	النسبة
طالب	85	31.14
موظف	97	35.53
عامل حر	76	27.84
بطالة	15	5.49
المجموع	273	100

من الجدول أعلاه يتضح جليا أربع فئات إحصائيات :

– الفئة الأولى : يرون أن أغلب الشباب طلاب ويتمتعون بجانب معرفي يصب لفائدة مجتمعهم وأفرادهم قبيلتهم بتكرار 85 ونسبة مئوية قدرها 31.14%.

– الفئة الثانية : يرون أن أغلب الشباب موظفون ويتمتعون بجانب مهاري يصب لفائدة مجتمعهم وأفرادهم قبيلتهم بتكرار 97 ونسبة مئوية قدرها 35.53%.

– الفئة الثالثة : يرون أن أغلب الشباب عامل حر ويتمتعون بجانب مهاري يصب لفائدة مجتمعهم وأفرادهم قبيلتهم بتكرار 76 ونسبة مئوية قدرها 27.84%.

– الفئة الرابعة : يرون أن أغلب الشباب بطالة ولا يتمتعون بجانب مهاري أو معرفي أي يصب لفائدة مجتمعهم وأفرادهم قبيلتهم بتكرار 15 ونسبة مئوية قدرها 5.49%.

مما لا شك فيه أن فئة الشباب ترتبط بعده مسارات إبرازها المسارين المعرفي و المهاري فالمعرفة الصحيحة وتشكيل العقل الواعي بما يفعل طاقات الشباب من بين البني الطلابية التي أوكلت المؤسسات التعليمية القاعدية والعليا على حد سواء بشكل يساير الذاكرة الجمعية والثقافية المتجذرة ذات البعد القبلي الذي بقدر ما يكسب جملة المعارف فانه يعزز الهوية لدي الشباب انطلاقا من الثقافة القبيلة وصولا إلى التكوين أرضية صلة للوعي بذاته الحضارية الحضرية وبإنتمائه وولائه لأفراد مجتمعة وقبيلة ما يغرس قيم ومعايير الجماعة في ذوات الشباب من فئة الطلاب الذين يعتبرون في حد ذاتهم مشروع مواطن صالح مستقبلا مساهم في بناء وتشيد وتجديد مجتمعة فاعلا ومتفاعلات بإمكانهم (الشباب) الجمع بين المعرفة الذات والإعتزاز بها وحمل الثقافة القبيلة والوعي بجملة الأدوار من جهة أخرى ما يحلينا إلى طرح موازي يسلم بضرورة إكتساب الشباب

المساهمة يزخر الطاقة المتجدد ويسمح بعرض جملة الإبداعات والابتكارات الشبابية سواء بالإنخراط في العمل الحكومي أو أعمال الحرة حسب تطلعات وميولات وآفات الشغل المتاحة على كل فإن هاته المسارات المعرفية والمهنية متدخلة تعمل على تماسك الجماعة وتضامنها كما تسمح بإستمرار حلقة المجتمع للحفاظ على النسق العام ومن المؤكد أن ضعف التكوين المهاري بسبس ضعف التكوين المعرفي الذي أصبح منوطا أكثر بالأعمال الإدراية كثقافة فرعية تابعة عن التغيرات الإجتماعية الحاصلة على عكس ما كان سائد في الثقافة القبيلة أين التنوع المعرفي قصد التنوع منافذ التكوين المهاري الذي يركز على الصانع والحرف والأعمال الحرة أكثر ومن بين الأمور الايجابية التي لمسناها في هاته الدراسة هو الزخم المعارفي و المهاري الذي يتمتع به شباب المجتمع الحضري بمدينة الأغواط ما يعكس مستويات مختلفة من الخدمات الشبانية إتجاه أفراد قبيلتهم بيدا أننا لا ننفي وجود حالة من البطالة والبطالة المقنعة أو المصطنعة بين أوساطهم الشباب هاهنا لكنها تكاد لا تتعدى الستة من المئة ما يجعلها غير مؤثر على الآلة الشبابية المؤيدة لمفهوم التغيير الإيجابي والمنبثقة عن ثقافة القبيلة من جهة ومتطلبات المجتمع الحضري من جهة أخرى .

– الجدول رقم 72: يوضح مدى الإيمان بالتغيير الايجابي في المجتمع الحضري من خلال أفراد القبيلة .

التغيير الايجابي	التكرار	النسبة
نعم	**273**	**100**
لا	**00**	**00**
المجموع	**273**	**100**

يتبين من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه أن المبحوثين بتكرار 273 ونسبة 100% يجمعون بأن الإيمان بالتغيير الايجابي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط متجذر لدى أفراد القبيلة .

يقول "هيراقليطس" التغير قانون الوجود و الثبات موت وعدم "من هاته المسلمة الإغريقية يمكن القول أن الثابت الوحيد في المجتمع هو التغير كظاهرة إجتماعية إستحوذت على صدارة التفكير البشري والنظريات السوسيوثقافية وغيرها ولعل الجهود والمساعي المعاصرة أخذت تتجه نحو التغيير بفعل فاعلين المخطط من أجل إحداث التنمية الحقيقية والهادفة في المجتمع، وهكذا فلم يعد حدوث التغير يسير تلقائيا دون توجيه واعٍ بل أصبح أحد القيم والمعايير التي تكسبها الثقافة القبلية لأفراد في المجتمع الحضري قصد تطوير مجتمعهم والمساهمة في بنائه وتجديده نحو الأفضل ما يحلينا إلى مفهوم التغيير الايجابي.

وعلى حد "غي روشية " guy rocher" فان التغيير الإجتماعي ظاهرة عامة ومنتشرة لدى فئات واسعة في المجتمع بحيث يغير مسار حياتها نحوى الأفضل وهو ما اتضح جليا لدى أفراد المجتمع الحضري لمدينة الأغواط الذين يوقنون إيمانا عميقا بضرورة أهمية التغيير الايجابي في المجتمع على أن يتوافق ذلك وثقافة القبيلة ويكون خادما لها لا عليها. على غرار ذلك فإن التغيير الايجابي منوط بمصدرين إحداهما نابع من داخل القبيلة وثقافتها نتيجة التفاعلات والعلاقات الإجتماعية ضمن الواقع الإجتماعي الحضري لمدينة الأغواط نموذجا مما يساهم في بلورة الوعي الداعي، بل و المؤيد لضرورة التغيير الايجابي من منطق الإيمان بمسلمة التجديد و الإصلاح الدائبين في المجتمع. بخلاف ذلك فان التغيير الايجابي الحضري بمدينة الأغواط هو نتاج انفتاح المجتمع الأغواطي وإتصاله بغيره من المجتمعات الأخرى داخل الوطن وخارجه، ما ينتج حالة من التجديد و الإصلاح المجتمعي المترجم بالتغيير ولاسيما ما تعلق بالمساهمة في جمال المدينة ومظهرها وتزايد المنظمات الخيرية والأنشطة الجوارية وتفعيل المجتمع المدني و غيرها من الأمور التي تفسر حقيقة ضرورة التوجه نحو التغيير الايجابي لدى كل أطياف المجتمع الحضري لمدينة الأغواط مؤطر من طرف الثقافة القبلية كحاضنة للوعي المجتمعي والوعي الشبابي اتجاه عنصر التغيير الايجابي.

– الجدول رقم 73: يوضح مصدر إكتساب ثقافة التغيير في المجتمع الحضري لدى أفراد القبيلة الواحدة .

مصدر إكتساب ثقافة التغير	التكرار	النسبة
الأسرة	**63**	**23.08**
المدرسة	**30**	**10.99**
المجتمع	**104**	**38.10**
الواقع المعاش	**76**	**27.84**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه يمكن عرض الفئات الإحصائية الآتية :

– الفئة الأولى: يرون أن مصدر إكتساب ثقافة التغيير في المجتمع الحضري لدى أفراد القبيلة الواحدة مرده الأسرة بتكرار 63 ونسبة 23.08%.

– الفئة الثانية: يرون أن مصدر إكتساب ثقافة التغيير في المجتمع الحضري لدى أفراد القبيلة الواحدة مرده المدرسة بتكرار 30 ونسبة 10.99%.

– الفئة الثالثة: يرون أن مصدر إكتساب ثقافة التغيير في المجتمع الحضري لدى أفراد القبيلة الواحدة مرده المجتمع ككل بتكرار 104 ونسبة 38.10%.

– الفئة الرابعة: يرون أن الواقع المعاش هو مصدر إكتساب ثقافة التغيير في المجتمع الحضري لدى أفراد القبيلة الواحدة مرده المجتمع بتكرار76 ونسبة 27.84%.

إن حياة الإنسان تتأرجح بين حدين إحداهما أنه مخلوق عضوي كامل يمارس وظائفه البيولوجية والحد الثاني في كونه مخلوق اجتماعي يؤثر ويتأثر في بيئته المحيطة به وبين الحدين نلمس تدرجا واضحا على عدد من مؤسسات التنشئة الإجتماعية على غرار الأسرة والمدرسة وباقي مؤسسات المجتمع، ومن ثم فإن عملية التنشئة الإجتماعية حسب "نيكومب new comb" هي عملية نمو يتحول بموجبها الفرد من مركزه حول ذاته إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية الإجتماعية ويستشعر ما عليه من واجبات يقف في قمتها التأهيل في إطار ثقافة التغيير اتجاه المجتمع التي تكتسب في إطار ثقافة القبيلة بشكل قيم ومعايير وعادات لتصبح بعد ذلك من أفكار مقيدة وقناعته الشخصية ومعارفه الخاصة ومعتقداته وسلوكاته التي يعمل على نقلها بالمحاكاة أو التقليد للأجيال المستقبلية .

والمتأمل لواقع المجتمع الحضري بمدينة الأغواط اليوم هو تكاثف الجهود وتداخلها ضمن مؤسسات التنشئة الإجتماعية من الأسرة إلى المدرسة إلى كل مؤسسات المجتمع على أن تكون ثقافة التغيير جزء لا يتجزأ من مبادئ كل فرد من أفراد القبيلة لاسيما وأنها منبثقة عن الثقافة هاته الأخيرة، إضافة إلى أن درجة الوعي بين فئات المجتمع ومحاكاة الواقع المعاش بكافة تقلباته وتغيراته تسمح بتغلغل ثقافة التغيير بين كل أفراد المجتمع .

ولعل مظاهر هذا التغيير تختلف أشكالها ومستوياتها فقد يأخذ بعدا فيزيقيا أحيانا من خلال المساهمة في تنظيف المدينة وطلاء جدرانها وتزيين ساحاتها وتنظيم أسواقها وغيرها ما يظهر نية التغيير إمبريقيا إضافة إلى أن هذا التغيير قد يأخذ بعدا اجتماعيا ونفسيا من خلال حلقات العلم والمداخلات العلمية والجلسات الإجتماعية والتضامن مع الآخر وغيرها من المظاهر الإجتماعية والنفسية وكذا الفيزيقية التي تجعل كل مؤسسات التنشئة الإجتماعية تتقاسم ضرورة إكتساب ثقافة التغيير لأفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط .

– الجدول رقم 74: يوضح أهمية العمل الجماعي في تماسك أفراد المجتمع .

أهمية العمل الجماعي	التكرار	النسبة
نعم	**255**	**93.41**
لا	**18**	**6.59**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ الفئات الإحصائية التالية :

– الفئة الأولى : يرون أهمية العمل الجماعي في تماسك أفراد المجتمع بتكرار255 ونسبة قدرها 93.41%.

– الفئة الثانية : يرون العمل الجماعي غير مهم في تماسك أفراد المجتمع الحضري بتكرار 18 ونسبة قدرها 6.59%.

– إن المجتمع المسلم الذي يتمتع بمدينته (المجتمع الحضري) ويفتخر بنزعته القبلية هو المجتمع الذي في التكامل الإجتماعي مدخلا لابد منه بحيث يتحقق فيه جميع مضامينه ذلك أن الإسلام قد إهتم ببناء المجتمع المتكامل وحشد في سبيل ذلك جملة من النصوص والأحكام لإخراج الصورة التي وصفه بها الرسول صل الله عليه والسلام لقوله " مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " لذا فإن التكافل الإجتماعي الذي يظهر في إطار العمل الجماعي بين أفراد المجتمع الواحد ليس مقصودا على النفع المادي بل هو ثقافة راسخة تهدف بالأحرى إلى تماسك أفراد المجتمع ما يلغي كل أشكال النزاع والصراع ويسمح بتعزيز الانتماء القبلي .

ومما لاشك فيه أن العمل الجماعي يظهر في شتى مؤسسات المجتمع الحضري على غرار الأسرة والمدرسة والمسجد وباقي مؤسسات التنشئة الإجتماعي كما يظهر جليا لدى جماعة الرفاق وجماعة الحي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط وهو ما يحيلنا بالقول أن مدينة الأغواط تمتاز بتماسك أفرادها وتلاحمهم .

– الجدول رقم 75 : يوضح جذور العمل الجماعي في المجتمع الحضري بين أفراد القبيلة

جذور العمل الجماعي	التكرار	النسبة
ثقافة قبلية	**147**	**53.84**
فلسفة معاصرة	**98**	**35.90**
قناعة شخصية	**28**	**10.26**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلمس الفئات الإحصائية التالية:

– الفئة الأولى : يرون أن العمل الجماعي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط إنما هو ثقافة قبلية بتكرار 147 ونسبة مئوية قدرها 53.84% .

– الفئة الثانية : يرون أن العمل الجماعي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط إنما هو فلسفة معاصرة بتكرار 98 ونسبة مئوية قدرها 35.90% .

– الفئة الثالثة : يرون أن العمل الجماعي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط إنما هو قناعة شخصية بتكرار 28 ونسبة مئوية قدراها 10.26% .

إن الحديث عن العمل الجماعي في حد ذاته هو دلالة على إشتراك أفراد جماعة واحدة في نفس القيم والمعايير أو الثقافة الجمعية التي تغرس روح التعاون والتضامن وتنبذ أشكال التفرقة والصراع ما يجعل عنصر العمل الجماعي في حد ذاته ثقافة كلية أو قبلية تحددها الجماعة ويلتزم بها الأفراد من منطلق الإنتماء لهاته القبيلة ولا يوثر ذلك على أماكن تواجدها هاته الجماعة وإن تعلق الأمر بالمجتمع الحضري ما دام العمل الجماعي مبدأ عام وثقافة متجذرة وهو ما يتفق عليه أغلب المبحوثين إضافة إلى أن المستجدات الداخلية والخارجية الحاصلة في الساحة الوطنية اليوم يقوم على غرار العالمية في إطار الفلسفة المعاصرة التي تتيح للشعوب أكثر التعبير عن الرأي و حرية التجمهر في إطار جماعي منظم ومحدد وفق عناصر تؤطره، فإن الحركات الشعبية اليوم ماهي إلا وجه آخر للعمل الجماعي الذي يأخذ أبعادا مختلفة من سياسية إلى إجتماعية إلى ثقافية وغيرها ما يجعل من العمل الجماعي والتكتل الشعبوي في إطار مجتمع المدينة يأخذ بعدا آخر ينوط بالفلسفة المعاصرة الوطنية والدولية اليوم التي تحركها وتنميها شبكات التواصل الإجتماعي الرقمية.

عدا ذلك فإن العمل الجماعي لدى الكثيرين من أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط هو في حد ذاته قناعة شخصية راسخة نابعة عن تعاليم الإسلام المنادية بتوطين التكاتف والتعاون والتضامن داخل المجتمع وهو ما

تتقطع معه الثقافة القبلية في المجتمعات المحافظة على غرار المجتمع الأغواطي ومن ثم فإن الإيمان بضرورة تفعيل العمل الجماعي ما هو إلا إقرار صريح بالولاء للثقافة القبلية ووعي بأهميته كأداة للتغيير الايجابي في المجتمع .

- **الجدول رقم 76: يوضح المشاركة في العمل الجماعي في المجتمع الحضري من طرف أفراد القبيلة**

المشاركة في العمل الجماعي	التكرار	النسبة
أعمال خيرية	**87**	**31.87**
أعمال تطوعية	**120**	**43.95**
أعمال شبة دائمة	**58**	**21.25**
لا	**08**	**2.93**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نستنتج :

- الفئة الأولى : يرون أن هناك مشاركة واضحة في إطار العمل الجماعي داخل المجتمع الحضري بمدينة الأغواط يصب لفائدة الأعمال الخيرية بتكرار 87 ونسبة 31.78%.
- الفئة الثانية : يرون أن هناك مشاركة واضحة في إطار العمل الجماعي داخل المجتمع الحضري بمدينة الأغواط يصب لفائدة أعمال تطوعية بتكرار 120 ونسبة 43.95%
- الفئة الثالثة : يرون أن هناك مشاركة واضحة في إطار العمل الجماعي داخل المجتمع الحضري بمدينة الأغواط يصب لفائدة الأعمال شبة دائمة بتكرار 58 ونسبة 21.25%.
- الفئة الرابعة : لا يرون أي مشاركة واضحة في إطار العمل الجماعي داخل المجتمع الحضري بمدينة الأغواط بتكرار 08 ونسبة 2.93%.
- مما لا شك فيه أن الإنسان مدني بطبعه إذ لم يقل إبن خلدون هاته العبارة من فراغ إذ أن الإنسان يصبو بفطرته إلى الاختلاط ببقية أفراد مجتمعه ومشاركتهم ولا يحتمل العزلة بعيدا عن نشاطات أفراد مجتمعه وإن اتفقنا على إقدام الفرد نحو المشاركة المجتمعية فإننا لا نتفق حول مصدر هذه المشاركة فقد تكون نابعة عن قناعة شخصية طوعية وقد تكون مدفوعة بثقافة قبلية جبرية وعلى اختلاف الحدين تبقى المشاركة الجماعية في المجتمع من بين أهم ما يميز المجتمعات الإنسانية منذ الأزل إلى عصرنا الحالي ولاسيما مجتمع المدينة .
- إن المشاركة الطوعية قد تأخذ أبعادا وأشكالا مختلفة ومتعددة فقد تلمس الجانب الخيري من خلال الانخراط والمساهمة في الجمعيات الخيرية والهيئات المجتمعية التي تعنى بتقديم يد العون للمحتاجين والفقراء والأيتام والمعوزين والمرضى وغيرهم وموائد رمضان وكسوة اليتيم والتبرعات لصالح المرضى ما هي إلا شكل

من أشكال المشاركة الجماعية الطوعية عدا ذلك فإن الفرد الأغواطي يجد نفسه في الكثير من الوضعيات ملزم بتقديم خدمات مجانية دورية لصالح المسجد أو الحي وغيرهما، لا لشيء سوى إمتثالا لإملاءات الجماعة وما تحتمه الثقافة القبلية كمشاركة جبرية تلزم الكل بضرورة المشاركة فيها على غرار التويزة أو الوزيعه اللتان لازالتا إلى يومنا هذا السمة البارزة في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط وعلى كل فإن ثقافة المشاركة في العمل الجماعي هي ثقافة متجذرة لدى كل فرد من أفراد المجتمع الحضري بمدينة الأغواط ونابعة عن ثقافة القبيلة .

– جدول رقم 77 : يوضح مدى مساهمة شباب اليوم في التغيير الايجابي في إطار ثقافة القبيلة .

مدى مساهمة شباب اليوم في التغيير	التكرار	النسبة
مقنع	**251**	**91.94**
غير مقنع	**22**	**08.06**
المجموع	**273**	**100**

من خلال الجدول أعلاه نلمس فئتين إحصائيتين هما :

-الفئة الأولى : يرون أن مساهمة شباب اليوم في التغيير الايجابي في إطار ثقافة القبيلة مقنعة بتكرار 251 نسبة 91.94%.

-الفئة الثانية : يرون أن مساهمة شباب اليوم في التغيير الايجابي في إطار ثقافة القبيلة غير مقنعة بتكرار 22 نسبة 08.06%.

لا يختلف عاقلان اليوم على أن الشباب العربي عموما والجزائري خصوصا يلعب دورا بالغا في مشهد التحديث والتجديد وما الحركات الشعبوية والمبادرات الشخصية التطويرية الفردية والمجتمعية إلا نموذجا عن المبادرات الشبانية ومساهماتهم في التغيير الايجابي في مجتمعاتهم .

إن دور المجتمع من خلال مؤسساته اتجاه الشباب يجب أن يكسبهم المهارات والمعارف والخبرات التي تؤهلهم لتحقيق الاندماج من جهة، وإكتساب ثقافة الجماعة من جهة أخرى. على الشاكلة التي تتيح لهم أن يكونوا مواطنين فاعلين بعيدا عن اللوم والعتاب الذي يظهره الكبار اتجاه هاته الفئة التي تعتبر الركيزة الأولى في أي مجتمع وهنا تلعب الثقافة القبلية دورا بالغا في تعزيز دور الشباب وإكسابهم أدوارا إجتماعية وآليات لتفعيل أنشطتهم ومساهماتهم في إطار مجتمع المدينة وهو ما لمسناه حقيقة في المجتمع الحضري لمدينة الأغواط أين يجمع أغلب أفراده على أن الشباب يساهمون في التغيير الايجابي في إطار ثقافة القبيلة طبعا .

الخلاصة والإستنتاجات العامة

بعد تحليل وتفسير البيانات الواردة في الجدول الإحصائية نصل لمجموعة من النتائج

1- البيانات الشخصية:

- إتضح بأن الغالبية الكاسحة من المبحوثين هم من الذكور حيث قدرت نسبتهم بـ 84.62%.

- إتضح بأن الفئة العمرية الغالبة لهم تتراوح بين 31- 35 سنة حيث قدرت نسبتهم بـ 37.72%.

- إتضح بأن المستويات التعليمية للمبحوثين بين المتوسط و الثانوي والجامعي إلا أن الفئة الجامعية كانت بأكبر نسبة قدرت بـ 35.89%.

- إتضح أنه هناك أصول مختلفة للمبحوثين حيث وجدنا ممن كانت نشأته بالبادية أو الريف أو المراكز الشبه حضرية إلا أن الأغلبية الكاسحة كانوا قد نشئوا أو ترعرعوا في المدينة حيث قدرت نسبتهم بـ 46.15%.

- إتضح أن أغلبية المبحوثين هم من العزاب بحيث قدرت نسبتهم بـ62.27% تليها نسبة المتزوجين قدرت بـ 33.33%.

2- إستنتاج الفرضية الأولى:

تؤثر وضعية الإقامة في الوسط الحضري من خلال اندماج الفرد وتفاعله مع جماعته القرابية في ارتباط الفرد وتمسكه بانتمائه القبلي في المجتمع الحضري

- إتضح بأن المبحوثين المقيمين بحواشي المدينة يشعرون بالأمان والسلام في الرابطة القرابية وقدرت نسبتهم 76.75% ذلك أن غالبية سكان حواشي المدينة أو أحيائها يكونون من عشيرة واحدة أو قبيلة واحدة أو مجموعة قبائل موحدة والذي من شأنها الزيادة من التفاعل الإجتماعي بين العوائل والأقارب والتعاون والتضامن وهذا ما يساعد على تقوية الشعور بالانتماء القرابي مما ينتج عنها الشعور بالأمان.

- إتضح بأن غالبية المبحوثين يفضلون الإقامة في أطراف المدينة وليس بوسطها أو ريفها قدرت نسبتهم بـ 88.88% وذالك بداعي وبسبب تقريب المسافات مع أفراد الجماعة القرابية وهذا بالضبط ما هو واضح واقعيا في تحبيب وتفضيل إقامة الأفراد بحواشي المدينة ولاسيما منهم المهاجرون الجدد للمدينة.

- إتضح بأن أنماط السكن الذي يقيم فيه الأفراد متعدد سواء كان في شكل فيلات أو أحواش أو شقق شعبية قدرت نسبتهم بـ 54.57 % تليها من يقيمون بالشقق قدرت نسبتهم بـ 39.19%.

- إتضح بأن هناك العديد من الوضعيات من السكن يتموضع فيها المبحوثين بين تمليك أو تأجير أو استحواذ أو سكن مع الأقارب إلا أن غالبية المبحوثين يمتلكون مساكنهم بأموالهم الخاصة قدرت نسبتهم بـ 46.88%

تليها نسبة قدرت بـ 39.19% من يرون بأنهم مأجرين من الحكومة بمعنى أنهم مستفيدين من سكنات إيجارية و تساهمية.

– إتضح بأنه كلما كان وجود أقارب يسكنون في نفس الحي كلما زادت ووجدت روابط و علاقات إجتماعية قوية مع أفراد جماعتهم القرابية حيث أشارت نسبة قدرت بـ 92.43 % على ذلك بأن وجود الأقارب ساهم و يساهم في وجود روابط قوية مع أفراد الجماعة القرابية.

– إتضح بأن العلاقات التي يقيمها المبحوثين مع سكان الأحياء التي يقيمون فيها هي كلها جيدة و السبب يعود إلى أن الغالبية يقطنون مع جماعاتهم القرابية.

– إتضح بأن وجود الجيران من نفس صلة القرابة من شأنه أن يفتح أبواب التعاطف و التوادد مع أفراد الجماعة القرابية الذين يسكنون في نفس الحي أشارت نسبتهم إلى ذلك بـ 94.69 %.

– إتضح بأن الأساس الذي يبني به غالبية المبحوثين علاقاتهم في الأحياء التي يقيمون فيها يكون على أساس القرابة و صلة الدم حيث قدرت نسبتهم بـ 61.90% تليها على أساس الجوار بـ 22.34%.

– إتضح بأن أكثر من عشرون عائلة من صلة القرابة تقيم في الأحياء السكنية التي يقيم بها المبحوثين و هذا ما يؤدي إلى وجود تجمع و تكتل قبلي في الأحياء و بالتالي ستكون القبيلة ذات قوة معينة و مادية وتفوق في المجتمع حيث قدرت نسبتهم بـ 96.93%.

– إتضح بأن غالبية المبحوثين و الذين قدرت نسبتهم بـ 95.20% لا يفكرون في تغيير مكان إقامتهم و يسعون جاهدين في الإقامة في أحيائهم السكنية لأسباب عديدة منها أنهم يعتقدون بأنهم يساهمون في مناصرة أفراد جماعتهم القرابية و الإجتماع إليها.

3– إستنتاج الفرضية الثانية :

للتنشئة الأسرية دور فعال في تنمية النزعة القبلية في المجتمع الحضري

– تبين أن نسبة 95.91% من مجموع المبحوثين و الذين يشكلون الأغلبية و الذين والديهم أبناء عمومة و لهم صلة قرابة فيما بينهم دفعت بهم إلى ربط صلات قرابة قوية مع باقي أفراد جماعاتهم القرابية.

– تبين لنا بأن نسبة 52.36% من مجموع المبحوثين قد أشاروا إلى أن والديهم يحبون على الدوام زيارة الأقارب من اجل الاحتكاك و التفاعل و ذلك بقصد زيادة الرابطة القرابية و التعرف على الأحوال و المشاكل الإجتماعية والمشاركة في حل المشاكل داخل الجماعة القرابية و كذلك الحضور للمناسبات و الاحتفالات المقامة من قبل الجماعة القبلية في مواسم معينة كالطعم و الوعدة و الأفراح و الأتراح.

– تبين لنا بأن غالبية المبحوثين صرحوا بأن عائلاتهم جد متمسكة بولائها القبلي بيد أن القبيلة باتت نظام يفرض نفسه على النظام المدني بالمدينة، و على الجماعات المحلية بما يتميز من تلاحم مؤازرة و تعاضد مما أدى بالأفراد بالتشبث و التمسك بالقبيلة و النظام القبلي كلل.

– تبين لنا بأن غالبية الأفراد المبحوثين قدرت نسبتهم بـ 38.82% يرون بأن والديهم احدهما أو كلاهما يدفعونهم دفعا للحضور للمناسبات التي تقيمها القبيلة في الأفراح و الأتراح، و ذلك بغية حث الأبناء على التقرب من كل ماله صلة بصلة القرابة القرابة، و خاصة أثناء المناسبات التي تعتبر مجال التقاء و احتكاك بين أفراد القبيلة لتخلق قنوات اتصال و تعارف مع أقارب جدد.

4– إستنتاج الفرضية الثالثة:

الموروث الثقافي و التاريخي و النزعة القبلية

– إتضح لنا بأن غالبية المبحوثين و الذي قدرت نسبتهم بـ 68.14% لا يقومون بزيارة الأضرحة و الزوايا التابعة للقبيلة التي ينتمون إليها و ذلك راجع إلى ارتفاع الوعي الثقافي و الديني لأهل المدينة و ارتفاع لمستوى التعليمي و كذا التغير في نمط الأعراف و التقاليد و العادات و القيم المتوارثة فضلا عن رياح التغيير العالمية التي مست الثقافات المحلية المغلقة على نفسها.

– إتضح أن هناك علاقة كبيرة جدا قدرت نسبتها بـ 93.04% بين حضور الأفراد للمناسبات التي تقيمها القبيلة كالوعدة و الطعم على الدوام و بين شعورهم بوجود روابط قوية بينهم و بين أفراد جماعتهم القرابية الأمر الذي يؤدي إلى غرس القيم العصبية و ارتفاع منسوب المعايير القبلية و ممارسة قيم التعاون و التعاضد بين أفراد الجماعة القبيلة مما يترتب عليه في النهاية نمو روابط بين أفراد الجماعة القرابية.

– إتضح بأن السواد الأعظم من المبحوثين قدرت نسبتهم بـ 46.88% لا يحضرون الاحتفالات الفنطازيا التي تقوم به القبيلة كل عام، و أن هناك من لا يحضرها لأن القبيلة أصلا تخلت عن مثل هذه الاحتفالات منذ وقت قدرت نسبتهم بـ 35.89% و كل هذا راجع إلى انقراض بعض العادات و التقاليد في المجتمع الحضاري كما أن الأفراد الحضريين لديهم اهتمامات مختلفة عما كان في القديم و ظهرت وسائل الترفيهية بديلة بحيث أصبحوا لا يعيرون لمثل هكذا تقاليد أي اعتبار و أهمية.

– إتضح لنا بأن هناك علاقة قوية قدرت نسبتها بـ 71.74% تباهى الأفراد بالأصول و الانتماءات القبلية أمام الآخرين و ذلك أن قبائلهم المنتمين لها ذوات قوية و حظوة و مكانة في المجتمع، الأمر الذي يؤدي بهم في

الحالتين إلى التباهي و الشعور بالفخر أمام بقية القبائل و هذا الأمر يوحي لنا بأن الفخر الأفراد بقبائلهم و مكانتها هو في الأصل نزعة قبلية لا زالت مستمرة في مجتمع المدينة.

– تبين أن نسبة 99.01% من مجموع المبحوثين قد أشاروا بأن أولياؤهم يصطحبونهم إلى الولائم التي يقيمها الأعضاء المنتمون لقبائلهم وهذا من شأنه أن يزيد من قوة وشدة الروابط مع الجماعة القرابية والتي تعمل على الزيادة والتشبث والانغماس داخل الجماعة القرابية، مما يترتب على فتح قنوات الاتصال الدائمة عن طريق الزيارات مما يؤدي إلى تعزيز الروابط القوية مع الجماعة القرابية.

– تبين لنا بأن الغالبية العظمى من المبحوثين والذي قدرت نسبتهم بـ 92.04% والذين يحدثونهم أوليائهم عن ماضي العائلة وعن الأجداد والأعمام والخؤولة، الأمر الذي أثر على زيادة درجة النعرة والدفاع عن الجماعة القرابية والقبلية، والأمر الذي يؤدي إلى توريث النسق القبلي للمنتمين إلى القبيلة من خلال الإرث التاريخي الأسري الذي يعمل على زيادة النزعة القبلية.

– تبين لنا بأن هناك علاقة كبيرة قدرت نسبتها بـ 84.70% بين تشبث أولياء المبحوثين بالولاء والانتماء للقبيلة وبين تودد وتقرب المبحوثين من أفراد القبيلة ، حيث أن الوالدين لهم اثر كبير في دفع الأبناء إلى الولاء للقبيلة وذلك يتم من خلال التعليم والتلقين والتقليد وحث الأبناء على القيم القبلية السائدة والمتعامل بها داخل النسيج القبلي.

– تبين لنا بأن هناك علاقة وثيقة قدرت نسبتها بـ 84.93 % بين مناقشة الوالدين للقضايا والأحداث التي تخص القبيلة إما مرأى ومسمع الأبناء وبين أثر ذالك في انحياز الأبناء تجاه المواقف التي تخص أفراد جماعاتهم القرابية وإن دل إنما يدل على هنالك حالة كبيرة من استمرارية العلاقات القرابية وبين الأجداد والآباء والأبناء.

– تبين لنا وجود علاقة كبيرة جدا قدرت نسبتها بـ 94.17% بين تقديم الوالدين النصح لأبنائهم كمحاولة لتعريفهم ببني عمومتهم وتاريخهم وأصولهم ونصحهم بزيارتهم والتودد إليهم وبين شعور الأبناء بوجود روابط قوية بينهم وبين أفراد جماعاتهم القرابية وإن دل هذا الأمر إنما يدل على أن الوالدين الدور الكبير في تمرير وترسيخ وتقوية النزعة القبلية لدى الأبناء.

– تبين لنا بوجود علاقة قوية جدا قدرت نسبتها بـ 98.34% بين تقديم الوالدين النصح لأبنائهم وحثهم على الزواج من الأقارب كذهنية متوارثة منذ القديم، يرسخها الآباء في أذهان أبنائهم ويحبون تجسيدها فيهم، الأمر الذي يؤثر على سلوك الأبناء وعواطفهم وبالتالي يسلكون سلوك التودد والتعاطف والقرب من أفراد

جماعاتهم القرابية وهذه العلاقة توضح وجود نزعة قبلية قوة جدا لا تزال مستمرة والتي هدفها بقاء وإستمرار صلة القرابة وعدم اختلاطها بغيرها والتي تتقوى عن طريق زواج الأقارب

إستنتاج الفرضية الرابعة:

الحراك السياسي والنزعة القبلية

_ يتضح لنا بأن غالبية المبحوثين الذين قدرت نسبتهم 82.78% الذين يشكلون الأغلبية في التصويت في الإنتخابات السياسية هذا من خلال إتساع نطاق التنظيمات الإجتماعية من خلال البنى الفوقية و الأشكال السياسة و القانونية و الفكرية.

_ تبين لنا بأن غالبية المبحوثين يساعدون مترشح القبيلة و يناصرونه بنسبة قدرها 91.38 % و يحققون كذلك المناصرة لأفراد الجماعة القرنية هذا راجع أن المناصرة و النصرة هي آلية من آليات التي تقوم عليها القبيلة فيقوم أفراد القبيلة بكل ما بوسعهم من أجل إنجاح مرشح القبيلة في الإستحقاقات و المعارك الإنتخابية.

_ إتضح لنا بأن غالبية المبحوثين الذي قدرت نسبتهم 84.81 % يحضرون للولائم و الإجتماعات التابعة لمترشح القبيلة هذا من شأنه يرسخ ثقافة الولاء القبلي و التضحية من أجل التفرغ الكلي للحملة الإنتخابية لإبن الجماعة القربية ، بهذا نجد أن الإعتبارات الإجتماعية تسقط مهما كلف ذلك أفراد الجماعة القربية.

_ إتضح لنا أن أغلبية المبحوثين مهتمون بالحملات الإنتخابية لمترشح القبيلة و يناصرون أفراد الجماعة القربية بنسبة قدرها 91.58 % هذا من خلال روح القبيلة المغروسة و المورثة من طرف الآباء و الأجداد ، فيقوم أفراد الجماعة القبيلة بوضع برنامج الحملة الإنتخابية لمترشح القبيلة من أجل إيصاله إلى شدة الحكم.

_ إتضح لنا أن النسبة الغالبة تختار المترشح للإنتخابات على أساس عرشه بنسبة قدرها 64.83 % هذا راجع أن القبيلة هي من يستمد منها الفرد المعتقدات و القيم و المعايير و الإتجاهات ، بحكم أن القبيلة نسق من الأنساق الإجتماعية فهي تعمل على توجيه الفرد إجتماعيا و سياسيا و ثقافيا مستبعدة المعايير العلمية و الأكاديمية.

_ إتضح لنا أن غالبية المبحوثين لا ينخرطون في الأحزاب السياسية ونسبتهم 75.10 % ذلك للإنغلاق السياسي الذي تعيشه الجزائر و أن السياسة في الجزائر هي قضية مصالح و وصول للسلطة فقط بعيدا عن الأكاديمية و الثقافة السياسية.

_ إتضح أن أغلبية المبحوثين يشاركون في الصراعات الكلامية أثناء الحملات الإنتخابية لصالح مرشحهم ويحققون الحمية في مواقف النزاع و نسبتهم 89.82 % هذا راجع لرسوخ النظم القبلية التي أشبعتهم بها

القبيلة مما يؤدي إلى إستعمال كل الأدلة الخطابية و الحججية و المغالطات و المهاترات أثناء الصراع الكلامي مما يعزز إرتفاع منسوب قيم و القبيلة.

_ إتضح أن غالبية المبحوثين يرون أن النزعة القبيلة هي من تحكم الأحزاب السياسية ونسبتهم 65.56 % هذا لأن البنية الإجتماعية لمدينة الأغواط مبنية على نظام القبلي و هذا الأخير له نفوذ و قيادة داخل المجتمع المدني ، فتعمل الأحزاب السياسية إلى كسب أصوات المنتخبين عن طريق أعيان القبائل و كبرائها.

_ إتضح أن معظم المبحوثين الذين يرون مشاركتهم في الانتخابات من أجل أفراد الجماعة القرابية ونسبتهم 73.62%. يرجع هذا لتحقيق الأهداف ومتطلبات أفراد الجماعة القرابية على سبيل الآخاة و التآزر و مساعدة أفراد القبيلة وقضاء حوائجهم.

_ تبين أن غالبية المبحوثين الذين يفرحون بشدة في حالة فوز المترشح الذي يساندوه من أصل القبيلة التي ينتمون إليها ونسبتهم 80.58%. هذا في حد إعتقادهم على أن فوز مترشح القبيلة هو إنتصار تاريخي في حياة القبيلة وإنجاز كبير حققه أفراد القبيلة في سبيل أن الإنتخابات بمثل حرب يخوضونها.

_ إتضح أن غالبية المبحوثين الذين لديهم أقارب يعلمون في منظمة السلطة المحلية ويتمثلون في الانحياز والمناصرة والولاء لصالح أفراد القبيلة ونسبتهم 94.81%. هذا بداعي التوغل والسيطرة في المجتمع المدني وفرض الهيمنة على السلطات المحلية، من أجل المصالح الخاصة خدمة لأفراد الجماعة القرابية والقبيلة مما يترتب على ذلك زيادة النزعة القبلية وتقوية شوكة القبيلة داخل المجتمع الحضري.

إستنتاج الفرضية الخامسة :

يشكل عامل الولاء القبلي دور مهم في تعزيز الضبط الإجتماعي للأفراد داخل المجتمع الحضري الأغواطي.

يشكل عامل الولاء القبلي دور مهم في تعزيز الضبط الإجتماعي للأفراد داخل المجتمع الحضري الأغواطي من خلال الجداول نستنتج ما يلي:

- 90.48 % من المبحوثين يرون ضرورة إشراك كبار القبيلة في معاملات البيع و الشراء.
- 91.58 % يتفقون على أهمية إشراك كبار القبيلة أثناء منح ديون لأحد من أفراد المجتمع الحضري .
- 58.61 % من المبحوثين يلتزمون بسداد الديون لأصحابها في آجالها تفاديا للتشهير و الطعن أمام كبار وأعيان القبيلة بنسبة 50.55 %.
- 75.46 % يلتزمون بتأدية عبادة الصلاة في إطار الجماعة وأن أغلبهم يحافظون على حضور حلقات العلم وتدارس القرآن الكريم بنسبة 49.82 % .

- يعتبر أساس القرابة ركيزة التعامل مع الآخرين بنسبة 51.28% بين أفراد المجتمع الحضري لمدينة الأغواط.
- 56.04 % يرون أن للأسرة الأغواطية بالغ الأثر لإكساب الناشئة الأخلاق الحميدة في المجتمع الحضري ومع أفراد القبيلة .
- كما أن القناعة الشخصية المنبثقة على الولاء القبلي بسبب الامتثال لإملاءات كبار القبيلة وجماعة الحي بنسبة 56.04 % من الأفراد المبحوثين بمدينة الأغواط .

مما سبق عرضه بالرقم الإحصائي و التحليل السوسيولوجي يحيلنا إلى القول بأن المجتمع الحضري بمدينة الأغواط يتمتع بمستوى عالي من الضبط الإجتماعي للأفراد يظهر من خلال الأخلاق الحميدة و السلوكات الإيجابية الفردية والمرجعية الدينية الجماعية تحتكم للصلاة في إطار جماعة ومداومة حلقات العلم وتدارس القرآن الكريم ما يجعل هذا المجتمع متميز حينما يزاوج بين الحياة المدنية و الثقافة القبلية حينما يمتثل لإملاءات الجماعة القبلية ويحترم ثقافتها وما سعي الأفراد إلى إشراك كبار و أعيان القبيلة في المعاملات التجارية و آلية الديون إلا إشارة صريحة لما يتمتع به الأفراد من ولاء قبلي في إطار المجتمع الحضري بمدينة الأغواط وعليه فإن الفرضية الخامسة مقبولة.

إستنتاج الفرضية السادسة :

يسمح الانتماء القبلي بتجاوز مختلف أشكال الصراع بين الأفراد في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط.

من خلال الجداول نستنتج ما يلي :

- 48.35 % يتجنبون إثارة الفوضى و الخصام مع أفراد القبيلة حفاظا على صلة القبيلة و بنسبة 35.90% مقابل تفادي العداوة داخل المجتمع الحضري بمدينة الأغواط.
- تفضيل الاحتكام لأحد أعيان القبيلة بنسبة 68.50 % للتعامل مع من بدرت منه الإساءة .
- تفادي التخاصم اتجاه من لم يقم بتسديد ما عليه من دين بنسبة 97.44 % و العمل على إشراك أحد أعيان القبيلة كوسيط صلح بنسبة 56.04 %
- الكل يرى ضرورة تمديد آجال الدين بعد نفاذها تفاديا للصراع داخل القبيلة بنسبة 100 %.
- 56.41 % يهتمون بجلسات الصلح و المبادرة بعقدها لفك عقدة النزاع بين المتخاصمين في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط.
- 84.62 % يتفادون العنف الجسدي استرداد قطعة أرض أو عقار تم الاستيلاء عليه بدون وجه حق .

مما سبق يمكن أن المعاملات المالية في إطار القروض (الديون) وكذا الممتلكات العينية (أراضي ، عقارات ....) من شأنها أن تقوي أو تضعف شبكة العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد كما قد تخلق حالة من الصراع و الانقسام الداخلي في كثير من الأحيان يصعب التعامل معها حتى من الناحية القانونية بيد أن مرونة وعمومية الثقافة القبيلة للأفراد داخل المجتمع الحضري بمدينة الأغواط قضت على هاته الصراعات و الإنقسامات الداخلية أو على أقل تقدير أضعفت من حد ذاتها ولعل وعي أفراد المجتمع الأغواطي بضرورة نبذ الصراع و الابتعاد عن العنف بشقيه اللفظي و الجسدي و تفعيل جلسات الصلح و المبادرة إلى عقدها لدليل واضح على الانتماء القبلي لدى الأفراد و إيمانهم العميق بضرورة استنفاذ كل الحلول تفاديا للصراع بين الأفراد وهو ما يعزز من الطرح أعلاه ويحيلنا للقول بأن الفرضية السادسة مقبولة .

إستنتاج الفرضية السابعة :

تمثل الثقافة القبلية حاضنة الوعي الشبابي كأداة للتغيير الايجابي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط.

تمثل الثقافة القبلية حاضنة الوعي الشباني كأداة للتغيير الايجابي في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط

من خلال الجداول نستنتج ما يلي:

- 71.06 % يجمعون على أن الشباب الأغواطي قدر كثير تماما لأهميتهم في بناء المجتمع الحضري .
- 56.41 % يرون أن الشباب في مدينة الأغواط ملتزمون بواجباتهم اتجاه مجتمعهم و أفراد قبيلتهم في المجتمع الحضري.
- كل الأفراد المبحوثين بنسبة 100 % يؤكدون مدى الإيمان بالتغيير الإيجابي في المجتمع الحضري من خلال أفراد القبيلة ولاسيما الشباب .
- المجتمع بكافة أطيافه ومؤسساته يعزز من ثقافة التغيير الإيجابي في المجتمع الحضري لدى أفراد القبيلة الواحدة بنسبة 38.10 %.
- العمل الجماعي ضرورة ملحة لتماسك أفراد المجتمع الحضري ثقافة قبلية راسخة بنسبة 93.41 % و المشاركة في العمل الجماعي يأخذ نسبة 97.07 % .
- عموما مساهمة الشباب اليوم في التغيير الإيجابي في إطار ثقافة القبيلة مقنع بنسبة 91.94 %.

على خلاف ما سبق عرضه بالتحليل و التفصيل بخصوص أوجه ومقومات الثقافة القبلية في المجتمع الحضري بمدينة الأغواط فإنها لم تغفل حلقة الشباب كونها الحلقة الأقوى و الأجدر بحمل لواء الثقافة القبيلة في منظور الأدوار و المشاركة المجتمعية الهادفة التي تصبو إلى إحداث التغيير الإيجابي وهو ما اتضح جليا في سلوكات و

ممارسات وقفنا عليها بالبحث العلمي الميداني لدى شباب مدينة الأغواط الذين أكثر ما ميزهم حسهم بالمسؤولية و التزامهم بواجباتهم اتجاه الأفراد و المجتمع الحضري على حد سواء وما إقدامهم على الأعمال الخيرية و التطوعية لفائدة الأشخاص من أفراد القبيلة و إسهامهم في تجديد و إصلاح الأوضاع المحلية في المجتمع الحضري لمدينة الأغواط إلى دليل قاطع على وعيهم التام بدورهم الفعال في التغيير الإيجابي من منطلق أن الثقافة القبلية حاضنة لذلك وهو ما يثبت الفرضية السابعة.

خـــاتمة

لم يكن إختيارنا للموضوع بطريقة عشوائية وإنما كان نتيجة مسار البحث العلمي وأيضا نتيجة للأهداف التي تم تحديدها في مقدمة الدراسة، هذه الدراسة التي عرفت مراحل متسلسلة من البحث العلمي حتى الوصول إلى النتائج التي تعتبر حوصلة للبحث الإستكشافي .

وهكذا فنتيجة هذا البحث الذي يدور حول معرفة العلاقة بين النزعة القبلية وأفراد المجتمع الحضاري لمدينة الأغـواط، إن في دراستنا هذه تم عرض الجوانب النظرية و الميدانية للدراسة و المتعلقة بالتنشئة الإجتماعية والموروث الثقافي والمشاركة السياسية التي يتخذها الفرد كمرجعية في حياته الإجتماعية من خلال السلوكات التي يتفاعل بها مع أفراد المجالات الإجتماعية التي تحيط به ومما سبق فإن التنشأة الإجتماعية في مجتمع مدينة الأغواط له دور كبير في دخول الفرد إلى الحراك الإجتماعي في المجتمع الحضري داخل المدينة الحضرية بحيث، أن التنشئة الإجتماعية لمختلف مؤسساتها (الأسرة، المسجد، المدرسة) تعمد إلى غرس قيم القبلية للأفراد الناشئة وزيادة التحفيز وتعزيز مبادئ النظام القبلي وكذا تلقينها للأفراد عن طريق مقومات القبيلة.

كما تلعب المضامين الثقافية دور في تواصل النظام القبلي عبر الموروث الثقافي للقبيلة، التي تتخللها العادات والتقاليد و القيم وتواريخ الآباء والأجداد المتواصلة عبر الأجيـال، فالإرث الثقافي هو شيء مقدس بمثابة جوهر لعقول أفراد القبيلة وكذا الإلتزام به على أساس أنه آلية إجتماعية وقاعـدة أساسية ينبني عليها المجتمع ، كما نجد أن علاقة الظاهرة القبلية بالحراك السياسي وعلى الرغم من التباينات والإختلافات الكثيرة للحراك السياسي بين مجتمع وآخر فهي جميعا كانت تتحرك على هذا النحو أو ذاك، من بعيد أو قريب ، وفق محركات ترتبط بالبنى التقليدية المهيمنة على المجتمع وأهمها البنية التقليدية، هذا لأن أفراد القبيلة داخل المجتمع الحضري لا ينسلخون عن أبناء جلدتهم (قبيلتهم) بحكم النعرة والتلاحم و التعاضد ونصرة بعضهم البعض ضاربين عرض الحائط كل الأنساق الإجتماعية والأطر السياسية، في إعتقادهم أن القبيلة هي الأسمى ، فقد أثبتت التجارب في البلدان العربية سيما الجزائر وخاصة في مدينة الأغواط أن قسما مهما من الناخبين لم يصوت على برامج وسياسات ، بل كان الحفز المهيمن على موقفهم من المترشحين هو الميل القرابي العائلي، أو الحميمي .

ففي مدينة الأغواط فإن النزعة القبلية على الرغم من تفكيك بعض آلياتها ، لاتزال ذات حضور فاعل، وبخاصة في مستويات الفعل الإجتماعي والسياسي والثقافي ، وذلك نتيجة سياسات النظام المعلنة، بإعترافه بالبنى القبلية، وتحالفه معها وإستخدامها وفق مصالح أمنه وإستمراريته .

وفي الأخير نرى أن النظام القبلي واقع لابد منه في الحياة الإجتماعية داخل المجتمعات حتى وإن كانت حضرية، لأن القبيلة هي نسق من الأنساق الإجتماعية تحضر وتغيب وفقا للحراك الإجتماعي والنظم الإجتماعية التي من شأنها تعمل على توجيه وتغيير المسار الإجتماعي على حسب النسق الإجتماعي العـام .

قائمة المراجع

ـ قائمة المراجع :

– قائمة المراجع باللغة العربية :

1. إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999 .
2. أحمد عبد الباسط: **حول العلاقة بين التنشئة السياسية والتربية من خلال تطور التنمية الشاملة**،مجلة العلوم الإجتماعية، جامعة الكويت، عدد4 ، 1979.
3. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين مُحَّد بن مكرم :**لسان العرب** .ط .(1) دار صادر للطباعة والنشر،بيروت.
4. ابن كثير واخرون ، **تفسير القرآن العظيم** .طبعة الثانية، جمعية إحياء التراث الإسلامي، دار السلام للنشر والتوزيع، السعودية . 2001 ..
5. إسحاق القطب: **مشروع بحث إقليمي عن أنماط التحضر و مشاكله**، جامعة الكويت، الكويت، سنة 1977
6. أحمد بدوي زكي: **معجم المصطلحات العلوم الإجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية،1982.
7. أيميل مونجا : المجلة الإفريقية 1877. ترجمه مخلوف الصادقي، مخطوط غير منشور.
8. أراد احمد علي ، **الفكر الإجتماعي الخلدون (المنهج والمفاهيم والازمة)** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2003 .
9. إحسان النص: **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأقوى**، دار الفكر ، بدون مكان نشر، طبعة 02، 1973
10. إحسان النص : **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، دار الفكر، بدون مكان نشر، طبعة 02، 1973.
11. أبو زيد محمود: **الشائعات والضبط الإجتماعي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية 1980.
12. ¯ النعيم مشاري العبد الله: **التراث العمراني تحت ضغوط التمدد الحضري "أركيولوجية " المدينة وذاكرة المستقبل** ، المملكة العربية السعودية –الرياض–يناير 2007م–ذو الحجة 1427هـ.
13. الدليمي خلف حسين علي: **التخطيط الحضري أسس ومفاهيم**، الدار العلمية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان،2002.
14. القطب إسحاق يعقوب: **النمو والتخطيط الحضري في دول الخليج العربي**، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980.
15. الفضل شلق : **القبيلة والدولة والمجتمع**، محلية الاجتهاد ، العدد 17، بيروت 1992.
16. الرشدان عبد الله : **علم اجتماع التربية** ، دار الشروق ،عمان ،الأردن،1999.

17. الخطيب مُحَمَّد شحات وآخرون: **أصول التربية الإسلامية** ، الرياض. ص 1995.

18. السالم خالد بن عبد الرحمن: **الضبط الإجتماعي والتماسك الأسري**، دار الخريجين للنشر والتوزيع، الرياض ، بدون طبعة (2000).

19. الحامد و الرومي : **الأسرة والضبط الإجتماعي**، دار الشروق ، الرياض، بدون طبعة. 2001.

20. الأزهري، أبي منصور مُحَمَّد بن أحمد :**تهذيب اللغة**، الجزء 2 ،تحقيق مُحَمَّد علي النجار، دار الطبع الدار المصرية .مصر، للتأليف والترجمة .د.ت.ن.

21. المعجم الوسيط:بع .د.ط، المكتبة العلمية .طهران.:د.ت.

22. الموسوعة العربية العالمية :المجلد التاسع.طبعة الأولى، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.السعودية،1996.

23. الصحاري سلمه بن مسلم العويتي: **الأنساب**، دار الكتاب العربي للنشر، الطبعة الرابعة، بيروت لبنان، سنة 1994.

24. الأشرف عمر بن يوسف الملك: **تحفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، الطبعة الخامسة، دار المعارف، دمشق، بدون سنة.

25. المغيري بن زيد عبد الرحمن بن حمد: **المنتخب في ذكر قبائل العرب**، الطبعة الثانية، دار المعرفة، دمشق، بدون سنة،.

26. ابراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1999 .

27. السيد الحسيني:**المدينة دراسة في علم الإجتماع الحضري**،دار المعارف ،القاهره،طبعة ثانية،1981.

28. ايفانز يارتيشارد: **الانثرويولوجيا الإجتماعية**، ترجمة أحمد بوزيد،.

29. بشير التيجاني: **التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ابن عكنون (جامعة وهران)، الجزائر، 2000/02،

30. ثريا التركي ودونا لدوكول: **مجتمع ما قبل النفط في الجزيرة العربية (فوضى قبلية ام مجتمعها مركب)**، 1990،

31. جاكلين بوجو قارنين، **الجغرافيا الحضرية** . والترجمة ل: حليمي عبد القادر. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1989.

32. جوادي علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للمدايين ، بيروت، طبعة 01، 1970،

33. جواد علي : **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، جزء 04، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة 01، 1970.

34. حامد عبد الله ربيع: **تحقيق و تقديم سلوك المالك لتدبير المماليك لشهاب الذي أحمد بن أبي الربيع**، جزء 01، مطابع دار الشعب القاهرة، بدون طبعة، 1980.

35. حسن الساعاتي :**علم الإجتماع الصناعي**،دار النهضة العربية،بيروت،طبعة ثالثة،1980.

36. حسنين مصطفى مُحَمَّد: **الضبط الإجتماعي في الإسلام** ، أضواء الشريعة ، العدد 5 ، كلية الشريعة، الرياض ، 1394هـ.

37. جمال الدين أبو الفضل: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وخرون، دار المعارف القاهرة، جزء 05،

38. خلدون النقيب: **صراع القبلية والديمقراطية (حالة الكويت) دار الساقي**، بيروت، طبعة 01، 1996.

39. خميس، عاصم أحمد إبراهيم :**خصائص التحضر وعلاقتها بالبيئة الحضرية المبنية حالة نابلس**. جامعة النجاح الوطنية .فلسطين .2003.

40. مداني لبتر: **الأغواط صفحات من التاريخ الحضارة**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر،ط1، 2005.

41. مُحَمَّد بومخلوف: **التغير**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، ط1، ماي 2001.

42. ميشيل دينكن: **معجم علم الإجتماع**،ترجمة: مُحَمَّد إحسان الحسن، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت،1986.

43. مُحَمَّد الكردي : **التحضر** ،دراسة إجتماعية الكتاب الأول،القضايا و المناهج،دار المعارف،القاهرة،1986.

44. مُحَمَّد بومخلوف ، **التحضر** ،الجزائر ، شركى دار الامة للنشر والتوزيع، 2001.

45. مُحَمَّد صالح البيضاني :**التحضر في المجتمعات العربية**، دار الشروق للكتاب ، بيروت، بدون سنة.

46. مُحَمَّد صافيتا: **المبادئ العامة لجغرافية المدن**، دار الكتاب العربي، دمشق، 2001.

47. مُحَمَّد العلان : **جغرافية المدن(السيدة زينب)**، دار الكتاب العربي، دمشق، 1999.

48. مُحَمَّد عاطف غيث: **محرر** ، قاموس علم الإجتماع، مصر ، دار المعرفة الجامعية، 1990.

49. مُحَمَّد نجيب بوطالب: **سوسيولوجيا القبلية في المغرب العربي**.مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان ،الطبعة الأولى، يونيو 2002.

50. مُحَمَّد عبد الجابري: **العقد السياسي العربي**، ، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، طبعة 01، 1990.

51. محسن مُحَمَّد الظواهري: **المجتمع والدولة (دراسة العلاقة القبلية بالتعددية السياسية** ،مكتبة مدبولي (القاهرة) طبعة 01 ، 2004.

52. مسعود ظاهر :**القبيلة كمؤسسة سلطوية في المشرف العربي الحديث**، المغرب، طبعة 01، 1988.

53. مُحَمَّد عابد الجابري : **فكر إبن خلدون العصبية والدولة**،طبعة 5 ،مركز دراسات.الوحدة العربية، بيروت،سنة 1992.

54. مُحَمَّد عبد الجابري: **العقل السياسي العربي**، ، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، طبعة 01.

55. مداني لبتر : **الأغواط صفحات من التاريخ و الحضارة**، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر ، ط1 ، 2005 .

56. مبارك بن مُحَمَّد الميلي : **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**. تقديم وتصحيح مُحَمَّد الميلي، ج 2، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 2004 .

57. مُحَمَّد السويدي : **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1990،.

58. مفدي زكريا : إلياذة الجزائر. وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر ، 2002 .

59. ناصر مجاهد : **سبل العبور لجبل العمور**، المطبعة العربية، غرداية، 1993،.

60. عبد الله مُحَمَّد الغدامي: **القبيلة والمجتمع**، إبن خلدون والقبيلة، الرياض،2007.

61. عبود حنان- المدينة العالمية : **إبداعات هندسية**- العدد الثاني –الجزء الثالث- م.محسن مقصود- الجمهورية العربية السورية- دمشق 2005 .

62. عبد الاله أبو عياش، واسحاق يعقوب القطب:**الإتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية**،وكالة المطبوعات،الكويت،1980.

63. عبد العاطي السيد:**علم الإجتماع الحضري(مدخل نظري)**،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،1985.

64. عبد الهادي الهروي: **القبيلة لقطاع المخزون الفقاري سوسيولجية للمجتمع المغربي الحديث**، (1844-1934) افريقيا الشرق (المغرب) 2005.

65. عبد العزيز قباني: **العصبية "بنية المجتمع العربي"**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1997،

66. عمار بحوش: **دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية**، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

67. عبد الرحمان إبن خلدون : **تاريخ إبن خلدون** .المجلد 7 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، 1981 .

68. عبد الرحمان بن خلدون: **المقدمة** ، طبعة 01، دار القلم، بيروت، 1978.

69. عبد الرحمان بن مُحَمَّد الجيلالي : **تاريخ الجزائر العام** .الجزء 1، دار الثقافة ، لبنان ، 1983.

70. عبد العزيز الدوري : **التكوين التاريخي للأمة العربية**، دار المستقبل العربي، طبعة 2، القاهرة، سنة1985.

71. فتحي أبوعيانة: **التحضر في العالم(نظرة في النشأة و التطور)اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا**، ندوة السكان والتنمية سنة 1978 .

72. فتحي مُحَمَّد أبو عيانة ، **جغرافيا العمران (دراسة تحليلية للقرية والمدينة)**. دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية) . مصر،1998.

73. فوزي رضوان العربي: **أنماط التجمعات في الوطن العربي**، اتحاد الجامعات العربية، مصر، الأمانة العامة، 1985.

74. فيصل عزام قماش: **دراسات في التطور العمراني وتخطيط المدن**، دمشق، 1990.

75. فؤاد اسحق الخوري: **السلطة لدى القبائل العربية، دار الساقي** ، بيروت، طبعة 01، 1991.

76. صلاح مصطفى الفوال : **البداوة العربية والتنمية. مكتبة القاهرة الحديثة**، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1967..

77. فؤاد إسحاق الخوري : **السلطة لدى القبائل العربية، دار الساقي**، بيروت، طبعة 01، 1991.

78. سليم سلوى: **الإسلام والضبط الإجتماعي دار التوفيق النموذجية**، القاهرة. 1985.

79. زهران حامد عبد السلام :**علم النفس الإجتماعي** .طبعة الرابعة .عالم الكتب، القاهرة . 1977 ..

80. مايلز س.ب.: **الخليج بلدانه وقبائله** ،ترجمة:(مُحَّد أمين عبد الله)، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي للنشر،دمشق،سنة 1990..

81. رشيد زرواتي، **تدريبات على منهجية البحث في العلوم الإجتماعية)** الطبعة الأولى.المسيلة ، الجزائر2 .

- **رسائل التخرج :**

82. الزبير بن عون، **اصل السكان والمعالم الاثرية بالاغواط – دراسة سوسيوانتربولوجية** - ، مشروع بحث في علم الإجتماع منشور الكترونياً، قسم العلوم الإجتماعية جامعة الأغواط، السنة الجامعية 2006 2005.

83. بهيطيلة علي، بن صحراوي يحي : **لهجة الأغواط وعلاقتها بالفصحى**. مذكرة لنيل ليسانس في اللغة العربية وآدابها، جامعة الأغواط.

84 محمود قمبر: **التعليم والسياسة**، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد الثامن، العدد السادس والعشرين، المركز العربي للتعليم والتنمية، القاهرة، يوليو 1992.

84. عبد الودود مكرم: **الأهداف التربوية بين صناعة القرار ومسئولية التنفيذ** – دراسة تحليلية فى ضوء مفهوم إدارة الجودة الشاملة، مجلة كلية التربية بالمنصورة، جامعة المنصورة، العدد الثاني والثلاثون، سبتمبر 1996 .

85. أحمد زكى بدوى: **معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.

86. سناء حسن مبروك: **الهوية والانتماء في المجتمع الصحراوي في مصر**: دراسة في الانثروبولوجيا السياسية لمجتمع شمال سيناء، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1994.

87. عبد الفتاح متولى: **تحليل سوسيولوجي لظاهرة الانتماء للعمل**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1986.

88. عبد العال مُحَمَّد عبد الله: **دراسة لبعض جوانب الانتماء وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى عينة من طلاب جامعة أسيوط**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أسيوط،1991.

89. عبد العزيز عبد المنعم عبده حسانين: **تنمية الإتجاهات الإيجابية نحو الولاء للوطن لدى الأطفال في سن السابعة من العمر**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1989.

90. شاكر عبد الحميد وآخرون، **علم النفس العام**، ط2، دار أتون للنشر، القاهرة،1989.

91. عصام حسين أحمد: **إدراك الهوية القومية لدى الطفل المصري**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس،1991.

92. طلعت منصور وآخرون: **أسس علم النفس العام**، الأنجلو المصرية، القاهرة،1984.

93. أحلام مُحَمَّد عبد العظيم: **أزمة الهوية في الخطاب التربوي الرسمي المعاصر في مصر**، دراسة تحليلية نقدية، مجلة التربية للبحوث التربوية والنفسية والإجتماعية، العدد 25، نوفمبر،1995.

– المراجع باللغة الاجنبية :

94. United Nations, Population Division, "Urban and Rural Population: Individual Countries, 1950-85 and Region and Major Areas 1950-2000 Esa/WP/ REV. 1, (1970).

95. United nation, Multilingual Demographis Dictionary, English Section, Population Studies, No 29, 1958.

96. Ibrahim, Saad E.M. Over- Verbalisation and Under- Urbanisme, The case of The Arabe World " Hall, P, The World cities (London 1972).

97. Raymond ledrut ; sociologie urbaine ,P .U.F .3emeED ,paris, 1979.

98. Norton H Fried, The notion of the tribe (menlo Park-calyomia, 1975.

99. :qrshqll D.Sqhilnsm Trbes;en(englevoud cliff Nezjerym Prentice 1971 .

100. Rebert :ontqgne – les Berberes et le :qkhwen dqns le soud du :qrocm PqrisM 1930.

101. Jocelune dakhlia lobule de la cite , la memoire collecture a l'epreuve de lignage dans le jerid tunision , derie arthropologie,paris-decouverte 1990.

102. Gibbs , Jack P : Norms , Deviance &amp, Social Control. Elsevier, New York. 1981.

103. Ackerman, N. ,& Jahoda , M. (1950).Anti-Semitism and emotional disorders: A psychoanalytic inter prtation. New York: Harper.

104. Ageron (CH.R): France Coloniale ou parti colonial?, Paris, puf, 1978

105. Julien (CH. R) : Marseille et la question d'Alger à la vieille de la conquête, in Revue Africaine, N° 60 1919, pp 58-61. Cité par Girardet (R): L'idée - coloniale en France de 1871 à 1962, Paris, la table ronde , 1972.

106. Lacheraf (M) : l'Algérie nation et société Alger SNED, 1978.

107. Poujoulat (M) : Etudes Africaines, Récits et pensées d'un Voyageur, Paris , F Hiver, 1847.
- Emerit (M) : «une cause de l'expédition d'Alger, le trésor de la casabahù, in bulletin de la séction d'Histoire moderne et contemporaire, 1954.

108. Pellissier de Reynaud: Annales Algérienne, Paris, Dumaine, Alger, Bastide, 1845, T I.

109. Bugeaud (le Maréchal): par l'épée et par la charrue, écrits et discours (introduction, choix de textes et notes par le général Azan), Paris, PUF, 1948.
- Berard (P L): les deux villes de Tenes et Boumaza, Alger, Bastide, 1864.

110. Tocqueville (A. De): travail sur l'Algérie (1841), de la colonisation en Algérie, Bruxelles, complexe, 1988.

111. Foucher (V): les bureaux arabes en Algérie, Paris bibliothèque du colon, 1858.

112. Bontens (c) : les institutions Algérienne, Alger, Faculté de droit, 1970 - Esterhazy (w): notice historique sur le Maghzen d'Oran, Oran, Perrier, 1849, - Lapasset (F): Aperçu sur l'organisation des indigènes dans les territoires militaires et dans les territoires civils, Alger, Dubos, 1850.
- Germain ®: la politique indigène de Bugeaud, Paris, Larose, 1955.

113. BOUALEM BESSAIL : ABDALAH BEN KERRIOU(poète de Laghouat et du Sahara). Alger ,éditions zyriab ,2003.

114. LAZHARI LABTAR : retour à Laghouat .mille ans après béni Hilal. Alger , éditions eliktilaf ,2002.

الملاحق

– الإستبيان –

البيانات الشخصية :

1) **الجنس :** **ذكر** ☐ **أنثى** ☐

2) المستوى : (25 . 30) ☐ (31 . 35) ☐

(36 . 40) ☐ (41 . 45) ☐

3) المستوى التعليمي : بدون مستوى ☐ إبتدائي ☐ متوسط ☐

ثانوي ☐ جامعي ☐

4) موطن النشأة : الريف ☐ القرية ☐

مركز شبه حضري ☐ المدينة ☐

5) مدة الإقامة بالمدينة : (0 . 10) ☐ (11 . 20) ☐

(21 . فأكثر) ☐

6) الحالة المدنية : أعزب ☐ متزوج ☐ أرمل ☐

مطلق ☐

وضعية الإقامة بالمدنية:

7) مكان الإقامة بالمدينة : وسط المدينة ☐ حواشي المدينة ☐ ريف المدينة ☐

8) أين تفضل السكن : داخل المدينة ☐ وسط المديـــنة ☐ حواشي المدينة ☐

ريف المدينة ☐

9)ماهو نوع السكن الذي تقيم فيه : فيلا ☐ حـــــوش ☐ شـقــة ☐

بناء قصديري ☐ بناء فوضوي ☐

10) كيف هي الوضعية القانونية للسكن الذي تقيم فيه : ملك خاص ☐ تأجير من حكومة تأجير ☐

عن الخواص ☐ السكن مع الأقارب ☐ إستحواذ غير قانوني ☐

11) هل يوجد أقارب يسكنون بالحي الذي تقيم فيه : نعم ☐ لا ☐

12)كيف ترى طبيعة العلاقات مع سكان الحي الذي تقيم فيه : حسنة ☐ جيدة ☐

عادية ☐ فاترة ☐

13) هل يوجد أسر من نفس صلة القرابة جيران لك في الحي الذي تقيم فيه :

موجود ☐ غير موجود ☐

14) على أي أساس تبني علاقاتك الإجتماعية في الحي الذي تقيم فيه :

على أساس الجوار ☐ على أساس القرابة ☐ على أساس الزمالة ☐

على أساس الصداقة ☐ على أساس المصلحة و المنفعة ☐

15) على حسب رأيك كم عدد العوائل من نفس صلة القرابة تقيم في نفس الحي :

5 عوائل ☐ 10 عوائل ☐ 20 عائلة فأكثر لاوجود لأي عائلة ☐

16) هل تفكر في تغيير مكان الإقامة بالحي الذي تقيم فيه :

نعم أفكر ☐ لا أفكر ☐ لماذا في الحالتين ☐

التنشئة الإجتماعية:

17) هل توجد صلة قرابة بين والديك : موجودة ☐ غير موجودة ☐

18) هل يحثك والديك (أحدهما أو كلاهما) بزيارة أقاربك في كل مرة :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

19) هل يصطحبك والديك (أحدهما أو كلاهما) إلى الولائم التي يقيمها أعضاء القبيلة :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

20) هل يحدثك والديك (أحدهما أو كلاهما) عن أجدادك وبني عمومتك :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

21) هل يرى بأن والديك (أحدهما أو كلاهما) متشبثين بولائم العشيرة أو القبيلة :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

22) هل يناقشك والديك (أحدهما أو كلاهما) في القضايا و المواقف التي تخص القبيلة التي تنتمي إليها :

يناقشونك ☐ لايناقشونك ☐

23) هل يقوم والديك (أحدهما أو كلاهما) بتعريفك بأفراد العائلة أو القبيلة ويقدم لك النصح بالتعرف عليهم : دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

24) هل ينصحك والديك (أحدهما أو كلاهما) بالإرتباط الزواجي بأفراد قبيلتك :

ينصحونك ☐ لاينصحونك ☐

25) هل ترى بأن أسرتك متشبثة بالولاء للقبيلة التي تنتمي إليها :

متشبثة جدا ☐ عادي جدا ☐ غير مبالية ☐

26) هل يدفعك والديك (أحدهما أو كلاهما) ويصطحبونك للحضور للمناسبات من أفراح وأتراح يقوم بها أعضاء القبيلة : دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

27) حسب إعتقادك هل يشكل لك والديك (أحدهما أو كلاهما) قدوة تقتدي بها يؤدي بك إلى زيادة درجة الإنتماء و الولاء للقبيلة : نعم ☐ لا ☐

الموروث الثقافي و التاريخي :

28) هل تقوم بزيارة الأضرحة أو الزوايا التابعة للقبيلة أو المحبين لها :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

29) هل تحضر وتشارك في الطعم و الوعدة التي تقوم بها القبيلة :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

30) هل تحضر لإحتفالات الفنتازيا التي تقوم بها القبيلة التي تنتمي إليها في كل عام (سواء من جهة الأب ومن جهة الأم) : دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

القبيلة لا تقوم بها ☐

31) هل تتباهى بالأصل العرقي للقبيلة التي تنتمي إليها : نعم ☐ لا ☐

32) مارأيك في الأساطير و الحكايات البطولية التي تحكى عن أفراد قبيلتك :

صحيحة ☐ مجرد خرافة ☐ لا أساس لها من الصدق ☐

33) هل ترى بأن تاريخ أجدادك مليء بالبطولات و التضحيات :

بالطبع ☐ لا ☐ لاعلم لي بذلك ☐

34) هل ترى بأن القبيلة التي تنتمي إليها موغلة في القدم و هي من القبائل التي بنيت عليها مدينة الأغواط (أصل سكانها):

صحيح ☐ غير صحيح ☐ لاعلم لي بذلك ☐

35) هل ترى بأن أعضاء قبيلتك يجمعون الأموال بقصد المساعدة في مناسبات معينة :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

36) هل تقوم مع أفراد جماعتك القربية بإحياء المناسبات الدينية كل عام :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

37) هل تشارك جماعتك القربية في المناسبات التاريخية التي يقيمنها كل عام لتعيد التذكير ببطولات الأجداد (الجهاد ، المقاومة ، البطولات) :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

38) هل تشارك أعضاء جماعتك القربية وتساعدهم في الأعمال بما يسمى (التويزة) :

نعم ☐ لا ☐

المشاركة السياسية :

39) هل تقوم بالمشاركة السياسية و التصويت أثناء الإنتخابات :

أصوت ☐ لا أصوت ☐

40) هل تقد المساعدة لمترشح القبيلة في الإنتخابات :

أقوم بالمساعدة ☐ لا أقوم بالمساعدة ☐

41) هل تسجل حضورك في الإجتماعات و الولائم التي يقوم بهام مترشح القبيلة التي تنتمي إليها: دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

42) هل أنت مهتم بالحملات الإنتخابات التي يقوم بها مترشحوا القبيلة التي تنتمي إليها :

مهتم ☐ غير مهتم ☐

43) على أي أساس تختار المترشح المناسب للمنصب في الإنتخابات المحلية :

حزبي ☐ عرشي ☐ كفاءة وخبرة ☐

نفعي مصلحي ☐ أخرى ☐

44) هل أنت منخرط في حزب سياسي : منخرط ☐ غير منخرط ☐

45) هل تشارك في النزاعات و الصراعات الكلامية التي من الممكن أن تحدث بين مترشح القبيلة و مترشحين آخرين من قبائل أخرى :

أشارك ☐ لا أشارك ☐ محايد ☐

46) في إعتقادك ماهي الأمور التي تحكم الأحزاب السياسية في الجزائر : السياسة و القانون ☐

التنظيم الإداري ☐ النزعة القبلية ☐ المال و الأعمال ☐ أخرى ☐

47) ماهي أهدافك في التصويت و المشاركة في الإنتخابات المحلية :

خدمة الصالح العام ☐ المصالح الخاصة ☐

مصالح مترشح القبيلة ☐ خدمة أفراد القبيلة المنتمي إليها ☐

48) كيف تكون حالتك في حال فوز مترشح القبيلة التي تنتمي إليها :

فرح شديد ☐ تفرح بشكل عادي ☐ لا تفرح ☐

تحزن بقوة ☐ محايد ☐ لماذا في كل الحالات ☐

49) هل يوجد أقارب لك لهم سلطة في الإدارة المحلية : يوجد ☐ لا يوجد ☐

50) هل تتدخل في النزاعات و الصراعات مع أناس آخرين في قضايا تخص القبيلة :

أتدخل ☐ لا أتدخل ☐

51) ماهي العوامل الأكثر تأثير في زيادة النزعة القبلية : ثقافي ☐ إجتماعي ☐

سياسي ☐ إيكولوجي ☐ أخرى ☐

النزعة القبلية :

52) هل تشعر بالأمان و السلام أثناء تشبثك بالرابطة القبلية : نعم ☐ لا ☐

53) هل تفضل و تحب الإقامة مع أفراد جماعتك القربية : نعم ☐ لا ☐

54) هل ترى بأنه هناك روابط قوية بينك وبين أفراد جماعتك القربية : نعم ☐ لا ☐

55) هل يوجد التعاضد و التكاثف و التلاحم داخل جماعتك القربية : نعم ☐ لا ☐

56) هل ترى بأن القبيلة التي تنتمي إليها ذات قوة ونفوذ في المجتمع : نعم ☐ لا ☐

57) هل تذهب إلى المناسبات و الإحتفالات التي تنتمي القبيلة إليها :

دائماً ☐ أحياناً ☐ أبداً ☐

58) هل تقوم بالدفاع و الذود و النعرة عن حقوق جماعتك القربية : نعم ☐ لا ☐

59) هل تتودد و تتقرب من أفراد القبيلة التي تنتمي إليها : نعم ☐ لا ☐

60) هل تنحاز إتجاه المواقف التي تخص أفراد جماعتك القربية : نعم ☐ لا ☐

61) هل تأخذك الحمية في المواقف التي تكون فيها جماعتك القربية في حالة نزاع أو صراع مع جماعات و أطراف أخرى : نعم ☐ لا ☐

62) هل تدفعك الغيرة و الحمية لتدافع عن حقوق جماعتك القربية : نعم ☐ لا ☐

63) هل تتعاطف في المواقف التي تتطلب التعاطف مع أفراد جماعتك القربية : نعم ☐ لا ☐

64) في إطار المعاملات التجارية ماهي الحالات التي تستدعي منك اشتراك كبار القبيل ؟

البيع ☐ الشراء ☐ البيع والشراء ☐

65) هل تعتقد أن إشتراك كبار القبيلة في منح ديوان لاخذ افراد المجتمعك امر ضروري ؟

نعم ☐ لا ☐ احيانا ☐

66) هل تلتزم بتسديد ماعليك من ديون في الاجال المحدد لاصحابها ؟

نعم ☐ لا ☐ احيانا ☐

67) في رأيك ما هي الأمور التي تحتم عليك الالتزام بشروط و مواعيد المعاملات في اطار القبيلة ؟

مقاطعة اخرين لك ☐ عدم استفادة من قروض مستقبلا ☐ التشهير بك أمام كبار واعيان القبيلة ☐

68) هل تلتزم بتأدية عبادة الصلاة في اطار الجماعة ؟

نعم ☐ لا ☐ احيانا ☐

69) هل تحافظ على حلقات العلم وتدراس القرآن الكريم مع أفراد قبيلتك ؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

70) على أي أساس تحتكم في تعاملك مع الآخرين من بني قبيلتك ؟

أسا س القرابة ☐ أساس الجوار ☐ أساس القبيلة ☐

71) ما الجانب الرئيسي في تمتعك بقدر عالي من الاخلاق الحميدة في اوساط مجتمعك ؟

التنشئة الأسرية ☐ الثقافة القبيلة ☐ إرادتك الخاصة ☐

72) هل توصي إخوتك بضرورة التحلي بأخلاق الجماعة واملاءات القبيلة ؟

نعم ☐ لا ☐

73) إمتثالك لإملاءات كبار القبيلة وجماعة الحي نابع عن ماذا ؟

قناعة الشخصية منبعثة عن الولاء القبلي ☐ شعور بضرورة تفعيل التضامن القبلي ☐

خوفا من العقوبات التي تتعرض لنا ☐

74) هل تتحاشى إثارة الفوضى والخصام مع أفراد قبيلتك ؟

نعم ☐ لا ☐

75) ماهي الدوافع التي تجعلك تتجنب الخصومات والمشاحنات الكلامية الحادة مع أفراد قبيلتك القاطنين معك في نفس الحي ؟

للحفاظ على الصلة القبيلة وعدم المساس ☐ تفاديا العداوة والقطعية ☐

حفاظا على الراحة النفسية ☐

76) في حال قام أحد أفراد قبيلتك من أهلك أو ساكنة حييك بالإساءة إليك لفظا أو التهجم عليك كيف تتصرف ؟

تهدئ الوضع وتتفادى الصراع ☐ تثور في وجهة ☐ تحتكم لأحد أعيان القبيلة ☐

77) هل سبق لك ان تخاصمت مع افراد قبيلتك بسبب عدم تسديد دينا كنت قد قرضته اياه ؟

نعم ☐ لا ☐

78) كيف تستصرف مع من أقرضته ولم يقم بتسديد ماعليه ؟

تمدد له أجل التسديد ☐ تشرك أحد أعيان قبيلة للفصل بينكم ☐

تلجأ للقضاء لإسترداد حقك ☐

79) في حال أقرضك أحدهم مالا ولم تقم بتسديده في غضون الآجال المتفق عليها هل ترى ضرورة طلب مهلة أخرى منع تفاديا لأي صراع؟

نعم ☐ لا ☐

80) هل تسجل حضورك في جماعات الصلح لفك الصراع بين المتخاصمين في قبيلتك ؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

81) هل سبق و ان بادرت بعقد جلسات الصلح بين المتخاصمين في قبيلتك ؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

82) في حال إستولى أحدهم على قطعة أرض لك أو عقار بدون وجه حق هل تلجأ إلى العنف الجسدي؟

نعم ☐ لا ☐

83) اذا كانت الاجابة ب لا فكيف ستتصرف ؟

تشرك أعيان القبيلة لفض الصراع ☐ تلجأ للقضاء ☐

تتنازل عن حقك الوعي الشبابي والتعبير ☐

84) هل أنت مدرك لاهميتك كشاب أو أهمية الشباب في بناء مجتمعك ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

85) هل تلتزم بواجباتك اتجاه مجتمعك المحلي وتمثل الشباب أحسن التمثيل ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

86) ماهي الأدوار التي تشغلها في مجتمعك

طالب ☐ موظف ☐ عامل حر ☐ بطال ☐

87) هل تؤمن بالتغيير الايجابي في مجتمعك ومحيطك الذي تعيش فيه ؟

نعم ☐ لا ☐

88) من اكسبك ثقافة التغيير و رسخها في ذهنك ؟

الأسرة ☐ المدرسة ☐ المجتمع الواقع المعاش ☐

89) هل ترى ان العمل الجماعي التويزة ضروري لتماسك افراد المجتمع ؟

نعم ☐ لا ☐

90) إلى ماذا ترجع العمل الجماعي ؟

ثقافة القبلية ☐ فلسفة معاصرة ☐ ايمان شخصي ☐

91) هل سبق لك وأن شاركت في أعمال جماعية في مجتمعك ؟

نعم ☐ لا ☐

92) إذا كانت الإجابة بنعم ماطبيعة هاته الأعمال ؟

أعمال خيرية ☐ أعمال تطوعية ☐ أعمال شبه دائمة ☐

93) مارأيك في مساهمة الشباب اليوم في التغيير الايجابي في إطار ثقافة القبيلة هل هو ؟

مقنع ☐ غير مقنع ☐